

تَفْسِيرُ
التَّحْكِيمِ
الموسم
بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الأول

جميع الحقوق محفوظة للناسخ

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠



يقول العبد الفقير الى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي رحمة ربه عبد الرحمن
ابن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به في الدارين وبساتير المؤمنين

الحمد لله رب العالمين * وصلوات ربنا وسلامه على سيدنا محمد خاتم
النبیین * وعلى آله وصحبه السادة المكرمين * والحمد لله الذي من
علينا بالايمن * وشرفنا بتلاوة القرآن * فاشرفت علينا بحمد الله انواره *
وبدت لذوى المعارف عند التلاوة اسراره * وفاضت على العارفين عند
التدبر والتأمل بحاره * فسبحان من انزل على عبده الكتاب * وجعله
لاهل الفهم المتمسكين به من اعظم الاسباب * كتاب انزلناه اليك مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب *

اما بعد ايها الاخ اشرق الله قلبى وقلبك بانوار اليقين *
وجعلنى واياك من اوليائه المتقين * الذين شرفهم بنزل

قدسه * واوحشهم من الخليفة بانسه * وخصهم من معرفته * ومشاهدة
 عجائب ملكوته * واثار قدرته * بما ملأ قلوبهم حيرة * وقوته
 عقولهم في عظمتة حيرة * فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين
 غيره * فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون * وبين اثار قدرته وعجائب
 عظمتة يترددون * وبالاقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون * لهجين
 بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون * فاني جمعت لنفسى
 ولك في هذا المختصر ما ارجو ان يقر الله به عيني وعينك في الدارين
 فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته
 فوائد جمه * من غيره من كتب الاثمة * وثقات اعلام هذه الامة *
 حسبما رأيته اورويته عن الاثبات وذلك قريب من مائة تاليف وما منها
 تاليف لا وهو منسوب لامام مشهور بالدين * ومعدود في المحققين *
 وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تاليفه نقلت * وعلى
 لفظ صاحبه عولت * ولم انقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في
 الزلل وانما هي عبارات والفاظ لمن اعزوها اليه وما انفردت بنقله عن
 الطبرى فمن اختصار الشيخ ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد اللخمي
 النحوي لتفسير الطبرى نقلت لانه اعتنى بتهذيبه وقد اطنب ابو
 بكر بن الخطيب في حسن الثناء على الطبرى ومدح تفسيره واثنى عليه
 غاية نسأل الله تعالى ان يعاملنا واياهم برحمته وكل ما في ماخرة انتهى فليس
 هو من كلام ابن عطية بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره ومن اشكل
 عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع الامهات المنقول منها فليصلحه منها ولا
 يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزلل من حيث لا يشعر وجعلت علامة

الثاء لنفسى بدلا من قلت ومن شاء كتبها قلت واما العين فلا بين عطية وما نقلته من الاعراب عن غير ابن عطية فمن الصفاقسى مختصر ابنى حيان غالبا وجعلت الصاد علامة عليه وربما نقلت عن غيره معزوا لمن عنه نقلت وكل ما نقلته عن ابنى حيان فانما نقلت له بواسطة الصفاقسى غالبا قال الصفاقسى وجعلت علامة ما زدت على ابنى حيان * م * وما يتفق لى ان امكن فعلمته * قلت * وبالجمله فحيث اطلق فالكلام لابى حيان وما نقلته من الاحاديث الصحاح والحسان عن غير البخارى ومسلم وابى داود والترمذى فى باب الاذكار والدعوات فاكثره من النووى وسلاح المومن وفى الترغيب والترهيب واحوال الآخرة فمعظمه من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق وربما زدت زيادات كثيرة من مصابيح البغوى وغيره كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى كل ذلك معزوا لمحالته وبالجمله فكتابى هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحه والحسان الماثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب التقيصى وأولى الامور بمن نصح نفسه والههم رشده معرفة السنن التى هي البيان لمجمل القرآن بها يوصل الى مراد الله تعالى من عباده فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذى به الابتلاء * وعليه الجزاء * فى دار الخلود والبقاء * التى لها يسعى الالباء العقلاء * والعلماء الحكماء * فمن من الله عليه بحفظ السنن والقرآن * فقد جعل بيده لواء الايمان * فان فقه وفهم * واستعمل ما علم * دعي فى ملكوت السموات عظيما * ونال فضلا جسيما * انتهى والله اسأل ان يجعل هذا السعي خالصا لوجهه وعلا صالحا يقربنا الى مرضاته وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي

العظيم

﴿ وسميته بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ﴾

اسأل الله ان ينفع به كل من حصله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وَاخِرُ دَعْوَانَا ان الحمد لله رب العالمين وها انا ان شاء الله اشرع في المقصود والتقط من كلام ابن عطية رحمه الله ما ستقف عليه من النبذ الحسنة المختارة ما تقربه العين واذا نقلت شيئاً من غيره عزوته لصاحبه كما تقدم قال * ع * رحمه الله بعد كلام في اثناء خطبته ولما اردت ان اختار لنفسى وانظر في علم اعد انواره لظلم رمسى سبرت العلوم بالتنويع والتقسيم وعلمت ان شرف العلم على قدر شرف المعلم فوجدت امتنها حبالا وارسخها جبالا واجملها ماثارا واسطعها انوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدس اسماءه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذى استقل بالسنة والفرض ونزل به امين السماء الى امين الارض وايقنت انه اعظم العلوم تقريبا الى الله تعالى وتخليصا للنيات ونهيا عن الباطل وحضا على الصالحات اذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا ويمشى في التلطف لها رويدا ورجوت ان الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته اكثر عمره معانيه ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه ثم قال قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا قال المفسرون ايبى علم معانيه والعمل بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتب ففرغت الى تعليق ما يتدخل لى في المناظرة من علم التفسير قال ولنقدم بين يدي القول في التفسير اشياء قد قدم اكثرها المفسرون واشياء ينبغي ان تكون راسخة في حفظ الناطق في هذا العلم مجتمعة لهذه

باب في فضل القرآن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبراً قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيف به لاهواء ولا تشعب معه آراء ولا يشبع منه العلماء ولا يملأه لائقاء من علم علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد علم الآزليين والآخريين فليشتر القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان الذي يتعاهد القرآن ويشدد عليه له اجران والذي يقرأه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة وقال صلى الله عليه وسلم اتلوا هذا القرآن فان الله ياجرکم بالحرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن لالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي القرآن وحدث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ ثلاثمائة آية لم يحاجه القرآن قال الشيخ يحيى بن شرف النووي اعلم ان قراءة القرآن اكد الاذكار وافضلها فينبغي مداومة عليها فلا يخلو عنها يوماً وليلة ويحصل له اصل القراءة بقراءة الآيات القليلة والمطلوب القراءة بالتدبر والخشوع والخصوع وقد روينا في كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من قرأ خمسين آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القردان يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وفي رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين آية وفي رواية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين وجاء في الباب احاديث كثيرة بنحو هذا انتهى من الحلية وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشراف امتي حملة القردان وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القردان شافع مشفع وماحل مصدق ومن شفع له القردان نجا ومن محل به القردان يوم القيامة كبه الله لوجهه في النار واحق من شفع له القردان اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه وقال قوم من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم الم ترى رسول الله ثابت بن قيس لم تزل دارة البارحة يزهر فيها وحولها امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرأ سورة البقرة فسئل ثابت ابن قيس فقال نعم قرأت سورة البقرة وفي هذا المعنى حديث صحيح عن اسيد ابن حضير في تنزل الملائكة في الظلة لصوته بقراءة سورة البقرة قلت وفي رواية سورة الكهف وهذا الحديث خرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي انتهى وقال عقبه بن عامر عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال عليكم بالقردان وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي ان من اشراط الساعة ان يبسط القول ويخزن الفعل ويرفع لاشرار ويوضع لاختيار وان تقر المشناة على رموس الناس لا تغير قيل وما المشناة قال ما استكتب من غير كتاب الله قيل له فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اخذتموه عن من تامنونه على نفسه ودينه فاعقلوه وعليكم بالقردان فتعلموه وعلموه ابناكم

فانكم عنه تسألون وبه تجزون وكفى به واعظا لمن همل وقال رجل لعبد الله ابن مسعود اوصني فقال اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا جارعها سمعك فانه خير يا مر به او شر ينهي عنه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن احسن الناس قراءة او صوتا بالقروان فقال الذى اذا سمعته رأيته يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اقروا القروان قبل ان يجي قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون اجرة ولا يتأجلونه وروى ان اهل اليمن لما قدموا ايام ابى بكر الصديق رضي الله عنه سمعوا القروان فجعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ مرة ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فان انت عيّد منها عشرين يوما قال القرطبي في التذكرة وما تقرب المتقربون الى الله تعالى بشيء مثل القروان قال صلى الله عليه وسلم يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القروان عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين رواه الترمذى انتهى قلت ولعل الترمذى عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب عز وجل من شغله القروان وذكرى عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يفقه من قرأ القروان في اقل من ثلاث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وعما الامر التدبر والتفهم فقلة القراءة مع التفهم افضل من كثرتها من غير تفهم وهذا الذى عليه المحققون وهو الذى يدل عليه القروان وصحيح الآثار ولولا الاطالة لاتينا من ذلك بما يتلج له الصدر وقد ذكر بعض شراح الرسالة في الذى يقرأ القروان من غير تأمل ولا تفهم هل له اجر أم لا فوالان وهذا

الخلاف والله اعلم في غير المتعلم والقول بعدم الاجر على ضعفه هو ظاهر ما
حكاه عياض في المدارك عن الشبلي في قصته مع الامام المقرئ وبالحجلة
فالتدبر والتفهم هو الذي يحصل معه الانابة والخشوع وكل خير ونقل الباجي
في سنن الصالحين عن محمد بن كعب القرظي قال لان اقرأ في ليلي حتى
اصبح باذا زلزلت وبالقارعة لا ازيد عليهما وانردد فيهما وانفكر احب الي
من ان اهد القرآن ليلي هذا او قال انشره نشرًا ونحوه عن مجاهد وغيره وعن
ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه انتهى
قال ابن ابي جبرة والمرغب فيه التدبر في القراءة وان قلت وهو خير من كثرة
القراءة بلا تدبر وفائدة التدبر هو ان تعرف معنى ما تتلو من الآي انتهى وقال
الحسن بن ابي الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً
تركبونه فتقطعون به المراحل وان من كان قبلكم رأوه رسائل اليهم من ربهم
فكانوا يتدبرونه بالليل وينفذونه بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
انزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه عملاً ان احدهم ليتلو القرآن من
فأختمته الى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد اسقط العمل به قال * ع * قال الله
تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وقال تعالى انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً اي علم
معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل فمال الناس الى اليسر وتركوا الثقيل وهو
المطلوب منهم وقيل ليوסף بن اسباط باي شيء تدعو اذا ختمت القرآن فقال
استغفر الله من تلاوتى لاني اذا ختمته ثم تركت ما فيه من الاعمال خشيت
المقت فاعدل الى الاستغفار والتسبيح وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال
فلما ختمته اردت الرجوع من اوله فقال لي اتخذت القراءة علي عملاً اذهب
فاقرأه على الله تعالى في ليلتك وانظر ما ذا يفهمك منه قال الغزالي في كتاب

التفكر واما طريق الفكر الذى تطلب به العلوم التى تشتمل اجتلاب احوال مجودة او التنزه عن صفات مذمومة فلا يوجد فيه انفع من تلاوة القرآن بالفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال الحمودة وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغى ان يقرأه العبد ويردد الآية التى هو محتاج الى التفكير فيها مرة بعد اخرى ولوليلة كاملة فقرة مائة بتفكر وفهم خير من ختمته من غير تدبر وفهم فان تحت كل كلمة منه اسرار لا تتحصرو ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك حكم مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي عليه السلام جوامع الكلم فكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأمله العالم حق تأمله لم ينقطع فيه نظره طول عمره وشرح احاد الآيات والاخبار يطول وانظر قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى احبب من احببت فانك مفارقة وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجرى به فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتأملين ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغفرتهم ولجالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية انتهى من الاحياء

باب فى فضل تفسير القرآن واعرابه

قال النبي صلى الله عليه وسلم اعربوا القرآن والتمسوا غرائبها فان الله تعالى يحب ان يعرب قال ابو العالية فى تفسير قوله عز وجل ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال الحكمة الفهم فى القرآن وقال قتادة الحكمة القرآن والفقه

فيه وقال غيره الحكمة تفسير القرآن وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة
في تفسيره اية ف قيل له ان الذى يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل اليه حتى
علم تفسيرها وذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم
فقال له رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت انت فقال انه كان يعرف
تفسير قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وقال اياس
ابن معاوية مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم
كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في
الكتاب ومثل الذى يعلم التفسير كرجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب
وقال ابن عباس الذى يقرأ ولا يفسر كالعراقي الذى يهذ الشعر وقال مجاهد
احب الخلق الى الله اعلمهم بما انزل الله وقال الحسن والله ما انزل الله اية الا
احب ان يعلم فيمن انزلت وما يعنى بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفقه
الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كشيء

فصل فيما قيل فى تفسير القرآن والجرة عليه ومراتب المفسرين

روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفسر من كتاب الله تعالى الا ايا بعدد علمهن اياه جبريل عليه السلام قال
ع * ومعنى هذا الحديث فى مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا
سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به عباده
كوقت قيام الساعة ونحوها ومنها ما يستقرأ من الفاظه كعدد النفحات فى الصور
وكرتبة خلق السموات والارض وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من

تكلم في القروان برايه فاصاب فقد اخطأ ومعنى هذا ان يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتصور عليه برايه دون نظر فيما قال العلماء او اقتصرته قوانين العلوم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رايه وكان جلة من السلف كسعيد ابن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القروان ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عن جميعهم * ت *

وخرج ابو عيسى الترمذى في جامعه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القروان بغير علم فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرج ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحديث عنى لا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ومن قال في القروان برايه فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن وخرج عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القروان برايه فاصاب فقد اخطأ قال ابو عيسى هكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم انهم شددوا في هذا في ان يفسر القروان بغير علم واما الذى روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من اهل العلم انهم فسروا القروان فليس الظن بهم انهم قالوا في القروان او فسروه بغير علم او من قبل انفسهم وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل انفسهم بغير علم حدثنا الحسين بن مهدي البصرى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما في القروان اية الا وقد سمعت فيها بشي . وحدثنا ابن

ابى عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال مجاهد لو كنت قرأت
قراءة ابن مسعود لم احنج الى ان اسأل ابن عباس عن كثير من القروان مما سألت
انتهى ما نقلته من الترمذى ثم قال * ع * فاما صدر المفسرين والمؤيد
فيهم فعلي بن ابى طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وهو تجرد للامر وكماله وتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما
والمحفوظ عنه في ذلك اكثر من المحفوظ عن علي بن ابى طالب وقال ابن
عباس ما اخذت من تفسير القروان فعن علي بن ابى طالب وكان علي بن
ابى طالب يشنى على تفسير ابن عباس ويحصى على الاخذ عنه وكان عبد الله
ابن مسعود يقول نعم ترجمان القروان عبد الله بن عباس وهو الذى قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وحسبك بهذه
الدعوة ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن
صروبن العاصى وكل ما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين في
التابعين الحسن بن ابى الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة وقد قرا مجاهد
على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية ويتلوهم عكرمة والصحاك بن
مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدى رحمه الله
تعالى فكان غامر الشعبى يطعن عليه وعلى ابى صالح لانه كان يراهما مقصرين
في النظر ثم حمل تفسير كتاب الله عز وجل على كل خلف والى الناس فيه
كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابى طلحة والبخارى وغيرهم ثم ان محمد بن
جرير الطبرى رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد وشفى في
الاسناد ومن المبرزين في المتأخرين ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسي فان
كلامهما منقول واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس رحمهما الله فكثيرا ما

استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن ابي طالب رحمه الله وابو العباس
المهدوي رحمه الله متقن التأليف وكلهم مجتهد ماجر رحمهم الله ونضرو وجوههم
(فصل) واختلف الناس في معنى قوله صلى الله عليه وسلم انزل القرآن
على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه ثم قال * ع * بعد كلام والذي
مال اليه كثير من اهل العلم كابى عبيد وغيره ان معنى الحديث انه
انزل على سبع لغات لسبع قبائل ثم اختلفوا في تعيينهم وانا لخص الغرض
جهدى بحول الله فاصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قرشى واسترضع في بنى سعد ونشأ فيهم ثم ترعرع وشب وهو
يخالط في اللسان كنانة وهذيل وثقيفا وخزاعة واسدا وضبة والفافها لقريش من
مكة وتكرارهم عليها ثم بعد هذه تميما وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب
فلما بعث الله تعالى ويسر عليه امر الاحرف انزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة
المذكورة وهي التى قسمها على سبعة لها السبعة الاحرف وهي اختلافاتها في
العبارة قال ثابت بن قاسم لو قلنا من هذه الاحرف لقريش ومنها لكنانة ومنها
لاسد ومنها لهذيل ومنها لتميم ومنها لضبة والفافها ومنها لقيس لكان قد اتى على
قبائل مضر في مراتب سبعة تستوعب اللغات التى نزل بها القرآن وهذا نحو ما
ذكرناه وهذه الجملة هي التى انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل
ويسرها الله لذلك ليظهر اية نهيه بعجزها عن معارضة ما انزل عليه وسبب
سلامتها انها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الامم فاما
اليمن وهو جنوبي الجزيرة فافسدت كلام عربها خاطئة الحبشة والهنود على ان
ابا عبيد القاسم بن سلام وابا العباس المبرد قد ذكرا ان عرب اليمن من القبائل
التي نزل القرآن بلغاتها قال * ع * وذلك عندى انما هو فيما استعملته

عرب الحجاز من لغة اليمن كالعرب والفتح فاما ما انفردوا به كالزخج والقُلوِب
فليس في كتاب الله منه شيء . واما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد
ربيعة وشرقي الجزيرة فافسدت لغتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة
وغير ذلك واما الذى يلى الشام وهو شمالي الجزيرة وهى بلاد ال جفنة وغيرهم
فافسدها مخالطة الروم وكثير من بنى اسرائيل واما غربي الجزيرة فهي جبال تسكن
بعضها هذيل وغيرهم واكثرها غير معمور فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات
لم تكدر صفوكلامها امة من العجم ويقوى هذا المنزع انه لما اتسع نطاق الاسلام
وداخلت الامم العرب وتجرد اهل المصريين البصرة والكوفة لحفظ لسان
العرب وكتب لغتها لم يأخذوا الا من هذه القبائل الوسيطة المذكورة
ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم حرف واحد
وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة والمدينة والطائف لان السبي والتجار
من الامم كثر فيها فافسدوا اللغة وكانت هذه الحواضر في مدة النبي
صلى الله عليه وسلم سليمة لقلّة المخالطة فمعنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم انزل القروان على سبعة احرف اي فيه عبارات سبع قبائل بلغة
جلتها نزل القروان فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ومرة
بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز في اللفظة لا ترى ان فطر معناها عند غير
قريش ابتداء خلق الشيء وعمله فجاءت في القروان فلم تتجه لابن عباس حتى
اختصم اليه اعرابيان في بشر فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت
حينئذ موقع قوله سبحانه فاطر السماوات والارض وقال ايضا ما كنت ادري
معنى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا حتى سمعت بنت ذى جدن تقول
لزوجها تعال افانحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله

عنه وكان لا يفهم معنى قوله تعالى او ياخذهم على تخوف فوقف به فتى فقال ان ابى يتخوفنى حتى فقال عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف اى على تنقص لهم وكذلك اتفق لقطبة بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصلاة والنخل باسقات ذكره مسلم فى باب القراءة فى صلاة الفجر الى غير هذا من الامثلة فاباح الله تعالى لنبيه عليه السلام هذه الحروف السبعة وعارضه بها جبريل فى عرضاته على الوجه الذى فيه الاعجاز وجودة الرصف ولم تقع الاباحة فى قوله فاقروا ما تيسر منه بان يكون كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ولو كان هذا لذهب اعجاز القرآن وكان معرضا ان يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذى نزل من عند الله وانما وقعت الاباحة فى الحروف السبعة للنبي صلى الله عليه وسلم ليوسع بها على امته فقرأ مرة لابي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه به ايضا وفى صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرانى جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف

فصل فى ذكر الفاظ التى فى القرآن مما للغات العجم بها تعلق

اختلف الناس فى هذه المسألة فقال ابو عبيدة وغيره ان فى كتاب الله تعالى من كل لغة وذهب الطبرى وغيره الى ان القرآن ليس فيه لفظة لا وهى عربية صريحة وان لامثلة والحروف التى تنسب الى سائر اللغات انما اتفق فيها توارد اللغتين فتكلمت العرب والفرس او الحبشة بلفظ واحد وذلك مثل قوله

تعالى ان ناشئة الليل قال ابن عباس نشأ بلغة الحبشة قام من الليل ومنه قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعري كفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس في القسورة انه الاسد بلغة الحبشة الى غير هذا من الامثلة قال * ع * والذي ا قوله ان القاعدة والعقيدة هي ان القراء بلسان عربي مبين وليس فيه لفظ تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها الا من لسان اخر فاما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة التي نزل القراء بلسانها بعض مخالطة لسائر اللسان بتجارات وسفر الى الشام وارض الحبشة فعلمت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القراء فان جهلها عربي ما فكجهله الصريح مما في لغة غيره كمال يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه الطبري من ان اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة فذلك بعيد بل احدهما اصل والاخرى فرع في الاكثر لانا لا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شـ اذا

باب تفسير اسماء القراء وذكر السورة والآية

هو القراء وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقراء مصدر من قولك قرأ الرجل اذا تلا يقرأ قرأنا وقراءة وقال قتادة القراء معناه التاليف قرأ الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا فسر قتادة قوله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اي تاليفه

والقول الاول اقوى ان القروان مصدر من قرأ اذا تلا ومنه قول حسان بن ثابت يرثى عثمان بن عفان رضي الله عنه

ضحوا باسمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرانا
اي وقراءة واما الكتاب فهو مصدر من كتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها
ومنه قول الشاعر * واكتبها باسيار * اي اجعها واما الفرقان فهو ايضا مصدر لانه
فرق بين الحق والباطل والمومن والكافر فرقانا وفرقانا واما الذكر فسمي بذلك
لانه ذكر به الناس واخترهم ولا هم وما كانوا في غفلة عنه فهو ذكر لهم وقيل سمي
بذلك لان فيه ذكر لآلام الماضية والانبياء وفيل سمي بذلك لانه ذكر وشرف
لمحمد صلى الله عليه وسلم وفومه وسائر العلماء به واما السورة فان قريشا كلها ومن
جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة يقولون سورة بغير همز وتميم
كلها وغيرهم يهمزون فاما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي
هي سور وسورة من اسار اذا ابقى ومنه سور الشراب واما من لا يهمز فممنهم من
يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء
اي القطعة منه لان كل بناء فانما بني قطعة بعد قطعة فكل قطعة منها سورة فكان
سور القروان هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القروان ويقال ايضا للرتبة الرفيعة
من المجد والملك سورة ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر

الم تران الله اعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب
فكان الرتبة انبنت حتى كملت واما الآية فهي العلامة في كلام العرب ولما كانت
الجملة التامة من القروان علامة على صدق الآتي بها وعلى عجز المتحدثي بها
سميت آية هذا قول بعضهم وقيل سميت آية لما كانت جملة وجماعة كلام كما
تقول العرب جئنا بآيتنا اي بجماعتنا وقيل لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها

وما بعدها سميت آية * ت * وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب الحديث وآية الايمان حب الانصار وآية ما بيننا وبين المنافقين شهود العشاء يقوى القول الاول والله اعلم وهذا هو الراجح في مختصر الطبرى قال والآية العلامة وذلك اظهر في العربية والقراءان واصح القول ان آيات القراءان علامات للايمان وطاعة الله تعالى ودلالات على وحدانيته وارسال رسله وعلى البعث والنشور وامور الآخرة وغير ذلك مما تضمنته علوم القراءان انتهى

باب فى الاستعاذة

قال الله عز وجل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت ان تقرأ فاقع الماضى موقع المستقبل لثبوته واجمع العلماء على ان قول القارئ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس بآية من كتاب الله واجعوا على استحسان ذلك والتزامه عند كل قراءة فى غير صلاة واختلفوا فى التعوذ فى الصلاة فابن سيرين والنخعى وقوم يتعوذون فى كل ركعة ويمثلون امر الله سبحانه بالاستعاذة على العموم فى كل قراءة وابو حنيفة والشافعى يتعوذان فى الركعة الاولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها كقراءة واحدة ومالك رحمه الله لا يرى التعوذ فى الصلاة المفروضة ويراه فى قيام رمضان ولم يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه تعوذ فى صلاة واما لفظ الاستعاذة فالذى عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واما المقرون فاكثروا فى هذا من تبديل الصفة فى اسم الله وفى الجهة الاخرى كقول بعضهم اعوذ بالله المجيد من الشيطان المرید ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه لا يجوز

ومعنى الاستعاذة الاستجارة والتحيز الى الشيء على وجه الامتناع به من المكروه
واما الشيطان فاختلف في اشتقاقه فقال الحذاق هو فيعال من شطن اذا بعد
لانه بعد عن الخير والرحمة واما الرجيم فهو فاعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح
ومعناه انه رجم باللعة والمقت وعدم الرحمة

باب في تفسير لبسم الله الرحمن الرحيم

روي ان رجلا قال بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم تعس الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاطم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل من الذباب والبسمة تسعة عشر حرفا قال بعض الناس ان رواية بلغتهم ان ملائكة النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك هي قوتهم وباسم الله استضعفوا قال * ع * وهذا من ملأه التفسير وليس من متين العلم * ت * ولا يخفى عليك لين ما بلغ هؤلاء ولقد اغنى الله تعالى بصحيح الاحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين فجرى الله نقاد الامة عنا خيرا وما جاء من الاثر عن جابر وابى هريرة مما يقتضى بظاهرة ان البسمة اية من الفاتحة يرده صحيح الاحاديث كحديث انس وابى بن كعب وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدى ونحوها ولم يحفظ قط عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء بعده انهم يبسمون في الصلاة * ع * والهاء في بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتداءى مستقرا وثابت بسم الله وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت بسم الله واسم اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها وهو عند

البصريين مشتق من السَّمَوِ * ت * وهو العلو والارتفاع قال * ص *
والاسم هو الدال بالوضع على موجود في العيان ان كان محسوسا وفي الاذهان ان
كان معقولا من غير تعرض ببنيته للزمان ومدلوله هو المسمى والتسمية جعل ذلك
اللفظ دليلا على المعنى فهي امور ثلاثة متباينة فاذا اسندت حكما الى لفظ اسم
فتارة يكون حقيقة نحو زيد اسم ابنك وتارة يكون مجازا وهو حيث يطلق
الاسم ويراد به المسمى كقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك وتأول
السهيلي سبح اسم ربك على اقحام الاسم اي سبح ربك وانما ذكر الاسم حتى
لا يخلو التسبيح من اللفظ باللسان لان الذكر بالقلب متعلقه المسمى والذكر
باللسان متعلقه اللفظ وتأول قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء بانها اسماء كاذبة
غير واقعة على الحقيقة فكانهم لم يعبدوا الا الاسماء التي اخترعوها انتهى وقال
الكوفيون اصل اسم وسم من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لمن وضع له
والمكتوبة التي لفظها الله ابهر اسمائه تعالى واكثرها استعمالا وهو المتقدم لسايرها
في الاغلب وانما نجى الآخر اوصافا وحذفت الالف الاخيرة من الله لئلا يشك
بخط اللآل وقيل طرحت تخفيفا والرحمن صفة مبالغته من الرحمة معناها انه
انتهى الى غاية الرحمة وهي صفة تختص بالله تعالى ولا تطلق على البشري
ابلع من فعيل وفعيل ابلغ من فاعل لان راجا يقال لمن رحم ولو مرة واحدة ورحيما
يقال لمن كثر منه ذلك والرحن النهاية في الرحمة

تفسير فاتحة الكتاب بحول الله تعالى وقوته

قال ابن عباس وغيره انها مكية ويؤيد هذا ان في سورة الحجر ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والحجر مكية باجماع وفي حديث ابي بن كعب انها السبع المثاني

ولا خلاف ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انه كانت قط في الاسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين وروي عن عطاء بن يسار وغيره انها مدنية واما اسماؤها فلا خلاف انه يقال لها فاتحة الكتاب واختلف هل يقال لها ام الكتاب فكرة ذلك الحسن بن ابي الحسن واجازة ابن عباس وغيره وفي تسميتها بام الكتاب حديث رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها ام القرآن فكرة ذلك ابن سيرين وجوزة جمهور العلماء وسميت المثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل لانها استثنيت لهذه الامة واما فصل هذه السورة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها وروي انها تعدل ثلثي القرآن وهذا العدل اما ان يكون في المعاني واما ان يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلل وكذلك يجبي. عدل قل هو الله احد وعدل اذا زلزلت وغيره * ت * ونحو حديث ابي حديث ابي سعيد بن المعلى اذ قال له صلى الله عليه وسلم الا اعلمك اعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته رواه البخاري وابوداود والنسائي وابن ماجة انتهى من سلاح المومن تاليف الشيخ المحدث ابي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن همام رحمه الله * الحمد * معناه الثناء الكامل والالف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد وهو اعظم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى الى الشاكر والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود قال * ص * وهل الجمد بمعنى الشكر او الحمد اعظم او الشكر ثناء على الله بافعاله والحمد ثناء عليه باوصافه ثلاثة اقوال انتهى قال الطبري الحمد لله ثناء اثنى به على نفسه تعالى وفي ضمنه امر عباده ان يثنوا به عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجبي. قولوا اياكم واهدنا قال وهذا

من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه وهو كثير * والرب * في اللغة
المعبود والسيد المالك والقائم بالامور المصلح لما يفسد منها فالرب على الاطلاق
هو رب الارباب على كل جهة وهو الله تعالى * والعالمون * جمع عالم وهو
كل موجود سوى الله تعالى يقال لجملة عالم ولاجزائه من الانس والجن وغير ذلك
عالم عالم وبحسب ذلك يجمع على العالمين ومن حيث عالم الزمان متبدل في
زمان اخر حسن جمعها ولفظة العالم جمع لا واحد له من لفظه وهو مأخوذ من العلم
والعلامة لانه يدل على موجد كذا قال الزجاج قال ابو حيان الالف واللام في
العالمين للاستغراق وهو جمع سلامة مفردة عالم اسم جمع وقياسه الا يجمع وشذجه
ايضا جمع سلامة لانه ليس بعلم ولا صفة * م * وذهب ابن مالك في
شرح التسهيل الى ان عالمين اسم جمع لمن يعقل وليس جمع عالم لان العالم عام
وعالمين خاص قلت وفيه نظر انتهى وقد تقدم القول في الرحمن الرحيم
* ملك يوم الدين * الدين في كلام العرب على انحاء وهو هنا الجزاء يوم
الدين اي يوم الجزاء على الاعمال والحساب بها قاله ابن عباس وغيره مدينين
محاسبين وحكى اهل اللغة دنته بفعله ديننا بفتح الدال وديننا بكسرهما جزيتيه
ومنه قول الشاعر

واعلم يقينا ان ملكك زائل * واعلم بان كما تدين تـدـان
* اياك نعبد * نطق المومن به اقرار بالربوبية وتذلل وتحقيق لعبادة الله
وقدم اياك على الفعل اهتماما وشان العرب تقديم الهم واختلاف النحويون
في اياك فقال الخليل ايا اسم مضمرا ضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف
وحكى عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فايه وايا الشواب وقال المبرد ايا اسم
مبهم اضيف للتخصيص لا للتعريف وحكى ابن كيسان عن بعض الكوفيين ان

اياك بكماله اسم مضمرولا يعرف اسم مضمريغيره اخره غيره وحكي عن بعضهم انه قال الكاف والهاء والياء هو الاسم المضممر لكنها لا تقوم بانفسها ولا تكون الا متصلات فاذا تقدمت الافعال جعل ايا عمادا لها فيقال اياك واياه واياي فاذا تأخرت اتصلت بالافعال واستغني عن ايا * ونعبد * معناه نقيم الشرع والاوامر مع تذلل واستكانة والطريق المذلل يقال له معبد وكذلك البعير * ونستعين * معناه نطلب العون منك في جميع امورنا وهذا كله تبر من الاصنام * وقوله تعالى اهدنا * رغبة لانها من المربوب الى الرب وهكذا صيغ الامر كلها فاذا كانت من الاعلى فهي امر * والهداية * في اللغة الارشاد لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الارشاد وكلها اذا تأملت راجعة الى الارشاد فالهدي يحى بمعنى خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم ويهdy من يشاء الى صراط مستقيم وانك لا تهdy من احببت ولكن الله يهdy من يشاء فمن يرد الله ان يهديه آية قال ابو المعالى فهذه الآيات لا ينتج جملها الا على خلق الايمان في القلب وهو محض الارشاد وقد جاء الهdy بمعنى الدعاء كقوله تعالى ولكل قوم هاد اي داع وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقد جاء الهdy بمعنى الالهام من ذلك قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال المفسرون الهم الحيوانات كلها الى منافعها وقد جاء الهdy بمعنى البيان من ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم قال المفسرون معناه بيناهم قال ابو المعالى معناه دعوانهم وقوله تعالى ان علينا للهdy اي علينا ان نبين وفي هذا كله معنى الارشاد قال ابو المعالى وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها كقوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومنه قوله

تعالى فاهدوهم الى صراط الحجيم معناه فاسلكوهم اليها قال * ع * وهذه الهداية بعينها هي التي تنقل في طرق الدنيا وهي ضد الضلال وهي الواقعة في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم على صحيح التاويلات وذلك بين من لفظ الصراط والصراط في اللغة الطريق الواضح ومن ذلك قول جرير

امير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير له الصراط في هذا الموضع فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصراط المستقيم هنا القروان وقال جابر هو الاسلام يعنى الحنيفية وقال محمد بن الحنفية هودين الله الذى لا يقبل من العباد غيره وقال ابو العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابوبكر وعمر ابي الصراط المستقيم طريق محمد صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وهذا قوي في المعنى إلا أن تسمية اشخاصهم طريقا فيه تجوز ويجتمع من هذه الاقوال كلها ان الدعوة هي ان يكون الداعى على سنن المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في معتقاداته وفي التزامه لاحكام مشروعه وذلك هو مقتضى القروان والاسلام وهو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وهذا الدعاء انما امر به المومنون وعندهم المعتقدات وعند كل واحد بعض الاعمال فمعنى قوله اهدنا فيها هو حاصل عندهم التشبث والدوام وفيما ليس بحاصل اما من جهة الجهل به او التقصير في المحافظة عليه طلب الارشاد اليه فكل داع به انما يريد الصراط بكماله في اقواله وافعاله ومعتقداته واختلف في المشار اليهم بانه سبحانه انعم عليهم وقول ابن عباس وجهور من المفسرين انه اراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك عن قوله تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيرا لهم الآية الى قوله

رفيقا * وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين * اعلم ان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناها وذلك اذا قلت رأيت غيرك فكل شيء سوى مخاطب فهو غير وكذلك ان قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المائلة والمغضوب عليهم اليهود والصابون النصارى قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد وروى ذلك عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بين من كتاب الله لان ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله وبأو بغضب من الله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية وغضب الله تعالى عبارة عن اظهاره عليهم محنا وعقوبات وذلة ونحو ذلك مما يدل على انه قد ابعدهم عن رحمته بعدا مؤكدا مبالغا فيه والنصارى كان محققهم على شرعة قبل ورود شرع محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد صلوا واما غير متحققهم فضلالهم متقررة منذ تفرقت اقوالهم في عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى فيهم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وصلوا عن سواء السبيل واجمع الناس على ان عدد آيات سورة الحمد سبع آيات * العالمين آية * الرحيم آية * الدين آية * نستعين آية * المستقيم آية * انعمت عليهم آية * ولا الضالين آية * وقد ذكرنا عند تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ان ما ورد من خلاف في ذلك ضعيف (القول في ءامين) روى ابوهريرة وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا ءامين فان الملائكة في السماء تقول ءامين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه * ت * وخرج مسلم وابوداود والنسائي من طريق ابى موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اذا صليتم فاقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم احدكم فاذا كبر فكبروا واذا قال غير
المغضوب عليهم ولا الصالحين فقولوا ءامين يجبكم الله الحديث انتهى ومعنى
ءامين عند اكثر اهل العلم اللهم استجب اواجب يا رب ومقتضى الآثار ان كل
داع ينبغي له في ءاخر دعائه ان يقول ءامين وكذلك كل قارئ للحمد في غير
صلاة واما في الصلاة فيقولها المأموم والقد وفي الامام في الجهر اختلاف واختلاف
في معنى قوله صلى الله عليه وسلم فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة فليل في الاجابة
وقيل في خلوص النية وقيل في الوقت والذي يترجح ان المعنى فمن وافق في
الوقت مع خلوص النية والاقبال على الرغبة الى الله بقلب سليم والاجابة تتبع
حينئذ لان من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم وفي صحيح مسلم وغيره عن
ابى هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت
الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا
قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله جدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم
قال الله اثنى علي عبدى واذا قال ملك يوم الدين قال مجدنى عبدى فاذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا
قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الصالحين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل انتهى وعند مالك فهؤلاء لعبدى واسند
ابوبكر بن الخطيب عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كان له امام فقراءة الامام له قراءة انتهى من تاريخ بغداد ولم يذكر في سنده
مطعنا وقال ابن العربى في احكامه والصحيح عندى وجوب قراءتها على المأموم فيما
اسر فيه وتحريمها فيما جهر فيه اذا سمع الامام لما عليه من وجوب الانصات والاستماع
فان بعد عن الامام فهو بمنزلة صلاة السر انتهى نجز تفسير سورة الحمد والحمد

لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

تفسير سورة البقرة بحول الله ومعونته

هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى وفيها اخراية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي وانتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ويقال لسورة البقرة فسطاط القرآن وذلك لعظمها وبهاتها وما تضمنت من الاحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلاً وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الراح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش * ت * وها انا ان شاء الله اذكر اصل الحديث بكماله لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة خرج الحاكم ابو عبد الله في المستدرک على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا بالقرآن احلوا حلاله وحرّموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردة الى الله والى اولى العلم من بعدى كي ما يخبرونكم وامنوا بالتوراة والانجيل والزبور وما اوتي النبيون من ربهم وليسكم القرآن وما فيه من البيان فانه شافع مشفع وما حل مصدق وانى اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين والحواميم من الراح موسى واعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش ما حل بالمهملة اي ساع وقيل خصم انتهى من السلاح وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحي

البقرة وءال عمران يوم القيامة كأنهما غيايتان بينهما شرق او غماتان سوداوان او كأنهما طلة من طير صواف تجادلان عن صاحبهما * ت * اصل الحديث في صحيح مسلم عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقروا القرآن فانه ياتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقروا الزهراوين البقرة وءال عمران فانهما ياتيان كأنهما غماتان او كأنهما غيايتان او كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اصحابهما اقروا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغنى ان البطلة السحرة فقلوه صلى الله عليه وسلم غماتان يعنى سحابتين بيضاوين والغيايتان بالغين المعجمة ابو عبيد الغياية كل شيء اظل الانسان فوق راسه وهو مثل السحابة وفرقان بكسر الفاء اي جعلتان انتهى من السلاح وروى ابو هريرة عند صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسمام القرآن سورة البقرة فيها آية هي سيدة أي القرآن هي آية الكرسي وفي البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وروى ابو هريرة عند صلى الله عليه وسلم انه قال البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان * ت * وعن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فقال له هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وقال ابشر بنورين او تيتهما لم يوتيهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته رواه مسلم والنسائى والنقيض بالنون والقاف هو الصوت انتهى من السلاح وعدد أي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون آية وقيل وست وثمانون آية وقيل وسبع وثمانون * قوله تعالى الم * اختلف في الحروف التى فى اوائل السور على قولين فقال الشعبى وسفيان الثورى وجاعة

من المحدثين هي سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا يجب ان يتكلم فيها ولكن يومن بها وتمركما جاءت وقال الجمهور من العلماء بل يجب ان يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تنتخرج عليها واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولا فقال علي وابن عباس رضي الله عنهما الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الاعظم الا انا لانعرف تاليفه منها وقال ابن عباس ايضا هي اسماء الله اقسام بها وقال ايضا هي حروف تدل على أنا الله اعلم انا الله ارى وقال قوم هي حساب ابي جاد لتدل على مدة ملته محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث حيي بن اخطب وهو قول ابي العالية وغيره * ت * واليه مال السهيلي في الروض الانف فانظره * قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الاسم من ذلك الذال والالف واللام بعد المشار اليه والكاف للخطاب واختلف في ذلك هنا فقل هو بمعنى هذا وتكون الاشارة الى هذه الحروف من القرآن وذلك انه قد يشار بذلك الى حاضر تعلق به بعض غيبة وقيل هو على بابه اشارة الى غائب واختلفوا في ذلك الغائب فقل ما قد كان نزل من القرآن وقيل غير ذلك انظره ولا ريب فيه معناه لا شك فيه وهدى معناه ارشاد وبيان وقوله للمتقين اللفظ مأخوذ من وقى والمعنى الذين يتقون الله تعالى بامتنال او امره واجتناب معاصيه كان ذلك وقاية بينهم وبين عذابه * قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * يؤمنون معناه يصدقون وقوله بالغيب قالت طائفة معناه يصدقون اذا غابوا وخلوا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا حضروا ويكفرون اذا غابوا وقال آخرون معناه يصدقون بما غاب عنهم مما اخبرت به الشرائع وقوله يقيمون الصلاة معناه يظهرونها ويثبتونها كما يقال اقيمت السوق * ت * وقال

ابوعبد الله النحوي في اختصاره لتفسير الطبرى اقامة الصلاة اتمام الركوع
والسجود والتلاوة والحشوع والافبال عليها انتهى قال * ص * يقيمون
الصلاة من التقويم ومنه اقامت العود او الادامة ومنه قامت السوق او التشمير
والنهوض ومنه قام بالامر انتهى وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق عند اهل
السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما وينفقون معناه هنا يتون ما الزمهم
الشرع من زكاة وما ندبهم اليه من غير ذلك * قوله تعالى والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون * اختلف المتأولون من المراد بهذه
الآية والتي قبلها فقال قوم الآيتان جميعا في جميع المؤمنين وقال آخرون هما
في مومنى اهل الكتاب وقال آخرون الآية الاولى في مومنى العرب والثانية في
مومنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وفيه نزلت وقوله بما انزل اليك يعنى
القرآن وما انزل من قبلك يعنى الكتب السالفة ويوقنون معناه يعلمون علما
متكنا في نفوسهم واليقين اعلى درجات العلم وقوله تعالى اولئك على هدى من
ربهم اشارة الى المذكورين والهدى هنا الارشاد والفلاح الظفر بالبغية وادراك
الأمل * قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ما انذرتهم الى عظيم *
اختلف فيمن نزلت هذه الآية بعد الاتفاق على انها غير عامة لوجود الكفار
قد اسلموا بعدها فقال قوم هي فيمن سبق في علم الله انه لا يؤمن وقال ابن
عباس نزلت في حيي بن اخطب وابى ياسر بن اخطب وكعب بن الاشرف
ونظرائهم والقول الاول هو المعتمد عليه وقوله سواء عليهم معناه معتدل عندهم
والانذار اعلام بنخوف هذا حدة وقوله تعالى ختم ماخوذ من الختم وهو الطبع
والخاتم الطابع قال في مختصر الطبرى والصحيح ان هذا للطبع حقيقة لا انه مجاز

فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلق قلبه فذلك البران الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون انتهى والغشاة الغطاء المغشى الساتر وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم معناه لمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله وعظيم معناه بالاضافة الى عذاب دونه * قوله تعالى ومن الناس من يقول ءامنا بالله الى وما يشعرون * هذه الآية نزلت في المنافقين وسمى الله تعالى يوم القيامة اليوم الآخر لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم الا لما تقدمه ليل واختلف المتأولون في قوله يخادعون الله فقال الحسن بن ابى الحسن المعنى يخادعون رسول الله فأضاف الامر الى الله تجوزا لتعلق رسوله به ومخادعتهم هي تحيلهم في ان يفشي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اليهم اسرارهم * ع * تقول خادعت الرجل بمعنى أعلت التحيل عليه فخادعته بمعنى تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد وقال جاعة بل يخادعون الله والمؤمنين باظهارهم من الايمان خلاف ما ابطنوا من الكفر وانما خدعوا انفسهم لحصولهم في العذاب وما يشعرون بذلك معناه وما يعلمون علم تفتن وتهتد وهي لفظة مأخوذة من الشعار كأن الشيء المتفتن له شعار للنفس وقولهم ليت شعري معناه ليت فطنتي تدرك واختلف ما الذى نفى الله عنهم ان يشعروا له فقالت طائفة وما يشعرون ان ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار وقال آخرون وما يشعرون ان الله يكشف لك سرهم ومخادعتهم في قولهم ءامنا * قوله تعالى في قلوبهم مرض * اي في عقائدهم فساد وهم المنافقون وذلك اما ان يكون شكاً واما جحداً بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون وقال قوم المرض غمهم

بظهوره صلى الله عليه وسلم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم وقيل هو خبر
ان الله قد فعل بهم ذلك وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من
البراهين * ت * لما تكلم * ع * على تفسير قوله تعالى عليهم
دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب
الشيء لان الله تعالى لا يدعوا على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل
همزة ويل للمطففين وهي كلها احكام تامة تضمنها خبره تعالى ولهم عذاب اليم
اي مولع واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي بالكفر وموالة الكفرة ولقول
المنافقين انما نحن مصلحون ثلاث تاويلات احدها جحد انهم يفسدون وهذا
استمرار منهم على النفاق والثاني ان يقرؤا بموالة الكفار ويدعون انها صلاح
من حيث هم قرابة توصل والثالث انهم يصلحون بين الكفار والمومنين والا
استفتاح كلام ولكن حرف استدراك ويحتمل ان يراد هنا لا يشعرون انهم
مفسدون ويحتمل ان يراد لا يشعرون ان الله يفتحهم * قوله تعالى واذا
قيل لهم امنوا كما امن الناس آية * المعنى صدقوا بمحمد وشرعه كما صدق
المهاجرون والمحققون من اهل يثرب قالوا انكون كالذين خفت عقولهم والسفه
الخفة والرقعة الداعية الى الخفة يقال ثوب سفه اذا كان رقيقا لهلhel النسج
وهذا القول انما كانوا يقولونه في خفاء فاطلع الله عليه نبيه عليه السلام والمومنين
وقرر ان السفه ورقعة الحلوم وفساد البصائر انما هو في حيزهم وصفته لهم واخبر انهم
لا يعلمون انهم السفهاء للربن الذي على قلوبهم * وقوله تعالى واذا لقوا الذين
امنوا آية * هذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمومنين واظهار الكفر
في خلواتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه
مخافة ان يتحدث الناس عند اند يقتل اصحابه حسبا وقع في قصة عبد الله بن

ابي بن سلول قال مالک النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة اليوم واختلف المفسرون في المراد بشياطينهم فقال ابن عباس رضي الله عنه هم رؤساء الكفرو قيل الكهان قال البخاري قال مجاهد الى شياطينهم اي اصحابهم من المنافقين والمشركين قال * ص * شياطينهم جمع شيطان وهو كل متمرّد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس وانشأه شيطانة انتهى * ت * ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه رواه ابو داود وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار انتهى من سنن ابي داود * الله يستهزئ بهم * اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جهور العلماء هي تسمية العقوبة باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيرا وقال قوم ان الله سبحانه يفعل بهم افعالا هي في تأمل البشر هزة روي ان النار تجمد كما تجمد الالهة فيمشون عليها ويظنون انها مجاة فتخسف بهم وما روي ان ابواب النار تفتح لهم فيذهبون الى الخروج لنا هذا المنحى ابن عباس والحسن * ت * وقوله تعالى قيل ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا يقوى هذا المنحى وهكذا نص عليه في اختصار الطبري انتهى وقيل استهزاؤهم بهم هو استدراجهم بدور النعم الدنيوية ويمدهم اي يزيدهم في الطغيان وقال مجاهد معناه يملئ لهم والطغيان الغلو وتعدى الحد كما يقال طغى الماء وطغت النار ويعمهمون معناه يترددون حيرة والعمه الحيرة من جهة النظر والعامه الذي كانه لا يبصر * قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى قوله يا ايها الناس * قال الفخر اعلم ان المقصود من ضرب المثال انه يؤثر في القلوب

ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه لان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك هو النهاية في الايضاح لا ترى ان الترغيب والترهيب اذا وقع مجردا عن ضرب مثل لم يتأكد وقوعه في القلب كتأكد مع ضرب المثل ولهذا اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه الامثال قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون انتهى والمثل والمثيل واحد معناه الشبيه قاله اهل اللغة واستوقد قيل معناه اوقد واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي استوقد نارا فقالت فرقة هي فيمن كان امن ثم كفر بالنفاق فايامنه بمنزلة النار اضاءت وكفرة بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور وقالت فرقة منهم قتادة نطقهم بلا اله الا الله والقراءان كاضاءة النار واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها قال جمهور النحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من نورهم على الذي وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد لان بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الخلاف المتقدم وقال قوم جواب لما مضى وهو طفت فالضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا هو عن حال لهم تكون في الآخرة وهو قوله تعالى فضررب بينهم بسور له باب الآية وهذا القول غير قوي ولاصم الذي لا يسمع والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد ووصفهم بهذه الصفات اذ اعمالهم من الخطا وعدم الاجابة كاعمال من هذه صفته وصم رفع على خبر الابتداء اما على تقدير تكرير اولئك او اضمارهم وقوله تعالى فهم لا يرجعون قيل معناه لا يؤمنون بوجه وهذا انما يصح ان لو كانت الآية في معنيين وقيل معناه فهم لا يرجعون ما داموا على الحال التي وصفهم بها وهذا هو الصحيح او كصيب او للتخيير معناه مثلهم بهذا او بهذا والصيب المطر من

صاب يصوب اذا انحط من علو الى سفلى وظلمات بالجمع اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الدجن ومن حيث تتراكب وتنزيد جمعت وكسوت الدجن مظلمة دول وغم للنفوس بخلاى السحاب والمطر اذا انجلى دجنه فانه سار جميل واختلف العلماء فى الرعد فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد وقيل الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد اسم الصوت المسموع قاله علي بن ابي طالب واكثر العلماء على ان الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب واختلفوا فى البرق فقال علي بن ابي طالب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم هو مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب وهذا اصح ما روي فيه وقال ابن عباس هو سوط نور بيد الملك يزجى به السحاب وروي عنه ان البرق ملك يتراعى واختلف المتأولون فى المقصد بهذا المثل وكيف تترتب احوال المنافقين الموارنة لما فى المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال جمهور المفسرين مثل الله تعالى القرآن بالصيغ فما فيه من الاشكال عليهم والمعنى هو الظلمات وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة هو البرق وتخوفهم وروعهم وحذرهم هو جعل اصابعهم فى اذانهم وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التى يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه هي الصواعق وهذا كله صحيح بين وقال ابن مسعود ان المنافقين فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجعلون اصابعهم فى اذانهم لئلا يسمعو القرآن فضرب الله المثل لهم وهذا وفاق لقول الجمهور ومحيط بالكافرين معناه بغتابهم يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا حاصرا من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بشجرة

ويكاد فعل ينشئ المعنى مع ايجابه ويوجه مع النفي فهنا لم يخطف البرق الابصار والخطف الانتزاع بسرعة ومعنى يكاد البرق يخطف ابصارهم تكاد حجج القروان وبراهينه واياته الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق في المثل الزجر والوعيد قال يكاد ذلك يصيبهم وكلما ظرف والعامل فيه مشوا وقاموا معناه ثبتوا ومعنى الآية فيما روي عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القروان وظهرت لهم الحجج انسوا ومشوا معه فاذا نزل من القروان ما يعمهون فيه ويصلون به او يكلفونه قاموا اي ثبتوا على نفاقهم وروي عن ابن مسعود ان معنى الآية كلما صلحت احوالهم في زرعهم ومواسيهم وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة او اصابتهم شدة سخطوه وثبتوا في نفاقهم ووجد السمع لانه مصدر يقع للواحد والجمع وقوله سبحانه على كل شيء قدير لفظه العموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه وقدير بمعنى قادر وفيه مبالغة وخص هنا سبحانه صفته التي هي القدرة بالذكر لانه قد تقدم ذكر فعل مصنعه الوعيد والاخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك * قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الآية * يا حرف نداء وفيه تنبيه وايي هو المنادي قال مجاهد يا ايها الناس حيث وقع في القروان مكي ويا ايها الذين ءامنوا مدني قال * ع * قد تقدم في اول السورة انها كلها مدنية وقد يجيء في المدنى يا ايها الناس واما قوله في يا ايها الذين ءامنوا فصحيح اعبدوا ربكم معناه وحدوه وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم اذ كانت العرب متقرة بان الله خلقها فذكر ذلك سبحانه حجة عليهم ولعل في هذه الآية قال فيها كثير من المفسرين هي بمعنى ايجاب التقوى وليست من الله تعالى بمعنى ترج وتوقع وفي مختصر الطبرى لعلمكم تتقون عن مجاهد اي لعلمكم تطيعون والتقوى التوقى من عذاب الله

بعبادته وهي من الوقاية واما لعل هنا فهي بمعنى كي اولام كي اي لتتقوا اولكي
تتقوا وليست هنا من الله تعالى بمعنى الترجى وانما هي بمعنى كي وقد تجي
بمعنى كي في اللغة قال الشاعر

وقلنم لنا كفوا الحروب لعلنا * نكف وثقتنم لنا كل موثوق

انتهى قال * ع * وقال سيبويه ورؤساء اللسان هي على بابها والترجى
والتوقع انما هو في حيز البشراي اذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لانفسكم
التقوى ولعل متعلقة بقوله اعبدوا وينجيه تعلقها بخلقتكم اي لَمَّا وَلِدَ كل مولود على
الفطرة فهو ان تأمله متأمل توقع له ورجا ان يكون متقيا وتتقون ماخوذ من
الوقاية وجعل بمعنى صير في هذه الآية لتعديها الى مفعولين وفراشا معناه تفتشونها
والسما قيل هو اسم مفرد جمعه سماوات وقيل هو جمع واحدة سماوة وكل ما
ارتفع عليك في الهواء فهو سماء وانزل من السماء يريد السحاب سمي بذلك
تجوزا لما كان يلي السماء وقد سمو المطر سماء للمجاورة ومنه قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضا بـ

فتجوز ايضا في رعيناه وواحد الانداد ند وهو المقام والمضاهى واختلف المتأولون
من المخاطب بهذه الآية فقالت جماعة من المفسرين المخاطب جميع المشركين
فقوله سبحانه على هذا وانتم تعلمون يريد العلم الخاص في انه تعالى خلق وانزل
الماء واخرج الرزق وقيل المراد كفار بنى اسرائيل فالمعنى وانتم تعلمون من الكتب
التي عندهم ان الله لا ند له وقال ابن فورك يحتمل ان تتناول الآية المؤمنين
* قوله تعالى * وان كنتم في ريب اي في شك فاتوا بسورة من مثله الضمير
في مثله عند الجمهور عائد على القروان وادعوا شهداءكم اي من شهدكم وحضركم
من عون ونصير قاله ابن عباس ان كنتم صادقين اي فيما قلتم من انكم

تقدرون على معارضته ويؤيد هذا القول ما حكى عنهم في آية أخرى لو نشاء لقلنا مثل هذا وفي قوله جل وعلا ولن تفعلوا أثارة ليهيمهم وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابداع وهو ايضا من الغيوب التي اخبر بها القرآن * وقوله تعالى * فأتقوا النار امر بالايمان وطاعة الله قال الشحرولما ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار واتقاء النار يوجب ترك العناد فاقم قوله فاتقوا النار مقام قوله واتركوا العناد ووصف النار بانها تتقد بالناس والحجارة وذلك يدل على قوتها نجانا الله منها برحمته الواسعة وقرن الله سبحانه الناس بالحجارة لانهم اتخذوها في الدنيا اصناما يعبدونها قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فاحدى الآيتين مفسرة للأخرى وهذا كتعذيب مانعى الزكاة بنوع ما منعوا انتهى * قوله تعالى وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات الآية * بشر ماخوذ من البشارة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنه اثر في بشرة الوجه والاغلب استعمال البشارة في الخير وقد تستعمل في الشر مقيدة به كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ البشارة فانما يحمل على الخير وفي قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان لفظة الايمان بمجردا تقتضى الطاعات لانه لو كان كذلك ما اعادها وجنات جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له الفردوس وروى النسائي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ثياب الجنة تشقق عنها ثمر الجنة وروى الترمذى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة * ت * وفي الباب عن ابن عباس وجريير بن عبد الله وغيرها وسميت الجنة جنة

لأنها تجن من دخلها اي تستره ومنه المَجَنَّ والجَنُّ وجن الليل ومن تحتها معناه من تحت الاشجار التي يتضمنها ذكر الجنة * ت * ومن اعظم البشارات ان هذه الامة هم ثلثا اهل الجنة وقد خرج ابو بكر بن ابي شيبه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتي يوم القيامة ثلثا اهل الجنة ان اهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف وان امتي من ذلك ثمانون صفاً وخرج ابن ماجه والترمذى عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى من التذكرة للقرطبي ولا نهار المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة مأخوذة من انهرت اي وسعت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح حتى جرى الدم كالنهر ونسب الجري الى النهر وانما يجرى الماء تجوزاً كما قال سبحانه واسأل القرية وروي ان انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح ارض الجنة منضبطة وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذى رزقنا منه من قبل والكلام يحتمل ان يكون تعجباً منهم وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يكون خبراً من بعضهم لبعض قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضاً وقال ابن عباس ليس فى الجنة شيء مما فى الدنيا سوى الاسماء واما الذوات فمتباينة وقال بعض المتأولين المعنى انهم يرون الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره ما كان فى الدنيا فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا وقال قوم ان ثمر الجنة اذا قطف منه شيء خرج فى الحين فى موضعه مثله فهذا اشارة الى الخارج فى موضع المجنى

* وقوله تعالى * متشابهها قال ابن عباس وغيره معناه يشبه بعضه بعضا في المنظر
ويختلف في الطعم وازواج جمع زوج ويقال في المرأة زوجة ولاول اشهر ومطهرة ابلغ
من طاهرة اي مطهرة من الحيض والبزاق وسائر اقدار الادميات والخلود الدوام
وخرج ابن ماجه عن اسامة بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم
لاصحابه لا مشمر الجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور تتلالا وربحانة
تهتز وفسر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نصيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة
في مقام ابد في حبرة ونضرة في دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها
يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه انتهي من التذكرة
وقوله لا خطر لها بفتح الطاء قيل معناه لا عوض لها * * قوله تعالى ان الله
لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها * لما كان الجليل القدر في الشاهد
لا يمنعه من الخوض في نازل القول لا الحياء من ذلك رد الله بقوله ان الله
لا يستحي ان يضرب مثلا ما على القائلين كيف يضرب الله مثلا بالذباب ونحوه
واختلف في قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا هل هو من قول الكافرين
او خبر من الله تعالى ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين من قول الله
تعالى والفسق الخروج عن الشيء يقال فسقت الفارة اذا خرجت من جحرها
والرطوبة اذا خرجت من قشرها والفسق في عرف استعمال الشرع الخروج من
طاعة الله عز وجل بكفر او عصيان * قوله تعالى * الذين ينقضون عهد الله
النقص رد ما ابرم على اوله غير مبرم والعهد في هذه الآية التقدم في الشيء والوصاة
به وظاهرهما قبل وبعد انه في جميع الكفار * ع * وكل عهد جائز بين
المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الآية والخاسر الذي نقص نفسه حظها من
الفلاح والفوز والخسران النقص كان في ميزان او غيره * قوله تعالى كيف

تكفرون بالله * هو تقرير وتوبيخ اي كيف تكفرون ونعمه عليكم وقدرته
هذه والواو في قوله وكنتم واو الحال واختلف في قوله تعالى وكنتم امواتا الآية فقال
ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا
دارسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقكم واخرجكم الى الدنيا فاحياكم
ثم يميئتم الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وهذا التأويل هو اولى ما
قيل لانه هو الذى لا محيد للكفار عن الاقرار به والضمير في اليه عائد على الله
تعالى اي الى ثوابه او عقابه وخلق معناه اخترع واوجد بعد العدم ولكم معناه
للاعتبار ويدل عليه ما قبله وما بعده من نصب العبر للاحياء والاماتة والاستواء الى
السماء وتسويتها * وقوله تعالى ثم استوى الى السماء * ثم هنا لترتيب
الاخبار لا لترتيب الامر في نفسه واستوى قال قوم معناه علا دون كيف ولا تحديد
هذا اختيار الطبري والتقدير علا امره وقدرته وسلطانه وقال ابن كيسان معناه قصد
الى السماء * ع * اي بخلقه واختراعه والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع
النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان وسواهن قيل جعلهن سواء
وقيل سوى سطوحهن بالاملاس وقال الثعلبي فسواهن اي خلقهن انتهى وهذه
الآية تقتضى ان الارض وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت
الارض بعد خلق السماء وبهذا تتفق معانى آيات هذه والتي في صورة
المومن وفي النازعات * وقوله تعالى واذا قال ربك للملائكة انى جاعل في
الارض خليفة * اذ ليست بزائدة عند الجمهور وانما هي معلقة بفعل مقدر تقديره
واذكر اذ قال واصافة رب الى محمد صلى الله عليه وسلم ومحاطبت بالكاى تشريف
منه سبحانه لنبيه واطهار لاختصاصه به والملائكة واحدا ملك والهاء في ملائكة
لتأنيث المجموع غير حقيقى وقيل هي للمبالغة كعلامة ونسابة والاول ابين وجاعل

فى هذه الآفة بمعنى خالق وقال الحسن وقنادة جاعل بمعنى فاعل وقال ابن سابط
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الارض هنا هى مكة لان الارض دحيت
من تحتها ولانها مقر من هلك قومه من الانبياء وان قبر نوح وهود وصالح بين
المقام والركن وخليفة معناه من يخلف قال ابن عباس كانت الجن قبل بنى
ءادم فى الارض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله اليهم قبىلا من الملائكة قتلهم
والحق فآلهم بجزائر البحار ورمس الجبال وجعل ءادم وذريته خليفة وقال ابن
مسعود انما معناه خليفة منى فى الحكم * وقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد
فيها الآفة * قد علمنا قطعا ان الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول وذلك
عام فى جميع الملائكة لان قوله تعالى لا يسبقونه بالقول خرج على جهة المدح لهم
قال القاضى ابن الطيب فهذه قرينة العموم فلا يصح مع هذين الشرطين الا ان
يكون عندهم من افساد الخليفة نبأ ومقدمة قال ابن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم
ان الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه
المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه او من عصيان من
يستخلفه الله فى ارضه وينعم عليه بذلك واما على طريق الاستعظام
والاكبار للفصلين جميعا لاستخلاف والعصيان وقال اجد بن يحيى ثعلب وغيره
انما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من افساد الجن وسفكهم الدماء
فى الارض فجاء قولهم اتجعل فيها الآفة على جهة الاستفهام المحض هل هذا
الخليفة يا ربنا على طريقة من تقدم من الجن ام لا وقال ءاخرون كان الله
تعالى قد اعلم الملائكة انه يخلق فى الارض خلقا يفسدون ويسفكون الدماء فلما
قال لهم سبحانه بعد ذلك انى جاعل قالوا ربنا اتجعل فيها الآفة على جهة
الاسترشاد والاستعلام هل هذا الخليفة هو الذى كان اعلمهم به سبحانه قبل او

غيره ونحو هذا في مختصر الطبري قال وقولهم اتجعل فيها ليس بانكار لفعاد عز وجل وحكمه بل استخبار هل يكون الامر هكذا وقد وجه بعضهم بانهم استعظموا الافساد وسفك الدماء فكانهم سألوا عن وجد الحكمة في ذلك اذ علموا انه عز وجل لا يفعل الا حكمة انتهى * ت * والعقيدة ان الملائكة معصومون فلا يقع منهم ما يوجب نقصانا من رتبتهم وشريف منزلتهم صلوات الله وسلامه على جميعهم والسفك صب الدم هذا عرفه وقولهم ونحن نسبح بحمدك قال بعض المتأولين هو على جهة الاستفهام كأنهم ارادوا ونحن نسبح بحمدك الآية ام ننغير عن هذه الحال قال * ع * وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحض في قولهم اتجعل وقال الآخرون معناه التمدح ووصف حالهم وذلك جازلهم كما قال يوسف اني حفيظ عليم وهذا يحسن مع التعجب والاستعظام لان يستخلف الله من يعصيه في قولهم اتجعل وعلى هذا ادبهم بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون ومعنى نسبح بحمدك ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود تسبيح الملائكة صلواتهم لله سبحانه وقال قتادة تسبيحهم قولهم سبحان الله على عرفه في اللغة وبحمدك معناه نصل التسبيح بالحمد ويحتمل ان يكون قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين كأنهم قالوا ونحن نسبح ونقدس وانت المحمود في الهداية الى ذلك وخرج مسلم في صحيحه عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى ان احب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده وفي رواية سئل صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان جبيبتان

الى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم وهذا الحديث به ختم البخارى رحمه الله انتهى ونقدس لك قال الضحاك وغيره معناه نطهرو انفسنا لك ابتغاء مرضاتك والتقديس التطهير بلا خلاف ومنه الارض المقدسة اي المطهرة وقال ءاجرون ونقدس لك معناه نقديسك اي نعظمك ونطهر ذكرتك معاذ لا يليق به قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون * قال ابن عباس كان ابليس لعنه الله قد اعجب بنفسه ودخله الكبر لما جعله الله خازن السماء الدنيا واعتقد ان ذلك لمزية له فلما قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهى لا تعلم ان فى نفس ابليس خلاف ذلك قال الله سبحانه انى اعلم ما لا تعلمون يعنى ما فى نفس ابليس وقال قتادة لما قالت الملائكة انجعل فيها من يفسد فيها وقد علم الله ان فى من يستخلف فى الارض انبياء وفضلاء واهل طاعة قال لهم انى اعلم ما لا تعلمون يعنى افعال الفضلاء * وقوله تعالى وعلم ءادم الاسماء كلها * معناه عرف وتعليم ءادم هنا عند قوم الهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم بقول اما بواسطة ملك او بتكليم قبل هبوطه الارض فلا يشارك موسى عليه السلام فى خاصة * ت * قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جرة تعليمه سبحانه ءلادم الاسماء كلها انما كان بالعلم اللدني بلا واسطة انتهى من كتابه الذى شرح فيه بعض احاديث البخارى وكل ما انقله عنه فمنه واختلف المتأولون فى قوله الاسماء فقال جمهور الامة علمه التسميات وقال قوم عرض عليه الاشخاص والاول ابيسن ولفظة علم تعطى ذلك ثم اختلف الجمهور فى اي الاسماء علمه فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد علمه اسم كل شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها وقال الطبري علمه اسماء ذريته والملائكة ورحمه بقوله تعالى ثم عرضهم وقال اكثر

العلماء ءمه تعالى منافع كل شيء ، ولما يصالح وقيل غير هذا واختلاف المتأولون هل
عرض على الملائكة اشخاص الاسماء او الاسماء دون الاشخاص وانبؤنى معناه
اخبرونى والنبأ الخبر وقال قوم يخرج من هذا الامر بالانباء تكليف ما لا يطاق
ويتقرر جوازه لانه سبحانه علم انهم لا يعلمون وقال المحققون من اهل التأويل
ليس هذا على جهة التكليف انما هو على جهة التقرير والتوقيف * وقوله تعالى
هؤلاء ظاهرة حضور اشخاص وذلك عند العرض على الملائكة وليس فى هذه الآية
ما يدل ان الاسم هو المسمى كما ذهب اليه مكى والمهدوي والذى يظهر ان الله
تعالى علم ءادم الاسماء وعرض مع ذلك عليه الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك
على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التى قد تعلمها ءادم ثم ان ءادم قال لهم هذا اسمه
كذا وهذا اسمه كذا وهؤلاء مبني على الكسر وكنتم فى موضع الجزم بالشرط
والجواب عند سيبويه فيما قبله وعند المبرد محذوف تقديره ان كنتم صادقين
فانبؤنى وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم معنى الآية ان كنتم صادقين فى ان الخليفة يفسد ويسفك * ت *
وفى النفس من هذا القول شيء ، والملائكة منزهون معصومون كما تقدم والصواب
ما تقدم من التفسير عند قوله تعالى اتجعل فيها آية وقال ءآخرون ان كنتم
صادقين فى انى ان استخلفتكم سبحتم بحمدى وقدستم لى وقال قوم معناه ان
كنتم صادقين فى جواب السؤال عالمين بالاسماء وسبحانك معناه تنزيها لك
وتبرئة ان يعلم احد من علمك الا ما علمتد والعليم معناه العالم ويزيد
عليه معنى من المبالغة والتكثير فى المعلومات والحكيم معناه الحاكم وبينهما
مزية المبالغة وقيل معناه المحكم وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة
الفرس مانعته * وقوله تعالى قال يا ءادم انبئهم باسمائهم انبئهم معناه اخبرهم

والضمير في انبئهم عائد على الملائكة باجاء والضمير في اسمائهم مختلف فيد حسب الاختلاف في الاسماء التي علمها ادم قال بعض العلماء ان في قوله تعالى فلما انبأهم نبوءة ملام عليه السلام اذ امره الله سبحانه ان ينبئ الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عز وجل * وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه ما غاب عنكم لان الله تعالى لا يغيب عنه شيء الكل معلوم له واختلف في قوله تعالى ما تبدون وما كنتم تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة اسرارهم وظواهرهم وبواطنهم اجمع واذا من قوله واذا قلنا للملائكة معطوفة على اذ المتقدم وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الازل بشرط وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب كله في اوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته * ت * ما ذكره رحمه الله هو عقيدة اهل السنة وها انا انقل من كلام الائمة ان شاء الله ما يتبين به كلامه ويزيده وضوحا قال ابن رشد قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يفهم منه ان لله عز وجل كلمات غير تامات لان كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات ذاته يستحيل عليها النقص وفي الحديث بيان واضح على ان كلماته عز وجل غير مخلوقة اذ لا يستعاذ بمخلوق وهذا هو قول اهل السنة والحق ان كلام الله عز وجل صفة من صفات ذاته قديم غير مخلوق لان الكلام هو المعنى القائم في النفس والنطق به عبارة عنه قال الله عز وجل ويقولون في انفسهم فاخبر ان القول معنى يقوم في النفس وتقول في نفسى كلام اريد ان اعلمت به حقيقة كلام الرجل هو المفهوم من كلامه واما الذى تسمعه منه فهو عبارة عنه وكذلك كلام الله عز وجل القديم الذى هو صفة من صفات ذاته هو المفهوم من قراءة القارئ لانفس قراءته التى تسمعها لان نفس قراءته التى تسمعها محدثة لم تكن حتى قرأ بها فكانت وهذا كله بين الامن

اعصى الله بصيرته انتهى بلفظه من البيان وقال الغزالي بعد كلام له نحو ما تقدم لابن رشد وكما عقل قيام طلب التعلم وارا دته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله سبحانه له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل فاخضع نفسك لله تعالى ومصير موسى عليه السلام سامعا لذلك الكلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ومعرفة بذلك الكلام القديم انتهى بلفظه من الاحياء * وقوله للملائكة عموم فيهم والسجود في كلام العرب الخضوع والتذلل وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور على ان سجد الملائكة لادم ايماء وخضوع ولا تدفع الآية ان يكونوا بافوا غاية السجود وقوله تعالى فقعوا له ساجدين لا دليل فيه لان الجائي على ركبته واقع واختلف في حال السجود لادم فقال ابن عباس تعبد لهم الله بالسجود لادم والعبادة في ذلك لله وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس ايضا كان سجد تحية كسجود ابوي يوسف عليه السلام له لا سجد عبادة وقال الشعبي انما كان ادم كالقابلة ومعنى لادم الى ادم * ع * وفي هذه الوجه كلها كرامة لادم عليه السلام * وقوله تعالى لا ابليس نصب على الاستثناء المتصل لانه من الملائكة على قول الجمهور وهو ظاهر الآية وكان خازنا وملكا على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل قاله ابن عباس وقال ابن زيد والحسن هو ابو الجن كما ادم ابو البشر ولم يك قط ملكا وقد روي نحوه عن ابن عباس ايضا قال واسمه الحارث وقال شهر بن حوشب كل من الجن الذين كانوا في الارض وقتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب معها وحكاه الطبري عن ابن مسعود والاستثناء على هذه الاقوال منقطع واحتج بعض

اصحاب هذا القول بان الله تعالى قال في صفة الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وزجج الطبرى قول من قال ان ابليس كان من الملائكة وقال ليس في خلقه من نار ولا في تركيب الشهوة والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة وقوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه يخرج على انه عمل عملهم فكان منهم في هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا لاستنارها قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى في ذكر سليمان عليه السلام

وسخر من جن الملائك تسعة * قياما لديه يعملون بلا اجر
او على ان يكون نسبه الى الجنة كما ينسب الى البصرة بصري قال عياض ومما يذكره قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورءيسا فيهم ومن خزان الجنة الى ما حكوه وهذا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن انتهى من الشفا وابليس لا ينصرف لانه اسم اعجمي قال الزجاج ووزنه فعيل وقال ابن عباس وغيره هو مشتق من اَبْلَسَ اذا ابعد عن الخير ووزنه على هذا افعل ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه وقلته ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون اي يائسون من الخير مبعدون منه فيما يرون وابى معناه امتنع من فعل ما امر به واستكبر دخل في الكبرياء والاباية مقدمة على الاستكبار في ظهورهما عليه والاستكبار والانفة مقدمة في معتقده وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغني ان اول معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد ابليس ءادم وتكبر وشح ءادم في اكله من شجرة قد نهى عن قربها * ت * اطلاق الشح على ءادم فيه ما لا يخفى عليك والواجب اعتقاد تنزيه الانبياء عن كل ما يحيط من رتبهم وقد قال الله تعالى في حق ءادم ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما * وقوله تعالى وكان من

الكافرين قالت فرقة معناه وصار من الكافرين ورده ابن فورك وقال جمهور المتأولين معنى وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى وقال ابو العالية معناه من العاصين وذهب الطبري الى ان الله تعالى اراد بقصة ابليس تقريع اشباهه من بنى ادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم بنبوته ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم * ت * ولفظ الطبري وفي هذا تقريع لليهود اذ ابوا من الاسلام مع علمهم بنبوته رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة والكتب حسدا له ولبنى اسماعيل كما امتنع ابليس من السجود حسدا لادم وتكبيرا عن الحق وقوله فاليهود نظراء ابليس في كفرهم وكبرهم وحسدكم وتركهم الانقياد لامر الله تعالى انتهى من مختصر الطبري لابي عبد الله اللخمي النحوي واختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنة ولا خلاف انه كان عالما بالله قبل كفره ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعدته عن الجنة وبعد اخراجه قال لادم اسكن * قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اسكن معناه لازم الاقامة ولفظه لفظ الامر ومعناه الاذن واختلف في الجنة التي اسكنها ادم عليه السلام هل هي جنة الخلد او جنة اخرى * ت * والاول هو مذهب اهل السنة والجماعة وكلا منها اي من الجنة والرغد العيش الدار الهني وحيث مبنية على الصم * وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة معناه لا تقرباها باكل والهاء في هذه بدل من الياء وتحتل هذه الاشارة ان تكون الى شجرة معينة واحدة واختلف في هذه الشجرة ما هي فقال ابن عباس وابن مسعود هي الكرم وقيل هي شجرة التين وقيل السنبلة وقيل غير ذلك وقوله فتكونا من الظالمين الظالم في اللغة الذي يضع الشيء في غير موضعه والظلم في احكام الشرع على مراتب اعلاها الشرك ثم ظلم المعاصي وهي

مراتب وارلها ماخوذ من الزلل وهو في الآية مجاز لانه في الرأي والنظر
وانما حقيقة الزلل في القدم وقرأ حمزة فَأَزَالُهَا ماخوذ من الزوال ولا خلاف بين
العلماء ان ابليس اللعين هو متولى اغواء ادم عليه السلام واختلف في الكيفية
فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء اغواها مشافهة بدليل قوله تعالى
وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقالت طائفة ان ابليس لم يدخل الجنة
بعد ان اخرج منها وانما اغوى ادم بشيطانه وسلطانه وسوسه التي اعطاه الله
تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى
الدم * ت * والى هذا القول نحا المازرى في بعض اجوبته ومن ابتلي
بشيء من وسوسة هذا اللعين فاعظم لادوية له الثقة بالله والتعوذ به والاعراض
عن هذا اللعين وعدم الالتفات اليه ما امكن قال ابن عطاء الله في لطائف المنن
كان بى وسواس في الوضوء فقال لى الشيخ ابو العباس المرسى ان كنت لا تترك
هذه الوسوسة لا تعد تاتنا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني وكان الشيخ
ابو العباس يلقي للوسواس سبحانه الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم ويات
بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز انتهى قال عياض في الشفا واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية
بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذرة
بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن عباس نسي
عداوة ابليس وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك
الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي للانسان انسانا
لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف

ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حائشا وقد روي عذر ادم مثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غَرَّهُمَا والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجعله عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقال ابن فورث وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلمها وهو متأول وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهى عنها لانه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم انتهى بلفظه فجراه الله خيرا ولقد جعل الله في شفاة شفاء والضمير في عنها يعود على الجنة وهنا محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فاكلا من الشجرة * وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه قيل معناه من نعمة الجنة الى شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفلى مكانة الذنب * ت * وفي هذا القول ما فيه بل الصواب ما اشار اليه صاحب التنوير بان اخراج ادم لم يكن اهانة له بل لما سبق في علمه سبحانه من اكرام ادم وجعله في الارض خليفة هو واخييار ذريته قائمين فيها بما يجب لله من عبادته والهبوط النزول من علو الى سفلى واختلف من المخاطب بالهبوط فقال السدي وغيره ادم وحواء وابليس والحية التي ادخلت ابليس في فمها وقال الحسن ادم وحواء والوسوسة وبعضكم لبعض عدو جلة في موضع الحال ولكم في الارض مستقراي موضع استقرار وقيل المراد بالاستقرار في القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحديث وانس وغير ذلك واختلف في الحين هنا فقالت فرقة الى

الموت وهذا قول من يقول المستقر هو المقام في الدنيا وقالت فرقة الى حين الى يوم القيامة وهذا هو قول من يقول المستقر هو في القبور والحين المدة الطويلة من الدهر اقصرها في الأيمان ولا التزامات سَنَتْ قال الله تعالى توتى اكلها كل حين وقيل اقصرها ستة اشهر لان من النخل ما يطعم في كل ستة اشهر وفي قوله تعالى الى حين فائدة ملادم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنقول الى الجنة التي وعد بالرجوع اليها وهي لغير ادم دالة على المعاد وروي ان ادم نزل على جبل من جبال سرنديب وان حواء نزلت بجدة وان الحية نزلت باصبهان وقيل بميسان وان ابليس نزل عند الابل * قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات المعنى فقال الكلمات فتاب الله عليه عند ذلك وقرأ ابن كثير ادم بالنصب من ربه كلمات بالرفع واختلف المتأولون في الكلمات فقال الحسن بن ابى الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقالت طائفة ان ادم رأى مكتوبا على ساق العرش مجد رسول الله فتشفع به فهي الكلمات وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي ان يقوله المذنب فقال يقول ما قاله ابواه ربنا ظلمنا انفسنا وما قاله موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وما قال يونس لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقاب عليه معناه راجع به والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف * ت * يعنى مع العزم على تركه فيما يستقبل وانما خص الله تعالى ادم بالذكر في التلقى والتوبة وحواء مشاركة له في ذلك باجماع لانه المخاطب في أول القصة فكمملت القصة بذكره وحده وايضا فلان المرأة حرمة ومستورة فاراد الله تعالىستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله وعصى ادم ربه وبنيته الثواب

للمبالغة والتكثير وفي قوله تعالى هو التَّوَاب تأكيد فائدته ان التوبة على العبد
انما هي نعمة من الله تعالى لا من العبد وحده لئلا يعجب النائب بل الواجب
عليه شكر الله تعالى في توبته عليه وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما
حكما غير حكم الآخر فعلق بالاول العداوة وبالفانى اتيان الهدى * ت *
وهذه الآية تبين ان هبوط ادم كان هبوط تكرمة لما ينشأ عن ذلك من انواع
الخيرات وفنون العبادات وجميعا حال من الضمير في اهبطوا واختلف في المقصود
بهذا الخطاب ف قيل ادم وحواء وابليس وذريتهم وقيل ظاهرة العموم ومعناه
الخصوص في ادم وحواء لان ابليس لا ياتي بهدى والاول اصح لان ابليس
مخاطب بالايمان باجاء وان في قوله فاما هي للشرط دخلت ما عليها مؤكدة
ليصح دخول النون المشددة واختلف في معنى قوله هدى ف قيل بيان وارشاد
والصواب ان يقال بيان ودعاء وقالت فرقة الهدى الرسل وهي الى ادم من
الملائكة والى بنيه من البشر هو فمن بعده * وقوله تعالى فمن تبع هداي
شرط جوابه فلا خوف عليهم قال سيبويه والشرط الثانى وجوابه
هما جواب الاول في قوله فاما ياتينكم * وقوله تعالى
فلا خوف عليهم يحتمل فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على
ما فاتهم منها ويحتمل لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون فيه
* ت * وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر في اختصار الطبري ولفظه عن ابن زيد
فلا خوف عليهم اي لا خوف عليهم امامهم قال وليس شيء اعظم في صدر من
يموت مما بعد الموت فامنهم سبحانه منه وسلاهم عن الدنيا انتهى * وقوله تعالى
والذين كفروا الآية لما كانت لفظة الكفر يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصي
ولا يجب بهذا خلود بين سبحانه ان الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا بآياتنا

والآيات هنا يحتمل ان يريد بها المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة والصحبة الا قتران بالشئ في حالة ما زَمْنَا * قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى * اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام واسرا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله والذكر في كلام العرب على انحاء وهذا منها ذكر القلب الذى هو ضد النسيان والنعمة هنا اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع قال ابن عباس وجهور العلماء الخطاب لجميع بنى اسرائيل في مدة النبى صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم امر وجوابه وهذا العهد فى قول جمهور العلماء عام فى جميع اوامره سبحانه ونواهيه ووصاياه لهم فيدخل فى ذلك ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الذى فى التوراة والرهبة يتضمن الامر بها معنى التهديد واسند الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول له عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم سبحانه لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فمن خافنى فى الدنيا امنته فى الآخرة ومن امننى فى الدنيا اخفته فى الآخرة انتهى من التذكرة للقرطبي ورواه ابن المبارك فى رقائقه من طريق الحسن البصرى وفيه قال الله وعزتى لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة انتهى ورواه ايضا الترمذى الحكيم فى كتاب ختم الاولياء قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية بقدر ما يدخل القلب من التعظيم والحرمة ثنبعث الجوارح فى الطاعة والخدمة انتهى وامنوا معناه صدقوا ومصداق نصب على الحال من الضمير فى انزلت وما انزلت كناية عن القرآن ولما معكم يعنى التوراة * وقوله ولا تكونوا أول كافرين هذا من مفهوم الخطاب الذى المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد وحذروا البدار الى الكفر به اذ على الاول كفل

من فعل المقتدى به ونصب اول على خبر كان * ع * وقد كان كفر قبلهم
كفار قريش وانما معناه من اهل الكتاب اذهم منظور اليهم في مثل هذا واختلف
في الضمير في به ف قيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل على القرآن وقيل
على التوراة واختلف في الثمن الذى نهوا ان يشتروه بالآيات فقالت طائفة
ان الاحبار كانوا يُعلّمون دينهم بالاجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم علم مجاناً كما
علمت مجاناً اي باطلا بغير اجرة وقيل كانت للاخبار مأكلة ياكلونها على العلم
وقال قوم ان الاحبار اخذوا رُشى على تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة فنهوا عن ذلك وقال قوم معنى الآية ولا تشتروا باؤامرى ونواهي
واياتى ثمنا قليلا يعنى الدنيا ومدتها والعيش الذى هو نزر لا خطر له وقد تقدم
نظير قوله واياي فاتقون وبين اتقون وارهبون فرق ان الرهبة مقرون بها
وعيد بالغ * وقوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تخطئوا قال ابو
العالية قالت اليهود محمد نبي مبعوث لكس الى غيرنا فاقرارهم ببعثه حق
وقولهم الى غيرنا باطل وتكتموا الحق اي امر محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه
الالفاظ دليل على تغليظ الذنب على من وقع فيه مع العلم به وانه اعصى من
الجاهل وانتم تعلمون جملة في موضع الحال قال * ص * وتكتموا مجزوم
معطوف على تلبسوا والمعنى النهي عن كل من الفعلين انتهى واقيموا الصلاة
معناه اظهروا هيئتها واديموها بشروطها والزكوة في هذه الآية هي المفروضة وهي
ماخوذة من النماء وقيل من التطهير * وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين قيل
انما خص الركوع بالذكر لان بنى اسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع * ت *
وفي هذا القول نظر وقد قال تعالى في مريم اسجدى واركعى وقالت فرقة انما
قال مع لان الامر بالصلاة اولا لم يقتض شهود الجماعة فامرهم بقوله مع شهود

الجماعة * ت * وهذا القول هو الذى عول عليه * ع * فى قصة مريم عليها السلام والركوع لانحاء بالشخص * وقوله تعالى انا مرون خرج مخرج الاستفهام ومعناه التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير والطاعات وتنسون معناه تتركون انفسكم قال ابن عباس كان الاحبار يامرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة وكانوا هم يخالفونها فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة كان الاحبار اذا استرشداهم احد من العرب فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم دلوه على ذلك وهم لا يفعلونه * ت * وخرج الحافظ ابو نعيم احمد ابن عبد الله الاصبهاني فى كتاب رياضة المتعلمين قال حدثنا ابو بكر بن خلاد حدثنا الحارث بن ابي اسامة حدثنا ابو النصر حدثنا محمد بن عبد الله بن علي ابن زيد عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بى رجلا تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الخطباء من امنك الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون انتهى واستعينوا بالصبر والصلاة قال مقاتل معناه على طلب الآخرة وقيل استعينوا بالصبر على الطاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله سبحانه وبالصلاة على نيل رضوان الله وحط الذنوب وعلى مصائب الدهر ايضا ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ومنه ما روي ان عبد الله بن عباس نعي له اخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وتحنى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة وقال مجاهد الصبر فى هذه الآية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكر لتناسبهما فى ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد فى الدنيا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وَتُخَشِّعُ وَيَقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَذْكُرُ بِالْآخِرَةِ وَقَالَ قَوْمُ الصَّبْرِ عَلَى بَابِهِ وَالصَّلَاةُ
الدُّعَاءُ وَتَجِبَى. الْآيَةُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مُشَبَّهَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا
وَإِذْكُرُوا اللَّهَ لَأَنَّ الثَّبَاتَ هُوَ الصَّبْرُ وَذَكَرَ اللَّهُ هُوَ الدُّعَاءُ وَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي
رَفَائِقِهِ قَالَ أَخْبَرَنَا جَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ النَّبَاطِيِّ عَنْ صَلْتِ بْنِ أَشِيمٍ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا
لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَاسْتَدْرَكَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجَهَنِيِّ
قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ تَوَضَّأَ فَاحْسَنَ
وَضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى صَلَاةً غَيْرَ سَاهٍ وَلَا لَاهَ كَفَرَتْ عَنْهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنْ شَيْءٍ
انْتَهَى وَهَذَا الْحَدِيثَانِ يُبَيِّنَانِ مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ
عُثْمَانَ حَيْثُ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَوَضَّأَ
نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَحْدِثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ
انْتَهَى وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنَّمَا قِيلَ يَعُودُ عَلَى الصَّلَاةِ وَقِيلَ عَلَى الْعِبَادَةِ الَّتِي
تُضْمِنُهَا بِالْمَعْنَى ذَكَرَ الصَّبْرَ وَالصَّلَاةَ قَالَ * ص * وَإِنَّمَا الضَّمِيرُ لِلصَّلَاةِ وَهُوَ الْقَاعِدَةُ
فِي أَنَّ ضَمِيرَ الْغَائِبِ لَا يَعُودُ عَلَى غَيْرِ الْأَقْرَبِ إِلَّا بِدَلِيلٍ انْتَهَى ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو حَيَّانٍ
وَجُوهًا أُخَرُ نَحْوُ مَا تَقَدَّمَ وَكَبِيرَةٌ مَعْنَاهُ ثَقِيلَةٌ شَاقَّةٌ وَالْحَاشِعُونَ الْمُتَوَاضِعُونَ الْمُخْبِتُونَ
وَالْخُشُوعُ هَيْئَةٌ فِي النَّفْسِ يَظْهَرُ مِنْهَا عَلَى الْجَوَارِحِ سَكُونٌ وَتَوَاضَعٌ وَيَطْنُونَ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ الْجُمْهُورُ مَعْنَاهُ يَوْقِنُونَ وَالظَّنُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ قَاعِدَتُهُ الشَّكُّ مَعَ
مِيلٍ إِلَى أَحَدٍ مَعْتَقِدِيهِ وَقَدْ يَقَعُ مَوْقِعُ الْيَقِينِ لَكِنَّهُ لَا يَقَعُ فِيْمَا قَدْ خَرَجَ إِلَى الْحَسِّ
لَا تَقُولُ الْعَرَبُ فِي رَجُلٍ مَرَّيْ طُنَّ هَذَا إِنْسَانًا وَإِنَّمَا تَجِدُ الِاسْتِعْمَالَ فِيْمَا لَمْ يَخْرُجْ
إِلَى الْحَسِّ كَهَذِهِ الْآيَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى فَطَنُوا أَنَّهُمْ مَوَاقِعُهَا قَالَ * ص * قُلْتُ
وَمَا ذِكْرُهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ هُوَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِيهِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ

الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده وإن كان قد قامت في نفسك حقيقته
قال وهذا مذهب إلا أن أهل اللغة لم يذكروه قال وسمعت من أبي إسحاق
إسماعيل بن إسحاق القاضي رواه عن زيد بن أسلم انتهى والملافة هي الثواب أو
العقاب ويصح أن تكون الملافة هنا بالرؤية التي عليها أهل السنة وورد بها متواتر
التحديث وراجعون قيل معناه بالموت وقيل بالحشر والخروج إلى الحساب
والعرض ويقوى هذا القول الآية المتقدمة قوله تعالى ثم يمتكم ثم يحييكم ثم
إليه ترجعون * قوله تعالى يا بني إسرائيل الآية قد تكرر هذا النداء والتذكير
بالنعمة وفائدة ذلك أن الخطاب لأول يصح أن يكون للمؤمنين ويصح أن
يكون للكافرين منهم وهذا المتكرر إنما هو للكافرين بدلالة ما بعده وإيضاً فإن فيه
تقوية التوقيف وتأكيد الحصر على أيادي الله سبحانه وحسن خطابهم بقوله
سبحانه فضلتكم على العالمين لأن تفصيل ما بائهم وأسلافهم تفصيل لهم وفي الكلام
اتساع قال قتادة وغيره المعنى على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوة المستمرة
لأن الله تعالى يقول لامة محمد صلى الله عليه وسلم كنتم خير امة اخرجت للناس
واتقوا يوماً أي عذاب يوم أو هول يوم ويصح أن يكون يوماً نصبه على الظرف
ولا تجزى معناه لا تغنى وقال السدي معناه لا تقضى ويقويه قوله شيئاً وفي
الكلام حذف التقدير لا تجزى فيه وفي مختصر الطبري أي واتقوا يوماً لا
تقضى نفس عن نفس شيئاً ولا تغنى غناء وأحدنا اليوم قد يقضى عن
قريبه ديناً وإما في الآخرة فيسر المرء أن يترتب له على قريبه حق لأن القضاء
هناك من الحسنات والسيئات كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
والشفاعة مأخوذة من الشفع وهما لاثنان لأن الشافع والمشفوع له شفع وسبب
هذه الآية أن بني إسرائيل قالوا نحن أبناء الله وسيفتح لنا ما أبونا وهذا إنما

هو في حق الكافرين للاجماع وتواتر الاحاديث بالشفاعة في المؤمنين * وقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل قال ابو العالية العدل الفدية قال * ع * عدل الشيء هو الذي يساويه قيمة وقدره وان لم يكن من جنسه والعدل بكسر العين هو الذي يساوي الشيء من جنسه وفي جرمه والضمير في قوله ولا هم عائد على الكافرين الذين اقتضتهم الآية ويحتمل ان يعود على النفسين المتقدم ذكرهما لان اثنين جمع او لان النفس للجنس وهو جمع وحصرت هذه الآية المعاني التي اعتادها بنو ادم في الدنيا فان الواقع في شدة مع ادمي لا يتخلص الابان يشفع له او ينصر او يفتدى * ت * او يمن عليه الا ان الكافر ليس هو باهل لان يمن عليه * وقوله تعالى واذا نجيناكم من آل فرعون اي خلاصناكم وآل اضله اهل قلبت الهاء الفاء ولذلك ردّها التصغير الى الاصل فقيل اهيل وآل الرجل قرابته وشيعته واتباعه وفرعون اسم لكل من ملك من العمالقة بمصر وفرعون موسى قيل اسمه مصعب بن الريان وقال ابن اسحاق اسمه الوليد بن مصعب وروي انه كان من اهل اصطخرو زرد مصر فانفق له فيها الملك وكان اصل كون بنى اسرائيل بمصر نزول اسرائيل بها زمن ابنه يوسف عليهما السلام ويسمونكم معناه ياخذونكم به ويلزمونكم اياه والجملة في موضع نصب على الحال اي سائمين لكم سوء العذاب وسوء العذاب اشده واصعبه وكان فرعون على ما روي قد رأى في منامه نارا خرجت من بيت المقدس فاحرق بيت مصر فأولت له رؤياه ان مولودا من بنى اسرائيل ينشأ فيخرب ملك فرعون على يديه وقال ابن اسحاق وابن عباس وغيرهما ان الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون قد اطلقت زمان مولود من بنى اسرائيل يخرب ملكك ويذبحون بدل من يسومون وفي ذلكم اشارة الى جملة الامرو بلاء معناه

امتحان واختبار ويكون البلاء في الخير والشر وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم ان موسى عليه السلام اوحى اليه ان يسري من مصر بنى اسرائيل فامرهم موسى ان يستعبروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذلك لبنى اسرائيل ويروى انهم فعلوا ذلك دون رأي موسى عليه السلام وهو الاشبه به فسرى بهم موسى من أول الليل فاعلم بهم فرعون فقال لا يتبعهم احد حتى تصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى اصبحت وامات الله تلك الليلة كثيرا من ابناء القبط فاشتغلوا بالدفن وخرجوا في الاطباع مشرقين وذهب موسى عليه السلام الى ناحية البحر حتى بلغه وكانت عدة بنى اسرائيل نيفا على ستمائة الف وكانت عدة فرعون الف الف ومائتي الف وحكى غير هذا مما اختصرته لقلته ثبوته فلما لحق فرعون موسى ظن بنو اسرائيل انهم غير ناجين فقال يوشع بن نون لموسى اين امرت فقال هكذا واثار الى البحر فركض يوشع فرسه حتى بلغ الغمر ثم رجع فقال لموسى اين امرت فوالله ما كذبت ولا كذبت فاثار الى البحر واوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر واوحى الله الى البحر ان انفرك لموسى اذا ضربك فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين اصبحت ضرب موسى البحر وكناه ابا خالد فانفلق وكان ذلك في يوم عاشوراء * وقوله تعالى واذا فرقنا بكم البحر الآية فرقنا معناه جعلناه فرقا ومعنى بكم اي بسببكم والبحر هو بحر القلزم ولم يفرق البحر عرضا من صفة الى صفة وانما فرق من موضع الى موضع اخر في صفة واحدة وكان ذلك الفرق يُقَرَّب موضع النجاة ولا يلحق في البر الا في ايام كثيرة بسبب جبال واوغار حائلة وقيل انفرك البحر عرضا على اثني عشر طريقا طريق لكل سبط فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق اصحابنا وجزعوا فقال موسى عليه السلام اللهم

اعتنى على اخلاقهم السيئة فأوحى الله اليه ان ادر عصاك على البحر
فادارها فصار في الماء فتوح كالطابق يرى بعضهم بعضا وجازوا
وجبريل في ساقتهم على ما ذُيِّتَ يحث بنى اسرائيل ويقول لال فرعون مهلا
حتى يلحق اهلكم فلما وصل فرعون الى البحر اراد الدخول فنفر فرسه
فتعرض له جبريل بالرمكة فاتبعها الفرس ودخل ال فرعون وميكايل يحثهم
فلما لم يبق الا ميكايل في ساقتهم على الضفة وحده انطبق البحر عليهم فغرقوا
وتنظرون قيل معناه بابصاركم لقرب بعضهم من بعض وقيل ببصائرهم للاعتبار لانهم
كانوا في شغل قال الطبري وفي اخبار القراءان على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب ولا وقعت الا في خفي علم
بنى اسرائيل دليل واضح عند بنى اسرائيل وقائم عليهم بنبوة نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وموسى اسم أعجمي قال ابن اسحاق هو موسى بن عمران بن يصر
ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه
وسلم وخص الليالى بالذكر في قوله تعالى واذا وعدنا موسى اربعين ليلة اذ الليلة
اقدم من اليوم وقبله في الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ قال النقاش وفي
ذلك اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام لا يمكن ان يعتقد انه كان يفطر
بالليل فلما نص على الليالى اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام واصل اربعين
ليلة بايامها قال * ع * حدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت الشيخ
الزاهد الامام الواظ ابا الفضل بن الجوهري رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى
في الخلوة بالله سبحانه والدنو منه في الصلاة ونحوه وان ذلك يشغل عن كل
طعام وشراب ويقول ابن حال موسى في القرب من الله ووصال ثمانين من الدهر
من قوله حين سار الى الخضر لفتاه في بعض يوم ائتما غدا * ت *

وايضا في الاثر ان موسى لم يصبه اولم يشك ما شكاه من النصب حتى جاوز
الموضع الذي وعد فيه لقاء الخضر عليهما السلام قال * ع * وكل المفسرين
على ان الاربعين كلها ميعاد * وقوله تعالى ثم اتخذتم العجل اى الاها والصير
في بعده يعود على موسى وقيل على انطلاقه للتكليم اذ المواعدة تقتضيه وقص
هذه الآية ان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر قال لهم ان
الله تعالى سينجيكم من آل فرعون وينفلكم حلبيهم ويروى ان استعارتهم للحلي
كانت بغير اذن موسى عليه السلام وهو الاشبه به ويؤيده ما في سورة طه في
قولهم لموسى ولكننا حملنا اوزارا فظاهره انهم اخبروه بما لم يتقدم له به شعور ثم
قال لهم موسى انه سينزل الله علي كتابا فيه التحليل والتحريم والهدى لكم
فلما جازوا البحر طلبوا موسى بما قال لهم من امر الكتاب فخرج لميعاد ربه وحده
وقد علمهم بالاربعين ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين ليلة وقالوا هذه اربعون
من الدهر وقد اخلفنا الموعد وبدا تعنتهم وخلافهم وكان السامري رجلا من بني
اسرائيل يسمى موسى بن ظفرو يقال انه ابن خال موسى وقيل لم يكن من بني
اسرائيل بل كان غريبا فيهم والاوّل اصح وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقت
عبورهم قالت طائفة انكره حيث عرف انه ملك وقالت طائفة كانت
ام السامري ولدته عام الذبح فجعلته في غار واطبقت عليه فكان جبريل عليه
السلام يغذوه باصبع نفسه فيجد في اصبع لبنا وفي اصبع عسلا وفي اصبع سمن
فلما رآه وقت جواز البحر عرفه فلخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب والقي في
رُوعه انه لن يلقيها على شيء ويقول له كن كذا الا كان فلما خرج موسى لميعاده
قال هارون لبني اسرائيل ان ذلك الحلي والمتاع الذي استعرت من القبط
لا يحل لكم فجيئوا به حتى تاكله النار التي كانت العادة ان تنزل على القرايين

وقيل بل اوقد لهم نارا وامرهم بطرح جميع ذلك فيها فجعلوا يطرحون وقيل بل امرهم ان يضعوه في حفرة دون نار حتى يجيء موسى وروي وهو الاصح الاكثر انه التقى الناس المحلي في حفرة أو نحوها وجاء السامري فطرح القبضة وقال كن عجلا وقيل ان السامري كان في اصله من قوم يعبدون البقر وكان يعجبه ذلك وقيل بل كانت بنو اسرائيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر * ت * والذى في القران يعكفون على اصنام لهم قيل كانت على صور البقر فقالوا يا موسى اجعل لنا الالهة كما لهم الهة فوعاها السامري وعلم ان من تلك الجهة يفتنون ففتنت بنو اسرائيل بالعجل وظلت منهم طائفة يعبدونه فاعتزلهم هارون بمن تبعه فجاء موسى من ميعة فغضب حسبا ياتى قصصه في مواضعه ان شاء الله تعالى ثم اوحى الله اليه انه لن يتوب على بنى اسرائيل حتى يقتلوا انفسهم ففعلت بنو اسرائيل ذلك فروي انهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن لم يعبد والتقوا الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضا يقتل الاب ابنه والاخ اخاه فلما استخرفهم القتل وبلغ سبعين الفا عفا الله عنهم وجعل من مات شهيدا وتاب على البقية فذلك قوله سبحانه ثم عفونا عنكم وقال بعض المفسرين وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلهم وقالت طائفة جلس الذين عبدوا بالافنية وخرج يوشع بن نون ينادى ملعون من حل حبوته ويجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم وموسى صلى الله عليه وسلم في خلال ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم وانما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل انفسهم على احد الاقوال لانهم لم يغيروا المنكر حين عبد العجل وانتم ظالمون ابتداء وخبر في موضع الحال والعفو تغطية الاثر وازهاب الحال الاول من الذنب او غيره * ت * ومنه الحديث فجعلت ام اسماعيل تعفى اثرها قال * ع * ولا يستعمل

العفو بمعنى الصفح لا في الذنب والكتاب هنا هو التوراة باجاء واختلف في الفرقان هنا فقال الزجاج وغيره هو التوراة ايضا كرر المعنى لاختلاف اللفظ وقال آخرون الكتاب التوراة والفرقان سائر الآيات التي اوتي موسى عليه السلام لانها فرقت بين الحق والباطل واختلف هل بقي العجل من ذهب فقال ذلك الجمهور وقال الحسن بن ابي الحسن صار لحما ودما والاوّل اصح * ت * وقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم عن ابي العاليت الى خالفكم من برا الله الخلق اي خلقهم فالبريئة فعيلة بمعنى مفعولة انتهى من مختصر ابي عبد الله السلمي النحوي للطبري * وقوله تعالى واذا قلتم يا موسى يريد السبعين الذين اختارهم موسى واختلف في وقت اختيارهم فحكى اكثر المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل فاخترهم ليستغفروا لبني اسرائيل وحكى النقاش وغيره انه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد والاوّل اصح وقصة السبعين ان موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله تعالى ووجد العجل قد عبّد قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل نحن لم نكفر ونحن اصحابك ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين فلم يجد الا ستين فاوحى اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين على السبعين فتشاحوا فيمن يتأخر فاوحى اليه ان من تأخر له اجر من مضى فتأخر يوشع بن نون وكالوث بن يوفنا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يتجنبوا النساء ثلاثا ويغتسلوا في اليوم الثالث واستخلف هارون على قومه ومضى حتى اتى الجبل فالقي عليهم الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة وجعل بينهم وبين موسى بالنور فوقوا سجودا قال السدي وغيره وسَمِعُوا كلام الله

يامرويهي فلم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع ويعبر لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا بدلت منهم طائفة ما سمعت من كلام الله فذلك قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه واضطرب ايمانهم وامتحنهم الله تعالى بذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يطلبوا من الرؤية محالا اما انه عند اهل السنة ممتنع في الدنيا من طريق السمع فاخذتهم حينئذ الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت هود يعتبر به الغير وقال قتادة ماتوا وذهبت ارواحهم ثم ردوا لاستيفاء اجالهم فحين حصلوا في ذلك الهود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول اي رب كيف ارجع الى بنى اسرائيل دونهم فيهلكون ولا يؤمنون بى ابدا وقد خرجوا وهم بالاخير قال * ع *
يعنى هم بحال الخير وقت الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل فذلك قوله اتهلكنا يعنى السبعين بما فعل السفهاء منا يعنى عبادة العجل وقال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبة السبعين لاجراهم طلب الرؤية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا وليس ذلك من مقدور موسى عليه السلام قال * ع * ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد اخطأ واذهب فضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وجهرة مصدر في موضع الحال والجهر العلانية ومنه الجهر عند السر وجهر الرجل الامر كشفه وفي مختصر الطبرى عن ابن عباس جهرة قال علانية وعن الربيع جهرة عيانا انتهى * وقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام واحياهم من ذلك الهود او الموت ليستوفوا اجالهم وتاب عليهم والبعث هنا الاثارة ولعلكم تشكرون اي على هذه النعمة والترجى إنما هو في حق البشر وذكر المفسرون في تظليل الغمام ان بنى اسرائيل لما كان من امرهم ما كان

من القتل وبقي منهم من بقي حصلوا في فحص النيه بين مصر والشام فامروا
بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا فعدا موسى عليهم
فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص اربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ
او ستة روي انهم كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا
بكرة امس فندم موسى على دعائه عليهم فقبل له لا تأس على القوم الفاسقين
وروي انهم ماتوا باجمعهم في فحص النيه ونشأ بنوهم على خير طاعة فهم الذين
خرجوا من فحص النيه وقاتلوا الجبارين واذ كان جيعهم في النيه قالوا لموسى من
لنا بالطعام قال الله فانزل الله عليهم المن والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس
فظل عليهم الغمام قالوا بم نستصبح بالليل فضرب لهم عمود نور في وسط محلهم
وذكر مكي عمود نار قالوا من لنا بالماء فامر موسى بضرب الحجر قالوا من لنا باللباس
فاعطوا أن لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا يذرن وان تنمو صغارها حسب نمو
الصبيان والمن صمغة حلوة هذا قول فرقة وقيل هو عسل وقيل شراب
حلو وقيل الذى ينزل اليوم على الشجر وروي ان المن كان ينزل
عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالشال فيأخذ منه الرجل
ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه لا في يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم
السبت فلا يفسد عليهم لان يوم السبت يوم عبادة والسلوى طير باجماع
المفسرين فليل هو السماء وقيل طائر مثل السَّمانا وقيل طائر مثل الحمام تحشوه
عليهم الجنوب * ص * قال ابن عطية وغلط الهذلي في اطلاقه السلوى
على العسل حيث قال

وقاسمها بالله عهداً لأنثـم * الذ من السلوى اذا ما نشورها

* ت * قد نقل صاحب المختصر انه يطلق على العسل لغة فلا وجه

لتغليظه لان اجماع المفسرين لا يمنع من اطلاقه لغة بمعنى اخر في غير الآيات
انتهى * وقوله تعالى كلوا الآية معناه وقلنا كلوا فحذف اختصارا لدلالة
الظاهر عليه والطيبات هنا جمعت الحلال واللذيذ * ص * وقوله وما ظلمونا
قدر ابن عطية قبل هذه الجملة محذوفا اي فصوا وما ظلمونا وقدر غيره فظلموا وما
ظلمونا ولا حاجة الى ذلك لان ما تقدم عنهم من القبائح يغنى عنه انتهى
* ت * وقول ابي حيان لا حاجة الى هذا التقدير الى اخره يُردّ بان
المحذوفات في الكلام الفصيح هذا شأنها لا بد من دليل في اللفظ يدل عليها الا
انه يختلف ذلك في الوضوح والخفاء فاما حذف ما لا دليل عليه فانه لا يجوز
* وقوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا
قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
واذ استسقى موسى لقومه القرية المدينة سميت بذلك لانها تقرت اي
اجتمعت وتمع قريت الماء في الحوض اي جمعته والاشارة بهذه الى بيت
المقدس في قول الجمهور وقيل الى اريحاء وهي قريب من بيت المقدس قال
عمر بن مائة كانت قاعدة ومسكن ملوك ولما خرج ذرية بنى اسرائيل من التيه
امروا بدخول القرية المشار اليها واما الشيوخ فماتوا فيه وروي ان موسى وهارون
عليهما السلام ماتا في التيه وحكى الزجاج عن بعضهم انها لم يكونا في التيه لانه
عذاب ولاول اكثر * ت * لكن ظاهر قوله فافرق بيننا وبين القوم
الفاستين يقوى ما حكاه الزجاج وهكذا قال الامام الفخر انتهى وكلوا اباحة وتقدم
معنى الرغد وهي ارض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا والباب قال مجاهد
هو باب في مدينة بيت المقدس يعرف الى اليوم بباب حطة وسجدا قال ابن

عباس معناه ركوعا وقيل متواضعين خضوعا والسجود يعم هذا كله وحطة فعلته من
حط يحط ورفعته على خبر ابتداء كانهم قالوا سألنا حطة لذنوبنا قال عكرمة وغيره
امروا ان يقولوا لا اله الا الله لتخط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا
وقولوا ما يحط ذنوبكم * ت * قال احمد بن نصر الداودي في تفسيره وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم سار مع اصحابه في سفر فقال قولوا نستغفر الله
ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها لحطة التي عرضت على بنى اسرائيل فلم
يقولوها انتهى وحكي عن ابن مسعود وغيره انهم امروا بالسجود وان يقولوا حطة
فدخلوا يزحفون على استاهم ويقولون حنطة حبة حمراء في شعرة ويروى
غير هذا من الالفاظ * وقوله تعالى وسنزيد المحسنين عِدَّةً المعنى
اذا غفرت الخطايا بدخولكم وقولكم زيد بعد ذلك لمن احسن وكان من بنى
اسرائيل من دخل كما امر وقال لا اله الا الله ف قيل هم المراد بالمحسنين هنا
* وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآيت روي انهم لما جاءوا الباب دخلوا من
قبل ادبارهم القهقري وفي الحديث انهم دخلوا يزحفون على استاهم وبدلوا فقالوا
حبة في شعرة وقيل قالوا حنطة حبة حمراء في شعرة وقيل شعيرة وحكى الطبري
انهم قالوا هَطَى شَمَقَاتَا اَزْبَه وتفسيره ما تقدم وفي اختصار الطبري وعن مجاهد
قال امر موسى قومه ان يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطوطى لهم الباب
ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على ادبارهم وقالوا حنطة وذكر عز وجل فعل سلفهم
تنبيهها ان تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم جار على طريق سلفهم في
خلافهم على انبيائهم واستخفافهم بهم واستهزائهم بامر ربهم انتهى والرجز العذاب
قال ابن زيد وغيره فبعث الله على الذين بدلوا الطاعون فاذهب منهم سبعين
الفا وقال ابن عباس امات الله منهم في ساعة واحدة نيفا على عشرين الفا واستسقى

معناه طلب السقيا وَعُرِفَ استنفع طلب الشيء وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى واستغنى الله وكان هذا الاستسقاء في فحص النيه فامر الله تعالى بضرب الحجر اية منه وكان الحجر من جبل الطور على قدر راس الشاة يلتقى في كسر جوالق ويرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محللتهم وضربه موسى وذكر انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الآية ولا خلاف انه كان حجرا مربعا منفصلا تطرد من كل جهة منه ثلاث عيون اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون وفي الكلام حذف تقديره فضربه فانفجرت والانفجار انصداع شيء عن شيء ومنه الفجر والانجاس في الماء اقل من الانفجار واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه ومعناه هنا كل سبط لان الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر اولاد يعقوب عليه السلام * وقوله سبحانه كلوا واشربوا من رزق الله الآية * ت * روينا من طريق انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها رواه مسلم والترمذي والنسائي انتهى والمشرع موضع الشرب وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعدها ولا تعثوا معناه ولا تُفَرِّطُوا فِي الْفَسَادِ * ص * مُفْسِدِينَ حال مؤكدة لان لا تعثوا معناه لا تفسدوا انتهى * وقوله تعالى واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الآية كان هذا القول منهم في النيه حين ملوا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الاول بمصر قال ابن عباس واكثر المفسرين الفوم الحنطة وقال قتادة وعطاء الفوم جميع الحبوب التي يمكن ان تختبز وقال الضحاك الفوم الثوم وهي قراءة عبد الله بن مسعود ورؤي ذلك عن ابن عباس والنساء تبدل من الفاء كما قالوا

مغائير ومغافير * ت * قال اجد بن نصر الداودي وهذا القول اشبه لما ذكر
معه اي من العدس والبصل انتهى وادنى قال علي بن سليمان لا خفش
ماخوذ من الدنيء البين الدناءة بمعنى لا خس الا انه خففت همزته وقال
غيره هو ماخوذ من الدون اي لاحظ فاصله ادون ومعنى الآية استبدلون
البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل التي هي ادنى بالمن والسلوى الذى
هو خير وجهور الناس يقرءون مصرا بالتنوين قال مجاهد وغيره اراد
مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول
القرية وبما تظاهرت به الروايات انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة
اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما فى القرآن من ان الله اورث بنى اسرائيل
ديار ال فرعون واثارهم قال فى مختصر الطبري وعلى ان المراد مصر التى خرجوا
منها فالمعنى ان الذى تطلبون كان فى البلد الذى كان فيه عذابكم واستعبادكم
واسركم ثم قال ولا ظهر انهم مذخرجوا من مصر لم يرجعوا اليها والله اعلم انتهى
* وقوله تعالى فان لكم ما سألتم يقتضى انه وكلهم الى انفسهم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة معناه الزموا كما قالت العرب ضربة لازب وبأوا بغضب معناه
مروا متحملين له قال الطبري بأوا به اي رجعوا به واحتملوه ولا بد ان يوصل بأ
بخير او بشر انتهى * وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيئين بغير الحق لاشارة بذلك الى ضرب الذلة وما بعده *
وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب ولم يجرم نبيء قط ما يوجب قتله
وانما التسليط عليهم بالقتل كرامة لهم وزيادة لهم فى منازلهم صلى الله عليهم
كمثل من يقتل فى سبيل الله من المومنين والباء فى بما باء السبب ويعتدون
معناه يتجاوزون الحدود ولاعتداء هو تجاوز الحد * وقوله تعالى ان الذين

ءامنوا والذين هادوا والنصارى والصابيين الآية اختلف في المراد بالذين ءامنوا في هذه الآية فقالت فرقة الذين ءامنوا هم المومنون حقاً بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله من ءامن بالله يكون فيهم بمعنى من ثبت ودام وفي سائر الفرق بمعنى من دخل فيه وقال السدي هم اهل الحنيفية ممن لم يلحق محمداً صلى الله عليه وسلم والذين هادوا ومن عطف عليهم كذلك ممن لم يلحق محمداً صلى الله عليه وسلم والذين هادوا هم اليهود وسموا بذلك لقولهم هدنا اليك اي تبنا والنصارى لفظة مشتقة من النصر قال * ص * والصابيين قرأ الاكثر بالهمز من صباً النجم والسن اذا خرج اي خرجوا من دين مشهور الى غيره وقرأ نافع بغير همز فيحتمل ان يكون من المهموز المسهل فيكون بمعنى الاول ويحتمل ان يكون من صباً غير مهموز اي مأل ومنه

الى هند صبا قلبى * وهند مثلها يصبى

انتهى قال * ع * والصابى فى اللغة من خرج من دين الى دين واما المشار اليهم فى قوله تعالى والصابين فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقال مجاهد هم قوم لا دين لهم وقال ابن جريج هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوسية وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة الموصل وقال الحسن بن ابى الحسن وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الخمس الى القبلة ويقرون الزبور واهم زياد بن ابى سفيان فاراد وضع الجزية عنهم حتى عُرِفَ انهم يعبدون الملائكة * وقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور الآية الطور اسم الجبل الذى نوحى موسى عليه السلام عليه قاله ابن عباس وقال مجاهد وغيره الطور اسم لكل جبل وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما جاء الى بنى اسرائيل من عند الله تعالى بالالواح فيها التوراة

قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا لا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واخرج الله تعالى البحر من ورائهم واضرم نارا من بين ايديهم فاحاط بهم غضبه وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق ولا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل واغرقكم البحر واحرقتم النار فسجدوا توبة لله سبحانه واخذوا التوراة بالميثاق قال الطبري عن بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدتهم على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله سبحانه قالوا لا سجة افضل من سجة تقبلها الله ورحم بها فأمرؤا سجودهم على شق واحد قال * ع * والذي لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان في قلوبهم لا انهم امنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة قال وقد اختصرت ما سرد في قصص هذه الآيت وقصدت اصح الذي تقتضيه الفاظ الآيت وخلط بعض الناس صغته هذه القصة بصغته السبعين بقوة قال ابن عباس معناه بجد واجتهاد وقال ابن زيد معناه بتصديق وتحقيق واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه * وقوله تعالى ثم توليت الآيت تولى اصله الاعراض والادبار عن الشيء بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وتوليهم من بعد ذلك اما بالمعاصي فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها واما ان يكون توليهم بالكفر فلم يعاجلهم سبحانه بالهلاك ليكون من ذريتهم من يومن * وقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت الآيت علمتم معناه عرفتم والسبت مأخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة واما من السبت وهو القطع لان الاشياء فيه سبنت وتمت خلقتها وقصة اعتدائهم فيه ان الله

عز وجل امر موسى عليه السلام بيوم الجمعة وعرفه فضله كما امر به سائر الانبياء صلوات الله عليهم فذكر موسى ذلك لبنى اسرائيل عن الله سبحانه وامرهم بالتشريع فيه فابوا وتعدوه الى يوم السبت فاحصى الله الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك وامتنعهم بان امرهم بترك العمل فيه وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة بان كانت الحيتان تاتى يوم السبت حتى تخرج الى الافنية قاله الحسن بن ابى الحسن وقيل حتى تخرج خراطيمها من الماء وذلك اما بالهام من الله تعالى او بامر لا يعلل واما بان الهمها معنى الامنة التى فى اليوم مع تكراره كما فهم حمام مكة الامنة وكان امر بنى اسرائيل بايالة على البحر فاذا ذهب السبت ذهب الحيتان فلم تظهر الى السبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتبهوا الحوت فعد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة وضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء فاخذة فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل بل حفر رجل فى غير السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل فى الحفير فاذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت فجاء بعد السبت فاخذة ففعل قوم مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية وباعوه فى الاسواق فكان هذا من اعظم الاعتداء وكانت من بنى اسرائيل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة وكانت منهم فرقة لم تعص ولم تنه فقليل نجت مع الناهين وقيل هلكت مع العاصين وكونوا لفظة امر وهو امر التكوين كقوله تعالى لكل شيء كن فيكون قال ابن الحاجب فى مختصره الكبير المسمى بمنتهى الوصول صيغة افعل وما فى معناها قد صبح اطلاقها بازاء خمسة عشر محلا الوجوب اقم الصلاة والندب فكانت بهم والارشاد واشهدوا اذا تبايعتم والاباحة فاصطادوا والناديب كل مما يليك

والامتنان كلوا مما رزقكم الله والاكرام ادخلوها بسلام والتهديد اعملوا ما شئتم
والانذار تمتعوا والتسخير كونوا قردة والاهانة كونوا حجارة والتسوية فاصبروا او لا
تصبروا والدعاء اغفر لنا والتمنى ألا اُتجلى وكمال القدرة كن فيكون انتهى وزاد
غيره كونها للتعجيز اعني صيغة افعل قال ابن الحاجب وقد اتفق على انها مجاز فيما
عدا الوجوب والندب والاباحة والتهديد ثم الجمهور على انها حقيقة في الوجوب
انتهى وخاسئين معناه مبعدين اذلاء صاغرين كما يقال للكلب وللمطرود اخساً
وروي في قصصهم ان الله تعالى مسح العاصين قردة في الليل فاصبح الناجون الى
مساجدهم ومجتمعاتهم فلم يروا احداً من الهالكين فقالوا ان للناس لسانا
ففتحوا عليهم الابواب لما كانت مغلقة بالليل فوجدوهم قردة يعرفون الرجل
والمرأة وقيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين القرية بجدار تبريا
منهم فاصبحوا ولم تفتتح مدينة الهالكين فتسوروا عليهم الجدار فاذا هم قردة
يثب بعضهم على بعض وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت ان المسوخ
لا تنسل ولا تاكل ولا تشرب ولا تعيش اكثر من ثلاثة ايام ووقع في كتاب مسلم
عنه صلى الله عليه وسلم ان امته من الامم فقدت واراها الفار وظاهر هذا ان
المسوخ تنسل فان كان اراد هذا فهو ظن منه صلى الله عليه وسلم في امر لا مدخل
له في التبليغ ثم اوحى اليه بعد ذلك ان المسوخ لا تنسل ونظير ما قلناه نزوله
صلى الله عليه وسلم على مياة بدر وامرة باطراح تذكير النخل وقد قال صلى الله
عليه وسلم اذا اخبرتكم عن الله تعالى فهو كما اخبرتكم واذا اخبرتكم برأى في
امور الدنيا فانما انا بشر مثلكم والضمير في جعلناها يحتمل عودة على المسخة
والعقوبة ويحتمل على الامة التي مسخت ويحتمل على القردة ويحتمل على
القرية اذ معنى الكلام يقتضيها والذكال الزجر بالعقاب ولما بين يديها قال السدي

ما بين يدي المسخحة ما قبلها من ذنوب القوم وما خلفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب وقال غيره ما بين يديها من حضرها من الناجين وما خلفها اي لمن يجيء بعدها وقال ابن عباس لما بين يديها وما خلفها من القرى وموعدة من الاتعاظ والازدجار وللمتقين معناه الذين نهوا ونجوا وقالت فرقة معناه لامة محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ يعم كل متقى من كل امة * وقوله تعالى واذا قال موسى لقومه ان الله يامركم بالآية المود تذكيرهم بنقص سلفهم للميثاق وسبب هذه القصة على ما روي ان رجلا من بنى اسرائيل اسن وكان له مال فاستبسط ابن اخيه موته وقيل اخوه وقيل ابنا عمه وقيل ورثة غير معينين فقتله ليرثه والقاه في سبط اخر غير سبطه لياخذ دينه ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسرائيل في قربتين متجاورتين فألقاه الى باب احدى القريتين وهي التي لم يقتل فيها ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجده قتيلا فتعلق بالسبط أو بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها فانكروا قتله فوقع بين بنى اسرائيل في ذلك لحد حتى دخلوا في السلاح فقال اهل الشهي منهم انقتتل ورسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام فقصوا عليه القصة وسألوه البيان فواحي الله تعالى اليه ان يذبحوا بقرة فيضرب القتيل ببعضها فيحي ويخبر بقاتله فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فكان جوابهم ان قالوا انتخذنا هزوا وهذا القول منهم طاهره فساد اعتقاد ممتن قاله ولا يصح ايمان من يقول لنبي قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامر بكذا انتخذنا هزوا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلط الطبع والجفاء وقول موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل معنيين احدهما الاستعاذة من الجهل في ان يخبر عن الله تعالى مستهزئا والآخر من

الجهل كما جهلوا في قولهم * وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك الآية هذا تعنييت منهم وقلة طوعية ولو امتثلوا الامر فاستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما امروا به ولكن شددوا فشد الله عليهم قاله ابن عباس وغيره والفاض المسنة الهرمة والبكر من البقر التي لم تلد من الصغور رفعت عوان على خبر ابتداء مضمر تقديره هي عوان والعوان التي قد ولدت مرة بعد مرة قال * م * قال الجوهري والعوان النصف في سننها من كل شيء والجمع عون انتهى * ت * قال الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي في نظمه لغريب القرآن جمع ابي حيان

معنى عوان نصف بين الصغر * وبين ما قد بلغت سن الكبير وكل ما نقلته عن العراقي منظوما فمن ارجوزته هذه وقوله فافعلوا ما تومرون تجديد الامر وتأکید وتنبيه على ترك التعنت فما تركوه قال ابن زيد وجهور الناس في قوله صفراء انها كانت كلها صفراء وفي مختصر الطبري فاقع لونها اي صافى لونها انتهى والقنوع مختص بالصفرة كما خص احمر بقاني واسود بحالك وابيض بناصع واخصر بناضر قال ابن عباس وغيره الصفرة تسر النفس وسألوا بعد هذا كلمة عن ما هي سؤال متحيرين قد احسوا مقت المعصية وفي استثنائهم في هذا السؤال الاخير انابة ما وانقياد ودليل ندم وحرص على موافقة الامر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو لا ما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا وقوله لا ذلول تشير الارض اي غير مذلة بالعمل والرياضة وتشير الارض معناه بالحراثة وهي عند قوم جملة في موضع رفع على صفة البقرة اي لا ذلول مثيرة وقال قوم تشير فعل مستأنف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت تحرث ولا تسقى ومسلمة بناء مبالغة من السلامة قال ابن عباس وغيره معناه من العيوب وقال مجاهد معناه من الشيات والالوان وقيل من العمل ولاشية فيها اي لا خلاف في لونها هي

صفراء كلها قاله ابن زيد وغيره والموشى المختلط الالوان ومنه وشي الثوب
تزينه بالالوان والثور الاشبه الذى فيه بلقة يقال فرس ابلق وكبش اخرج
وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشبه كل ذلك بمعنى البلقة وهذه الاوصاف
فى البقرة سببها انهم شددوا فشد الله عليهم ودين الله يسروا التعمق فى سؤال
الانبياء مذموم وقصة وجود هذه البقرة على ما روي ان رجلا من بنى اسرائيل
ولد له ابن وكانت له عجلة فارسلها فى غيضة وقال اللهم انى قد استودعتك
هذه العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك
كان قد استودع الله عجلة لك فاذهب فخذها فلما رأى البقرة جاءت اليه
حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه فلقية بنو اسرائيل
ووجدوا بقرته على الصفة التى امرؤا بها فلما وجدت البقرة ساموا صاحبها
فاشتط عليهم فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا له ان هذا اشتط علينا فقال لهم
ارضوه فى ملكه فاشتروها منه بوزنها مرة قاله عبدة السمانى وقيل بوزنها
مرتين وقيل بوزنها عشر مرات وقال مجاهد كانت لرجل يبرامه واخذت منه
بملاء جلدها دنانير وآل مبنى على الفتح معناه هذا الوقت وهو عبارة عما بين
الماضى والمستقبل وجئت بالحق معناه عند من جعلهم عصاة بينت لنا غاية
البيان وهذه الآية تعطى ان الذبح اصل فى البقر وان نحررت اجزأ * وقوله
تعالى وما كادوا يفعلون عبارة عن تشبطهم فى ذبحها وقتلهم مبادرتهم الى امر الله
تعالى وقال محمد بن كعب القرطبي كان ذلك منهم لغلاء البقرة وقيل كان
ذلك خوفاً الفضيحة فى امر القاتل وادارأتم معناه تدافعتم قتل القاتل وفيها اي
فى النفس * وقوله تعالى اضربوه ببعضها آية من الله تعالى على يدي موسى
عليه السلام ان امرهم ان يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحي ويخبر بقاتله ف قيل

ضربوه وقيل ضربوا قبره لان ابن عباس ذكر ان امر القتيل وقع قبل جواز البحر وانهم داموا في طلب البقرة اربعين سنة * وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى الآية في هذه الآية حص على العبرة ودلالة على البعث في الآخرة وظهرها انها خطاب لبنى اسرائيل حينئذ حكى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر به الى يوم القيامة وذهب الطبري الى انها خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وانها مقطوعة من قوله اضربوه ببعضها وروي ان هذا القتيل لما حيي واخبر بقاتله عاد ميتا كما كان * وقوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية اي صلبت وجفت وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان لايات الله تعالى قال قتادة وغيره المراد قلوب بنى اسرائيل جميعا في معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك واو لا يصح ان تكون هنا للشك فقليل هي بمعنى الواو وقل للاضراب وقل للابهام وقل غير ذلك * وقوله تعالى وان من الحجارة الآية معذرة للحجارة وتفصيل لها على قلوبهم قال قتادة عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقي بنى آدم * ت * وروى البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة من الشقاء جود العين وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا انتهى من الكوكب الدرري لابي العباس احمد بن سعد التجيبي قال الغزالي في المنهاج واعلم ان اول الذنب قسوة واخره والعياذ بالله شوم وشقوة وسواد القلب يكون من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعات موقعا ولا للموعظة منجعا انتهى وقيل في هبوط الحجارة تفيث وطلالها وقيل ان الله تعالى يخلق في بعض الاحجار خشية وحياة يهبط بها من علو تواضعها وقال مجاهد ما تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه الا من خشية الله عز وجل نزل بذلك القرآن وقال مثله ابن جريج * وقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم الآية

الخطاب للمومنين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الانصار كان لهم حرص على اسلام اليهود للحلف والجوار الذى كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير على امر فيه بعد اذ قد سلف لاسلاف هؤلاء اليهود افاعيل سوء وهؤلاء على ذلك السنن وتحريف الشيء امانته من حال الى حال وذهب ابن عباس الى ان تحريفهم وتبديلهم انما هو بالتأويل ولفظ التوراة باقى وذهب جماعة من العلماء الى انهم بدلوا الفاظا من تلقائهم وان ذلك ممكن فى التوراة لانهم است حفظوها وغير ممكن فى القرآن لان الله تعالى ضمن حفظه قلت وعن ابن اسحاق ان المراد بالفريق هنا طائفة من السبعين الذين سمعوا كلام الله مع موسى انتهى من مختصر الطبري وهذا يحتاج الى سند صحيح * وقوله تعالى واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا الآية المعنى وهم ايضا اذا لقوا يفعلون هذا فكيف يطمع فى ايمانهم ويحتمل ان يكون هذا الكلام مستأنفا فيه كشف سرائرهم ورد فى التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مومن فقال كعب بن الاشرف واشباهه اذهبوا وتحسسوا اخبار من ءامن بمحمد وقولوا لهم ءامنا واكفروا اذا رجعتن فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس نزلت فى المنافقين من اليهود وروى عنه ايضا انها نزلت فى قوم من اليهود قالوا لبعض المومنين نحن نومن انه نبي ولكن ليس الينا وانما هو اليكم خاصة فلما خلوا قال بعضهم لم تقرون بنبوته وقال ابو العالية وقتادة ان بعض اليهود تكلم بما فى التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم كفره الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اى عرفكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويحاجوكم من الحجّة وعند ربكم معناه فى الآخرة * وقوله تعالى افلا تعقلون قيل هو من قول الاحبار للاتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى للمومنين اى افلا تعقلون ان بنى اسرائيل لا يؤمنون وهم

بهذه الاحوال واميون هنا عبارة عن عامة اليهود وجهلتهم اي انهم لا يطمع في ايمانهم
لها غمهم من الضلال والامي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب نسب الى
الام اما لانه بحال امه من عدم الكتب لا بحال ابيه اذ النساء ليس من
شغلهم الكتب قاله الطبري واما لانه بحال ولدته امه فيها ثم ينتقل عنها
والكتاب التوراة والاماني جمع امنية واختلاف في معنى اماني فقالت طائفة
هي هاهنا من تمنى الرجل اذا ترجى فمعناه ان منهم من لا يكتب ولا يقرأ وانما
يقول بظنه شيئاً سمعه فيتمنى انه من الكتاب وقال اخرون هي من تمنى
اذا تلا ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة * واهرة لاقى حام المقادير
فمعنى الآية انهم لا يعلمون الكتاب الاسماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته
وقال الطبري هي من تمنى الرجل اذا حدث بحديث مختلف كذب اي لا
يعلمون الكتاب الاسماع اشياء مختلفة من احبارهم يظنونها من الكتاب
* ص * وان هم الا يظنون ان نافية بمعنى ما انتهى * وقوله تعالى
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله الآية قال
الخليل الويل شدة الشر وهو مصدر لا فعل له ويجمع على ويلات والاحسن فيه
اذا انفصل الرفع لانه يقتضى الوقوع ويصح النصب على معنى الدعاء اي
الزعم الله ويلا وويل وويح وويس تتقارب في المعنى وقد فرق بينها قوم وروى
سفيان وعطاء بن يسار ان الويل في هذه الآية واد يجرى بفناء جهنم من صديد
اهل النار وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه واد في
جهنم بين جبلين يهوى فيه الهاوى اربعين خريفاً وروى عثمان بن عفان عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من جبال النار والذين يكتبون هم الاحبار

والرؤساء وبايديهم قال ابن السراج هي كناية عن انه من تلقائهم دون ان ينزل عليهم والذي بدلوه هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليستديموا رياستهم ومكاسبهم وذكر السدي انهم كانوا يكتبون كتباً يبدلون فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من الاعراب ويبشونها في اتباعهم ويقولون هي من عند الله والتمن قيل عرض الدنيا وقيل الرشى والمآكل التي كانت لهم ويكسبون معناه من المعاصي وقيل من المال الذي تضمنه ذكر الثمن * وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة الآية روى ابن زيد وغيره ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل النار فقالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال لهم كذبتهم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الآية قال اهل التفسير العهد في هذه الآية الميثاق والموعود وبلى رد بعد النفي بمنزلة نعم بعد الايجاب وقالت طائفة السيئة هنا الشرك كقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار والخطيئات كبائر الذنوب قال الحسن بن ابى الحسن والسدي كل ما توعده الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة والخلود في هذه الآية على الاطلاق والتابيد في الكفار ومستعار بمعنى الطول في العصاة وان علم انقطاعه قال محمد بن عبد الله اللخمي في مختصره للطبري اجعت الامة على تخليد من مات كافرا وتظاهرت الروايات الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح بان عصاة اهل التوحيد لا يخلدون في النار ونطق القران بان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لكن من خاف على لحمه ودمه اجتنب كل ما جاء فيه الوعيد ولم يتجاسر على المعاصي اتكالا على ما يرى لنفسه من التوحيد فقد كان السلف وخيار الامة يخافون سلب الايمان على انفسهم ويخافون النفاق عليها وقد تظاهرت بذلك عنهم الاخبار انتهى

* وقوله تعالى والذين آمنوا الآية يدل هذا التقسيم على ان قوله تعالى بلى من كسب سيئة الآية في الكفار لا في العصاة ويدل على ذلك ايضا قوله واحاطت لان العاصي مومن فلم تحط به خطيئته ويدل على ذلك ايضا ان الرد كان على كُفَّارٍ ادَّعَوْا أَنَّ النَّارَ لَا تَمْسُهُمْ اَياما معدودة فهم المراد بالخلود والله اعلم * وقوله تعالى واذا اخذنا ميثاق بنى اسرائيل الآية اخذ الله سبحانه الميثاق عليهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم واخذ الميثاق قول فالمعنى قلنا لهم لا تعبدون الا الله الآية قال سيبويه لا تعبدون متعلق لقسم والمعنى واذا استخلفناهم والله لا تعبدون الا الله وفي الاحسان تدخل انواع بر الوالدين كلها واليتم في بنى آدم فقد كذب وفي البهائم فقد كذب وقال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد بلوغ والمسكين الذى لا شيء له وقيل هو الذى له بُلْغَةٌ والآية تتضمن الرأفة باليتامى وحيطه اموالهم والحض على الصدقة والمواساة وتفقد المساكين * وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا * امر عطف على ما تضمنه لا تعبدون الا الله وما بعده وقرأ حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين قال الاخفش وهما بمعنى واحد وقال الزجاج وغيره بل المعنى فى القراءة الثانية وقولوا قولاً حسناً بفتح الحاء والسين او قولاً ذا حسن بضم الحاء وسكون السين فى الاولى قال ابن عباس معنى الكلام قولوا للناس لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج قولوا لهم حسناً فى الاعلام بما فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقال ابو العالية قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم باحسن ما تحبون ان تحاوروا به وهذا حض على مكارم الاخلاق وزكاتهم هي التى كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تُقْتَلُ منها دون ما لم يتقبل * وقوله تعالى ثم توليتهم الآية خطاب لمعاصري النبي صلى

الله عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم اذ هم كلهم بتلك العبيل قال نحوه ابن عباس وغيره والمراد بالقليل المستثنى جميع مومنيهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره والقلّة على هذا هي في عدد الاشخاص ويحتمل أن تكون القلّة في الايمان والاول اقوى * ص * لا قليلا منصوب على الاستثناء وهو الاصح لانه استثناء من موجب وروى عن ابي عمرو لا قليل بالرفع ووجهه ابن عطية على بدل قليل من ضمير توليتم على ان معنى توليتم النفي اي لم يف بالميثاق لا قليل ورد بمنع النحويين البديل من الموجب لان البديل يحل محل المبدل منه فاو قلت قام لازيد لم يجز لان لا لا تدخل في الموجب وتأويله لايجاب بالنفي يلزم في كل موجب باعتبار نفي صده او نقيضه فيجوز اذن قام القوم لازيد على تأويل لم يجلسوا لازيد ولم تبس العرب على ذلك كلامها وانما اجازوا قام القوم لازيد بالرفع على الصفة وقد عقد سيبويه لذلك بابا في كتابه انتهى ودماكم جمع دم وهو اسم منقوص اصله دمي ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه ولا ينفسى بعضكم بعضا بالفتنة والبغي وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللفظ في القول * وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم وقوله وانتم تشهدون قيل الخطاب يراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهدو اي حضور اخذ الميثاق والاقرار وفيل المراد من كان في مدة مجد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانتم شهداء اي بينة ان الميثاق اخذ على اسلافكم فمن بعدهم منكم * وقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الآية هؤلاء دالة على ان المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردا الى الاسلاف قيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات وقال الاستاذ لاجل ابو الحسن ابن اجد شيخنا هؤلاء رفع بالابتداء

وانتم خبر وتقتلون حال بها ثم المغنى وهي المقصود * ص * قال الشيخ
ابوحيان ما نقله ابن عطية عن شيخه ابي الحسن بن البادش من جعله هؤلاء
مبتدأ وانتم خبر مقدم لا ادرى ما العلة في ذلك وفي عدوله عن جعل انتم مبتدأ
وهؤلاء الخبر الى عكسه انتهى * ت * قيل العلة في ذلك دخول هاء التنبيه
عليه لاختصاصها باول الكلام ويدل على ذلك قولهم ها انا ذا قائما ولم يقولوا انا
هذا قائما قال معناه ابن هشام فقائما في المثال المتقدم نصب على الحال انتهى
وهذه الآية خطاب لقريظة والنضير وبنى قينقاع وذلك ان النضير وقريظة حالفت
الاوس وبنى قينقاع حالفت الخزرج فكانوا اذا وقعت الحرب بين بنى قيلة
ذهبت كل طائفة من بنى اسرائيل مع احلافها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وكانوا مع ذلك يفدى بعضهم اسرى بعض اتباعا لحكم التوراة
وهم قد خالفوها بالقتال والاخراج والديار مباني لاقامة وقال الخليل محلة القوم
ديارهم ومعنى تظاهرون تتعاونون والعدوان تجاوز الحدود والظلم وقرا حمزة
اسرى تفدوهم واسارى جمع اسير ماخوذ من الاسر وهو الشد ثم كثر استعماله
حتى لزم وان لم يكن ثم ربط ولا شد واسير فاعيل بمعنى مفعول وتفادوهم معناه في
اللغة تطلقونهم بعد ان تاخذوا عنهم شيئا وقال الثعلبي يقال فدى اذا اعطى مالا
واخذ رجلا وفادى اذا اعطى رجلا واخذ رجلا فتفدوهم معناه بالمال وتفادوهم اي
مفادات الاسير بالاسير انتهى * ت * وفي الحديث من قول العباس
رضي الله عنه فاني فاديت نفسي وعقيلًا وظاهرة لا فرق بينهما * وقوله تعالى
اقتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الآية والذي امنوا به فداء الاسارى
والذى كفروا به قتل بعضهم بعضا واخراجهم من ديارهم وهذا توبيخ لهم وبيان
لنقض فعلهم والخزي الفضيحة والعقوبة فليل خزيهم ضرب الجزية عليهم غابر

الدهر وقيل قتل قريظة واجلاء النصير وقيل الخزي الذي تتوعد به لامة من الناس هو غلبة العدو والدنيا مأخوذة من دنا يدنو واصل الياء فيها واو ولكن ابدلت فرقا بين الاسماء والصفات واشد العذاب الخلود في جهنم * وقوله تعالى وما الله بغافل عما يعملون قرأ نافع وابن كثير بياء على ذكر الغائب فالخطاب بالآية لامة محمد صلى الله عليه وسلم والآية واعظة لهم بالمعنى اذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص وقرأ الباقون بتاء على الخطاب لمن تقدم ذكره في الآية قبل هذا وهو قوله افتومنون ببعض الكتاب الآية وهو لاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم فقد روي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان بنى اسرائيل قد مضوا وانتم الذين تعنون بهذا يا امة محمد يريد هذا وما يجري مجراه * وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة الآية جعل الله ترك الآخرة واخذ الدنيا عوضا عنها مع قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة ولا ينصرون لا في الدنيا ولا في الآخرة * ص * ولقد آتينا موسى الكتاب * اللام في لقد يحتمل ان تكون توكيدا ويحتمل ان تكون جواب قسم وموسى هو المفعول الاول والكتاب الثانى وعكس السهيلى ومريم معناه فى السريانية الخادم وسميت به ام عيسى فصار علما عليها انتهى والكتاب التوراة وقفينا مأخوذ من القفا تقول قفيت فلانا بفلان اذا جئت به من قبل قفاه ومنه قفا يثقفوا اذا اتبع وكل رسول جاء بعد موسى فانما جاء باثبات التوراة والامر بلزومها الى عيسى عليهم السلام والبيئات الحجج التى اعطاها الله عيسى وقيل هي آياته من احياء وابرار وخلق طير وقيل هي الانجيل والآية تعم ذلك وايدناه معناه قويناه والايد القوة قال ابن عباس روح القدس هو الاسم الذى كان يحيى به الموتى وقال ابن

زيد هو الانجيل كما سمي الله تعالى القزوان روحا وقال السدي والضحاك والربيع
وقنادة روح القدس جبريل عليه السلام وهذا أصح الأقوال وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لحسان اهـج قريشا وروح القدس معك ومرة قال له وجبريل معك
وكلما ظرف والعامل فيه استكبرتم وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ روي ان
بنى اسرائيل كانوا يقتتلون في اليوم ثلاثمائة نبي . ثم تقوم سوقهم . اخر النهار
وروي سبعين نبياً ثم تقوم سوق بقلهم . اخر النهار والهوى اكثر ما يستعمل
فيما ليس بحق وهو في هذه الآية من ذلك لانهم انما كانوا يهجون الشهوات
ومعنى قلوبنا غلف اي عليها غشاوات فهي لا تفقه قاله ابن عباس ثم بين
تعالى سبب نفورهم عن الايمان انما هو انهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم
وهذا هو الجزاء على الذنب بذنب اعظم منه واللعن الابعاد والطرده قليلا نعت
لمصدر محذوف تقديره فايما قليلا ما يؤمنون والضمير في يؤمنون لحاضري
محمد صلى الله عليه وسلم منهم وما في قوله ما يؤمنون زائدة مؤكدة * وقوله
تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله الآية الكتاب القزوان ومصداق لما معهم يعنى
التوراة ويستفتحون معناه ان بنى اسرائيل كانوا قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد علموا خروجه بما علموا عندهم من صفته وذكر وقته وظنوا انه
منهم فكانوا اذا حاربوا الاوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي
الذى اطل وقته لقاتلناكم معه واستنصرنا عليكم به ويستفتحون معناه
يستنصرون قال احمد بن نصر الداودي ومنه عسى الله ان ياتي بالفتح اي
بالنصر انتهى وروي ابو بكر محمد بن حسين الاجري عن ابن عباس قال كانت
يهود خيبر يقاتلون غطفان فكلما التقوا هزمت اليهود فعاد اليهود يوما بالدعاء
فقالوا اللهم انا نسالك بحق محمد النبي الامي الذى وعدتنا ان تخرجه لنا

فى آخر الزمان لا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا والاستفتاح الاستنصار ووقع ليهود المدينة نحو هذا مع الانصار قبيل الاسلام انتهى من تأليف حسن بن علي بن عبد الملك الرهونى المعروف بابن القطان وهو كتاب نفيس جدا الفه فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودايات نبوته وروي ان قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز فى ذلك الوقت كانوا يستفتحون على سائر العرب وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نقلتهم الى الحجاز وسكناهم به فانهم كانوا علوا صقع المبعث وما عرفوا هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ويظهر من هذه الآيت العناد منهم وان كفرهم كان مع معرفة ومعاندة ولعنة الله ابعاده لهم وخزيهم لذلك وببئس اصله بئس سهلت الهمة ونقلت حركتها الى الباء وما عذ سيبويه فاعلة ببئس والتقدير ببئس الذى اشتروا به انفسهم واشتروا بمعنى باعوا وما انزل الله يعنى به القروان ويحتمل التوراة ويحتمل ان يروا الجميع من توراة وانجيل وقرآن لان الكفر بالبعض يستلزم الكفر بالكل ومن فضله يعنى من النبوة والرسالة ومن يشاء يعنى به محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب ويدخل فى المعنى عيسى صلى الله عليه وسلم لانهم كفروا به بغيا والله قد تفضل عليه وباروا معناه مضوا متحملين لما يذكر انهم باروا به وقال البخاري قال قتادة باروا معناه اتقبلوا انتهى وبغضب معناه من الله تعالى لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على غضب متقدم من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم العجل وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام فالمعنى على غضب فدباء به اسلافهم حظ هؤلاء منه واقر بسبب رضاهم بتلك الافعال وتصويبهم لها ومهين ماخوذ من الهوان وهو الخلود

في النار لان من لا يخلد من عصاة المسلمين انما عذابه كعذاب الذي يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له * وقوله تعالى واذا قيل لهم معنى لليهود اامنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن قالوا نومن بما انزل علينا يعنون التوراة ويكفرون بما وراه قال قتادة اي بما بعده قال الفراء اي بما سواه ويعنى به القرآن ووصف تعالى القرآن بانه الحق ومصدقا حال مؤكدة عند سيبويه * وقوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مومنين رد من الله تعالى عليهم وتكذيب لهم في ذلك واحتجاج عليهم * وقوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات البينات التوراة والعصا وفرق البحر وسائر الآيات وخذوا ما آتيناكم يعني التوراة والشرع بقوة اي بعزم ونشاط وجد واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والمعنى جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر العجل في قلوبهم * وقوله تعالى بكفرهم يحتمل ان تكون باء السبب ويحتمل ان تكون بمعنى مع * وقوله تعالى قل بيسما يامرکم به إيمانكم امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم لانه بيس هذه الاشياء التي فعلتم وامركم بها ايمانكم الذي زعمتم في قولكم نومن بما انزل علينا * وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الآية امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم والمعنى ان كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضى حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسم كان وخالصة خبرها ومن دون الناس يحتمل ان يراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ويحتمل ان يراد العموم وهذه آية بينة اعطاها الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لان اليهود قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه ذلك من القول فامر الله نبيه ان يدعوهم الى تمنى الموت وان يعلمهم انه من تمناء منهم مات ففعل

النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فعلوا صدقه فأُخْجِبُوا عن تمنيه فرقا من
الله لتبجح أفعالهم ومعرفتهم بكذبهم وحرصا منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى
منعهم من التمنى وقصرهم على الامساك عنه لتظهر الآية لنبيه صلى الله عليه
وسلم * ت * قال عياض ومن الوجوه البينة في اعجاز القرآن ءاي وردت
بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله
تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو
اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واطهر دلالة على صحة الرسالة لانه
قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنوه وأجد منهم ومن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الاغص
بريقه يعنى يموت مكانه قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا توجد
منهم جاعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب
اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم انتهى من الشفا والمراد
بقوله تمنوا اريدوه بقلوبكم واسألوه هذا قول جاعة من المفسرين وقال ابن عباس
المراد به السؤال فقط وان لم يكن بالقلب ثم اخبر تعالى عنهم بعجزهم وانهم لا
يتمنونه ابدا واصناف ذنوبهم واجترامهم الى الايدى اذ الاكثر من كسب العبد
الخير والشر انها هو بيديهم فحمل جميع الاشياء على ذلك * وقوله تعالى
والله عليم بالظالمين ظاهرة الخبر ومضمنه الوعيد لان الله سبحانه عليم بالظالمين
وغيرهم ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد * وقوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس
على حياة الآية وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله
تعالى * وقوله تعالى ومن الذين اشركوا قيل المعنى وحرص من الذين اشركوا
لان مشركى العرب لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا والضمير في احدهم يعود في

هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام تم في حياة ثم استؤنف الاخبار عن طائفة من المشركين انهم يود احدثهم لويهمر الف سنة والزحزحة الابداد والتنحية وفي قوله تعالى والله بصير بها يعملون وعيد * وقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الآية اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا واختلف في كيفية ذلك فقيل ان يهود فدك قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نسألك عن اربعة اشياء فان عرفتھا اتبعناك فسألوه عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسألوه عن الشبه في الولد فقال اي ماء علا كان له الشبه وسألوه عن نومه فقال تنام عينى ولا ينام قلبى وسألوه عن من يجيئه من الملائكة فقال جبريل فلما ذكره قالوا ذاك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والجذب ولو كان الذى يجيئك ميكائيل ملك الرحمة والخصب والامطار لا تبعناك وفي جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وبها قرأ نافع وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وبها قرأ ابن كثير وروي عنه انه قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم وهو يقرأ جبريل وميكائيل فلا ازال اقرأها ابدا كذلك * ت * يعنى والله اعلم مع اعتماده على روايتها قال الثعلبي والصحيح المشهور عن ابن كثير ما تقدم من فتح الجيم لا ما حكى عنه في الرؤيا من كسرها انتهى وذكر ابن عباس وغيره ان جبروميك واسراف هي كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل الله * وقوله تعالى فانه نزل على قلبك الضمير في انه عائد على الله تعالى وفي نزل عائد على جبريل اي بالقروان وسائر الوحي وقيل الضمير في انه عائد على جبريل وفي نزل عائد على القروان وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقى المعارف وبإذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة ومصدقا حال من ضمير القروان

في نزلهم وما بين يديه ما تقدمه من كتب الله تعالى وهدي ابي ارشاد * وقوله تعالى من كان عدوا لله الآيت وعيد وذم لمعادى جبريل واعلام ان عداوة البعض تقتضى عداوة الله لهم وعطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقد كان ذكر الملائكة عنهما تشريفا لهما وقيل خُصّا لان اليهود ذكروهما ونزلت الآية بسببهما فذكرا ليلا تقول اليهود انا لم نُعاد الله وجيع ملائكته وعداوة العبد لله هي مَعْصِيَتُهُ وترك طاعته ومعادة اوليائه وعداوة الله للعبد تعذيبه واطهار اثر العداوة عليه * وقوله تعالى او كلها عاهدوا عهدا الآية قال سيبيويه الواو للعطف دخلت عليها الف الاستفهام والنبد الطرح ومنه المنبذ والعهد الذى نبذوه هو ما اخذ عليهم في التوراة من امر النبي صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم رسول من عند الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ومصدق نعت لرسول وكتاب الله القرآن وقيل التوراة لان مخالفتها نبذ لها ووراء ظهورهم مثل لان ما يجعل ظهريا فقد زال النظر اليه جلته والعرب تقول جعل هذا الامر وراء ظهره ودبر اذنه وكانهم لا يعلمون تشبيه بمن لا يعلم فيجىء من اللفظ انهم كفروا على علم * وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية يعنى اليهود وتتلوا قال عطاء معناه تقرأ وقال ابن عباس تتلوا تتبع وعلى ملك سليمان ابي على عهد ملك سليمان وقال الطبري اتبعوا بمعنى فُضِّلُوا وعلى ملك سليمان ابي على شرعه ونبوته والذى تلته الشياطين قيل انهم كانوا يلقيون الى الكهنة الكلمة من الحق معها المانة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرويه فلما مات اخرجته الشياطين وقالت ان ذلك كان علم سليمان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان عليه السلام في الانبياء قال بعض اليهود انظروا الى محمد يذكر سليمان في الانبياء وما كان الا ساحرا * وقوله تعالى وما كفر سليمان تبرئة من الله تعالى

لسليمان عليه السلام والسحر والعمل به كفر ويقتل الساحر عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال الشافعي يسأل عن سحره فان كان كفرا استتيب منه فان تاب ولا يقتل وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل والناس المعلنون اتباع الشياطين من بنى اسرائيل وما انزل على الملكين ما عطف على السحر فهي مفعولة وهذا على القول بان الله تعالى انزل السحر على الملكين ليكفر به من اتبعه ويومن به من تركه او على قول مجاهد وغيره ان الله تعالى انزل على الملكين الشيء الذي يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر او على القول ان الله تعالى انزل السحر عليهما ليُعَلِّمَ على جهة التحذير منه والنهي عنه قال * ع * والتعليم على هذا القول انما هو تعريف يسير بمباده وقيل انما عطف على ما في قوله ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله تعالى انزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفسى الله ذلك * ت * قال عياض والقراءة بكسر اللام من الملكين شاذة وبابل قطر من الارض وهاروت وماروت بدل من الملكين وما يذكر في قصتهما مع الزهرة كله ضعيف وكذا قال * ع * ت * قال عياض واما ما ذكره اهل الاخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئاً يوخذ بقياس والذي منه في القرون اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه الاخبار من كتب اليهود وافتراءهم كما نصه الله اول الآيات انتهى انظره * وقوله تعالى وما يعلنان الآية ذكر ابن الاعرابي في الياقوتة ان يُعَلِّمان بمعنى يُعَلِّمان ويشعران كما قال كعب بن زهير

تعلم رسول الله انك مدركى * وان وعيدا منك كالاخذ باليد
وجل هذه الآية على ان الملكين انما نزلَا يُعْلِمَانِ بالسحر وينهيان عنه وقال
الجمهور بل التعليم على عرفه * ص * وقوله تعالى من احد من هنا زائدة
مع المفعول لتأكيد استغراق الجنس لان احدا من الفاظ العموم انتهى ويفرقون
معناه فرقة العصمة وقيل معناه يُؤَخِّذُونَ الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على
وطئها فهي ايضا فرقة وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه ويضرم معناه في الآخرة
والضمير في علموا عائد على بنى اسرائيل وقال اشتراه لانهم كانوا يعطون لاجرة
على ان يُعَلِّمُوا والخلاق النصيب والحظ وهو هنا بمعنى الجاه والقدر واللام في قوله
لمن للتسم الموزنة بان الكلام قسم لا شرط * م * وليس ما ابو البقاء جواب
قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي السحر او الكفر والضمير في به عائد
على السحر او الكفر انتهى وشروا معناه باعوا والضمير في يعلمون عائد على بنى
اسرائيل اتفاقا ولوانهم آمنوا يعنى الذين اشتروا السحر وجواب لو لمثوبة والمثوبة
عند الجمهور بمعنى الثواب وقوله سبحانه لو كانوا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم
ويحتمل لو كانوا يعلمون علما ينفع وقرأ جهور الناس راعنا من المراعاة بمعنى فاعلنا
اي ارعنا نرعك وفي هذا جفاء أن يخاطب به احدٌ نبيّه وقد حص الله تعالى
على خفض الصوت عنده وتعزيرة وتوقيرة وقالت طائفة هي لغة للعرب فكانت
اليهود تصرفها الى الرعونة يظهرون انهم يريدون المراعاة ويبطنون انهم يريدون
الرعونة التى هي الجهل فنهى الله المومنين عن هذا القول سدا للذريعة لئلا يتطرق
منه اليهود الى المحذور وانظرنا معناه انتظرنا وامهل علينا ويحتمل ان يكون المعنى
تفقدنا من النظر والظاهر عندى استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال ولما نهى
الله تعالى في هذه الآية وامر حص بعد على السمع الذى فى ضمنه الطاعة وأعلم

ان لمن خالف امره فكفر عذابا اليما وهو المولم واسمعوا معطوف على قولوا لا على معمولها * وقوله سبحانه ما يرد الذين كفروا من اهل الكتاب الآية يتناول لفظ الآية كل خير والرحمة في هذه الآية عامة لجميع انواعها وقال قوم الرحمة القروان * وقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسخها الآية النسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من اخر وهذا لا مدخل له في هذه الآية وورد في كتاب الله تعالى في قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الثانى الازالة وهو الذى في هذه الآية وهو منقسم في اللغة على ضربين احدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل والآخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح الاثر وورد النسخ في الشرع حسب هذين الضربين وحد الناسخ عند حذاق اهل السنة الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتنا مع تراخيه عنه * ت * قال ابن الحاجب والنسخ لغة الازالة وفي الاصطلاح رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر انتهى من مختصره الكبير والنسخ جائز على الله تعالى عقلا لانه لا يلزم منه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر متعلقة بالارادة فيلزم من النسخ ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم الى اي وقت ينتهى امره بالحكم الاول ويعلم نسخه له بالثانى والبدا لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لطرو علم او لتغيير ارادة وذلك محال في جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا واحدا فلم يجوزوه فصلوا والمنسوخ عند ائمتنا الحكم الثابت نفسه لا ما ذهب اليه المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذى قادهم الى ذلك مذهبهم في ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله تعالى حسن وقد قامت الدالة على ان الاوامر لا ترتبط بالارادة وعلى ان الحسن

والثب في الاحكام انها هو من جهة الشرع لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم
يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناول العموم قط ولو تناول العموم
لكان نسخا والنسخ لا يجوز في الاخبار وانما هو مختص بالاوامر والنواهي ورد بعض
المعترضين الامر خبرا بان قال أليس معناه واجب عليكم ان تفعلوا كذا فهذا خبر
والجواب ان يقال ان في ضمن المعنى لا ان نسخه عنكم وارفعه فكما تضمن
لفظ الامر ذلك الاخبار كذلك تضمن هذا الاستثناء وصور النسخ تختلف فقد
ينسخ الاثقل الى الاخف وبالعكس وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة وقد ينسخ
الشيء لا الى بدل وقد تنسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس والتلاوة والحكم حكمان
فجائز نسخ احدهما دون الآخر ونسخ القرآن بالقرآن وينسخ خبر الواحد بخبر
الواحد وهذا كله متفق عليه وحذاق الاثمة على ان القرآن ينسخ بالسنة
وذلك موجود في قوله عليه السلام لا وصية لوارث وهو ظاهر مسائل مالك
* ت * ويعني بالسنة النسخة للقرآن الخبر المتواتر القطعي وقد اشار الى
ان هذا الحديث مُتَوَاتِرٌ ذكره عند تفسير قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت
واختلف القراء في قراءة قوله تعالى او ننسها فقرأ ابن كثير وابوعمر ونسأها بنون
مفتوحة واخرى ساكنة وسين مفتوحة والـف بعدها مهموزة وهذه بمعنى التأخير
واما قراءة نافع والجمهور ننسها من النسيان وقرأت ذلك فرقة لا انها همزت
بعد السين فهذه بمعنى التأخير والنسيان في كلام العرب يجي في الاغلب ضد
الذكر وقد يجي بمعنى الترك فالمعاني الثلاثة مقولة في هذه القراءات فما كان
منها يترتب في لفظه النسيان الذي هو ضد الذكر فعني الآية به ما ننسخ من
آية او نقدر نسيانك لها فانا ناتي بخير منها لكم او مثلها في المنفعة وما كان على
معنى الترك او على معنى التأخير فيترتب فيه معان انظرها ان شئت فاني اثرت

الاختصار * ع * والصحيح ان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان ينساه ولم يرد ان يشبته قرءانا جائز فاما النسيان الذى هو افة في البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعد التبليغ ما لم يحفظه احد من أصحابه واما بعد ان يحفظ فجائز عليه ما يجوز على البشر لانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ وادى الامانة ومنه الحديث حين اسقط اية فلما فرغ من الصلاة قال افى القوم ابي قال نعم يا رسول الله قال فلم لم تذكرنى قال حسبت انها رفعت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ترفع ولكنى نسيته * وقوله تعالى الم تعلم معناه التقرير ومعنى الآية ان الله تعالى ينسخ ما شاء ويشب ما شاء ويفعل فى احكامه ما شاء هو تقدير على ذلك وعلى كل شيء وهذا لانكار اليهود النسخ وقوله على كل شيء عموم معناه الخصوص اذ لا تدخل فيه الصفات القديمة بدليل العقل ولا المحالات لانها ليست باشياء والشيء فى كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل على المبالغة قال القشيري وان من علم ان مولاة قدير على ما يريد قطع رجاءه عن الاغيار كما قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع قال اهل الاشارة معناه سهلت طريقهم اليك وقطعت رجاءهم عن سواك ثم قال ليقيموا الصلاة اى شغلتهم بخدمتك وانت اولى بهم فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اى اذا احتاجوا شيئاً فذلل عبادك لهم واوصل بكرمك رعايتهم اليهم فانك على ذلك قدير وان من لزم بابه اوصل اليه محابه وكفاه اسبابه وذلل له كل صعب واوردته كل سهل عذب من غير قطع شقة ولا تحمل مشقة انتهى من التحبير * وقوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الآية الملك السلطان ونفوذ الامر والارادة وجمع الضمير فى لكم دال على ان المراد بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب امت * وقوله تعالى ام

تريدون ان تسألوا رسولكم الآية قال ابو العالية ان هذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بنى اسرائيل فى تعجيل العقوبة فى الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اعطاكم الله خيرا مما اعطى بنى اسرائيل وتلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا وقال ابن عباس سَبَّهَهَا ان رافع بن حريملة اليهودى سأل النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك وقيل غير هذا وما سئل موسى عليه السلام هو ان يرى الله جهرة وكنى عن الاعراض عن الايمان والاقبال على الكفر بالتبديل وصل خطأ الطريق والسواء من كل شيء الوسط والمعظم ومنه فى سواء الحميم وقال حسان بن ثابت فى رثاء النبي صلى الله عليه وسلم

يا وريح انصار النبي ورهطه * بعد المغيب فى سواء المالحد

والسبيل عبارة عن الشريعة التى انزلها الله تعالى لعباده * وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا الآية قال ابن عباس المراد ابنا اخطب حبي وابو ياسر اى واتباعهما واختلف فى سبب هذه الآية فقيل ان حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر اتيا بيت المدراس فاراد اليهود صرفهما عن دينهما فثبتا عليه ونزلت الآية وقيل ان هذه الآية تابعة فى المعنى لما تقدم من نهى الله عز وجل عن متابعة اقوال اليهود فى راعنا وغيره وانهم لا يودون ان ينزل على المومنين خير ويودون ان يردوهم كفارا من بعد ما تبين لهم الحق وهونبوءة محمد صلى الله عليه وسلم * ت * وقد جاءت احاديث صحيحة فى النهي عن الحسد فمنها حديث مالك فى الموطأ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث واسند ابو عمر بن عبد البر عن الزبير قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء حالقنا الدين لا حالقنا الشعر انتهى من التمهيد والعفو ترك العقوبة والصفح لاعراض عن المذنب كانه يولى صفحة العنق قال ابن عباس هذه الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا المشركين وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ لان هذا فى نفس الامر كان التوقيف على مدته * ت * وينبغى للمؤمن ان يتأدب بآداب هذه الآية وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ادلكم على ما يرفع الله به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك خرجته النسائي انتهى من الكوكب الدرى لابی العباس اجد بن سعد التميمي * وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير مقتضاه فى هذا الموضع وعد للمؤمنين وقوله تعالى واقموا الصلاة الآية قال الطبرى انما امر الله المؤمنين هنا بالصلاة والزكاة ليحط ما تقدم من ميلهم الى قول اليهود راعنا لان ذلك نهى عن نوعه وقوله تجدوه اي تجدوا ثوابه وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده قال جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لى لا احب الموت فقال هل لك مال قال نعم يا رسول الله قال فقدّم مالك بين يديك فان المرء مع ماله ان قدمه احب ان يالحقه وان خلفه احب التخلف انتهى * وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر فى اللفظ معناه الوعد والوعيد وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى معناه قال اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقال النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق نوعيهم على تفريق قولهم وهذا هو الايجاز واللف وهودا جمع هائد ومعناه التائب الراجع وكذبهم الله

تعالى وجعل قولهم امنية وامر نبيه عليه السلام بدعائهم الى اظهار البرهان وهو الدليل الذى يوقع اليقين وقولهم لن نفي حسنت بعده بلى اذ هي رد بالايجاب فى جواب النفي حرف مرتجل لذلك واسلم معناه استسلم وخضع ودان وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف الاعضاء وفيه يظهر اثر العز والذل وهو محسن جلته فى موضع الحال وقوله تعالى وقالت اليهود الآية معناه انه ادعى كل فريق انه احق برجة الله من الآخر وسبب الآية ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينه عند النبي صلى الله عليه وسلم فتسابوا وكفر اليهود بيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة * ع * وفى هذا من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقدير التوراة والتوراة تتضمن التبشير بيسى وكلاهما يتضمن صدق النبي صلى الله عليه وسلم فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفى كتبهم خلاف ما قالوا وفى قوله تعالى وهم يتلون الكتاب تنبيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة القرآن والوقوف عند حدوده والكتاب الذى يتلونه قيل هو التوراة والانجيل فالالف واللام للجنس وقيل التوراة لان النصارى تمتثلها * وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون يعنى كفار العرب لانهم لا كتاب لهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة الآية اي فيثيب من كان على شيء ويعاقب من كان على غير شيء ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية اي لا احد اظلم من هؤلاء قال ابن عباس وغيره المراد النصارى الذين كانوا يؤذون من يصلى ببيت المقدس وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وهذه الآية تتناول كل من منع من مسجد الى يوم القيامة * وقوله سبحانه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين الآية فمن جعل الآية فى النصارى

روى انه مر زمن بعد ذلك لا يدخل نصرانى بيت المقدس الا اوجع
ضربا قاله قتادة والسدى ومن جعلها فى قریش قال كذلك نودى بامر
النبي صلى الله عليه وسلم الا يحج مشرك والا يطوف بالبيت عريان
واينما شرط وتولوا جزم به وثم جوابه ووجه الله معناه البذى وجهنا اليه كما
تقول سافرت فى وجه كذا اى فى جهة كذا ويتجه فى بعض المواضع من القران
كهذه الآية ان يراد بالوجه الجهة التى فيها رضاء وعليها ثوابه كما تقول
تصدقت لوجه الله ويتجه فى هذه الآية خاصة ان يراد بالوجه الجهة التى وجهنا
اليها فى القبلة واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عمر نزلت هذه
الآية فى صلاة النافلة فى السفر حيث توجهت بالانسان دابته وقال النخعى
الآية عامة اينما تولوا فى متصرفاتكم ومسايعكم فثم وجه الله اى موضع رضاء وثوابه
وجهة رحمته التى يوصل اليها بالطاعة وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة نزلت
فيمن اجتهد فى القبلة فاطأ وورد فى ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فتحرى قوم القبلة وأعلموا
علامات فلما اصبحوا رأوا انهم قد اخطأوها فعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فنزلت هذه الآية وقيل نزلت الآية حين صد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن البيت وواسع معناه متسع الرحمة عليم اين يضعها وقيل واسع معناه هنا
انه يوسع على عباده فى الحكم دينه يسر عليم بالنيات التى هي ملاك العمل *
وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه الآية اختلف على من يعود ضمير قالوا
ف قيل على النصارى وهو الاشبه وقيل على اليهود لانهم قالوا عزيز بن الله وقيل على
كفرة العرب لانهم قالوا الملائكة بنات الله * ت * وقال ابو عبد الله اللخمي
ويحتمل ان يعنى بالآية كل من تقدم ذكره من الكفرة وقد تقدم ذكر اليهود

والنصارى والذين لا يعلمون وهم المشركون. وكلهم قد ادعى لله ولدا تعالى الله عن قولهم انتهى من مختصر الطبرى وسبحانه مصدر معناه تنزيها له وتبرئة مما قالوا والقنوت فى اللغة الطاعة والقنوت طول القيام بمعنى الآية ان المخلوقات تقنت لله اى تخشع وتطيع والكفار قنوتهم فى ظهور الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد ظله وهو كارة وبديع مصروف من مبدع والمبدع المخترع المنشئ وخص السماوات والارض بالذكر لانها اعظم ما نرى من مخلوقاته جل وعلا وقضى معناه قدر وقد يجيى بمعنى امضى ويتجه فى هذه الآية المعنيان والامر واحد الامر وليس هو هنا بمصدر امر يامر وتلخيص المعتقد فى هذه الآية ان الله عز وجل لم يزل امرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تأخر المقدورات عالما مع تأخر وقوع المعلومات فكل ما فى الآية مما يقتضى لاستقبال فهو بحسب المامورات اذ المحدثات تجيى بعد ان لم تكن وكل ما يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم وامر فهو قديم لم يزل والمعنى الذى تقتضيه عبارة كن هو قديم قائم بالذات والوضوح التام فى هذه المسألة يحتاج اكثر من هذا البسط * ت * وقد قدمنا ما يزيد هذا المعنى وضوحا عند قوله تعالى واذا قلنا لللائكة اسجدوا لادم فانظرو * وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله الآية قال الربيع والسدى هم كفار العرب وقد طلب عبد الله بن امية وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وقال مجاهد هم النصارى وقال ابن عباس المراد من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود لان رافع بن خريملة قال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمعنا كلام الله وقيل للاشارة الى جميع هذه الطوائف لانهم كلهم قالوا هذه المقالة ولولا تخصيص بمعنى هلا والآية هنا العلامة الدالة والذين من قبلهم هم اليهود والنصارى فى قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب وهم

اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى وهم الامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون العرب والنصارى واليهود وتشابه القلوب هنا في طلب ما لا يصح اوفى الكفر * وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون قرينة تقتضى ان اليقين صفة لعلمهم وقرينة اخرى ان الكلام مدح لهم * وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا اي لمن آمن ونذيرا لمن كفروا نافع وحده ولا تسأل اي لا تسأل عن شدة عذابهم كما تقول فلان لا تسأل عنه تعنى انه في نهاية تشهده من خيرا وشر * ت * و زاد في مختصر الطبرى قال وتحتمل هذه القراءة معنى اخر وهو والله اعلم اظهر اي ولا تسأل عنهم سؤال مكثرت بما اصابهم او بما هم عليه من الكفر الذى يوردهم الحجيم نظير قوله عز وجل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات واما ما روي عن محمد بن كعب القرظى ومن وافقه من ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل ما فعل ابواي فنزلت الآية في ذلك فهو بعيد ولا يتصل ايضا بمعنى ما قبله انتهى وقرأ باقى السبعة ولا تسأل بضم التاء واللام والحجيم احدى طبقات النار وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله هو الهدى الحقيقى لا ما يدعيه هؤلاء ثم قال تعالى لنبيه ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالكت من الله من ولي ولا نصير فهذا شرط خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامته معه داخلته فيه * ت * والادب ان يقال خوطب به صلى الله عليه وسلم والمراد امته لوجود عصمته صلى الله عليه وسلم وكذلك الجواب في سائر ما اشبه هذا المعنى من الآي وقد نبه رحمه الله على هذا المعنى في نظيرتها كما سيأتى وكان الاولى ان ينبه على ذلك هنا ايضا وقد اجاب عياض عن الآي الواردة في القرآن مما يوهم طاهرة اشكالا فقال رحمه الله اعلم وفقنا الله

واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امره
ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم
على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين
وان ابلاغه ان لم يكن بهذا البيان فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه
بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون عليهما السلام لا
تخافا لتشتد يصاتركم في الابلاغ واطهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف لليقين واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا
لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن
يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في
الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله ان يشاء الله يختم
على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال
من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا
تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله يَنْهَاهُ عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من
الظالمين انتهى من الشفا * ص * ولئن هذه اللام هي الموطئة والمؤدنة
وهي مشعرة بقسم مقدر قبلها انتهى * وقوله تعالى الذين ءاتيناهم الكتاب
يتلونه الآية قال قتادة المراد بالذين في هذا الموضع من اسلم من امته النبي
صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا التأويل القرمان وقال ابن زيد المراد من
اسلم من بنى اسرائيل والكتاب على هذا التأويل التوراة وءاتيناهم معناه اعطيناهم
ويتلونه معناه يتبعونه حق اتباعه بامثال الامر والنهي قال احمد بن نصر الداودي
وهذا قول ابن عباس قال عكرمة يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه ومنه والقمر اذا

تلاها اي تبعها انتهى والله در من اتبع كلام ربه واقتفى سنة نبيه وان قل علمه قال
القضاعي في اختصاره للمدارك قال في ترجمة سحنون كان سحنون يقول مثل العلم
القليل في الرجل الصالح مثل العين العذبة في الارض العذبة يزرع عليها صاحبها
ما ينتفع به ومثل العلم الكثير في الرجل الطالح مثل العين الخمرية في السبخة تهر
الليل والنهار ولا ينتفع بها انتهى وقيل يتلونه يقرؤونه حق قراءته وهذا ايضا يتضمن
الاتباع والامثال وحق مصدر وهو بمعنى افعل والضمير في به عائد على الكتاب
وقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم لان متبعي التوراة يجدونه فيها فيؤمنون
به والضمير في يكفر به يحتمل من العود ما ذكر في الاول * وقوله تعالى يا بنى
اسرائيل الآية تقدم بيان نظيرها ومعنى لا تنفعها شفاعته انه ليست ثم وليس
المعنى انه يشفع فيهم احد فيرد واما الشفاعته التي هي في تعجيل الحساب
فليست بنافعة لهؤلاء الكفرة * ت * ولم ينبه رحمه الله على هذا في التي
تقدمت اول السورة وابتلى معناه اختبر وفي مختصر الطبرى ابتلى اي اختبر
والاختبار من الله عز وجل لعباده على علم منه سبحانه بباطن امرهم وظاهرة وانما
يبتليهم ليظهر منهم سابق علمه فيهم وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه في
قوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فقال
رضي الله عنه ان الله عز وجل لم يزل عالها بأخبارهم وخبرهم وماهم عليه وان قوله
ولنبلونكم حتى نعلم اي حتى نسوقكم الى سابق علمي فيكم انتهى وهو كلام
حسن وقد نبه * ع * على هذا المعنى فيما ياتي والعقيدة ان علمه سبحانه
قديم علم كل شيء قبل كونه فجري على قدره لا يكون من عبادة قول ولا عمل
الا وقد قضاه وسبق عليه به سبحانه لا اله الا هو وابراهيم يقال ان تفسيره بالعربية
اب رحيم واختلف اهل التأويل في الكلمات فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما

هي الاسلام كله لم يتمه احد كاملا الا ابراهيم عليه السلام عشرة منها في براءة
التائبون العابدون الآيتة وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الآيتة وعشرة
في سال سائل * ت * وقيل غير هذا وفي البخارى انه اختتن وهو ابن
ثمانين سنة بالقدم قال الراوى فوحي الله اليه انى جاعلك للناس اماما والامام
القدوة وانها سميت هذه الخصال كلمات لانها اقترنت بها اوامر هي كلمات
وروي ان ابراهيم لما اتم هذه الكلمات او اتمها الله عليه كتب الله له البراة من
النار فذلك قوله تعالى وابراهيم الذى وفى * وقول ابراهيم عليه السلام ومن
ذريتى هو على جهة الرغبة الى الله اى ومن ذريتى يا رب فاجعل * وقوله
تعالى قال لا ينال عهدي الظالمين اى قال الله والعهد فيما قال مجاهد لامامة
وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اى الكعبة مثابة يحتمل من ثاب اذا رجع ويحتمل
ان تكون من الثواب اى يثابون هناك وامنا للناس والطير والوحوش اذ جعل
الله لها حرمة فى النفوس بحيث يلتقى الرجل بها قاتل ابيه فلا يهيجه وقرأ
جمهور الناس واتخذوا بكسر الخاء على جهة الامر لامامة محمد صلى الله عليه وسلم
وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على جهة الخبر عن من اتخذته من متبعي
ابراهيم عليه السلام ومقام ابراهيم فى قول ابن عباس وقتادة وغيرهما وخرجه البخارى
هو الحجر الذى ارتفع عليه ابراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التى كان
اسماعيل يناوله اياها فى بناء البيت وغرقت قدماء فيه ومُصَلَّى موضع صلاة
* ص * من مقام من تبعية على الاظهر او بمعنى فى او زائدة على مذهب
الاخفش والمقام مفعول من القيام والمراد به هنا المكان انتهى يعنى المكان الذى فيه
الحجر المسمى بالمقام * وقوله تعالى وعهدنا العهد فى اللغة على اقسام هذا منها
الوصية بمعنى الامر وطهراً قيل معناه ابناءه واساسه على طهارة ونية طهارة وقال

مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة لاوثان وللطائفين ظاهرة اهل الطواف وَقَالَهُ عطاء
وغیره وقال ابن جبیر معناه للغرباء الطارئین علی مکة والعاکفین قال ابن جبیر
هم اهل البلد المقيمون وقال عطاء هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس البصلون
وقال غیره المعتكفون والعكوف فی اللغة الملازمة * وقوله تعالى واذا قال ابراهيم
رب اجعل هذا بَلَدًا آمِنًا اي من الجبابرة والعدو المستاصل وروي ان الله
تعالى لها دعاه ابراهيم امر جبريل فاقتلع فلسطين وقيل بقعة من الارض فطاف
بها حول البيت سبعا وانزلها بوج فسميت الطائف بسبب
الطواف * وقوله تعالى قال ومن كفر فامتنع قليلا آية قال ابي بن كعب
وابن اسحاق وغيرهما هذا القول من الله عز وجل لابراهيم وقال ابن عباس
وغیره هذا القول من ابراهيم قال * ع * فكان ابراهيم دعا للمومنين وعلى
الكافرين وفي مختصر الطبري وقرا بعضهم فامتنع بالجزم والقطع على الدعاء وراه
دعاء من ابراهيم وروي ذلك عن ابي العالية كان ابن عباس يقول ذلك
قول ابراهيم سأل ربه ان من كفر به فامتنع قليلا يقول فارقه قليلا ثم اضطره الى
عذاب النار اي الجنة انتهى وعلى هذه القراءة يجيء قول ابن عباس لا على
قراءة الجمهور وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل * وقوله تعالى واذا
يرفع ابراهيم القواعد من البيت آية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس
* ص * القواعد قال الكسائي والفراء هي الجدر وقال ابو عبيدة هي الاساس
انتهى واختلفوا في قصص البيت ف قيل ان ادم امر ببنايته ثم نذر ودرس حتى
دل عليه ابراهيم فرفع قواعده وقيل ان ابراهيم ابتداء بناء بامر الله وقيل غير هذا
* ع * والذي يصح من هذا كله ان الله سبحانه امر ابراهيم برفع قواعد
البيت وَجَائِزٌ قَدَمُهُ وَجَائِزٌ ان يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك الا

بسند يقطع العذر واسماعيل عطف على ابراهيم والتقدير يقولان ربنا تقبل منا
انك انت السميع العليم اي السميع لدعائنا العليم بنياتنا وخصا هاتين
الصفتين لتناسبهما مع حالهما وقولهما اجعلنا بمعنى صيرنا مسلمين وكذلك كانا
وانما ارادا التشبيث والدوام والاسلام في هذا الموضع الايمان والاعمال جميعا
ومن في قوله ومن ذريتنا للتبعض لان الله تعالى قد كان اعلمه ان منهم طاليس
والامة الجماعة وارنا قالت طائفة من رؤية البصر وقالت طائفة من رؤية القلب
وهذا لا يصح قال قتادة المناسك معالم الحج واختلف في معنى طلبهم التوبة وهم
انبياء معصومون فقالت طائفة طلبا التشبيث والدوام وقيل ارادا من بعدهما
من الذرية وقيل وهو الاحسن انهما لما عرفا المناسك وبنيا البيت ارادا ان
يسنا للناس ان تلك المواطن مكان التنصّل من الذنوب وطلب التوبة وقال
الطبري انه ليس احد من خلق الله الا بينه وبين الله معان يحب ان تكون
احسن مما هي واجمعت الامة على عصمة الانبياء في معنى التبليغ ومن الكبائر
ومن الصفات التي فيها رذيلة واختلف في غير ذلك من الصفات والذى اقول
به انهم معصومون من الجميع وان قول النبي صلى الله عليه وسلم انى لا توب
في اليوم واستغفر الله سبعين مرة انما هو رجوعه من حالة الى ارفع منها
لِتَرْيِدَ علومه واطلاعه على امر ربه فهو يتوب من منزلة الى اعلى والتوبة هنا
لغوية وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية هذا هو الذى اراد النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ومعنى منهم اي
يعرفوه ويتحققوا فضله ويشفق عليهم ويحرص * ت * وقد تواترت
اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته في الكتب السالفة وعلم بذلك
الاخبار واخبروا به وبتعيين الزمن الذى يبعث فيه وقد روى البيهقي

اجد بن الحسين وغيره من طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق
بصرى فاذا راهب في صومعة يقول سلوا أهل هذا الموسم افيهم من هو من هذا
الحرم قال قلت انا فما تشاء قال هل ظهر اجد بعد قلت ومن اجد قال اجد بن
عبد الله بن عبد المطلب هذا شهرة الذى يخرج فيه وهو خاتم الانبياء مخرجه من
الحرم ومهاجرة الى نخل وسباخ اذا كان فلا تُسَبَّقَنَّ اليه فوضع في قلبى ما قال
واسرعت اللحاق بمكة فسألت هل ظهر بعدى امر فقالوا محمد الامي قد تنبأ
وتبعه ابو بكر بن ابى قحافة فمشيت الى ابى بكر وادخلنى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت وقد روى العذرى وغيره عن ابى
بكر رضي الله عنه انه قال لقيت شيخا باليمن فقال لى انت حرمي فقلت
نعم فقال واحسبك قرشيا قلت نعم قال بقيت لى فيك واحدة اكشف
لى عن بطنك قلت لا افعل او تخبرنى لم ذلك قال اجد فى العلم الصحيح
ان نبيا يبعث فى الحرمين يقارنه على امره فتى وكهل اما الفتى فخواص
غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه
اليسرى علامة وما عليك ان ترينى ما سألتك عنه فقد تكاملت فيك الصفة
الا ماخفي علي قال ابو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى
فقال انت هو ورب الكعبة انى متقدم اليك فى امر قلت ما هو قال اياك
والميل عن الهدى وعليك بالتمسك بالطريقة الوسطى وخف الله فيما حولك
واعطى قال ابو بكر فلما ودعته قال اتحمل عنى الى ذلك النبى ابياتا قلت نعم
فانشأ الشيخ يقول

الم تر انى قد سئمت معاشرى * ونفسى وقد اصبحت فى الحى عاهنا
حييت وفى الايام للمر عبرة * ثلاث مشين بعد تسعين ءامنا

وقد خدمت منى شرارة قوتسى * والفت شيخا لا اطيع الشواحن
وانت ورب البيت تاتى محمدا * لعامك هذا قد اقام البراهنا
فحي رسول الله عنى فاننسى * على دينه احيا وان كنت قاطنا
قال ابوبكر فحفظت شعره وقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم
فجاءنى صناديد قريش وقالوا يا ابا بكر يتيم ابى طالب يزعم انه نبىء قال
فجئت الى منزل النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه فخرج الى فقلت يا
محمد فقدت من منازل قومك وتركك دين اباائك فقال يا ابا بكر انى رسول
الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك قال الشيخ الراهب
الذى لقيته باليمن قلت وكم من شيخ لقيت قال ليس ذلك اريد انما اريد
الشيخ الذى افادك الآيات قلت ومن اخبرك بها قال الروح لامين الذى
كان ياتى الانبياء قبلى قلت مد يمينك اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله قال ابو بكر فانصرفت وما بين لبنيتها اشد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرحا باسلامى انتهى من تأليف ابن القطان فى الآيات والمعجزات ويتلوا عليهم
آياتك اى آيات القرآن والكتاب القرآن قال قتادة والحكمة السنة وروى
ابن وهب عن مالك ان الحكمة الفقه فى الدين والفهم الذى هو سجية
ونور من الله تعالى * ت * ونقل عياض فى مداركه عن مالك ان الحكمة
نور يقذفه الله فى قلب العبد وقال ايضا يقع فى قلبى ان الحكمة الفقه فى
دين الله وامر يدخله الله القلوب من رحمة وفضله وقال ايضا الحكمة التفكير
فى امر الله والاتباع له والفقه فى الدين والعمل به انتهى وقد اشار * ع *
الى هذا عند قوله تعالى يسوت الحكمة من يشاء * ت * والظاهر ان المراد
بالحكمة هنا ما قاله قتادة فتأمله ويزكيهم معناه يطهرهم وينميهم بالخير والعزیز

الذى يغلب ويتم مراده والحكيم المصيب مواقع الفعل المحكم لها * وقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الآيت من استفهام والمعنى ومن يزهد فيها ويربأ بنفسه عنها لا من سفه نفسه والملة الشريعة والطريقة وسفه من السفه الذى معناه الرقة والخفة واصطفى من الصفة معناه تخير لا صفى ومعنى هذا الاصطفاء انه نبأه واتخذة خليلا وانه فى الآخرة لمن الصالحين قيل المعنى انه فى عمل الآخرة لمن الصالحين فالكلام على حذف مضاف اذ قال له ربه اسلم كان هذا القول من الله تعالى حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والاسلام هنا على اتم وجهه والضمير فى بها عائد على كلمته التى هي اسلمت لرب العالمين وقيل على الملة والاول اصوب لانه اقرب مذكور ويعقوب قيل تطف على ابراهيم وقيل مقطوع منفرد بقوله يا بني والتقدير ويعقوب قال يا بني واصطفى هنا معناه تخير صفة الاديان وقوله فلا تموتن لا وانتم مسلمون الجاز بليغ وذلك ان المقصود من امرهم بالاسلام الدوام عليه فاتى بلفظ موجز يقتضى المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق انه يموت ولا يدري متى فاذا امر بامر لا ياتيه الموت لا وهو عليه فقد توجه من وقت الامر دأبا لازما * وقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت هذا الخطاب لليهود والنصارى الذين انتحلوا الانبياء صلوات الله عليهم ونسبهم الى اليهودية والنصرانية فرد الله عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية للاسلام وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ اشهدتم يعقوب بها اوصى فتدعون عن علم ام لم تشهدوا بل انتم تفترون وام للاستفهام فى صدر الكلام لغة يمانية وحكى الطبرى ان ام يستفهم بها فى وسط كلام قد تقدم صدره وهذا منه وشهداء جمع شاهد اي حاضر ومعنى الآية حضر يعقوب مقدمات الموت ومن بعدى اي من

بعد موتى ودخل اسماعيل فى الآباء لانه عم وقد اطلق النبي صلى الله عليه وسلم على العباس اسم الاب فقال هذا بقية اباى وقال ردوا علي ابنى الحديث وقال انا ابن الذبيحين على القول الشهير فى ان اسحاق هو الذبيح * ت * وفى تشهيره نظربل الراجح انه اسماعيل على ما هو معلوم فى موضعه وسيأتى ان شاء الله تعالى * وقوله تعالى تلك امة قد خلت الآية يعنى بالامة الانبياء المذكورين والمخاطب فى هذه الآية اليهود والنصارى وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا نظير قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والحنيف فى الدين الذى مال عن الاديان المكروهة الى الحق ويحيى الحنيف فى الدين بمعنى المستقيم على جميع طاعات الله * قوله تعالى قولوا ءامنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل الينا يعنى القران والاسباط هم ولد يعقوب وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشحرونىة بنته وامهم ليا ثم خلف على اختها راحيل فولدت له يوسف وبس. يامين وولد له من سربنتين دان وتفشالا وجاد واشروالسبط فى بنى اسرائيل بهنزلة القبيلة فى ولد اسماعيل فسموا لاسباط لانه كان من كل واحد منهم سبط ولا نفرق بين احد منهم اى لا نومن ببعض ونكفر ببعض كما يفعلون فان آمنوا بمثل ما ءامنتم به ائى فان صدقوا تصديقا مثل تصديقكم فقد اهتدوا وان تولوا اى اعرضوا يعنى اليهود والنصارى فانها هم فى شقاق اى فى مشاقة ومخالفة لك هم فى شق وانت فى شق وقيل شاق معنى شق كل واحد وصل ما بينه وبين صاحبه ثم وعده تعالى انه سيكفيه اياهم ويغلبه عليهم فكان ذلك فى قتل بنى قينقاع وبنى فريظة واجلاء النصير وهذا

الوعد وانجازة من اعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والسميع لقول كل قائل والعليم بما ينفذه في عبادة وصبغة الله شريعته ودينه وسنته وفطرته قال كثير من المفسرين وذلك ان النصارى لهم ماء يصبغون فيه اولادهم فهذا ينظر الى ذلك وقيل سمي الديس صبغة استعارة من حيث تظهر أعماله وسنته على المتدين كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره ونصب الصبغة على الاغراء * وقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله الآيت معنى الآية قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى اتحاجوننا في الله اي اتجادلوننا في دينه والقرب منه والخطوة لديه سبحانه والرب واحد وكل مجازى بعمله ثم وبخهم بقوله ونحن له مخلصون اي ولم تخلصوا انتم فكيف تدعون ما نحن اولى به منكم وقوله تعالى ام تقولون عطف على الف لاستفهام المتقدمة وهذه القراءة بالتاء من فوق قراءة ابن عامر وحزة وغيرها قرأ نافع وغيره بالياء من اسفل وام على هذه القراءة مقطوعة ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع في الحجّة لانهم ان قالوا ان الانبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية كذبوا لانه قد عُلِمَ ان هذين الدينين حدثا بعدهم وان قالوا لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلوا الى دينهم اذ تقررون بالحق * وقوله تعالى قل آنتم اعلم ام الله تقرير على فساد دعواهم اذ لا جواب لمفطور الا ان الله تعالى اعلم ومن اظلم ممن كنتم شهادة اي لا احد اظلم منه واياهم اراد تعالى بكتمان الشهادة قال مجاهد وغيره فالذى كنتموه هو ما في كتبهم من ان الانبياء على الحنيفية لا على ما ادعوه وقال قتادة وغيره هو ما عندهم من الامر بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والاول اشبه بسياق الآية ومن متعلّقٌ بعنده ويحتمل ان تتعلق بكتهم وما الله بغافل الآية فيه وعيد واعلام انه لا يترك امرهم سدى والغافل الذى لا يفتن للامور اهما لا منه ماخوذ من الارض الغفل وهي التى لا معلم بها

* وقوله تعالى تلك امة الآية كررها عن قرب لانها تضمنت معنى التهديد والتخويف ولترداد ذكرهم ايضا فى معنى غير الاول * قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس الآية اختلف فى تعيين هؤلاء السفهاء فقال ابن عباس هم الاحبار وذلك انهم جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها ونومن بك يريدون فتنته وقيل اليهود والمنافقون وقالت فرقة هم كفار قريش ولاهم معناه صرفهم ويهدى من يشاء اشارة الى هداية الله تعالى هذه الامة الى قبلته ابراهيم وكذلك جعلناكم ابي كما هديناكم الى قبلته ابراهيم وشربعتهم جعلناكم امة وسطا اي عدولا روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظاهرت به عبارات المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشيء وواسطة القلادة انفس حجر فيها ومنه قوله تعالى قال اوسطهم وشهداء جمع شاهد والمراد بالناس هنا فى قول جماعة جميع الجنس وان امة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم القيامة للانبياء على امهم بالتبليغ وروي فى هذا المعنى حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ان امته تشهد لكل نبي ناكرة قومه * ت * وهذا الحديث خرجه البخارى وابن ماجه وابن المبارك فى رقائقه وغيرهم قائلا صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وكون الرسول شهيدا قيل معناه باعمالكم يوم القيامة وقيل عليكم بمعنى لكم اي يشهد لكم بالايمان وقوله تعالى وما جعلنا القبلة الآية قال قتادة وغيره القبلة هنا بيت المقدس اي الا فتنة لنعلم من يتبعك من العرب الذين لم يالفوا الا مسجد مكة او من اليهود على ما قاله الضحاک الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صليت الى بيت المقدس اتبعناك فامره الله بالصلاة اليه امتحانا لهم فلم يؤمنوا وقال ابن عباس القبلة فى الآيه

الكعبة وكنت عليها بمعنى انت عليها كقوله تعالى كنتم خیرامة بمعنى انتم وما جعلناها وصرفناك اليها الا فتنة وروي في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حول الى الكعبة اكثر في ذلك اليهود والمنافقون وارتاب بعض المؤمنين حتى نزلت الآية ومعنى لنعلم اي يعلم رسول والمؤمنون به والقاعدة نفي استقبال العلم بعد ان لم يكن وينقلب على عقبيه عبارة عن المرتد والرجوع على العقب اسوأ حالات الراجع * وقوله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الآية الضمير في كانت راجع الى القبلة الى بيت المقدس او الى التحويلة الى الكعبة حسبما تقدم من الخلاف في القبلة وكبيرة هنا معناه شاقة صعبة تكبر في الصدور ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا محمد ان كانت الاولى حقا فانت الآن على باطل وان كانت هذه حقا فكنت في الاولى على ضلال فوجمت نفوس بعض المؤمنين واشفقوا على من مات قبل التحويل من صلاتهم السالفة فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم قاله ابن عباس وغيره وسمى الصلاة ايمانا لما كانت صادرة عن الايمان ولان الايمان هو القطب الذي عليه تدور الاعمال فذكره اذ هو الاصل وليلا يندرج في اسم الصلاة صلاة المنافقين الى بيت المقدس فذكر المعنى الذي هو ملاك الامر وايضا سميت ايمانا اذ هي من شعب الايمان * ت * وفي العتبينة من سماع ابن القاسم قال مالك قال الله تبارك وتعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم قال هي صلاة المؤمنين الى بيت المقدس قال ابن رشد وعلى هذا القول اكثر اهل التفسير وقد قيل ان المعنى في ذلك وما كان الله ليضيع ايمانكم بفرض الصلاة عليكم الى بيت المقدس انتهى من البيان والرافة اعلى منازل الرحمة * وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية المقصد تقلب البصر وايضا

فالوجه يتقلب بتقلب البصر قال قتادة وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتقلب وجهه في الدعاء الى الله تعالى ان يحولہ الى قبلۃ مكة ومعنى التقلب نحو
السماء ان السماء جهة قد تعود العالم منها الرحۃ كالطروا لانوار والوحي فهم
يجعلون رغبته حيث توالى النعم قال * ص * فلنولينك يدل على
تقدير حال اي قد نرى تقلب وجهك في السماء طالبا قبلۃ غير التي انت
مستقبلها فلنولينك انتهى وترضاها معناه تحبها وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجه ثلاثة رويت احدها لقول
اليهود ما علم محمد دينه حتى اتبعنا قاله مجاهد الثاني ليصيب قبلۃ ابراهيم عليه
السلام قاله ابن عباس الثالث ليستالف العرب لمحبتها في الكعبة قاله الربيع
والسدى * ع * واليزاب هو قبلۃ المدينة والشام وهنالك قبلۃ اهل
الاندلس بتاريب ولا خلاف ان الكعبة قبلۃ من كل افق * وقوله تعالى فول
وجهك الآية امر بالتحول ونسخ لقبلۃ الشام وشطر نصب على الطرف ومعناه
نحو وتلقا وحيث ما كنتم فولوا امر للامة ناسخ وان الذين اوتوا الكتاب الآية المعنى
ان اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة هي قبلۃ ابراهيم امام الامم وان استقبالها
هو الحق الواجب على الجميع اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه
في كتبهم وتضمنت الآية الوعيد * وقوله جلت قدرته ولئن اتيت الآية اعلم
الله تعالى نبيه عليه السلام حين قالت له اليهود راجع بيت المقدس ونومن
بك ان ذلك مخادعة منهم وانهم لا يتبعون له قبلۃ يعنى جلتهم لان البعض
قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وانهم لا يؤمنون بدينه اي فلا تصغ اليهم والآية
هنا العلامة * وقوله جلت عظمتہ وما انت بتابع قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر
اي فلا تركز الى شيء من ذلك وما بعضهم الآية قال ابن زيد وغيره المعنى

ليست اليهود متبعة قبلته النصارى ولا النصارى متبعة قبلته اليهود فهذا اعلام باختلافهم وتدابيرهم وضلالهم وقبلته النصارى مشرق الشمس وقبلته اليهود بيت المقدس * وقوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وما ورد من هذا النوع الذى يؤهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلمها متوقعا فهو محمول على ارادة امته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعا ان ذلك لا يكون منه وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال الفخر ودلت هذه الآية على ان توجه الوعيد على العلماء اشد من توجهه على غيرهم لان قوله من بعد ما جاءك من العلم يدل على ذلك انتهى وهو حسن * ص * ولئن اتيت لام لئن مؤذنة بقسم مقدر قبلها ولهذا كان الجواب له ما تبعوا ولو كان للشرط لدخلت الفاء وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ومن ثم جاء فعل الشرط ماضيا لانه اذا حذف جوابه وجب فعله لفظا انتهى * وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه الآية الضمير فى يعرفونه عائد على الحق فى القبلة والتحول الى الكعبة قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم اي يعرفون صدقه ونبوته * ت * بل وصفاته وان فريقا منهم ليكنتمون الحق الفريق الجماعة وخص لان منهم من اسلم ولم يكتفم ولاشارة بالحق الى ما تقدم على الخلائق فى ضمير يعرفونه وهم يعلمون ظاهر فى صحة الكفر عنادا وقوله تعالى الحق من ربك اي هو الحق فلا تكون من المترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وامتنى فى الشيء اذا شك فيه ومنه المرء لان هذا يشك فى قول هذا * وقوله تعالى ولكل وجهة الوجهة من المواجهة كالقبلة والمعنى ولكل صاحب ملة وجهة هو مواليها نفسه قاله ابن عباس وغيره

وقرأ ابن عامر هو مولاها اي الله موليتها اياهم ثم امر تعالى عباده باستباق الخيرات والبدار الى سبيل النجاة وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الخير فلينتهز فانه لا يدري متى يغلق عنه انتهى ثم وعظهم سبحانه بذكر الحشر موعظة تتضمن وعيدا وتحذيرا * ص * اينما ظرف مضمن معنى الشرط في موضع خبر كان انتهى * وقوله يات بكم الله جميعا يعنى به البعث من القبور * وقوله تعالى ومن حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون معناه حيث كنت وانى توجهت من مشارق الارض ومغاربها وكررت هذه الآية تأكيدا من الله سبحانه لان موقع التحويل كان صعبا في نفوسهم جدا فأكد الامر ليرى الناس التهمم به فيخف عليهم وتسكن نفوسهم اليه * وقوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الآية المعنى عرفتم وجه الصواب في قبلتكم والحجة لذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة والمراد بالناس العموم في اليهود والعرب وغيرهم الا الذين ظلموا منهم اي من المذكورين ممن تكلم في النازلة في قولهم ما ولاهم عن قبلتهم * وقوله تعالى فلا تخشعوا واخشوني الآية فيه تحقير لشانهم وامر باطراح امرهم ومراعاة امره سبحانه قال الفخر وهذه الآية تدل على ان الواجب على المرء في كل افعاله وتروكه ان ينصب بين عينيه خشية ربه تعالى وان يعلم انه ليس في ايدي الخلق شيء البتة وان لا يكون مشغول القلب بهم ولا ملتفت الخاطر اليهم انتهى قال * ص * الا الذين استثناء متصل قاله ابن عباس وغيره اي لئلا تكون حجة من اليهود المعاندين القائلين ما تركت قبلتنا وتوجه للكعبة لاحبا لبلده وقيل منقطع اي لكن الذين

ظلموا منهم فانهم يتعلقون عليكم بالشبه وزعم ابو عبيدة معمر بن المثنى ان
الا في الآية بمعنى الواو قال ومنه

وكل اخ مفارقة اخ — * لعمر ابيك لا الفرقدان

اي والذين ظلموا والفرقدان ورد بان لا بمعنى الواو لا يقوم عليه دليل انتهى *
وقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره امر باستقبال القبلة وهو شرط في الفرض الا في القتال
حالة الالتحام وفي النوافل الا في السفر الطويل للراكب والقدرة على اليقين في
مصادفتها تمنع من الاجتهاد وعلى الاجتهاد تمنع من التقليد * وقوله سبحانه
ولا تم نعمتي عليكم عطف على قوله ليلا وقيل هو في موضع رفع بالابتداء والخبر
مضمرة تقديره ولا تم نعمتي عليكم عرفتم قبلي ونحوه ولعلمكم تهتدون ترج في
حق البشر والكاف في قوله كما رد على قوله ولا تم اي اتماما كما وهذا احسن
الاقوال اي لا تم نعمتي عليكم في بيان سنة ابراهيم عليه السلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم اجابة لدعوته في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقيل الكاف من
كما رد على تهتدون اي اهتداء كما قال الفخر وهنا تأويل ثالث وهو ان الكاف
متعلقة بما بعدها اي كما ارسلنا فيكم رسولا واوليتكم هذه النعم فاذكروني اذكركم
واشكروا الى الآية انتهى * ت * وهذا التأويل نقله الداودي عن الفراء
انتهى وهذه الآية خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وَايَاتُنَا يَعْنِي الْقُرْآنَ
وَيُزَكِّيكُمْ اَي يَطْهَرُكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَيُنْمِيكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْكِتَابِ الْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ مَا يَنْتَقِي
عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سُنَّةٍ وَفَقْهٍ وَدِينٍ وَمَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ قَصَصَ مِنْ
سَلَفٍ وَقَصَصَ مَا يَأْتِي مِنَ الْغُيُوبِ * قوله تعالى فاذكروني اذكركم الآية
قال سعيد بن جبير معنى الآية اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب * ت *
وفي تفسير احمد بن نصر الداودي وعن ابن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم

بمغفرتي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن انتهى وروي ابن المبارك في رقائقه بسنده عن انس بن مالك قال ما من بقعة يذكر الله عليها ب صلاة او بذكر لا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي لا تزخرفت له الارض قال ابن المبارك واخبرنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال الذاكر في الغافلين كالقاتل خلف الفارين انتهى وقال الربيع والسدي المعنى اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوه وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم الحديث انتهى واشكروني اي نعمي واياي ولا تكفرون اي نعمي واياي * وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله الا وقد ادى شكرها فان قالها الثانية جدد الله لها ثوابها فان قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح انتهى من السلاح * وقوله تعالى ان الله مع الصابرين اي بمعونته وانجاده * وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات الآية سببها ان الناس قالوا فيمن قتل ببدر واحد من المؤمنين مات فلان مات فلان فكرة الله سبحانه ان تحط منزلة الشهداء الى منزلة غيرهم فنزلت هذه الآية وايضا فان المؤمنين صعب عليهم فراق اخوانهم وقرباتهم فنزلت الآية مسلية لهم تعظم منزلة الشهداء وتخبر عن حقيقة حالهم فصاروا مغبوطين لا محزونين لهم ويظهر ذلك من حديث

ام حارثة في السير * ت * وخرجه البخارى في صحيحه عن انس
قال اصيب حارثة يوم بدر اصابه غرب سهم وهو غلام فجات امه الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى فان يك
في الجنة اصبر واحتسب وان تكن الاخرى ترى ما اصنع فقال ويحك او هبلت
او جنة واحدة هي انها جنان كثيرة وانه في الفردوس الاعلى الحديث انتهى
* ع * والفرق بين الشهيد وغيره انما هو الرزق وذلك ان الله تعالى
فضلهم بدوام حالهم التي كانت في الدنيا فرزقهم * ت * وللشهيد
احوال شريفة منها ما خرجه الترمذى وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في اول دفعة ويرى مقعده من
الجنة ويجار من عذاب القبر ويامن من الفرع الاكبر ويوضع على راسه تاج
الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من
الحور العين ويشفع في سبعين من اقربائه قال الترمذى هذا حديث حسن
غريب زاد ابن ماجه ويحلى حلة الايمان قال القرطبي في تذكرته هكذا
وقع في نسخ الترمذى وابن ماجه ست خصال وهي في متن الحديث سبع
وعلى ما في ابن ماجه ويحلى حلة الايمان تكون ثانيا وكذا ذكره ابوبكر احمد بن
سليمان النجاد بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ثمان
خصال انتهى وخرج الترمذى والنسائى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
الشهيد لا يجد الم القتل الا كما يجد احذكم الم القرصة انتهى * ع *
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر
تعلق من ثمر الجنة وروي انهم في قبة خضراء وروي انهم في قناديل من
ذهب الى كثير من هذا ولا محالة انها احوال لطوائف او للجميع في اوقات

متغيرة * ت * وكذا ذكر شبيب بن ابراهيم في كتاب الافصاح ان المنعمين على جهات مختلفة بحسب مقاماتهم وتفاوتهم في اعمالهم قال صاحب التذكرة وهذا قول حسن وبه يجمع بين الاخبار حتى لا تتدافع انتهى قال * ع * وجهور العلماء على انهم في الجنة ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم لام حارثة انه في الفردوس الاعلى وقال مجاهد هم خارج الجنة ويلقون من شجرها وفي مختصر الطبري قال ونهى عز وجل ان يقال لمن يقتل في سبيل الله اموات واعلم سبحانه انهم احياء ولكن لا شعور لنا بذلك اذ لا نشاهد باطن امرهم وخصوصا من بين سائر المؤمنين بانهم في البرزخ يرزقون من مطاعم الجنة ما يرزق المؤمنون من اهل الجنة على انه قد ورد في الحديث انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ومعنى يعلق ياكل ومنه قولهم ما ذقت علاقا اي ما كلا فقد عم المؤمن بانهم يرزقون في البرزخ من رزق الجنة ولكن لا يمتنع ان يخص الشهداء من ذلك بقدر لا يناله غيرهم والله اعلم انتهى وروى النسائي ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على راسه فتنة انتهى * ت * وحديث انما نسمة المؤمن طائر خرج ماله رجه الله قال الداودي وحديث مالك هذا اصح ما جاء في الارواح والذي روي انها تجعل في حواصل طير لا يصح في النقل انتهى قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد والاشبه قول من قال كطير او كصور طير لموافقته لحديث الموطأ هذا واسند ابو عمر هذه الاحاديث ولم يذكر مطعنا في اسنادها انتهى ثم اعلمهم تعالى ان الدنيا دار بلاء ومحنة ثم وعد على الصبر فقال ولنبلونكم اي نمتحنكم بشيء من الخوف اي من الاعداء في الحروب ونقص من الاموال اي بالجوائح والمصائب والانفس

بالموت والقتل والثمرات بالعاهات والمراد بشيء من هذا وشيء من هذا واكتفى
بالاول ايجازاً ثم وصف سبحانه الصابرين الذين بشرهم بقوله الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون فجعل سبحانه هذه الكلمات ملجأ لذوى
المصائب لما جعت من المعانى المباركة من توحيد الله سبحانه والاقرار له بالعبودية
والبعث من القبور واليقين بان رجوع الامر كله اليه كما هو له قال الفخر قال ابو بكر
الوراق انا لله اقرار منا له بالملك وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلاك واعلم
ان قوله انا لله يدل على كونه راضياً بكل ما نزل به ووردت اخبار كثيرة في هذا
الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتها
واحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه انتهى وروي ان مصباح رسول الله صلى
الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة فقال انا لله وانا اليه راجعون ف قيل امصيبة هي
يا رسول الله قال نعم كل ماء اذى المومن فهو مصيبة قال النووى وروينا في كتاب
ابن السني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسترجع احدكم
في كل شيء حتى في شمع نعله فانها من المصائب انتهى من الحلية * وقوله
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم الآية نعم من الله تعالى على الصابرين
المسترجعين وصلوات الله على عبده عفو ورحته وبركته وتشريفه اياه في الدنيا
والآخرة وكرر الرحمة وهي من اعظم اجزاء الصلاة لما اختلف اللفظ تأكيداً منه
تعالى وشهد لهم بالاهتداء * ت * وفي صحيح البخارى وقال عمر نعم
العدنان ونعم العلوة الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الى
المهتدون قال النووى في الحلية وروينا في سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن
عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن يعزى اخاه
بمصيبة الا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة وروينا في كتاب الترمذى

والسنن الكبير للبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره اسناده ضعيف وروينا في كتاب الترمذى ايضا عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة قال الترمذى ليس اسناده بالقوي انتهى * قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة العظيمة والمروة واحدة المروهي الحجارة الصغار التى فيها ليس ومن شعائر الله معناه معالمه ومواضع عبادته وقال مجاهد ذلك راجع الى القول اي مما اشعركم الله بفضل ماخوذ من شعرت اذا تحسست وج معناه قصد وتكرار واعتزاز وتكرار ماخوذ من عمرت الموضع والجناح الاثم والميل عن الحق والطاعة ومن اللفظة الجناح لانه فى شق ومنه وان جناحوا للسلم فاجنح لها ويطوف اصله يتطوف فتقوله ان الصفا والمروة الآيتـ خبر يقتضى الامر بما عهد من الطواف بهما وقوله فلا جناح ليس المقصود منه اباحة الطواف لمن شاء لان ذلك بعد الامر لا يستقيم وانما المقصود رفع ما وقع فى نفوس قوم من العرب من ان الطواف بينهما فيه حرج واعلامهم ان ما وقع فى نفوسهم غير صواب وفى الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان ذلك فى الانصار ومذهب مالك والشافعى ان السعي بينهما فرض لا يجزئ تاركه الا العودة قال ابن العربى فى احكامه والدليل على ركنيته ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب عليكم السعي فاسعوا صححه الدارقطنى ويعضده المعنى فانه شعار اي معلم لا يخلو عنه الحج والعمرة فكان ركنا بالطواف انتهى ومن تطوع اي زاد برا بعد الواجب فى جميع الاعمال وقال بعضهم معناه من تطوع بحج او عمرة بعد حجة الفريضة ومعنى شاكر اي يبذل الثواب والجزاء عليم بالنيات والاعمال لا يضيع معه لعامل عمل * وقوله سبحانه ان الذين يكتُمون

ما انزلنا الآية المراد بالذين احبار اليهود ورهبان النصارى الذين كنتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم وتتناول الآية بعد كل من كتّم علما من دين الله يحتاج الى بشه وذلك مفسّر في قول النبي صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجحيم يوم القيامة بلجام من النار قال ابن العربي وللآية تحقيق وهو ان العالم اذا قصد الكتمان عصى واذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا عرف ان معه غيره وقد كان ابو بكر وعمر لا يحدثان بكل ما سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة وكان الزبير اقلهم حديثا ثم قال ابن العربي فاما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية واما ان لم يسأل فلا يلزم التبليغ الا في القراء وحده وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضيلة التبليغ بانه قال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاذاها كما سمعها انتهى من احكام القراء * والبينات والهدى امر محمد صلى الله عليه وسلم ثم يعم بعد كل ما يكتّم من خير وفي الكتاب يراد به التوراة والانجيل ويدخل القراءان في عموم الآية واختلف في اللاعنين فقال قتادة والربيع الملائكة والمؤمنون وهذا ظاهر واضح وقيل الحشرات والبهائم وقيل جميع المخلوقات ما عدا الثقيلين الجن والانس وهذا القولان لا يقتضيهما اللفظ ولا يشترطان لا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله سبحانه التائبين * واصلحوا اي في اعمالهم واقوالهم * وبينوا اي امر محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية هذه الآية محكمة في الذين وافوا على كفرهم واختلف في معنى قوله والناس اجمعين والكفار لا يلغنون انفسهم فقال قتادة والربيع المراد بالناس المؤمنون خاصة وقال ابو العالية معنى ذلك في الآخرة * وقوله خالدين فيها اي في اللعنة وقيل في النار وعاد الضمير عليها وان لم يجز لها ذكر لثبوتها في المعنى * ولاهم ينظرون اي لا يؤخرون عن العذاب

ويحتمل ان يكون من النظر نحو قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولاول اظهر لان النظر بالعين انما يعدى بالى الا شاذا فى الشعر * وقوله تعالى والهكم اله واحد الآيتـ اعلام بالوحدانية قال عطاء لما نزلت هذه الآيتـ بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما ايتـ وعلامتـ ونحوه عن ابن المسيب فنزل عند ذلك قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآيتـ اى فى اختراعها وانشائها والنهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس يقضى بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم انما هو بياض النهار وسواد الليل وهذا هو مقتضى الفقه فى الأيمان ونحوها واما على ظاهر اللغة واخذة من السعة فهو من الاسفار وقال الزجاج فى كتاب الانواء اول النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل ان اول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا يعد ما قبل ذلك من النهار قال * ع * وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الحكم * والفلك السفن ومفردة وجعه بلفظ واحد * وما انزل الله من السماء من ماء يعنى به الامطار وبث معناه فرق وبسط ودابة تجمع الحيوان كله * وتصريف الرياح ارسالها عقيما وملقحة وصرا ونصرا وهلاكا وجنوبا وشمالا وغير ذلك والرياح جمع ريح وجاءت فى القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب الا فى يونس فى قوله سبحانه وجرين بهم بريح طيبة وهذا اغلب وقوعها فى الكلام وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت ريح يقول اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لان ريح العذاب شديدة ملتزمة لاجزاء كانها جسم واحد وريح الرحمة لينة تحيى من هاهنا وهاهنا متقطعة فلذلك يقال هي رياح وهو معنى نشر وافردت مع الفلك لان ريح اجراء السفن انما هي واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب وهي لفظة من ذوات الواو يقال ريح وارواح

ولا يقال ارياح وانما يقال رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن في هذه اللفظة عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير فاستعمل الارياح في شعره ولحن في ذلك وقال له ابو حاتم ان الارياح لا يجوز فقال اما تسمع قولهم رياح فقال ابو حاتم هذا خلاف ذلك فقال صدقت ورجع * والسحاب جمع سحابة سمي بذلك لانه ينسحب وتسخيره بعنه من مكان الى اخر فهذه آيات * وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الاية الدندنة والنظير والمقارم قال مجاهد وقتادة المراد بالانداد الاوثان كحب الله اي كحبكم لله او كحبهم حسبما قدر كل وجه منها فرقة ومعنى كحبهم اي يسوون بين محبة الله ومحبة الاوثان ثم اخبر ان المومنين اشد حبا لله لاخلاصهم وتيقنهم الحق * وقوله تعالى ولو ترى الذين ظلموا اي ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لا قروا ان القوة لله او علمت ان القوة لله جميعا فجواب لو مضى على التقديرين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والهراد اتمه وقرأ حزة وغيره بالياء اي ولو يرى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الآخرة اذ يرون العذاب لعلموا ان القوة لله * والذين اتبعوا بفتح التاء والباء هم العبداء لغير الله الصالحون المقلدون لرؤسائهم او للشياطين وتبريهم هو بان قالوا انا لم نضل هؤلاء بل كفروا بارادتهم * والسبب في اللغة الحبل الرابط الموصل فيقال في كل ما يتمسك به فيصل بين شيئين وقال الذين اتبعوا اي الاتباع * والكرة العودة الى حال قد كانت كذلك يريهم الله اعمالهم الآيات يحتمل ان يكون من رؤية البصر ويحتمل رؤية القلب اي يريهم الله اعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها وقال ابن مسعود اعمالهم الصالحة التي تركوها والحسرة اعلى درجات الندامة والهم بها فات وهي مشتقة من

الشيء الحسير الذى انتقطع وزهبت قوته وقيل من حسر اذا كشف * وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا الآية الخطاب عام وما بمعنى الذى وحلالا حال من الضمير العائد على ما وطيبا نعت ويصح ان يكون حالا من الضمير فى كلوا تقديره مستطيبين والطيب عند مالك الحلال فهو هنا تأكيد لاختلاف اللفظ وهو عند الشافعى المستلذ ولذلك يمنع اكل الحيوان القذر قال الفخر الحلال هو المباح الذى انحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذى هو نقيض العقد انتهى وخطوات جمع خطوة والمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه قال ابن عباس خطواته اعماله وقال غيره القارء * ع * وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصى فهي خطوات الشيطان * وعدو يقع للفرد والمثنى والجمع * انما يامركم بالسوء والفحشاء الآية انما هاهنا للحصر وامر الشيطان اما بقوله فى زمن الكهنة واما بوسوسته * والسوء مصدر من ساء يسوء وهي المعاصى وما تسوء عاقبته والفحشاء قيل الزنا وقيل ما تفاحش ذكره واصل الفحش قبح المنظر ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح والشرع هو الذى يحسن ويتقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء * وما لا تعلمون قال الطبري يريد ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه سرا * واذا قيل لهم يعنى كفار العرب وقال ابن عباس نزلت فى اليهود والالف فى قوله سبحانه او لو كان للاستفهام لان غاية الفساد فى الالتزام ان يقولوا نسمع اباؤنا ولو كانوا لا يعتقدون فقررروا على التزامهم هذا اذ هذه حال اباؤهم وقوة الفاظ هذه الآية تعطى ابطال التقليد واجمعت الامة على ابطاله فى العقائد * ومثل الذين كفروا الآية المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم بالراعى الذى ينطق بالغنى او الابل فلا تسمع الا دعاه ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر

ابن عباس وعكرمة والسدى وسيبويه فذكر تعالى بعض هذه الجملة وبعض هذه وذلك المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز * والنعيق زجر الغنم والصياح بها * وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم الآية الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ والآية تشير بتبعية من إلى أن الحرام رزق وحض سبحانه على الشكر والمعنى في كل حالة وفي مصابيح البغوى عن أبى داود والنسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر انتهى قال القشيرى قال أهل العلم بالاصول نعم الله تعالى على ضربين نعمة نفع ونعمة دفع فنعمته النفع ما أولاهم ونعمته الدفع ما زوى عنهم وليس كل انعامه سبحانه انتظام اسباب الدنيا والتكس منها بل الطائف الله تعالى فيما زوى عنهم من الدنيا أكثر وأن قريب العبد من الرب تعالى على حسب تباعده من الدنيا انتهى من التفسير وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتابه المسمى بهجة المجالس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد بنعمة فعلم أنها من عند الله لا كتب الله له شكرها وما علم الله من عبد ندامة على ذنب لا يغفر له قبل أن يستغفره وأن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له قال أبو عمر مكتوب فى التوراة اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت ولا مقام لها إذا كفرت انتهى وأن من قوله أن كنتم إياه تعبدون شرط والمراد بهذا الشرط التشبث وهز النفوس كما تقول افعل كذا أن كنت رجلا وإنما هاهنا حاصرة ولفظ الميتة عموم والمعنى مخصص لأن الحوت لم يدخل قط فى هذا العموم وفى مستند البزار عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أن الله حرم الخمر وثنمها وحرم الميتة وثنمها وحرم الخنزير وثنمته انتهى من الكوكب الدرى للإمام أبى

العباس احمد بن سعد التجيبي * والدم يراد به المسفوح لان ما خالط الاحم
فغير محرم باجاء * ت * بل فيه خلاف شاذ ذكره ابن الحاجب وغيره
والشهور اظهر لقول عائشة رضي الله عنها لو حرم غير المسفوح لتتبع الناس ما في
العروق ولقد كنا نطبخ اللحم والبرمة تعلوها الصفرة انتهى * وما اهل به لغير
الله قال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان * واهل به معناه
صحيح به ومنه استهلال المولود وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة
وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم فمن
اضطر غير باغ ولا عاد قال قتادة وغيره معناه غير قاصد فساد وتعد بان يجد عن هذه
الحرمات مندوحة وياكلها واصحاب هذا القول يجيزون الاكل منها في كل سفر مع
الضرورة وقال مجاهد وغيره المعنى غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل في
الباغى والعاذى قطاع السبل والخارج على السلطان والمسافر في قطع الرحم والغارة
على المسلمين وما شاكله ولغير هؤلاء هي الرخصة قال مالك رحمه الله ياكل
المضطر شعبه وفي الموطأ وهو لكثير من العلماء انه يتزود اذا خشى الضرورة
فيما بين يديه من مفازة وقفر قال ابن العربي في احكامه وقد قال العلماء ان من
اضطر الى اكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل دخل النار الا ان يغفر الله
له انتهى والمعنى انه لم ياكل حتى مات جوعا فهو عاص وكانه قتل نفسه
وقد قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم الآية الى قوله ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا قال ابن العربي واذا دامت المحصنة فلا خلاف في
جواز شعب المضطر وان كانت نادرة ففي شعبه قولان احدهما لمالك ياكل
حتى يشبع ويتصلع وقال غيره ياكل بمقدار سد الرمق وبه قال ابن حبيب وابن
الماجشون انتهى * وقوله تعالى ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب

الآية قال ابن عباس وغيره المراد احبار اليهود الذين كنتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل * ع * وهذه الآية وان كانت نزلت في الاحبار فانها تتناول من علماء المسلمين من كنتم الحق مختاراً لذلك بسبب دنيا يصيبها وفي ذكر البطن تنبيه على مذمتهم بانهم باعوا اخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له وعلى هُجنتهم بطونهم قال الربيع وغيره سمي ماكولهم نارا لانه يشول بهم الى النار وقيل ياكلون النار في جهنم حقيقة * ت * وينبغي لاهل العلم التنزه عن اخذ شيء من المتعلمين على تعليم العلم بل يلتمسون الاجر من الله عز وجل وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لا اسألكم عليه اجرا الآية وفي سنن ابى داود عن عبادة بن الصامت قال علمت ناساً من اهل الصفة الكتاب والقروان واهدى الي رجل منهم قوساً فقلت ليست بمال وارمى عليها في سبيل الله لأتيسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سألتهم فأتيتهم فقلت يا رسول الله رجل اهدى الي قوساً ممن كنت اعلمه الكتاب والقروان وليست بمال وارمى عليها في سبيل الله قال ان كنت تحب ان تطوق طوقاً من نار فاقبلها وفي رواية فقلت ما ترى فيها يا رسول الله قال جمرة بيس كتفيك تقلدتها او تعلقتها انتهى * وقوله تعالى ولا يكلمهم الله قيل هي عبارة عن الغضب عليهم وازالة الرضا عنهم اذ في غير موضع من القروان ما طاهرة ان الله تعالى يكلم الكافرين وقال الطبري وغيره المعنى لا يكلمهم بما يحبونه * ولا يركبهم اي لا يطهرهم من موجبات العذاب وقيل المعنى لا يسميهم ازكياً * وقوله تعالى فما اصبرهم على النار قال جمهور المفسرين ما تعجب وهو في حيز المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في النار وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره واسمع بهم وابصر وقال قتادة والحسن وابن جبير والربيع اظهر التعجب

من صبرهم على النار لما عملوا عمل من وطن نفسه عليها وتقديره ما اجرأهم على النار اذ يعملون عملا يؤدي اليها وذهب معمر بن المثنى الى ان ما استفهام معناه اي شيء صبرهم على النار والاول اظهر * وقوله سبحانه ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية المعنى ذلك الامر بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به ولاشارة الى وجوب النار لهم * والكتاب القراءان وبالحق اي بالاخبار الحق اي الصادقة * والذين اختلفوا في الكتاب هم اليهود والنصارى في قول السدى وقيل هم كفار العرب لقول بعضهم هو سحر وبعضهم اساطير وبعضهم مفتري الى غير ذلك * وبعيد هنا معناه من الحق والاستقامة * وقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية قال ابن عباس وغيره الخطاب بهذه الآية للمؤمنين فالمعنى ليس البر الصلاة وحدها وقال قتادة والربيع الخطاب لليهود والنصارى لانهم تكلموا في تحويل القبلة وفصلت كل فرقة توليها فليلهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من امن بالله * وقوله تعالى واتي المال على حبه الآية هذه كلها حقوق في المال سوى الزكاة قال الفخروروت فاطمة بنت قيس ان في المال حقا سوى الزكاة وتلا واتي المال على حبه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاويا الى جنبه انتهى قال ابن العربي في احكامه واذا وقع اداء الزكاة ثم نزلت بعد ذلك حاجة فانه يجب صرف المال اليها باتفاق من العلماء وقد قال مالك يجب على كافة المسلمين فداء اسراهم وان استغفر ذلك اموالهم وكذلك اذا منع الوالى الزكاة فهل يجب على الاغنياء اغناء الفقراء الصحيح وجوب ذلك عليهم انتهى * ومعنى اتي اعطى على حبه اي على حب المال ويحتمل ان يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله من آمن

بالله اي من تصدق محبة في الله وطاعته * ص * والظاهر ان الضمير في حبه عائد على المال لان قاعدتهم ان الضمير لا يعود على غير الاقرب لا بدليل انتهى قال * ع * والمعنى المقصود ان يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح صحيح يخشى الفقر ويأمل الغنى كما قال صلى الله عليه وسلم والشمع في هذا الحديث هو الغريزي الذي في قوله تعالى واحضرت لانفس الشمع وليس المعنى ان يكون المتصدق متصفا بالشمع الذي هو البخل * وفي الرقاب اي العتق وفك الاسرى * والصابرين نصب على المدح او على اضرار فعل وهذا مهيع في تكرار النعوت والبأساء الفقر والفاقة * والضراء المرض ومصائب البدن وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة الذين يحمدون الله في السراء والضراء رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وفي صحيح مسلم عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجباً لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد لا للمؤمن اذا اصابته سراء ف شكر فكان خيراً له وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له انتهى * وحين الباس اي وقت شدة القتال هذا قول المفسرين في الالفاظ الثلاثة تقول العرب ببئس الرجل اذا افتقر وبؤس اذا شجع ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال البرة بالصدق في امورهم اي هم عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول صدقني المال وصدقني الرمح ووصفهم تعالى بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصص الآيت كتب معناه فرض واثبت وصورة فرض القصص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي القتل للاستسلام لامر الله وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدي على غيره فان

وقع الرضا بدون القصاص من دية او عفو فذلك مباح والآية معلومة ان القصاص هو الغاية عند التشاح والقصاص مأخوذ من قص الاثر فكان القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره فيها روي عن ابن عباس ان هذه الآية محكمة وفيها اجمال فسرته آية المائدة وان قوله سبحانه الحر بالحر يعم الرجال والنساء واجمعت الامة على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل * وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء الآية فيه تأويلات احدها ان من يراد بها القاتل وعفي تتضمن عافيا وهو ولي الدم والاخ هو المقتول وشيء هو الدم الذي يعفى عنه ويرجع الى اخذ الدية هذا قول ابن عباس وجاعة من العلماء والعفو على هذا القول على بابه والتأويل الثاني وهو قول مالك ان من يراد بها الولي وعفي بمعنى يُسّر لا على بابها في العفو والاخ يراد به القاتل وشيء هي الدية والاخوة على هذا اخوة الاسلام والتأويل الثالث ان هذه الالفاظ في معنى الذين نزلت فيهم الآية وهم قوم تقاتلوا فقتل بعضهم بعضا فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلح بينهم ويقاصهم بعضهم من بعض بالديات على استواء الاحرار بالاجرار والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد فمعنى الآية فمن فضل له من احدى الطائفتين على الاخرى شيء من تلك الديات وتكون عفي بمعنى فضل * وقوله تعالى فاتبع تقديره فالواجب والحكم اتباع وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى فامسك بمعروف واما المذدوب اليه فيأتي منصوبا كقوله تعالى فضرِب الرقاب وهذه الآية حص من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدى * وقوله سبحانه ذلك تخفيف اشارة الى ما شرعه لهذه الامة من اخذ الدية وكانت بنو اسرائيل لا دية عندهم انما هو القصاص فقط والاعتداء المتوعد عليه في هذه الآية هو ان ياخذ الرجل دية وليه ثم يقتل القاتل بعد سقوط

الدم واختلف في العذاب الاليم الذى يلحقه فقال فريق من العلماء منهم مالك هو كمن قتل ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفا عنه وعذابه فى الآخرة وقال قتادة وغيره يقتل البتة ولا عفو فيه وروي فى ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة المعنى ان القصاص اذا اقيم وتحقق الحكم به ازجر من يريد قتل احد مخافة ان يقتص منه فحييا بذلك معا وايضا فكانت العرب اذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى موت العدد الكثير فلما شرع الله سبحانه القصاص قنع الكل به ووقف عنده وتركوا الاقتتال فلم يبق فى ذلك حياة وخص أولوا الاباب بالذكر تنبيها عليهم لانهم العارفون القابلون للأوامر والنواهي وغيرهم تبع لهم * وتتقون معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لأنواع التقوى فى غير ذلك فان الله سبحانه يشيب على الطاعة بالطاعة * وقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الآيـة كتب معناه فرض واثبت وفى قوله تعالى اذا حضر مجاز لان المعنى اذا تخوف وحضرت علاماته * والخير فى هذه الآيـة المال واختلف فى هذه الآيـة هل هي محكمة او منسوخة فقال ابن عباس وقتادة والحسن الآيـة عامة وتقرر الحكم بها برهته ونسخ منها كل من يرث بآيـة الفرائض وقال بعض العلماء ان الناسخ لهذه الآيـة هي السنة المتواترة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث وبالمعروف معناه بالتصمد الذى تعرفه النفوس دون اضرار بالورثة ولا تنزيل للوصية وحقا مصدر مؤكـد وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس اليها * وقوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه الآيـة الضمير فى بدله عائد على الايصاء وامر الميت وكذلك فى سمعه ويحتمل

ان يعود الذى فى سمعه على امر الله تعالى فى هذه الآية والاول اسبق
للناظر وسميع عليهم صفتان لا يخفى معها شيء من جنف الموصين
وتبديل المتعدين والجنف الميل ومعنى الآية على ما قال مجاهد من خشي ان
يخيف الموصى ويقطع ميراث طائفة ويتعمد الاذاية فذلك هو الجنف فى
اثم وان لم يتعمد فهو الجنف دون اثم فالعنى من وعظه فى ذلك وردة عنه
واصلح ما بينه وبين ورثته وما بين الورثة فى ذاتهم فلا اثم عليه ان الله
غفور رحيم بالموصى اذا عملت فيه الموعظة ورجع عما اراد من الاذاية وقال
ابن عباس وغيره معنى الآية من خاف اي علم ورأى بعد موت الموصى ان
الموصى خاف وحنف وتعمد اذاية بعض ورثته فاصلح ما بين الورثة فلا اثم
عليه وان كان فى فعله تبديل ما لانه تبديل لمصاحته والتبديل الذى فيه لا اثم
انما هو تبديل الهوى * قوله جلت قدرته يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام الآية كتب معناه فرض والصيام فى اللغة الامساك ومنه قوله سبحانه
انى نذرت للرحمن صوما وفى الشرع امساك عن الطعام والشراب مقتزنة به
قرائن من مراعاة اوقات وغير ذلك * وقوله تعالى كما كتب على الذين
من قبلكم اختلاف فى موضع التشبيه قالت فرقة التشبيه كتب عليكم
كصيام قد تقدم فى شرع غيركم فالذين عام فى النصارى وغيرهم ولعلكم ترج فى
حقهم * وتشتقون قيل على العموم لان الصيام كما قال صلى الله عليه وسلم
جَنَّةٌ ووجاء بسبب تقوى لانه يميئ الشهوات * واياما معدودات قيل
رمضان وقيل الثلاثة الايام من كل شهر ويوم عاشوراء التى نسخت بشهر رمضان
* ص * واياما منصوب بفعل مقدر يدل عليه ما قبله اي صوموا اياما وقيل
اياما نصب على الظرف انتهى * وقوله سبحانه فمن كان منكم مريضا او

على سفر التقدير فافطر فعدة" وهذا يسمونه فحوى الخطاب واختلف العلماء في حد المرض الذى يقع به الفطر فقال جمهور العلماء اذا كان به مرض يؤذيه ويؤله او يخاف تعاديه او يخاف من الصوم تزيده صح له الفطر وهذا مذهب حذاق اصحاب مالك وبه يناظرون واما لفظ مالك فهو المرض الذى يشق على المزم وبيلغ به واختلف فى الافضل من الفطر او الصوم ومذهب مالك استحباب الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلاة حسن لان الذمة تبرأ فى رخصة الصلاة وهي مشغولة فى امر الصيام والصواب المبادرة بالاعمال والسفر سفر الطاعة كالحج والجهاد باجاء ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضرورى واما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز والقول بالجواز ارجح واما سفر العصيان فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع ارجح ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث تقصر الصلاة ثمانية واربعون ميلا * وقوله تعالى فعدة اي فالحكم او الواجب عدة وفى وجوب تتابعها قولان واخر لا ينصرف للعدل * وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية آية قرأ باقى السبعة غير نافع وابن عامر فدية بالتنوين طعام مسكينين بالافراد وهي قراءة حسنة لانها بينت الحكم فى اليوم واختلفوا فى المراد بالآية فقال ابن عمر وجاعة كان فرض الصيام هكذا على الناس من اراد ان يصوم صام ومن اراد ان يفطر اطعم مسكينا وافطرت ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقالت فرقة الآية فى الشيوخ الذين يطيقونه بتكلف شديد والآية عند مالك انما هي فيمن يدرکه رمضان ثان وعليه صوم من المتقدم فقد كان يطيق فى تلك المدة الصوم فتركه والفدية عند مالك وجاعة من العلماء مد لكل مسكين * وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له آية قال ابن عباس وغيره المراد من اطعم مسكينين فصاعدا

وقال ابن شهاب من زاد الاطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد في الاطعام على المد وخيراً الاول قد نزل منزلة مال او نفع وخير الثانى والثالث صفة تفصيل * وقوله تعالى ان كنتم تعلمون يقتضى الحس على الصوم اي فاعلموا ذلك وصوموا * ت * وجاء في فضل الصوم احاديث صحيحة مشهورة وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام يوماً تطوعاً لم يطلع عليه احد لم يرض الله له بثواب دون الجنة قال وبهذا الاسناد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله انتهى قال ابن عبد البر في كتابه المسمى ببهجة المجالس قال ابو العالية الصائم في عبادة ما لم يغترب قال الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد البلالي الشافعى في اختصاره للاحياء وذكر السبكى في شرحه ان الغيبة تمنع ثواب الصوم اجاءاً قال البلالي وفيه نظر لمشقة لا حراز نعم ان اكثر توجهت المثالة انتهى وهذا الشيخ البلالي لقيته ورويت عنه كتابه هذا وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم قال ابو عمر فى التمهيد وذلك لان الصوم جنة يستجن بها العبد من النار وتفتح لهم ابواب الجنة لان اعمالهم تزكو فيه وتقبل منهم ثم اسند ابو عمر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت امتى خمس خصال فى رمضان لم تعطهن امة قبلها خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله لهم كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادى الصائمون ان يلقوا عنهم المسونة والاذى ثم يصيرون اليك وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه فى غيره ويغفر لهم اخر ليلة قيل يا رسول الله اهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفى اجره اذا انقضى قال ابو عمر

وفي سنده أبو المقدام فيه ضعف ولكنه محتمل فيما يرويه من الفضائل واسند أبو
عمر عن الزهري قال تسبيحة في رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره انتهى
* ت * وخرجه الترمذي عن الزهري قال تسبيحة في رمضان افضل من الف
تسبيحة في غيره انتهى * قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
الشهر مشتق من الاشتهار قال * ص * الشهر مصدر شهر يشهر اذا ظهر وهو
اسم للمدة الزمانية وقال الزجاج الشهر الهلال وقيل سمي الشهر باسم الهلال
انتهى ورمضان علقه هذا الاسم من مدة كان فيها في الرض وشدة الحر وكان
اسمه قبل ذلك نائرا (١) واختلف في انزال القرآن فيه فقال الضحائي
انزل في فرضه وتعظيمه والحض عليه وقيل بدئ بنزوله فيه على النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عباس فيما ياتر انزل الى السماء الدنيا جلّة واحدة ليلة
اربع وعشرين من رمضان ثم كان جبريل ينزله رسلا رسلا في الاوامر والنواهي
والاسباب وروى واثلثة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت
صحف ابراهيم اول ليلة من شهر رمضان والتوراة لست مضين منه والانجيل
لثلاث عشرة والقروان لاربعة وعشرين * وهدي في موضع نصب على الحال
من القروان فالمراد ان القروان بجملته من مُحْكَم ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى
ثم شُرِفَ بالذكر والتخصيص البيّنات منه يعنى الحلال والحرام والمواظ والحكم
كله فالالف واللام في الهدي للعهد والمراد الاول قال * ص * هدى

(١) قوله « وكان اسمه قبل ذلك نائرا » هكذا في جميع النسخ حتى في النسخة
التي بخط المؤلف ولم ارم من فسر هذه الكلمة بهذا المعنى فيما اطلعت عليه من
المعجمات اللغوية ولعل الصواب « وكان اسمه قبل ذلك نائقا » كما في سائر
التفاسير وكتب اللغة والله اعلم اهـ مصححه

منصوب على الحال اي هاديا فهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل وذو الحال القراءن
والعامل انزل انتهى * والفرقان المفرق بين الحق والباطل وشهد بمعنى
حضر والتقدير من حضر المصرفي الشهر فالشهر نصب على الظرف * وقوله
سبحانه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال مجاهد والضحاك اليسر
الفطري السفر والعسر الصوم في السفر * ع * والوجه عموم اللفظ في جميع
امور الدين وقد فسر ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر *
قلت قال ابن الفاكهاني في شرح الاربعين للنووي فان قلت قوله تعالى ان مع
العسر يسرا الآية يدل على وقوع العسر قطعاً وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر يدل على نفي العسر قطعاً لان ما لا يريد الله تعالى لا يكون باجماع
اهل السنة قلت العسر المنفي غير المثبت فالمنفي انما هو العسر في الاحكام لا غير
فلا تعارض انتهى وترجم البخاري في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم
يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس ثم اسند هو ومسلم عن
انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
واسند البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا بى موسى
ومعاذ يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا قال البخاري حدثنا ابو اليمان
قال حدثنا حماد بن زيد عن الازرق بن قيس قال كنا على شاطئ نهر
بالاهواز قد نصب عنه الماء فجاء ابو برزة الاسلمي على فرس فصلى ودخل
فرسه فانطلق الفرس فترك صلاته وتبعها حتى ادركها فاخذها ثم جاء فقضى
صلاته وفيما رجل له رأي فاقبل يقول انظروا الى هذا الشيخ ترك صلاته من اجل
فرس فاقبل فقال ما عفتني احد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وقال ان منزلي منزاح فلو صليت وتركته لم مات اهلى الى الليل وذكر انه

قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره انتهى * وقوله تعالى ولتكمّلوا العدة معناه وليُكْمَل من افطر في سفره او في مرضه عدة الايام التي افطر فيها * وقوله تعالى ولتكبروا الله حص على التكبير في ماخر رمضان قال مالك وهو من حين يخرج الرجل من منزله الى ان يخرج الامام الى المصلّى ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء الله اكبر الله اكبر ثلاثا ومن العلماء من يكبر ويهلل ويسبح اثناء التكبير ومنهم من يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وقيل غير هذا والجميع حسن واسع مع البداءة بالتكبير وهذا قيل المراد لما ضل فيه النصارى من تبديل صيامهم وتعيم الهدى جيد * ولعلكم تشكرون ترج في حق البشراي على نعم الله في الهدى * ص * ولعلكم تشكرون علّة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك انتهى * وقوله جل وعلا واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان الآية قال الحسن بن ابى الحسن سببها ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقرب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الآية * واجيبُ قال قوم المعنى اجيب ان شئت وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما ان تظهر الاجابة في الدنيا واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له اجر في الآخرة وهذا بحسب حديث الموطا وهو ما من داع يدعو الا كان بين احدى ثلاث الحديث * ت * وليس هذا باختلاف قول قال ابن رشد في البيان الدعاء عبادة من العبادات يوجر فيها لاجر العظيم اجيب دعوة فيما دعا به او لم تجب بها انا انتقل ان شاء الله من صحيح الاحاديث في هذا المحل ما يثلج له الصدر ومن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء احد رواه الحاكم ابو عبد

الله في المستدرک على الصحيحين وابن حبان في صحيحه واللفظ له وقال
الحاکم صحيح الاسناد وعن ابی هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض رواه
الحاکم في المستدرک وقال صحيح وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقف بين
يديه فيقول عبدی انی امرتك ان تدعونی ووعدتك ان استجب لك فهل
كنت تدعونی فيقول نعم يا رب فيقول اما انك لم تدعني بدعوة الا استجبت
لك اليس دعوتني يوم كذا وكذا نعم نزل بك ان افرج عنك ففرجت عنك
فيقول نعم يا رب فيقول فاني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا نعم
نزل بك ان افرج عنك فلم ترفرجا قال نعم يا رب فيقول انی ادخرت لك
بها في الجنة كذا وكذا كذا وكذا ودعوتني في حاجة اقضيها لك في يوم كذا
وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول فاني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني في
يوم كذا وكذا في حاجة اقضيها لك فلم ترقضاءها فيقول نعم يا رب فيقول انی
ادخرت لك في الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع
الله دعوة دعا بها عبده المؤمن الا بين له اما ان يكون عجل له في الدنيا واما
ان يكون ادخر له في الآخرة قال فيقول المؤمن في ذلك المقام يا ليتني لم يكن
عجل له شيء من دعائه رواه الحاکم في المستدرک وعن ثوبان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعاء رواه الحاکم في
المستدرک وابن حبان في صحيحه واللفظ للحاکم وقال صحيح الاسناد * قلت
وقد اخرج ابن المبارك في رقائقه هذا الحديث ايضا قال حدثنا سفيان عن
عبد الله بن قيس عن عبد الله بن ابی الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا يرد القضاء الا الدعاء وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه
انتهى وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان البلاء لينزل من
السماء فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة رواه الحاكم في مستدركه وقال
صحيح الاسناد وقوله فيعتلجان اي يتصارعان وعن سلمان رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يستجاب له عند الكرب والشدائد
فليكثر الدعاء في الرخاء رواه الحاكم ايضا وقال صحيح الاسناد وعن ابن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح له في الدعاء منكم فتحت
له ابواب الجنة قال الغزالي رحمه الله في كتاب الاحياء فان قلت فما فائدة
الدعاء والقضاء لا يرد فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء
واستجلاب للرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم ثم في الدعاء من الفائدة انه
يستدعى حضور القلب مع الله عز وجل وذلك منتهى العبادات فالدعاء يرد
القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فانظره فاني اثرت الاختصار وانظر
سلاح المؤمن الذي منه نقلت هذه الاحاديث ومن جامع الترمذي عن ابي
خزيمة واسمه رفاعه عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ارايت رقي نسترقبها ودواء نتداوى به وثقاة نثقها هل ترد من قدر
الله شيأ قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وانظر
جواب عمر لابن عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله الحديث هو من هذا
المعنى انتهى والله الموفق بفضلهم * وقوله تعالى فليستجيبوا لي قال ابو رجاء
الحمراساني معناه فليدعوني قال * ع * المعنى فليطلبوا ان اجيبهم وهذا
هو باب استغفر اي طلب الشيء. لا ما شذ مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره

المعنى فليجيئوا لى فيما دعوتهم اليه من لايمان اى بالطاعة والعمل فائدة
قال صاحب غاية المغنم فى اسم الله الاعظم وهو امام عارف بعلم الحديث
وكتابه هذا يشهد له قال ذكر الدينورى فى كتاب المجالسة عن ليث بن سليم
ان رجلا وقف على قوم فقال من عنده ضيافة هذه الليلة فسكت القوم ثم عاد
فقال رجل اعمى عندى فذهب به الى منزله فعشاه ثم حدثه ساعة ثم وضع
له وضوءا فقام الرجل فى جوف الليل فتوضأ وصلى ما قضى له ثم جعل يدعو
فانتبه لاعمى وجعل يسمع لدعائه فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد
البالية اسألك بطاعة الارواح الراجعة الى اجسادها وبطاعة الاجساد المنتهية
فى عروقها وبطاعة القبور المتشقة عن اهلها وبدعوتك الصادقة فيهم واخذك
الحق منهم وتبريز الخلائق كلهم من مخافتك ينتظرون قضاءك ويرجون
رحمتك ويخافون عذابك اسألك ان تجعل النور فى بصرى والاخلاص فى
عملى وشكرى فى قلبى وذكرى فى لسانى فى الليل والنهار ما ابقيتنى قال فحفظ
لاعمى هذا الدعاء ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين ودعا به فاصبح قد رد الله عليه بصره
انتهى من غاية المغنم فى اسم الله الاعظم واطلاق الفناء على الارواح فيه تجوز
والعقيدة ان الارواح باقية لا تغنى وانما عبر عن مفارقتها لاجسادها بالفناء هذا
هو مراده وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض فادعوا الله ايها الناس حين
تدعون وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد دعاه عن طهر قلب
غافل انتهى قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن واذا اراد الله ان يعطي عبدا
شيأ وهبه الاضطرار اليه فيه فيطلبه بالاضطرار فيعطى واذا اراد الله ان يمنع
عبدا امرا منعه الاضطرار اليه فيه ثم منعه اياه فلا يخاف عليك ان تضطر

وتطلب فلا تعطى بل يُخاف عليك ان تحرم الاضطرار فتحرم الطلب او تطلب
بغير اضطرار فتحرم العطاء انتهى * وقوله سبحانه وليؤمنوا بى قال ابو رجا
فى انى اجيب دعاءهم وقال غيره بل ذلك دعاء الى الايمان بجملة * وقوله
تعالى احل لكم ليلة الصيام الآية لفظة احل تقتضى انه كان محرما قبل ذلك
وليلة نصب على الظرف * والرفث كناية عن الجماع لان الله تعالى كريم
يكنى قاله ابن عباس وغيره والرفث فى غير هذا ما فحش من القول وقال ابو
اسحاق الرفث كل ما ياتيه الرجل مع المرأة من قبله ولمس * ع * او كلام
فى هذا المعنى وسبب هذه الآية فيما قال ابن عباس وغيره ان جماعة
من المسلمين اختانوا انفسهم واصابوا النساء بعد النوم او بعد صلاة العشاء
على الخلاف فى ذلك منهم عمر بن الخطاب جاء الى امرأته فارادها
فقال لى قد نمت فظن انها تعتل بذلك فوقع بها ثم تحقق انها قد كانت
نامت وكان الوطء بعد نوم احدهما ممنوعا فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل صدر الآية وروى ان صرمة بن قيس نام قبل الاكل فبقي
كذلك دون اكل حتى غشي عليه فى نهاره المقبل فنزل فيه من قوله تعالى
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا * واللباس اصامه فى الثياب ثم شبه اللباس الرجل بالمرأة
بذلك * وقاب عليكم اى من المعصية التى وقعتم فيها قال ابن عباس
وغيره باشروهن كناية عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم قال ابن عباس
وغيره اى ابتغوا الولد قال الفخر والمعنى لا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط
ولكن لا بتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل قال عليه السلام تناكحوا
تناسلوا فانى مكاتركم الامم انتهى وقيل المعنى ابتغوا ليلة القدر وقيل ابتغوا
الرخصة والتوسعة قاله قتادة وهو قول حسن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الآية

نزلت بسبب صُرْمَةِ بن قيس وحتى غاية للتبَيِّن ولا يصح ان يقع
التبَيِّن لاحد ويحرم عليه الاكل الا وقد مضى لطلوع الفجر قدر والخيوط
استعارة وتشبيه لرقعة البياض اولا ورقة السواد الخافى به والمراد فيها قال جميع
العلماء بياض النهار وسواد الليل ومن الاولى لا ابتداء الغاية والثانية للتبعض
والفجر ماخوذ من تفجر الماء لانه ينفجر شيأ بعد شيء وروي عن سهل
ابن سعد وغيره من الصحابة ان الآية نزلت الا قوله من الفجر فصنع بعض
الناس خيطين ابيض واسود فنزل قوله تعالى من الفجر * ع * وروي
انه كان بين طرفي المدة عام من رمضان الى رمضان تأخر البيان الى وقت
الحاجة وعدي بن حاتم جعل خيطين على وساده واخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له ان وسادك لعريض واختلف في الحد الذي بتبَيِّنِه يجب
الامساك فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت عليه الامصار والادصار ووردت
به الاحاديث الصحاح انه الفجر المعترض في الافق يمتد ويسرة فطلوع اوله في
الافق يجب الامساك وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان وابن
عباس وغيرهم ان الامساك يجب بتبَيِّن الفجر في الطرق وعلى رؤوس
الجبال وذكر عن حذيفة انه قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
النهار الا ان الشمس لم تطلع ومن اكل وهو يشك في الفجر فعليه القضاء عند
مالك * وقوله سبحانه ثم اتموا الصيام الى الليل امر يقتضى الوجوب * والى
غاية واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه واذا كان من
غير جنسه لم يدخل في المحدود والليل الذي يتم به الصيام مغيب قرص الشمس
فمن افطر شاكا في غروبها فالمشهور من المذهب ان عليه القضاء والكفارة
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم

الصائم حين يفطروا امام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب تعالى وعزتي لا نصركم ولو بعد حين رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى واللفظ له حديث حسن ولفظ ابن ماجه حتى يفطرا انتهى من السلاح وعنه صلى الله عليه وسلم ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد رواه ابن السني انتهى من حلية النوى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه رواه البخارى ومسلم انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا جاد بن سلمة عن واصل مولى ابى عيينة عن لقيط ابى المغيرة عن ابى بردة ان ابا موسى الاشعري كان فى سفينة فى البحر مرفوع شراعها فاذا رجل يقول يا اهل السفينة قفوا سبع مرار فقلنا الا ترى على اى حال نحن ثم قال فى السابعة قفوا اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطش نفسه لله فى يوم حار من ايام الدنيا شديد الحر كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة فكان ابو موسى يبتغى اليوم الشديد الحر فيصومه انتهى قال يوسف بن يحيى التادلى فى كتاب الشوف وخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن هشام بن حسان عن واصل بن لقيط عن ابى بردة عن ابى موسى الاشعري قال غزا الناس برا وبحرا فكنت ممن غزا فى البحر فبينما نحن نسير فى البحر اذ سمعنا صوتا يقول يا اهل السفينة قفوا اخبركم فنظرنا يميننا وشمالا فلم نر شيئا الا لجة البحر ثم نادى الثانية حتى نادى سبع مرات يقول كذلك قال ابو موسى فلما كانت السابعة قمت فقلت ما تخبرنا قال اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ان من عطش لله فى يوم حار ان يرويه الله يوم القيامة وذكره ابن حبيب فى الواضحة بلفظ اخر انتهى قال ابن المبارك واخبرنا ابو بكر بن ابى مريم الغسانى قال حدثنى صمرة بن

حبیب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء بابا وان باب
العبادة الصيام انتهى وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة
ضعف قال الله الا الصوم فانه لى وانا اجزى به انما يدع شهوته وطعامه من
اجلى انتهى * وقوله تعالى ولا تبashروهن وانتم عاكفون فى المساجد قالت
فرقة المعنى ولا تجامعوهن وقال الجمهور ذلك يقع على الجماع فما دونه مما
يُنْتَلِذُ به من النساء وعاكفون اي ملازمون قال مالك رحمه الله وجماعة معه
لا اعتكاف الا فى مساجد الجمعيات وروى عن مالك ايضا ان ذلك فى كل
مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج الى ضروري اشغاله قال ابن العربى فى
احكامه وحرم الله سبحانه المباشرة فى المسجد وكذلك تحرم خارج المسجد
لان معنى الآية ولا تبashروهن وانتم ملتزمون للاعتكاف فى المساجد معتقدون
له انتهى وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهي * والحدود الحواجز
بين الاباحة والحظر ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع ومنه الحد لانها تُمنع
من الزينة والآيات العلامات الهادية الى الحق * وقوله تعالى ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الآية الخطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويدخل
فى هذه الآية القمار والخدع والغصب وجحد الحقوق وغير ذلك * وقوله
سبحانه وتدلوا بها الى الحكم الآية يقال ادلى الرجل بحجة او بامر يرجو النجاح
به تشبيها بالذى يرسل الدلو فى البئر يرجو بها الماء قال قزم معنى الآية تسارعون
فى الاموال الى المخاصمة اذا علمتم ان الحجة تقوم لكم اما بان لا تكون على
الجاحد بيينة او يكون مال امانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله فالباء فى
بها باء السبب وقيل معنى الآية ترشوا بها على اكل اكثر منها فالباء الزاق مجرد

وهذا القول يترجح لان الحكام مظنة الرشى الامن عصم وهو الاقل وايضا فان اللفظتين متناسبتان تدلوا من ارسال الدلو والرشوة من الرشاء كانها يمد بها لتتضى الحاجة * والفريق القطعة والجزء * وبالاثم اي بالظلم * وانتم تعلمون اي انكم مبطلون * وقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قال ابن عباس وغيره نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم عن الهلال وما فائدة محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس * ومواقيت اي لمحل الديون وانقضاء العدد والاكرية وما اشبه هذا من مصالح العباد ومواقيت للحج ايضا يعرف بها وقته واشهره * وقوله سبحانه وليس البر الآية قال البراء بن عازب والزهرى وقتادة سببها ان الانصار كانوا اذا حجوا او اعتمرؤا يلتزمون تشرا ان لا يحول بينهم وبين السماء حائل فكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم على الجدران وقيل كانوا يجعلون في ظهور بيوتهم فتوحا يدخلون منها ولا يدخلون من الابواب وقيل غير هذا مما يشبهه * وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الآية هي اول آية نزلت في الامر بالقتال قال ابن زيد والربيع قوله ولا تعتدوا اي في قتال من لم يقاتلكم وهذه الموادة منسوخة بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقال ابن عباس وغيره ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم فهي محكمة * وقوله تعالى واقتلوه حيث ثقفتموهم الآية قال ابن اسحاق وغيره نزلت هذه الآية في شان عمرو بن الحضرمي وواقدهي سريته عبد الله ابن جحش وثقفتموهم معناه احكمتم غلبتهم يقال رجل ثقف لقف اذا كان محكما لما يتناوله من الامور * واخرجوهم خطاب لجميع المومنين والضمير لكفار قريش * والفتنة اشد من القتل اي الفتنة التي جلوكم عليها وراموكم بها على الرجوع الى الكفر اشد من القتل ويحتمل ان يكون المعنى والفتنة اي

الكفر والضلال الذى هم فيه اشد فى الحرم واعظم جرماً من القتل الذى عيروكم به فى شان ابن الحضرمي * وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الآية قال الجمهور كان هذا ثم نسخ وقال مجاهد الآية محكمة ولا يجوز قتال احد يعنى عند المسجد الحرام الا بعد ان يقاتل * قلت وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وانما احلت لى ساعة من النهار ولم تحل لاحد بعدى يقوى قول مجاهد وهذا هو الراجح عند الامام الفخروان الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال فى الحرم انتهى قال ابن العربى فى احكامه وقد روى لائمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمة الله تعالى يوم خلق السماوات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيها لاحد قبلى وانما احلت لى ساعة من نهار فقد ثبت النهي عن القتال فيها قرأنا وسنة فان لجأ اليها كافر فلا سبيل اليه واما الزانى والقاتل فلا بد من اقامة الحد عليه الا ان يبتدئ الكافر بالقتال فيها فيقتل بنص القرآن انتهى وقرأ حجة والكسائي ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم فاقتلوهم اي فان قتلوا منكم والانتهاى فى هذه الآية هو الدخول فى الاسلام * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله الفتنة هنا الشرك وما تابعه من اذى المومنين قاله ابن عباس وغيره والدين هنا الطاعة والشرع والانتهاى فى هذا الموضع يصح مع عموم الآية فى الكفار ان يكون الدخول فى الاسلام ويصح ان يكون اداء الجزية * وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص الآية قال ابن عباس وغيره نزلت فى عمرة القصية وعام الحديبية سنة ست حين صدمهم المشركون اي الشهر الحرام الذى غلبكم الله فيه وادخلكم الحرم عليهم سنة سبع بالشهر الحرام الذى صدوكم فيه

والحرمان قصاص وقالت فرقة قوله والحرمان قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتداء امر كان في اول الاسلام ان من انتهك حرمتك نلت منه مثل ما اعتدى عليك * واتقوا الله قيل معناه في ان لا تعتدوا وقيل في ان لا تزيدوا على المثل * وقوله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة الآية سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعد جميع سبله وفي الصحيح ان ابا ايوب الانصاري كان على القسطنطينية فحمل رجل على عسكر العدو فقال قوم القى هذا بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب لا إن هذه الآية نزلت في الانصار حين ارادوا لما ظهر لاسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا اموالهم واما هذا فهو الذي قال الله تعالى فيه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وجهور الناس المعنى لا تلقوا بأيديكم بان تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة * واحسنوا قيل معناه في اعمالكم بامثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى واحسنوا في الانفاق في سبيل الله وفي الصدقات قاله زيد بن اسلم وقال عكرمة المعنى واحسنوا الظن بالله عز وجل * ت * ولا شك ان لفظ الآية عام يتناول جميع ما ذكر والمخصص يفتقر الى دليل فاما حسن الظن بالله سبحانه فقد جاءت فيه احاديث صحيحة فمنها انا عند ظن عبدي بي وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله انتهى واخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المؤمن حسن ظنه انتهى قال عبد الحق في العاقبة اما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت فواجب للحديث انتهى ويدخل في عموم الآية انواع المعروف قال ابو عمر

ابن عبد البر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة قال ابو
جزء الجهيئى قلت يا رسول الله اوصنى قال لا تحقرن شياً من المعروف ان
تأتيه ولو ان تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى ولو ان تلقى اخاك ووجهك
منبسط اليه وقال عليه السلام اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف فى الآخرة
وقال عليه السلام ان لله عبدا خلقهم لحوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة انتهى
من كتابه المسمى ببهجة المجالس وأنس المجالس * وقوله تعالى واتموا الحج
والعمرة لله قال ابن زيد وغيره اتمامهما ان لا تفسخا وان تتمهما اذا بدأت بهما
وقال ابن عباس وغيره اتمامهما ان تقضى مناسكها كاملة بما كان فيهما من دماء
وقال سفيان الثورى اتمامهما ان تخرج قاصدا لهما لا لتجارة ولا لغير ذلك
ويؤيد هذا قوله لله وفروض الحج النية والاحرام والطواف المتصل بالسعي
يعنى طواف الافاضة والسعي بين الصفا والمروة عندنا خلافا لابي حنيفة
والوقوف بعرفة وزاد ابن الماجشون جمرة العقبة * وقوله تعالى فان
احصرتم فما استيسر من الهدي هذه الآية نزلت عام الحديبية عند جمهور
اهل التاويل واجمع جمهور الناس على ان المحصر بالعدو يحل حيث أُحصر
وينحر هديه ان كان ثم هديّ ويحلق راسه واما المحصر بمرض فقال مالك وجمهور
من العلماء لا يحله الا البيت ويقيم حتى يُفريق وان اقام سنين فاذا وصل البيت
بعد فوت الحج قطع التلبية فى اوائل الحرم ودخل بعمره ثم تكون عليه حجة قضاء وفيها
يكون الهدي * وما فى موضع رفع اي فالواجب او فعليكم ما استيسر وهو شاة عند
الجمهور وقال ابن عمر وعروة جل دون جل وبقرة دون بقرة * وقوله تعالى ولا
تحللوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب لجميع الامة وقيل للمحصرين
خاصة ومحل الهدي حيث يحل نحره وذلك لمن لم يُحصر بمئى والترتيب

ان يرمي الحاج الجمرة ثم ينحر ثم يحلق ثم يطوف للأفاضة * وقوله تعالى
فمن كان منكم مريضا الآية المعنى فحلق لازالة الاذى ففدية وهذا هو فحوى
الخطاب عند اكثر الاصوليين ونزلت هذه الآية في كعب بن عُجْرة حين رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه يتناثر قملا فامره بالحلق ونزلت الرخصة
والصيام عند مالك وجيع اصحابه ثلاثة ايام والصدقة ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع وذلك مُدَّان بمد النبي صلى الله عليه وسلم والنسك شاة
باجماع ومن اتى بافضل منها مما يذبح او ينحر فهو افضل والمفتدى مخير في
اي هذه الثلاثة شاء حيث شاء من مكة وغيرها قال مالك وغيره كلما اتى
في القرءان أوأوفانه على التخيير * وقوله تعالى فاذا امنتم اي من
العدو المحصر قاله ابن عباس وغيره وهو اشبه باللفظ وقيل معناه اذا برأتم
من مرضكم * وقوله سبحانه فمن تمتع بالعمرة الى الحج الآية قال
ابن عباس وجماعة من العلماء الآية في المحصرين وغيرهم وصورة المتمتع ان تجتمع
فيه ستة شروط ان يكون معتمرا في اشهر الحج وهو من غير حاضرى المسجد
الحرام ويحل وينشئ الحج من عامه ذلك دون رجوع الى وطنه او ما سواه
بعدا هذا قول مالك واصحابه واختلف لم سمي متمتعا فقال ابن القاسم لانه
تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت حله في العمرة الى وقت انشائه
الحج وقال غيره سمي متمتعا لانه تمتع باسقاط احد السفريين وذلك ان حق
العمرة ان تقصد بسفروحق الحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما الزمه الله
تعالى هديا كالقارن الذى يجمع الحج والعمرة في سفر واحد وجُل لامة على
جواز العمرة في اشهر الحج للمكي ولادم عليه * وقوله تعالى فمن لم يجد
فصيام ثلاثة ايام في الحج يعنى من وقت يحرم الى يوم عرفة فان فاته صيامها

قبل يوم النحر فليصمها في ايام التشريق لانها من ايام الحج * وسبعة اذا
وجعتم قال مجاهد وغيره اي اذا رجعتن من منى وقال قتادة والربيع هذه رخصة
من الله سبحانه والمعنى اذا رجعتن الى اوطانكم ولما جاز ان يتوهم متوهم التخيير
بين ثلاثة ايام في الحج اوسبعة اذا رجع ازيل ذلك بالجلية من قوله
تعالى تلك عشرة * وكاملة قال الحسن بن ابى الحسن المغنى كاملة
الشواب وقيل كاملة تأكيد كما تقول كُتِبْتُ بيدى وقيل لفظها للاحبار ومعناها
الامر اى اكملوها فذلك فرضها وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله الآيت
الاشارة بذلك على قول الجمهور هي الى الهدي اى ذلك الاشتداد والالزام
وعلى قول من يرى ان المكى لا تجوز له العمرة في اشهر الحج تكون
الاشارة الى التمتع وحكمه فكان الكلام ذلك الترخيص لمن لم ويتأيد هذا بقوله
لمن لم لان اللام ابدانما تجي مع الرخص واختلف الناس في حاضرى المسجد
الحرام بعد الاجاع على اهل مكة وما اتصل بها فليل من تجب عليه الجمعة
بمكة فهو حضري ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوي قال * ع * فجعل
اللفظة من الحضارة والبدواة وقيل من كان بحيث لا يقصر الصلاة فهو حاضري
مشاهد ومن كان ابعد من ذلك فهو غائب وقال ابن عباس ومجاهد اهل الحرم
كله حاضرو المسجد الحرام ثم امر تعالى بتقواه على العموم وحذر من شديد عقابه
* وقوله تعالى الحج اشهر معلومات فى الكلام حذف تقديره اشهر الحج اشهر
او وقت الحج اشهر معلومات قال ابن مسعود وغيره وهي شوال وذو القعدة وذو
الحجة كله وقال ابن عباس وغيره هي شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة
والقولان لما لك رجه الله فمن فرض فيهن الحج اى الزمه نفسه وفرض الحج
هو بالنية والدخول فى الاحرام والتلبية تبع لذلك وقوله تعالى فيهن ولم يجئ

الكلام فيها فقال قوم هما سواء في الاستعمال وقال ابو عثمان المازني الجمع الكثير لما لا يعقل ياتى كالواحدة المؤنثة والقليل ليس كذلك تقول الاجذاع انكسرون والجدوع انكسرت ويؤيد ذلك قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله ثم قال منها * وقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية وقرأ ابن كثير وابو عمرو فلا رفث ولا فسوق ولا جدال بالرفع في الاثنين ونصب الجدل ولا بمعنى ليس في قراءة الرفع والرفث الجماع في قول ابن عباس ومجاهد ومالك والفسوق قال ابن عباس وغيره هي المعاصي كلها وقال ابن زيد ومالك والفسوق الذبح للانصنام ومنه قوله تعالى اوفسقا اهل لغير الله به والاول اولى قال الفخر واكثر المحققين جلوا الفسق هنا على كل المعاصي قالوا لان اللفظ صالح لكل ومتناول له والنهي عن الشيء يوجب الانتهاء عن جميع انواعه فحمل اللفظ على بعض انواع الفسوق تحكم من غير دليل انتهى قال ابن عباس وغيره الجدل هنا ان تماري مسلما وقال مالك وابن زيد الجدل هنا ان يختلف الناس ايهم صادف موقف ابراهيم عليه السلام كما كانوا يفعلون في الجاهلية قلت ومعنى الآية فلا ترفشوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله صلى الله عليه وسلم والصوم جنة فاذا كان صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمته احد او قاتله فليقل انى امرؤ صائم الحديث انتهى قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اراد نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه ونشاهده وخبر الله سبحانه لا يقع بخلاف مخبره انتهى قال الفخر قال القفال ويدخل في هذا النهي ما وقع من بعضهم من مجادلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق عليهم ذلك وقالوا انروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا الحديث انتهى * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله المعنى فيشيب عليه وفي هذا

تخصيص على فعل الخير * ت * وروى أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلى في الشئ رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه بهذا اللفظ انتهى من السلاح ونحو هذا جوابه صلى الله عليه وسلم للمهاجرين حيث قالوا ما رأينا كالأمناء واثنا عليهم خيرا * وقوله سبحانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى الآية قال ابن عمر وغيره نزلت الآية في طائفة من العرب كانت تجيء الى الحج بلا زاد ويبقون عالة على الناس فامروا بالتزود وقال بعض الناس المعنى تزودوا الرفيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى في معنى الآية وتزودوا لمعادكم من الاعمال الصالحة قلت وهذا التاويل هو الذي صدر به الفخر وهو الظاهر في قوله فان خير الزاد التقوى حص على التقوى * وقوله تعالى ليس عليكم جناح الآية الجناح اسم من الاثم لانه فيما يقتضى العقاب وفي ما يقتضى الجزع والعقاب * وتبتغوا معناه تطلبوا اي لا درك في ان تتجروا وتطلبوا الربح * وقوله تعالى فاذا افضمتم من عرفات اجتمع اهل العلم على تمام حج من وقف بعرفات بعد الزوال وافاض نهرا قبل الليل لا مالك بن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيئا واما من وقف بعرفة ليلا فلا خلاف بين الامم في تمام حجه * وافاض القوم او الجيش اذا اندفعوا جملة واختلف في تسميتها عرفة والظاهر انه اسم مرتجل كسائر اسماء البقاع وعرفته هي نعمان الاراك والمشعر الحرام جمع كله وهو ما بين جبلي المزدلفة من حد مفضى مأزمي عرفة الى بطن محسر قاله ابن عباس وغيره فهي كلها مشعر لا بطن محسر كما ان عرفة كلها موقف لا بطن عرفة بفتح السراء وضما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف لا بطن عرفة والمزدلفة كلها مشعر أأارتفعوا عن بطن محسر وذكر هذا عبد الله

ابن الزبير في خطبته وذكر الله تعالى عند المشعر الحرام ندب عند اهل العلم
قال مالك ومن مر به ولم ينزل فعليه دم * وقوله تعالى واذكروه كما هداكم
تعدد للنعمة وامر بشكرها * ص * كما هداكم الكاف للتشبيه وهو في موضع
نصب على النعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي كهدايته فتكون ما وما
بعدها في موضع جراد ينسبك منها مع الفعل مصدر ويحتمل ان تكون للتعليل
على مذهب الاخفش وابن برهان وجوز ابن عطية وغيره ان تكون ما كافة
للكاف عن العمل والاول اولى لان فيه اقرار الكاف على عملها الجبر وقد منع
صاحب المستوفى ان تكون الكاف مكشوفة بما واحتج من اثبته بقوله
لعمرك اننى وابو حميد * كما النسوان والرجل الحليم
اريد هجاءه واخاف ربي * واعلم انه عبد لثيم
انتهى ثم ذكرهم سبحانه بحال ضلالهم ليظهر قدر انعامه عليهم * وان كنتم
من قبله اي من قبل الهدى * وقوله سبحانه ثم افيضوا من حيث افاض الناس
المخاطب بهذه الآية قريش ومن ولدت قاله ابن عباس وغيره وذلك انهم كانوا
لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفضون منه مع معرفتهم ان عرفة
هي موقف ابراهيم ف قيل لهم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
وتم ليست في هذه الآية للترتيب انما هي لعطف جملة كلام على جملة هي
منها منقطعة وقال الضحاک المخاطب بالآية جملة الامة والمراد بالناس ابراهيم
ويحتمل ان تكون افاضة اخرى وهي التي من المزدلفة وعلى هذا قول الطبري
فتكون ثم على بابها وفرأ سعيد بن جبير الناسى وتأوله ءادم عليه السلام وامر
عز وجل بالاستغفار لانها مواطن القبول ومساقط الرجعة وفي الحديث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة فقال ايها الناس ان الله

عز وجل تطاول عليكم في مقامكم هذا فقبل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنه
الا التبعات فيما بينكم افيضوا على اسم الله فلما كان غداة جمع خطب فقال ايها
الناس ان الله تطاول عليكم فعوض التبعات من عنده * وقوله تعالى فاذا قضيت
مناسككم الآية قال مجاهد المناسك الذبائح وهي اراقة الدماء * ع *
والمناسك عندى العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى اذا
فرغتم من حركم الذى هو الوقوف بعرفة فاذكروا الله بمحامده واثنوا عليه بآلانه
عندكم وكانت عادة العرب اذا قصت جها تقف عند الجمرة تتفاخر بالآباء
وتذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك فنزلت الآية ان يلزموا انفسهم
ذكر الله تعالى اكثر من التزامهم ذكر ابائهم بايام الجاهلية هذا قول جمهور المفسرين
وقال ابن عباس وعطاء معنى الآية واذكروا الله كذكر الاطفال اباءهم وامهاتهم اي
فاستغيثوا به والجأوا اليه قال النووي في حليته والمراد من الذكر حضور القلب
فينبغي ان يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر ويتعقل
معناه فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لاشتراكهما في المعنى
المقصود ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا اله
الا الله لما فيه من التدبر واقوال السلف وائمة الخلف في هذا مشهورة انتهى قال
الشيخ العارف ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى الساحلى الملقب ومنفعة
الذكر ابدا انما هي تنبع معناه بالفكر ليقبس الذاكر من ذكره انوار المعرفة
ويحصل على اللب المراد ولا خير في ذكر مع قلب غافل ساه ولا مع تضييع شيء
من رسوم الشرع وقال في موضع اخر من هذا الكتاب الذى الفه في السلوك
ولا مطمع للذاكر في درك حقائق الذكر الا باعمال الفكر فيما تحت الفاظ الذكر
من المعانى وليدفع خطرات نفسه عن باطنه راجعا الى مقتضى ذكره حتى

يغلب معنى الذكر على قلبه وقد آمن له ان يدخل في دائرة اهل المحاصرات
انتهى * وقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا الآية قال ابو
وانل وغيره كانت عاداتهم في الجاهلية الدعاء في مصالح الدنيا فقط اذ كانوا لا
يعرفون الآخرة فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بامر الدنيا وجاء النهي في صيغة
الخبر عنه والخلاق الحظ والنصيب قال الحسن بن ابى الحسن حسنة الدنيا
العلم والعبادة * ع * واللفظ اعم من هذا وحسنة الآخرة الجنة باجماع
وعن انس قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه البخارى ومسلم وغيرهما زاد مسلم
وكان انس اذا اراد ان يدعو بدعاء دعا بها فيه انتهى * اولئك لهم
نصيب مما كسبوا وعد على كسب الاعمال الصالحة والرب سبحانه سريع
الحساب لانه لا يحتاج الى عقد ولا اعمال فكري لعل رضي الله عنه كيف
يحاسب الله الخلائق في يوم فقال كما يرزقهم في يوم وقيل الحساب هنا
المجازات وقيل معنى الآية سريع مجيء يوم الحساب فيكون المقصد بالآية
الانذار بيوم القيامة * وقوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات امر الله
سبحانه بذكره في الايام المعدودات وهي الثلاثة التي بعد يوم النحر ومن جملة
الذكر التكبير في اثر الصلوات قال مالك يكبر من صلاة الظهر يوم النحر الى
صلاة الصبح من اخر ايام التشريق وبه قال الشافعى ومشهور مذهب مالك
انه يكبر اثر كل صلاة ثلاث تكبيرات ومن خواص التكبير وبركته ما رواه ابن
السني بسنده عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه انتهى من حلية
النوى * وقوله تعالى فمن تعجل في يومين الآية قال ابن عباس وغيره

المعنى من نفر في اليوم الثاني من الايام المعدودات فلا حرج عليه ومن تأخر الى الثالث فلا اثم عليه اي كل ذلك مباح اذ كان من العرب من يذم المتعجل وبالعكس فنزلت الآية رافعةً للجناح قلت واهل مكة في التعجيل كغيرهم على الاصح ثم امر سبحانه بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين يديه * وقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الآية قال السدى نزلت في الاخنس بن شريق اظهر الاسلام ثم هرب فمر بقوم من المسلمين فاحرق لهم زرعاً وقتل حمراً قال * ع * ما ثبت قط ان الاخنس اسلم قلت وفي ما قاله * ع * نظروا يلزم من عدم ثبوته عنده الا يثبت عند غيره وقد ذكر اجد بن نصر الداودي في تفسيره ان هذه الآية نزلت في الاخنس ابن شريق انتهى وسيأتي للطبري نحوه وقال قتادة وجاءت نزلت هذه الآية في كل مبطن كفراو نفاق او كذب او ضرار وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهي عامة ومعنى ويشهد الله اي يقول الله يعلم اني اقول حقا والالد الشديد الخصومة الذي يلوى الحجج في كل جانب فيشبه انحرافه المشي في لذيدي الوادي وعنه صلى الله عليه وسلم ابغض الرجال الى الله الالد الخصم * وتولى وسعى يحتمل معنيين احدهما ان يكونا فعل قلب فيجبي تولى بمعنى ضل وغضب وانف في نفسه فسعى بحيله وادارته الدوائر على الاسلام نحا هذا المنحى في معنى الآية ابن جريس وغيره والمعنى الثاني ان يكونا فعل شخص فيجبي تولى بمعنى ادبر ونهض وسعى اي بقدميه فقطع الطريق وافسدها نحا هذا المنحى ابن عباس وغيره * وقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل قال الطبري المراد الاخنس في احراقه الزرع وقتله الحمير قال * ع * والظاهر ان الآية عبارة عن مبالغته في الافساد * ولا يحجب الفساد معناه لا يحبه من اهل الصلاح او لا يحبه ديننا والا فلا يقع الا ما

يحب الله وقوعه والفساد واقع وهذا على ما ذهب اليه المتكلمون من ان الحب
بمعنى الارادة قال * ع * والحب له على الارادة مزية ايثار اذ الحب من
الله تعالى انما هولما حسن من جميع جهاته * وقوله تعالى واذا قيل له اتق الله
الآية هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا ويحذر المؤمن ان يوقعه
الحرج في نحو هذا وقد قال بعض العلماء كفى بالمرء اثما ان يقول له اخوه اتق
الله فيقول له عليك نفسك مثلك يوصيني قلت قال احمد بن نصر الداودي
عن ابن مسعود من اكبر الذنب ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك
انت تامرني انتهي والعزة هنا المنعة وشدة النفس اي اعتز في نفسه فوقعته تلك
العزة في الاثم ويحتمل المعنى اخذته العزة مع الاثم وحسبه اي كفيه والمهاد ما مهد
الرجل لنفسه كانه الفراش * وقوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه الآية
تتناول كل مجاهد في سبيل الله او مستشهد في ذاته او مغير منكرو قيل هذه الآية في
شهداء غزوة الربيع عاصم ابن ثابت وخبيب واصحابهما وقال عكرمة وغيره هي في
طائفة من المهاجرين وذكروا حديث صهيب ويشري معناه يبيع ومنه وشروء بثمن
بخس وحكى قوم انه يقال شري بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا من تأول الآية في
صهيب لانه اشترى نفسه بماله * وقوله تعالى والله رءوف بالعباد ترجية
تقتضي الحص على امتثال ما وقع به المدح في الآية كما ان قوله سبحانه
فحسبه جهنم تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم في الآية ثم امر تعالى
المؤمنين بالدخول في السلم وهو الاسلام والمسالمة وقال ابن عباس نزلت في اهل
الكتاب والالف واللام في الشيطان للجنس * وعدو يقع للواحد والاثنين
والجمع وقوله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءكم البينات الآية اصل الزلل في
القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك والمعنى ضللتكم والبيانات

محمد صلى الله عليه وسلم وآياته ومعجزاته اذا كان الخطاب اولا لجماعة المؤمنين واذا كان الخطاب لاهل الكتاب فالبينات ما ورد في شرائعهم من الاعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعريف به * وعزيز صفة مقتضية انه قادر عليكم لا تعجزونه ولا تمنعون منه وحكيم اي محكم فيما يعاقبكم به لزللكم * وقوله تعالى هل ينظرون اي ينتظرون والمراد هؤلاء الذين يزلون والظلل جمع ظلة وهي ما اطل من فوق والمعنى ياتيهم حكم الله وامره ونهيه وعقابه اياهم وذهب ابن جريس وغيره الى ان هذا التوعد هو مما يقع في الدنيا وقال قوم بل هو توعد بيوم القيامة وقال قوم لا ان ياتيهم الله وعيد بيوم القيامة واما الملائكة فالوعيد باتيانهم عند الموت والغمام ارق السحاب واصفاه واحسنه وهو الذي ظلل به بنو اسرائيل وقال النقاش هو ضباب ابيض وقضي الامر معناه وقع الجزاء وعذب اهل العصيان وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر * والى الله ترجع الامور هي راجعة اليه سبحانه قبل وبعد وانما نبه بذكر ذلك في يوم القيامة على زوال ما كان منبها الى الملوك في الدنيا * وقوله سبحانه سل بنى اسرائيل الآيات معنى الآية توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينات والمراد بالآية كم جاءهم في امر محمد صلى الله عليه وسلم من آية مُعْرِفَةٍ به دالة عليه ونعمة الله لفظ عام لجميع انعامه ولكن يقوى من حال النبي صلى الله عليه وسلم معهم ان المشار اليه هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ومن يبذل من بنى اسرائيل صفة نعمة الله ثم جاء اللفظ منسجبا على كل مبدل نعمة لله ويدخل في اللفظ كفار قريش والتوراة ايضا نعمة على بنى اسرائيل فبدلوها بالتحريف لها وجحد امر محمد صلى الله عليه وسلم فان الله شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد * وقوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا الآية لاشارة الى كفار قريش لانهم كانوا يعظمون

حالهم من الدنيا ويغبتون بها ويسخرون من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم فذكر الله قبيح فعلهم ونبه على خفض منزلتهم
بقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ومعنى الفوقية هنا في الدرجة والقدر
ويحتمل ان يريد ان نعيم المتقين في الآخرة فوق نعيم هؤلاء الآن قلت وحكى
الداودي عن قتادة فوقهم يوم القيامة قال فوقهم في الجنة انتهى ومهما ذكرت
الداودي في هذا المختصر فانما اريد اجد بن نصر الفقيه المالكي ومن تفسيره
انا انقل انتهى فان تشوفت نفسك ايها الاخ الى هذه الفوقية * ونيل هذه
الدرجة العلية * فارفض دنياك الدنية * وازهد فيها بالكلية * لتسلم
من كل آفة وبلية * واقتد في ذلك بخير البرية * قال عياض في شفاء
فانظر رجك الله سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده
قد اوتي خرائن الارض وجببت اليه الاخلاس وهادته جاعته من الملوك
فما استأثر بشيء من ذلك ولا امسك درهما منه بل صرفه مصارفه واغنى
به غيره وقوى به المسلمين ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام يلبس ما وجد فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ انتهى * وقوله تعالى كان الناس امة واحدة الآية
قال ابن عباس الناس القرون التي كانت بين ادم ونوح وهي عشرة كانوا على
الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده وقال ابن عباس ايضا كان
الناس امة واحدة اي كفارا يريد في مدة نوح حين بعثه الله وقال ابي بن كعب
وابن زيد المراد بالناس بنو ادم حين اخرجهم الله نسا من ظهراء ادم اي كانوا
على الفطرة وقيل غير هذا وكل من قدر الناس في الآية مومنين قدر في الكلام

فاختلفوا وكل من قدرهم كفارا قدر كانت بعثة النبيين اليهم ولائمة الجماعة على المقصد ويسمى الواحد امة اذا كان منفردا بمقصد ومبشرين معناه بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب والكتاب اسم الجنس والمعنى جميع الكتب وَلِيُحْكَمْ مُسْنَدُ إِلَى الْكِتَابِ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ وَالَّذِينَ أَوْتَوْهُ أَرْبَابَ الْعِلْمِ بِهِ وَخَصُّوا بِالذِّكْرِ تَنْبِيْهَا مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عَظِيمِ الشُّعْثَةِ وَالْقُبْحِ وَالْبَيِّنَاتِ الدَّلَالَاتِ وَالْحُجَجِ وَالْبَغْيِ التَّعْدَى بِالْبَاطِلِ وَهَدَىٰ مَعْنَاهُ ارشاد والمراد بالذين ءامنوا من ءامن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالت طائفة معنى الآية ان الامم كذب بعضهم كتاب بعض فهدى الله امة محمد صلى الله عليه وسلم للتصديق بجميعها وقالت طائفة ان الله سبحانه هدى المؤمنين للحق فيما اختلف فيه اهل الكتاب من قولهم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا قال زيد بن اسلم وكاختلفوا في يوم الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فليهود غد وللنصارى بعد غد وفي صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه قال الفراء وفي الكلام قلب واختاره الطبري قال وتقديره فهدى الله الذين ءامنوا للحق مما اختلفوا فيه ودعاه الى هذا التقدير خوف ان يحتمل اللفظ انهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق في نفسه نحا الى هذا الطبري في حكايته عن الفراء قال * ع * وادعاء القلب على كتاب الله دون ضرورة تدفع الى ذلك عجز وسوء نظر وذلك ان الكلام يتخرج على وجهه ورفضه لان قوله فهدى يقتضى انهم اصابوا الحق وتم المعنى في قوله فيه وتبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف فيه وباذنه قال الزجاج معناه بعلمه * ع * والاذن هو العلم والتكليف فان اقترن بذلك امر صار اقوى من الاذن بمزية * وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم الآية اكثر المفسرين انها

نزلت في قصة الاحزاب حين حصروا المدينة وقالت فرقة نزلت تسليمة
للمهاجرين حين اصببت اموالهم بعدهم وفيما نالهم من اذاية الكافرين لهم وخلوا
معناه انقروا اي صاروا في خلاء من الارض والبأساء في المال والضراء في البدن
ومثل معناه شبه والزلزلة شدة التحريك تكون في الاشخاص والاحوال وقرأ نافع
يقول بالرفع وقرأ الباقون بالنصب وحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير الى
ان وعلى قراءة نافع كانها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل واكثر
المتأولين على ان الكلام الى ماخر الآية من قول الرسول والمومنين ويكون ذلك
من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب والرسول اسم
الجنس وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير والتقدير حتى يقول الذين ءامنوا
متى نصر الله فيقول الرسول لا ان نصر الله قريب فقدم الرسول في الرتبة لمكانته
ثم قدم قول المومنين لانه المتقدم في الزمان. قال * ع * وهذا تحكم وحمل
الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل ان يكون لا ان نصر الله قريب اخبارا من
الله تعالى مؤتلفا بعد تمام ذكر القول * قوله تعالى يسألونك ما ذا ينفقون
قل ما انفقتم من خير الآية السائلون هم المومنون والمعنى يسألونك ما هي
الوجوه التي ينفقون فيها وما يصح ان تكون في موضع رفع على الابتداء وذا
خبرها بمعنى الذي وينفقون صلت وفيه عائد على ذا تقديره ينفقونه ويصح
ان تكون ما ذا اسما واحدا مركبا في موضع نصب قال قوم هذه الآية في الزكاة
المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوالدان وقال السدى نزلت قبل فرض الزكاة ثم
نسختها اية الزكاة المفروضة وقال ابن جريج وغيره هي نذب والزكاة غير هذا
الاتفاق وعلى هذا لا نسخ فيها وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب في الفاء وظاهر
الآية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازات وكتب معناه فرض واستمر الاجماع على

ان الجهاد على امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية * وقوله تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئاً الآية قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان تكرهوا ما
فى الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى انكم تغلبون وتظهرون وتغنمون وتوجرون
ومن مات مات شهيداً وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى انكم
تغلبون وتذلون ويذهب امركم قال * ص * قوله وعسى ان تحبوا شيئاً
عسى هنا للترجى ومجيئها له كثير فى كلام العرب قالوا وكل عسى فى القرآن
للتحقيق يعنون به الوقوع الا قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن انتهى وفى
قوله تعالى والله يعلم الآية قوة امر * وقوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام
الآية نزلت فى قصة عمرو بن الحضرمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث سريته عليها عبد الله بن جحش الاسدى مَقْدَمَه من بدر الاولى
فلحقوا عمرو بن الحضرمى ومعه عثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل المخزوميان
والحكم بن كيسان فى اواخر يوم من رجب على ما قاله ابن اسحاق وقالوا
ان تركناهم اليوم دخلوا الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن
الحضرمى بسهم فقتله واسر عثمان بن عبد الله والحكم وفرّ نوفل فاعجزهم
واستسهل المسلمون هذا فى الشهر الحرام خوفاً فوثهم فقالت قريش محمد قد
استحل الاشهر الحرم وعبروا بذلك وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما
امرتكم بقتال فى الاشهر الحرم فنزلت هذه الآية وقتال بدل اشتمال عند
سيبويه وقال الفراء هو مخفوض بتقدير عن وقضى به والشهر فى الآية اسم
الجنس وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قواماً تعتدل عدده فكانت
لا تسفك دماً ولا تغير فى الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يغزو فيها الا ان

يغزى فذلك قوله تعالى قل قتال فيه كبير وصد مبتدأ بمقطوع مما قبله والخبر
اكبر ومعنى الآية على قول الجمهور انكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال
في الشهر الحرام وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد الاسلام
وكفركم بالله واخراجكم اهل المسجد عنه كما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه اكبر جرما عند الله قال الزهري ومجاهد وغيرهما قوله تعالى قل قتال فيه
كبير منسوخ * ص * وسبيل الله دينه والمسجد قراءة الجمهور بالخفض قال
المبرد وتبعه ابن عطية وغيره هو معطوف على سبيل الله وردبانه حينئذ يكون
متعلقا بصد اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيلزم الفصل بين
المصدر وهو صد وبين معموله وهو المسجد باجنبي وهو وكفر به ولا يجوز وقيل
معطوف على ضمير به اي وكفر به وبالمسجد وردبان فيه عطا على الضمير المجرور
من غير اعادة الخافض ولا يجوز عند جمهور البصريين واجازة الكوفيون ويونس
وابو الحسن والشلوبين والمختار جوازه لكثرتهم سماعا ومنه قراءة حمزة تساءلون به
والارحام اي وبالارحام وتأويلها على غيره بعيد يخرج الكلام عن فصاحته انتهى
* وقوله تعالى والفتنة اكبر من القتل المعنى عند جمهور المفسرين والفتنة
التي كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اشد اجتراما من قتلهم في
الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة اشد من ان لو قتلوا ذلك المفتون * وقوله
تعالى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا هو ابتداء خبر من الله
تعالى وتحذير منه للمومنين * وقوله تعالى ومن يرتدد اي يرجع عن الاسلام الى
الكفر عيادا بالله قالت طائفة من العلماء يستتاب المرتد ثلاثة ايام فان تاب
والا قتل وبه قال مالك واحد واصحاب الراي والشافعي في احد قوليه وفي
قول له يقتل دون استتابة وحبط العمل اذا انفسد في اخره فبطل وميراث

المرتد عند مالك والشافعي في بيت مال المسلمين * وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله الآية قال عروة بن الزبير وغيره لما عنف المسلمون عبد الله بن جحش واصحابه شق ذلك عليهم فتلأفاهم الله عز وجل بهذه الآية ثم هي باقية في كل من فعل ما ذكره الله عز وجل وهاجر الرجل اذا انتقل نقلته اقامة من موضع الى موضع وقصد ترك الاول ايشارا للثاني وهي مفاعلة من هجر وجاهد مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد ويرجون معناه يطمعون ويستقربون والرجاء تنعم والرجاء ابدا معه خوف ولا بد كما ان الخوف معه رجاء * ت * والرجاء ما قارنه عمل ولا فهو امنية * قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية السائلون هم المومنون والخمر ماخوذ من خمر اذا ستر ومنه خمار المرأة والخمر ما واراك من شجر وغيره ومنه قول الشاعر
لا يازيد والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

ولما كانت الخمر تستر العقل وتغطي عليه سميت بذلك واجعت لامة على تحريم خمر العنب ووجوب الحد في القليل والكثير منه وجهور لامة على ان ما اسكر كثيرة من غير خمر العنب محرم قليله وكثيره والحد في ذلك واجب وروي ان هذه الآية اول تطرق الى تحريم الخمر ثم بعده لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ثم انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم الآية الى قوله فهل انتم منتهون ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب ولازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حد الخمر الا انه جلد اربعين خرج به مسلم وابوداود وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه ضرب فيها ضربا مشاعا وحزرة ابوبكر اربعين سوطا وعمل بذلك هو ثم عمر ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله

كاخف الحدود ثمانين وبه قال مالك ويجتنب من المضروب الوجه والفرج
والقلب والدماغ والخواصر باجماع قال ابن سيرين والحسن وابن عباس وابن
المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى لعب الصبيان بالجوز
* ت * وعبرة الداودي وعن ابن عمر الميسر القمار كله قال ابن عباس كل
ذلك قمار حتى لعب الصبيان بالجوز والكعب انتهى * وقوله تعالى
قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية قال ابن عباس والربيع الاثم فيهما بعد
التحريم والمنفعة قبله وقال مجاهد المنفعة بالخمير كسب اثمائها وقيل اللذة
بها الى غير ذلك من افراحها ثم اعلم الله عز وجل ان الاثم اكبر من النفع واعد
بالضرر في الآخرة فهذا هو التقدمة للتحريم * وقوله تعالى ويسألونك
ما ذا ينفقون قل العفو قال جمهور العلماء هذه نفقات التطوع والعفو مأخوذ من
عفا الشيء اذا كثر فالمعنى انفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه
انفسكم فتكونوا عالة على الناس * وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم آيات
لعلكم تتفكرون الاشارة الى ما تقدم تبينه من الخمر والميسر والانفاق واخبر
تعالى انه يبين للمؤمنين الآيات التي تقودهم الى الفكرة في الدنيا والآخرة
وذلك طريق النجاة لمن نفعته فكرته قال الداودي وعن ابن عباس لعلكم
تتفكرون في الدنيا والآخرة يعنى في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها
انتهى قال الغزالي رحمه الله تعالى العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة
فانها مصيرة ومستقرة فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرها عبرة فان
نظر الى سواد ذكر ظلمة الاحد وان نظر الى صورة مروعة تذكر منكرا ونكيرا
والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم
الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما يتكشف له من اخر امره بعد الحساب

من رد او قبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل لا يصرفه عنه
الامهمات الدنيا فاذا نسب مدة مقامه في الدنيا الى مدة مقامه في الآخرة استحققر
الدنيا ان لم يكن اغفل قلبه واعيت بصيرته انتهى من الاحياء * وقوله
تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير قال ابن عباس وسعيد بن
المسيب سبب الآية ان المسلمين لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الآية ونزلت
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تجنبوا اليتامى واموالهم وعزلوهم عن انفسهم
فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم الآية وامر الله سبحانه نبيه ان يجيب بان من
قصد الاصلاح في مال اليتيم فهو خير فرفع تعالى المشقة واباح الخلطة في ذلك
اذا قصد الاصلاح ورفع اليتيم * وقوله سبحانه والله يعلم المفسد من المصلح
تحذير * وقوله تعالى ولو شاء الله لا عنتكم اي لا تعبك في تجنب امر اليتامى
والعنت المشقة ومنه عقبة عنوت ومنه عنت العزبة وعزيز مقتضاه لا يرد امره
وحكيم اي مُحْكَم ما ينفذه * وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ونكح اصله في الجماع ويستعمل في العقد تجوزا قالت طائفة المشركت هنا
من يشرك مع الله الهاء اخر وقال قتادة وابن جبير الآية عامة في كل كفر
وخصصتها اية المائدة ولم يتناول العموم قط الكتابيات وقال ابن عباس والحسن
تناولهن العموم ثم نسخت اية المائدة بعض العموم في الكتابيات وهو مذهب
مالك رحمه الله ذكره ابن جبيب * وقوله تعالى ولا تمسكوا الصوامع ولا تمسكوا
المسكنات الآية هذا اخبار من الله سبحانه ان المومنة المملوكة خير من المشركة
وان كانت ذات الحسب والمال ولو اعجبتمكم في الحسن وغير ذلك هذا قول
الطبري وغيره * وقوله سبحانه ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا الآية اجعت
الامة على ان المشرك لا يطأ المومنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على دين

لإسلام قال بعض العلماء ان الولاية في النكاح نص في هذه الآية قلت ويعنى
ببعض العلماء محمد بن علي بن حسين قاله ابن العربي انتهى ولعبد مومن
مملوك خير من مشرك حسيب ولو اعجبكم حسنه وماله حسبما تقدم قال
* ع * وتحتل الآية عندى ان يكون ذكر العبد والامة عبارة عن جميع
الناس حرهم ومملوكهم اذ هم كلهم عبيده سبحانه * وقوله تعالى اولئك
يدعون الى النار اى بصحبتهن ومعاشرتهن ولا انحطاط في كثير من اهوائهم والله
عز وجل ممن بالهداية ويبين الآيات ويخص على الطاعات التى هي كلها دواع
الى الجنة ولاذن العلم والتكبين فان انضاف الى ذلك امر فهو اقوى من الاذن
لانك اذا قلت اذنت في كذا فليس يلزمك انك امرت ولعلم ترج في حق
البشر ومن تذكر عمل حسب التذكر فنجا * قوله تعالى ويسألونك عن
المحيض قل هو اذى قال الطبرى عن السدي ان السائل ثابت بن الدحداح
وقال قتادة وغيره انما سأله لان العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا
بسنة بنى اسرائيل في تجنب مواكله الحائض ومساكنتها فنزلت الآية
* وقوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض يريد جماعهن بما فسر من ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان تشد الحائض ازارها ثم شأنه باعلاها قال
احمد بن نصر الداودى روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النساء
في المحيض فان الجذام يكون من اولاد المحيض انتهى * قوله تعالى ولا تقربوهن
حتى يطهرن وقرأ جزء وغيره يطهرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما وكل واحدة من
القراءتين يحتمل ان يراد بها الاغتسال بالماء وان يراد بها انقطاع الدم
وزوال اذاه قال ابن العربي في احكامه سمعت ابا بكر الشاشى يقول اذا قيل لا
تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لا

تدن منه انتهى وجهور العلماء على ان وطأها في الدم ذنب عظيم يتاب منه ولا كفارة فيه بمال وجهورهم على ان الطهر الذي يحل جاع الحائض هو بالماء كطهر الجنب ولا يجوز من ذلك تيمم ولا غيره * وقوله تعالى فاذا تطهروا الآية الخلاف فيها كما تقدم وقال مجاهد وجاعة تطهروا اي اغتسلوا بالماء بقرينة الامر بالانتيان لان صيغة الامر من الله تعالى لا تقع الا على الوجه الاكمل فاتبهم امر بعد الحظر يقتضي الاباحة والمعنى من حيث امركم الله باعتزالهن وهو الفرج او من السرة الى الركبة على الخلاف في ذلك وقال ابن عباس المعنى من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقيل المعنى من قبل حال الاباحة لا صائمات ولا مُحَرَّمات ولا غير ذلك والتوابون الرجاعون وعرفه من الشر الى الخير والمتطهرون قال عطاء وغيره المعنى بالماء وقال مجاهد وغيره المعنى من الذنوب * وقوله تعالى نساؤكم حرث لكم الآية مبيحة لهيات الانتيان كلها اذا كان الوطء في موضع الحرث ولفظة الحرث تعطى ان الاباحة لم تقع الا في الفرج خاصة اذ هو المزدرع قال ابن العربي في احكامه وفي سبب نزول هذه الآية روايات الاول من جابر قال كانت اليهود تقول من اتى امرأة في قبلها من دبرها جاء الولد احول فنزلت الآية وهذا حديث صحيح خرجه الائمة الثانية قالت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم قال ياتيها مقبلة ومدبرة اذا كان في صمام واحد خرجه مسلم وغيره الثالثة ما روى الترمذى ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هلكت قال وما اهلكك قال حولت البارحة رحلى فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزلت نساؤكم حرث لكم اقبل وادبر واتق الدبر انتهى قال ع * وانى شئتم معناه عند جمهور العلماء من اي وجه شئتم مقبلة ومدبرة

على جَنْب قال * ع * وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصنف النسائي وفي غيره انه قال اتيان النساء في ادبارهن حرام وورد عنه فيه انه قال ملعون من اتى امرأة في دبرها وورد عنه انه قال من اتى امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل على قلب محمد وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغي لمومن بالله ان يعرج بهذه النازلة على زلة عالم بعد ان تصح عنه والله المرشد لا رب غيره * وقوله جلت قدرته وقدموا لانفسكم قال السدي معناه قدموا الاجر في تجنب ما نهيتهم عنه وامتنال ما امرتم به واتقوا الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضى المبالغة في التحذير اي فهو مجازيكم على البر والاثم وبشر المومنين تانيس لفاعلى البر ومتبعى سنن الهدى * قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمنكم الآية مقصد الآية ولا تعرضوا اسم الله تعالى فتكثروا الايمان به فان الحنث يقع مع الاكثار وفيه قلة رعي لحق الله تعالى وقال الزجاج وغيره معنى الآية ان يكون الانسان اذا طلب منه فعل خير ونحوه اعتل بالله وقال عليّ يمين وهول يحلف وقوله عرضة قال ابن العربي في احكامه اعلم ان بناء عرض في كلام العرب يتصرف على معان مرجعها الى المنع لان كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض في السماء من السحاب عارض لانه يمنع من رؤيتها ومن رؤية البدرين والكواكب انتهى وان تبروا مفعول من اجله والبر جيع وجوه البر وهو ضد الاثم وسميع اي لا قوال العباد عليم بنياتهم وهو مجاز على الجميع واليمين الحلف واصله ان العرب كانت اذا تحالفت او تعاهدت اخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يميناً * وقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمنكم اللغو سقط الكلام الذي لا حكم له قال ابن عباس وعائشة والشعبي وابو صالح ومجاهد لغو اليمين قول الرجل في درج

كلامه واستعجاله في المحاورة لا والله وبلى والله دون قصد لليمين وقد اسنده البخاري عن عائشة وقال ابو هريرة والحسن ومالك وجماعة لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك * ع *

وهذا اليقين هو غلبة الظن وقال زيد بن اسلم لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه وقال الضحاك هي اليمين المكفرة وحكى ابن عبد البر قولا ان اللغو ايمان المكره قال * ع * وطريقة النظر ان تتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب ويُحْكَم موقعهما في اللغة فكسب المرء ما قصده ونواه واللغو ما لم يتعمده او ما حقه لم يجتنه ان يسقط فيقوى على هذه الطريقة بعض الاقوال المتقدمة ويضعف بعضها وقد رفع الله عز وجل المواخذة بالاطلاق في اللغو فحقيقته ما لا اثم فيه ولا كفارة والمواخذة في الايمان هي بعقوبة الآخرة في الغموس المصبورة وفيما ترك تكفيره مما فيه كفارة وبعقوبة الدنيا في الزام الكفارة فيضعف القول بانها اليمين المكفرة لان المواخذة قد وقعت فيها وتخصيص المواخذة بانها في الآخرة فقط تحكم * ت * والقول الاول ارجح وعليه عول اللخمي وغيره * وقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم قال ابن عباس وغيره ما كسب القلب هي اليمين الكاذبة الغموس فهذه فيها المواخذة في الآخرة اي ولا تكفر * ع *

وسميت الغموس لانها غمست صاحبها في الاثم وغفور حلیم صفتان لا تقتتان بما ذكر من طرح المواخذة اذ هو باب رفق وتوسعة * وقوله تعالى للذين يولون من نسائهم الآيت يولون معناه يحلفون ولايلاء اليمين واختلف من المراد بلزوم حكم لا يلاء فقال مالك هو الرجل يغاصب امرأته فيحلف بيمين يلحق عن الحنث فيها حكم ان لا يطأها ضررا منه اكثر من اربعة اشهر لا يقصد بذلك اصلاح ولد رضيع ونحوه وقال به عطاء وغيره * وقوله

تعالى من نسائهم يدخل فيه الحرائر والاماء اذا تزوجن والتربص الثانى والتأخر
واربعة اشهر عند مالك وغيره للحر وشهران للعبد وقال الشافعى هو كالحر وفاءوا
معناه رجعوا ومنه حتى تفى الى امر الله قال الجمهور واذا فاء كفر والنفس عند
مالك لا يكون الا بالوطء او بالتكفير فى حال العذر * قوله تعالى والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء حكم هذه الآية قصد الاستبراء لا انه عبادة ولذلك
خرجت منه من لم يبين بها بخلاف عدة الوفاة التى هي عبادة والقروء فى
اللغة الوقت المعتاد تردده فالحيض يسمى على هذا قروء وكذلك يسمى الطهر
قروء واختلف فى المراد بالقروء هنا فقال عمرو جاعة كثيرة المراد بالقروء فى الآية
الحيض وقالت عائشة وجاعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم المراد لاطهار
وهو قول مالك واختلف المتأولون فى قوله ما خلق الله فى ارحامهن فقال ابن
عمرو ومجاهد وغيرهما هو الحيض والحبل جميعا ومعنى النهي عن الكتمان النهي
عن الاصرار بالزوج فى الزامه النفقة وازهاب حقه فى الارتجاع فامر بالصدق
نفيا واثباتا وقال قتادة كانت عاداتهن فى الجاهلية ان يكتمن الحمل ليحسبن
الولد بالزوج الجديد ففى ذلك نزلت الآية وقال ابن عباس ان المراد بالحبل
والعموم راجح وفى قوله تعالى ولا يحل لهن ما يقتضى انهن مؤمنات على ما ذكر
ولو كان الاستقصاء مباحا لم يمكن كنم * وقوله سبحانه ان كن يومن بالله الآية
اي حق الايمان وهذا كما تقول ان كنت حرا فانتصروا وت تخاطب حرا
والبعل الزوج ونص الله تعالى بهذه الآية على ان للزوج ان يرتجع امرأته
المطلقة ما دامت فى العدة ولاشارة بذلك الى المدة بشرط ان يريد الاصلاح
دون المضارة كما تشدد على النساء فى كنم ما فى ارحامهن وقوله تعالى ولهن مثل
الذى عليهن الآية تعم جميع حقوق الزوجية * وقوله تعالى وللرجال عليهن

درجة قال مجاهد هو تنبيه على فضل حظه على حظها في الميراث وما اشبهه
وقال زيد بن اسلم ذلك في الطاعة عليها ان تطيعه وليس عليه ان يطيعها
وقال ابن عباس تلك الدرجة اشارة الى حص الرجل على حسن العشرة
والتوسع للنساء في المال والخلق اي ان الافضل ينبغي ان يتحامل على نفسه
وهذا قول حسن بارع * وقوله تعالى الطلاق مرتان الآية قال عروة بن
الزبير وغيره نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه ان يرجع
دون تجديد مهرولي وقال ابن عباس وغيره المراد بالآية التعريف بسنة
الطلاق وان من طلق اثنتين فليثق الله في الثالثة فاما تركها غير مطلومة
شيأ من حقها واما امسكها محسنا عشرتها * ع * والآية تتضمن هذين
المعنيين * ص * الطلاق مبتدأ على حذف مضاف اي عدد الطلاق
ومرتان خبره انتهى والامساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية الى حسن
العشرة والتسريح يحتمل لفظه معنيين احدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون
املك بنفسها وهذا قول السدي والضحاك والمعنى الآخر ان يطلقها ثالثة
فيسرحها بذلك وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما وامساك مرتفع بالابتداء
والخبر امثل او احسن * وقوله تعالى ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن
شيأ الآية خطاب للزواج نهاهم به ان يأخذوا من ازواجهم شيأ على وجه المضارة
وهذا هو الخلع الذي لا يصح الالبان لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما اتي
الازواج نساءهم لانه عرف الناس عند الشقاق والفساد ان يطلبوا ما خرج من
ايديهم وحرم الله تعالى على الزوج في هذه الآية ان يأخذ الا بعد الخوف الا
يقينا حدود الله واكد التحريم بالوعيد وحدود الله في هذا الموضع هي ما يلزم
الزوجين من حسن العشرة وحقوق العصمة * وقوله تعالى فان خفتما الاقيما

حدود الله المخاطبة للحكام والمتوسطين لهذا الامر وان لم يكونوا حكاما وترك
اقامة حدود الله هو استخفاف المرأة بحق زوجها وسوء طاعتها اياه قاله ابن عباس
ومالك وجهور العلماء وقال الشعبي الا يقيما حدود الله معناه الا يطيعا الله وذلك
ان المغاضبة تدعو الى ترك الطاعة * وقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت
به اباحة للفدية وشركها في ارتفاع الجناح لانها لا يجوز لها ان تعطيه مالها
حيث لا يجوز له اخذه وهي تقدر على المخاصمة قال ابن عباس وابن عمر
ومالك وابو حنيفة وغيرهم مباح للزوج ان ياخذ من المرأة في الفدية جميع ما
تملكه وقضى بذلك عمر بن الخطاب وقال طاوس والزهري والحسن وغيرهم
لا يجوز له ان يزيد على المهر الذي اعطاها وقال ابن المسيب لا ارى ان ياخذ
منها كل مالها ولكن ليدع لها شيئا * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية اي
هذه الاوامر والنواهي فلا تتجاوزوها ثم توعده تعالى على تجاوز الحد بقوله ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وهو كما قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات
يوم القيامة * وقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد الآية قال ابن عباس
وغيره هو ابتداء الطلقة الثالثة قال * ع * فيجيء التسريح المتقدم
ترك المرأة تتم غدتها من الثانية واجعت الامة في هذه النازلة على
اتباع الحديث الصحيح في امرأة رفاعة حين تزوجت عبد الرحمن بن الزبير
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لعلك اردت الرجوع الى رفاعة لا جتى
يدوق عسيلتك وتذوق عسيلته فرأى العلماء انه لا يحلها الا الوطء وكلهم على ان
مغيب الحشفة يحل الا الحسن بن ابي الحسن قال لا يحلها الا الانزال وهو
ذوق العسيلة والذي يحلها عند مالك النكاح الصحيح والوطء المباح * وقوله
تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله الآية

المعنى فان طلقها المتزوج الثانى فلا جناح عليهما اي المرأة والزوج الاول قاله ابن عباس ولا خلاف فيه والظن هنا على بابيه من تغليب احد الجائزين وخص الذين يعلمون بالذكر تشريفا * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء الآية خطاب للرجال نهى الرجل ان يطول العدة مضارة لها بان يرتجع قرب انقضائها ثم يطلق بعد ذلك قاله الصحاح وغيره ولا خلاف فيه ومعنى بلغن اجلهن قاربن لانه بعد بلوغ الاجل لا خيار له فى الامساك ومعنى امسكوهن راجعوهن وبمعروف قيل هو الاشهاد ولا تمسكوهن اي لا تراجعوهن ضرارا وباقي الآية بين * وقوله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا الآية المراد بآياته النازلة فى الاوامر والنواهي وقال الحسن نزلت هذه الآية فيمن طلق لاعبا او هازئا او راجع كذلك وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ثم ذكر الله عبادة بانعامه سبحانه عليهم بالقراء والسنة والحكمة هي السنة المبينة مراد الله سبحانه * وقوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن الآية خطاب للمؤمنين الذين منهم الازواج ومنهم الاولياء لانهم المراد فى تعضلوهن وبلوغ الاجل فى هذا الموضع تنذاهيه لان المعنى يقتضى ذلك وقد قال بعض الناس فى هذا المعنى ان المراد بتعضلوهن الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة عضلا عن نكاح الغير فقوله ازواجهن على هذا يعنى به الرجال اذ منهم الازواج وعلى ان المراد بتعضلوهن الاولياء فالازواج هم الذين كن فى عصمتهم والعصل المنع وهو من معنى التضييق والتعسير كما يقال اعصلت الدجاجة اذا عسريضها والداء العضال العسير البرء وقيل نزلت هذه الآية فى معقل بن يسار واختمه لما طلقها زوجها وتمت عدتها اراد ارتجاعها فمنعه ولي المرأة وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله واختمه وهذه الآية تقتضى ثبوت حق

الولي في انكاح وليته وقوله بالمعروف معناه المهر والاشهاد * وقوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجوع الى خطاب الجماعة والاشارة في ذلكم اركى الى ترك العزل واركى واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعرض والدين بسبب العلاقات التى تكون بين الازواج وربما لم يعلمها الولي فيؤدى العزل الى الفساد والمخالطة على ما لا ينبغي والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر * قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة يرضعن اولادهن خبر معناه الامر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى الذنب لبعضهن فيجب على الام الارضاع ان كانت تحت ابيه او رجعية ولا مانع من علو قدر بغير اجر وكذلك ان كان الاب عديما او لم يقبل الولد غيرها وهذه الآيات فى المطلقات جعلها الله حدا عند اختلاف الزوجين فى مدة الرضاع فمن دعا منهما الى اكمال الحولين فذلك له * وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة مبني على ان الحولين ليسا بفرض لا يتجاوز وانتزع مالك رحمه الله وجاعة من العلماء من هذه الآية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هي ما كان فى الحولين لان بانقضاء الحولين تمت الرضاعة فلا رضاعة * ت * فلو كان رضاعه بعد الحولين بمدة قريبة وهو مستمر الرضاع او بعد يومين من فضاله اعتبر اذ ما قارب الشيء فله حكمه انتهى * وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الآية المولود له اسم جنس وصنف من الرجال والرزق فى هذا الحكم الطعام الكافى وقوله بالمعروف يجمع حسن القدر فى الطعام وجودة الاداء له وحسن الاقتضاء من المرأة ثم بين سبحانه ان الانفاق على قدر غنى الزوج بقوله لا تكلف نفس الا وسعها وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابان عن عاصم لا تضار والدته بضم الراء وهو خبر

معناه الامر ويحتمل ان يكون الاصل لا تضارر بكسر الراء الاولى فوالدة فاعلة
ويحتمل بفتح الراء الاولى فوالدة مفعول لم يسم فاعله ويعطف مولود له على هذا
الحذف في الاحتمالين وقرأ نافع وحزرة والكسماى وعاصم لا تضار بفتح الراء وهذا
على النهي ويحتمل اصله ما ذكرنا في الاولى ومعنى الآية في كل قراءة النهي
عن الاضرار ووجوه الضرر لا تنحصر وكل ما ذكر منها في التفسير فهو مثال
* ت * وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار رواه مالك في الموطا مرسلًا قال النووي
في الحلية ورويناه في سنن الدارقطني وغيره من طرق متصلا وهو حسن
انتهى * وقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك قال مالك وجيع اصحابه
والشعبى والزهرى وجاعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك ان لا يضار واما
الرزق والكسوة فلا شيء عليه منه قال * ع * فالاجاع من الامة
في ان لا يضار الوارث وانما الخلاف هل عليه رزق وكسوة ام لا * وقوله تعالى
فان ارادا فصلا الآية اي فان اراد الوالدان وفضالا معناه فطاما عن الرضاع
وتحرير القول في هذا ان فضله قبل الحولين لا يصح الا بتراضيهما وان لا يكون
على المولود ضرر واما بعد تمامهما فمن دعا الى الفصل فذلك له الا ان يكون
في ذلك على الصبي ضرر * وقوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
مخاطبة لجميع الناس يجمع الآباء والامهات اي لهم اتخاذ الظئر مع
الاتفاق على ذلك واما قوله اذا سلمتم فمخاطبة للرجال خاصة الا على احد
التاويلين في قراءة من قرأ أوتيتم وقرأ الستة من السبعة ماتيتم بالمعنى
اعطيتم وقرأ ابن كثير أوتيتم بمعنى فعلتم كما قال زهير

وما كان من خير اتوه فانما * توارثه ابااء ابااتهم قبل

فاحد التاويلين في هذه القراءة كالاول والتاويل الثانى لقتادة وهو اذا سلمتم ما

ءأنتيم من ارادة الاسترضاع اي سلم كل واحد من الابوين ورضي وكان ذلك على اتفاق منهما وقصد خير وارادة معروف وعلى هذا الاحتمال يدخل النساء في الخطاب * ت * وفي هذا التأويل تكلف وقال سفيان المعنى اذا سلمتم الى المسترضعة وهي الظن اجرها بالمعروف وباقي الآية امر بالتقوى وتوقيف على ان الله تعالى بصير بكل عمل وفي هذا وعيد وتحذير اي فهو مجاز بحسب عملكم * وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن هذه الآية في عدة المتوفى عنها زوجها وظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الحرائر غير الحوامل ولم تعن الآية لما يشذ من مرتابة ونحوها وعدة الحامل وضع حملها عند الجمهور وروي عن علي وابن عباس اقصى الاجلين وبتربصن خبر يتضمن معنى الامر والتربص الصبر والتأني والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم متظاهرة ان التربص باحداد وهو الامتناع عن الزينة ولبس المصبوغ الجميل والطيب ونحوه والتزام المبيت في مسكنها حيث كانت وقت وفاة الزوج وهذا قول جمهور العلماء وهو قول مالك واصحابه وجعل الله تعالى اربعة اشهر وعشرا عبادة في العدة فيها استبراء للحمل اذ فيها تكمل الاربعون والاربعون والاربعون حسب الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ثم ينفخ الروح وجعل تعالى العشر تكملة اذ هي مظنة لظهور الحركة بالجنين وذلك لنقص الشهر او كمالها او لسرعة حركة الجنين او ابطائها قاله ابن المسيب وغيره وقال تعالى وعشرا تغليباً لحكم الليالي وقرأ ابن عباس وعشر ليال قال جمهور العلماء ويدخل في ذلك اليوم العاشر * وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من زينة واطراح الاحداد قاله مجاهد وغيره اذا كان معروفاً غير منكر قال

* ع * وجوه المنكر كثيرة وقوله سبحانه والله بما تعملون خبير وعيد يتضمن التحذير وخبير اسم فاعل من خبر اذا تقصى علم الشيء . * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الآية تصريح بخطبة المعتدة حرام والتعريض جائز وهو الكلام الذى لا تصريح فيه او اكنتم معناه سترتم واخفيتم * وقوله تعالى ستذكرونهن قال الحسن معناه ستخطبونهن وقال غيره معناه علم الله انكم ستذكرون النساء المعتدات فى نفوسكم وبالسنتكم فنهى عن ان يوصل الى التواعد معهن * ع * والسرى فى اللغة يقع على الوطء حلاله وحرامه والآية تعطى النهي عن ان يواعد الرجل المعتدة ان يطأها بعد العدة بوجه التزويج وقال ابن جبر سرا اي نكاحا وهذه عبارة مخصصة واجعت الامة على كراهة المواعدة فى العدة * وقوله تعالى الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء منقطع والقول المعروف هو ما ابيح من التعريض كقول الرجل انكم لا كفاء كرام وما قُدِّرَ كان ونحو هذا * وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله عزم العقدة عقدها بالاظهار والولي وحينئذ تسمى عقدة * ت * والظاهر ان العزم غير العقد وقوله تعالى حتى يبلغ الكتاب اجله يريد تمام العدة والكتاب هنا هو الحد الذى جعل والقدر الذى رسم من المدة وقوله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروا الآية تحذير من الوقوع فيما نهى عنه وتوقيف على غفرة وحلمه * وقوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة هذا ابتداء اخبار برفع الجناح عن المطلق قبل البناء والجماع فرض مهرا او لم يفرض ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة وامر بالتزوج طلبا للصمت والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المؤمنين ان من طلق قبل البناء قد واقع جزءا من هذا المكروه فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك

إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح عليكم معناه لا طلب لجميع المهر بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض لها وفرض المهر اثباته وتحديده وهذه الآية تعطى جواز العقد على التفويض لأنه نكاح مقرر في الآية مبين حكم الطلاق فيه قاله مالك في المدونة والفريضة الصداق * وقوله تعالى ومتعوهن أي أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن وحله ابن عمر وغيره على الوجوب وحله مالك وغيره على الندب واختلف الناس في مقدار المتعة قال الحسن يمنع كل على قدره هذا بخادم وهذا بأثواب وهذا بثوب وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك * وقوله تعالى على الموسع قدرة وعلى المقتر قدرة دليل على رفض التحديد والموسع أي من اتسع حاله والمقتر المقل القليل المال ومتاعاً نصب على المصدر * وقوله تعالى بالمعروف أي لأجل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين فهو تأكيد لمعنى قوله على الموسع قدرة وعلى المقتر قدرة ثم أكد تعالى الندب بقوله حقاً على المحسنين أي في هذه النازلة من التمتع هم محسنون ومن قال بأن المتعة واجبة قال هذا تأكيد للوجوب أي على المحسنين بالإيمان والاسلام وحقاً صفة لقوله تعالى متاعاً * ت * وظاهر الآية عموم هذا الحكم في جميع المطلقات كما هو مذهب الشافعي وأجد وأصحاب الرأي والظاهر جل المتعة على الوجوب لوجوه منها صيغة الأمر ومنها قوله حقاً ومنها لفظة على ومنها من جهة المعنى ما يترتب على امتناعها من جبر القلوب وربما أدى ترك ذلك إلى العداوة والبغضاء بين المؤمنين وقد مال بعض ائمتنا المتأخرين إلى الوجوب انتهى * وقوله تعالى وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن الآية اختلف في هذه الآية فقالت فرقة فيها مالك أنها مخرجة للمطلقة بعد الفرض من حكم التمتع إذ يتناولها * قوله تعالى ومتعوهن

وقال قتادة نسخت هذه الآية التي قبلها وقال ابن القاسم في المدونة
كان المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وغير المدخول بها
بآية التي في سورة الاحزاب فاستثنى الله سبحانه المفروض لها قبل الدخول
بهذه الآية واثبت لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن اسلم انها منسوخة حكى
ذلك في المدونة عن زيد بن اسلم زعما وقال ابن القاسم انها استثناء والتحرير يرد
ذلك الى النسخ الذي قال زيد لان ابن القاسم قال ان قوله تعالى
وللمطلقات متاع عم الجميع ثم استثنى الله منه هذه التي فرض لها قبل المسيس
وقال فريق من العلماء منهم ابو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه الآية انما بينت
ان المفروض لها تاخذ نصف ما فرض اي مع متعتها وقرأ الجمهور فنصف بالرفع
والمعنى فالواجب نصف ما فرضتم * وقوله تعالى الا ان يعفون استثناء منقطع
ويعفون معناه يتركن ويصفحن اي يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج
وذلك اذا كانت المرأة تملك امر نفسها واختلف في المراد بقوله تعالى
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس ومجاهد ومالك وغيرهم هو
الولي الذي المرأة في حجرة وقالت فرقة الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج
فعلى القول الاول النذب في النصف الذي يجب للمرأة اما ان تعفوهي واما
ان يعفوليها وعلى القول الثاني اما ان تعفوهي ايضا فلا تاخذ شيئا واما ان
يعفو الزوج عن النصف الذي يُحط فيؤدى جميع المهر ثم خاطب تعالى الجميع
نادبا بقوله وان تعفوا اقرب للتقوى اي يا جميع الناس وقرأ علي بن ابي طالب
وغیره ولا تناسوا الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لانه موضع تناس لا نسيان الاعلى
التشبيه * وقوله تعالى ولا تنسوا الفضل ندب الى المجاملة * وقوله ان
الله بما تعملون بصير خبر وضمنه الوعد للمحسن والحرمان لغير المحسن * قوله

تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآية الخطاب لجميع الامة والآية امر بالمحافظة على اقامة الصلوات في اوقاتها وبجميع شروطها وخرج الطحاوى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امر بعبد من عباد الله ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلا قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه افاق فقال على م جلدتنى قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره انتهى من التذكرة للقرطبي وفي الحديث ان الصلاة ثلاثة اثلاث الطهور ثلث والركوع ثلث والسجود ثلث فمن اداها بحققها قبلت منه وقبل منه سائر عمله ومن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله رواه النسائي انتهى من الكوكب الدرري وروى مالك في الموطا عن يحيى بن سعيد انه قال بلغنى انه اول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت منه نُظر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد وقد روي هذا الحديث مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح ثم اسند ابو عمر عن انس بن حكيم الضبي قال قال لى ابو هريرة اذا اتيت اهل مصر كنت فاخبرهم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يحاسب به العبد المسلم صلاة المكتوبة (١) فان اتمها ولا قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك وفي رواية تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك انتهى وذكر الله سبحانه الصلاة الوسطى ثانية وقد دخلت قبل في عموم قوله الصلوات لانه

اراد تشريفها واختلف الناس في تعيينها فقال علي وابن عباس وجاعة من الصحابة انها صلاة الصبح وهو قول مالك وقالت فرقة هي الظهر وورد فيه حديث وقالت فرقة هي صلاة العصر وفي مصحف عائشة واملأ حفصة صلاة العصر وعلى هذا القول جمهور العلماء وبه اقول وقال قبيصة بن دويب هي صلاة المغرب وحكى ابو عمر بن عبد البر عن فرقة انها صلاة العشاء الآخرة وقالت فرقة الصلاة الوسطى لم يعينها الله سبحانه فهي في جملة الخمس غير معينة كليلة القدر وقالت فرقة هي صلاة الجمعة وقال بعض العلماء هي الخمس وقوله اولاً على الصلوات يعم النفل والفرص ثم خص الفرض بالذكر * وقوله تعالى وقوموا لله قانتين معناه في صلاتكم واختلف في معنى قانتين فقال الشعبي وغيره معناه مطيعين قال الضحاك كل قنوت في القرآن فانما يُعنى به الطاعة وقاله ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وغيره القنوت السكوت وذلك انهم كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت هذه الآية فامروا بالسكوت وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين فالقنوت طول الركوع والخشوع ونض البصر وخفض الجناح قال * ع * واحضار الخشية والفكر في الوقوف بين يدي الله سبحانه وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع وقال قوم القنوت الدعاء وقانتين معناه داعين روي معناه عن ابن عباس * وقوله تعالى فان خفتهم فرجالاً او ركبانا الآية امر الله تعالى بالقيام له في الصلاة بحالة قنوت وهو الوقار والسكينة وهذو الجوارح وهذا على الحالة الغالبة من الامن والطمأنينة ثم ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة احياناً فرخص لعبيده في الصلاة رجالاً متصرفين على الاقدام وركبانا على الخيل والابل ونحوهما ايماء واشارة بالراس حيث ما توجه هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذي قد ضايقه الخوف على نفسه في

حال المسايقة او من سبع يطلبه او عدو يتبعه او سيل يحمله وبالجملته فكل امر
يخاف منه على روجه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية واما صلاة الخوف بالامام
وانقسام الناس فليس حكمها في هذه الآية وسيأتى ان شاء الله في سورة النساء
والركبان جمع راكب وهذه الرخصة في ضمنها باجماع من العلماء ان يكون الانسان
حيث ما توجه ويتقلب ويتصرف بحسب نظره في نجاة نفسه * ت *
وروى ابو داود في سننه عن عبد الله بن أنيس قال بعثنى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى خالد بن سفيان وكان نحو عُرْنَةٍ وَعُرْفَةٍ قال اذهب فاقتله
فرايته وقد حضرت صلاة العصر فقلت انى لا خاف ان يكون بينى وبينه ما
يؤخر الصلاة فانطلقت امشى وانا اصلى اومى ايماء نحوه فلما دنوت منه قال لى
من انت قلت رجل من العرب بلغنى انك تجمع لهذا الرجل فجئتك في
ذلك قال انى لفى ذلك فمشيت معه ساعة حتى اذا امكنتى علوته بسيفى
حتى برد انتهى وقد ترجم عليه باب في صلاة الطالب قال * ع *
واختلف الناس كم يصلى من الركعات والذى عليه مالک وجماعة انه لا ينقص
من عدد الركعات شيئاً فيصلى المسافر ركعتين واختلف المتأولون في قوله سبحانه
فاذا امنتم فاذكروا الله الآية فقالت فرقة المعنى اذا زال خوفكم فاذكروا الله
سبحانه بالشكر على هذه النعمة وقالت فرقة اذكروا الله اي صلوا كما علمتم
صلاة تامة يعنى فيما يُستقبل من الصلوات * قوله تعالى والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم الذين رفع بالابتداء
وخبره مضمرة تقديره فعليهم وصية لازواجهم وفي قراءة ابن مسعود كتب عليكم وصية
قالت فرقة كانت هذه وصية من الله تعالى تجب بعد وفاة الزوج قال قتادة

كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها لها السكنى والنفقة حولا في مال الزوج ما لم تخرج برأيها ثم نسخ ما في هذه الآية من النفقة بالربع او بالثلث الذي في سورة النساء ونسخ سكنى الحول بالاربعة الاشهر والعشر وقاله ابن عباس وغيره ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى غير اخراج معناه ليس لاولياء الميت ووارثي المنزل اخراجها وقوله تعالى فان خرجن الآية معناه ان الخروج اذا كان من قبل الزوجة فلا جناح على احد ولي او حاكم او غيره فيما فعلن في انفسهن من تزويج وتزوين وترك اعداد اذا كان ذلك من المعروف الذي لا ينكر وقوله تعالى والله عزيز حكيم صفة تقتضي الوعيد بالנקمة لمن خالف احد في هذه النازلة وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه * وقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون قال عطاء بن ابي رباح وغيره هذه الآية في الثيبات اللواتي قد جومعن اذ قد تقدم في غير هذه الآية ذكر المتعة اللواتي لم يدخل بهن وقال ابن زيد هذه الآية نزلت مؤكدة لامر المتعة لانه نزل قبل حقا على المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم امتنع فنزلت حقا على المتقين قال الطبري فوجب ذلك عليهم * قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا الآية هذه رؤية القلب بمعنى الم تعلم وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك انهم قوم من بنى اسرائيل امروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شيء ثم احياهم وامرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا في سبيل الله الآية وروى ابن جريج عن ابن عباس انهم كانوا من بنى اسرائيل وانهم كانوا اربعين الفا وثمانية آلاف وانهم اميتوا ثم احيوا وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بنى اسرائيل الى اليوم

فامرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا في سبيل الله قال * ع * وهذا القصص كله لين للاسناد وانما اللازم من الآية ان الله تعالى اخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت بامانتهم الله ثم احياهم ليعلموا هم وكل من خلف بعدهم ان الامانة انما هي باذن الله لا بيد غيره فلا معنى لخوف خائف وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي امره المؤمنين من امته محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول الطبرى وهو ظاهر وصف الآية والجمهور على ان الوفاء جمع الف وهو جمع كثرة وقال ابن زيد في لفظة الوفاء انما معناها وهم مؤمنون * وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الآية تنبيه على فضله سبحانه على هؤلاء القوم الذين تفضل عليهم بالنعم وامرهم بالجهاد وان لا يجعلوا الحول والقوة الا له سبحانه حسبما امر جميع العالم بذلك فلم يشكروا نعمته في جميع هذا بل استبدوا ووطنوا ان حولهم وسعيهم ينجيهم وهذه الآية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل اي فيجب ان يشكر الناس فضله سبحانه في ايجاده لهم ورزقه اياهم وهدايته بالاوامر والنواهي فيكون منهم المبادرة الى امتثالها لا طلب الخرج عنها وفي تخصيصه تعالى لأكثر دلالة على ان الأقل الشاكر * وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الآية الجمهور ان هذه الآية مخاطبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال في سبيل الله وهو الذى يُنَوَى به ان تكون كلمة الله هي العليا حسب الحديث وقال ابن عباس والصحاح الامر بالقتال هو للذين احبوا من بنى اسرائيل قال الطبرى ولا وجه لهذا القول ثم قال تعالى من ذا الذى يقرض الله الآية فدخل في ذلك المقاتل في سبيل الله فانه يقرض رجاء ثواب الله كما فعل عثمان في جيش العسرة ويروى ان هذه الآية لما

نزلت قال ابو الدحداح يا رسول الله اوان الله يريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال فاني قد اقرضته حائطي لحائط فيه ستمائة نخلة ثم جاء الحائط وفيه ام الدحداح فقال اخرجني فاني قد اقرضت ربي حائطي هذا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كم من عذق مذلل لابي الدحداح في الجنة واستدعاء القرض في هذه الآية وغيرها انما هو تأنيس وتقريب للفهم والله هو الغني الحميد قال ابن العربي في احكامه وكفى الله عز وجل عن الفقير بنفسه العلية ترغيبا في الصدقة كما كنى عن المريض والجائع والعاطش بنفسه المقدسة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن ادم استطعمتكم فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن ادم استسقينك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته وجدت ذلك عندى انتهى واللفظ لصحيح مسلم قال ابن العربي وهذا كله خرج مخرج التشریف لمن كُنِيَ عنه وترغيبا لمن خوطب انتهى * وقوله حسنا معناه تطيب فيه النية ويشبه ايضا ان تكون اشارة الى كثرة وجودته وهذه الاضعاف الكثيرة الى السبع مائة التي رويت ويعطيها مثال السنبلة * ت * والحق الذي لا شك فيه وجوب الايمان بما ذكر المولى سبحانه ولا سبيل الى التحديد الا ان يشب في ذلك حديث صحيح فيصار اليه وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم فيما خرجه مسلم والبخارى انظره عند قوله تعالى كمثل حبة قال * ع *

روي ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه ان يسعر بسبب غلاه خيف على المدينة فقال ان الله هو الباسط القابض وانى لا رجوان القى الله ولا يتبعنى احد بمظلمة فى نفس ولا مال قال صاحب سلاح المومن عند شرحه لاسمه تعالى القابض الباسط قال بعض العلماء يجب ان يُقرن هذين الاسمين ولا يفصل بينهما ليكون انبأ عن القدرة وادل على الحكمة كقوله تعالى والله يقبض ويبسط واذا قلت القابض مفردا فكانك قصرت بالصفة على المنع والحرمين واذا جمعت اثبتت الصفتين وكذلك القول فى الخافض والرافع والمعز والمذل انتهى وما ذكره عن بعض العلماء هو كلام الامام الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى ولفظه القابض والباسط الاحسن فى هذين الاسمين ان يقرن احدهما فى الذكر بالآخر ليكون ذلك ادل على القدرة والحكمة ولهذا السبب قال الله تعالى والله يقبض ويبسط واذا ذكرت القابض منفردا عن الباسط كنت قد وصفته بالمنع والحرمين وذلك غير جائز وقوله المعز المذل وقد عرفت انه يجب فى امثال هذين ذكر كل واحد منهما مع الآخر انتهى * قوله تعالى الم ترالى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى آية هذه آية خبر عن قوم من بنى اسرائيل نالهم ذلة وغلبة عدو فطلبوا الاذن فى الجهاد وان يومروا به فلما امروا كع اكثرهم وصبر لاقل فنصرهم الله وفى هذا كله مثال للمومنين ليحذروا المكروه منه ويقتدوا بالحسن والملا فى هذه الآيات جميع القوم لان المعنى يقتضيه وهو اصل اللفظة ويسمى لاشراف الملا تشبيها ومن بعد موسى معناه من بعد موته وانقضاء مدته * وقوله تعالى لنبيء لهم قال ابن اسحاق وغيره هو شمويل بن بابل وقال السدي هو شمعون وكانت بنو اسرائيل تغلب من حاربها وروي انها كانت تضع التابوت الذى فيه السكينة والبقية فى ما زق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصت وظهرت

فيهم لاحداث وخالف ملوكهم الانبياء واتبعوا الشهوات وقد كان الله تعالى اقام امرهم بان يكون انبياءهم يسددون ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه سخط الله عليهم امما من الكفرة فغلبوهم واخذ لهم التابوت وهو من العمالقة فلما رأوا انه لا صلاط ولا ذهاب السدي كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة فلما رأوا انه لا صلاط ولا ذهاب الذكر انفس بعضهم وتكلموا في امرهم حتى اجتمع ملائكتهم على ان قالوا لنبي . الوقت ابعث لنا ملكا الآية وانما طلبوا ملكا يقوم بامر القتال وكانت المملكة في سبط من اسباط بني اسرائيل يقال لهم بنو يهوذا فعلم النبي بالوحي انه ليس في بيت المملكة من يقوم بامر الحرب ويسر الله لذلك طالوت وقرأ جهور الناس نقاتل بالنون وجزم اللام على جواب الامر واراد النبي المذكور عليه السلام ان يتوثق منهم فوقفهم على جهة التقرير وسبر ما عندهم بقوله هل عسى ان يكون منكم من ياتى بالكتاب والفرار ان كتب عليكم القتال * ص * لنبي . متعلق بقالوا واللام معناها التبليغ انتهى ثم اخبر تعالى انه لما فرض عليهم القتال تولوا اي اضطربت نياتهم وفترت عزائمهم الا قليلا منهم وهذا شان الامم المتنعة المائلة الى الدعة تتمنى الحرب اوقات السعة فاذا حضرت الحرب كعت وعن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا ثم تواعد سبحانه الظالمين في لفظ الخبر بقوله والله عليم بالظالمين * وقوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال وهب بن منبه وكان طالوت رجلا دباغا وقال السدي سقاء وكان من سبط بنيامين وكان سبطا لا نبوة فيه ولا ملك ثم ان بني اسرائيل تعنتوا وحادوا عن امر الله وجروا على سننهم فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من

المال اي لم يوت مالا واسعا يجمع به نفوس الرجال ويغلب به اهل الانفة قال
ع * وترك القوم السبب الاقوى وهو قدر الله وقضاؤه السابق وانه مالك
الملك فاحتج عليهم بنبيهم بالحجة القاطعة وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفا
طالوت ببسطته في العلم وهو ملاك الانسان والجسم الذى هو معينه في الحرب
وعُدته عند اللقاء واصطفى ماخوذ من الصفوة والجمهور على ان العلم في هذه الآيه
يراد به العموم في المعارف وقيل المراد علم الحرب واما جسمه فقال وهب بن
منبه ان اطول رجل في بنى اسرائيل كان يبلغ منكب طالوت * ت *
قال ابو عبيد الهروي قوله وزاده بسطة في العلم والجسم اي انبساطا وتوسعا في
العلم وطولا وتاما في الجسم انتهى من شرحه لغريبي القزوان واحاديث النبي
عليه السلام ولما علم نبيهم عليه السلام تعنتهم وجداهم تم كلامه بالقطع الذى
لا اعتراض عليه وهو قوله والله يوتى ملكه من يشاء وظاهر اللفظ انه من قول نبيهم
عليه السلام وذهب بعض المتأولين الى انه من قول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم ولاول اظهره واسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شيء واما قول النبي لهم
ان آية ملكه فان الطبرى ذهب الى ان بنى اسرائيل تعنتوا وقالوا لنبيهم وما
آية ملك طالوت وذلك على جهة سؤال الدلالة على صدقه في قوله ان الله
بعثه قال ع * ويحتمل ان نبيهم قال لهم ذلك على جهة التعليل
والتنبيه على هذه النعمة التى قرن بها ملك طالوت دون تكذيب منهم لنبيهم
وهذا عندى اظهر من لفظ الآيه وتاويل الطبرى اشبه باخلاق بنى اسرائيل الذميمة
فانهم اهل تكذيب وتعنت واعوجاج وقد حكى الطبرى معناه عن ابن عباس
وغیره واختلف في كيفية اتيان التابوت فقال وهب لما صار التابوت عند القوم
الذين غلبوا بنى اسرائيل وضعوه في كنيسة لهم فيها اصنام فكانت الاصنام تصيح

منكسة فجعلوه في قرية قوم فاصاب اولئك القوم اوجاع فقالوا ما هذا الا لهذا
التابوت فلنرده الى بنى اسرائيل فاخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها
ببقرتين فارسيلوهما في الارض نحو بلاد بنى اسرائيل فبعث الله ملائكة تسوق
البقرتين حتى دخلتا به على بنى اسرائيل وهم في امر طالوت فايقنوا بالنصر وقال
قتادة والربيع كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية
ومرت عليه الدهور حتى جاء وقت طالوت فحملته الملائكة في الهواء حتى
وضعه بينهم فاستوثقت بنو اسرائيل عند ذلك على طالوت وقيل غير هذا والله
اعلم * وقوله تعالى فيه سكينه من ربكم الآية قال ابن عباس السكينه طست من
ذهب من الجنة وقال مجاهد السكينه لها راس كراس الهرة وجناحان وذنب وقال
عطاء السكينه ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال قتادة سكينه من ربكم اي
وقار لكم من ربكم قال * ع * والصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء فاصله
من بقايا الانبياء واثارهم تسكن الى ذلك النفوس وتأنس به ثم قرر تعالى ان مجيء
التابوت اية لهم ان كانوا ممن يؤمن ويبصر * ت * وهذا يؤيد تاويل
الطبرى المتقدم * وقوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود الآية اي لما اتفق ملائم
على تملك طالوت وفصل بهم اي خرج بهم من القطر وفصل حال السفر من حال
الاقامة قال السدى وغيره وكانوا ثمانين الفا قال ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم
فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم انه يطيع فيما عدا ذلك ومن غلبته شهوته
في الماء وصى الامر فهو بالعيان في الشدائد اخرى ورخص للطيعين في الغرفة
ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال
* ت * ولقد احسن من شبه الدنيا بنهر طالوت فمن اغترف منها غرفة بيد
الزهد واقبل على ما يعنيه من امر اخرته نجا ومن اكب عليها صدته عن التأهب

لآخرته وقلت سلامته الا ان يتداركه الله قال ابن عباس وهذا النهر بين الاردن وفلسطين وقال ايضا هو نهر فلسطين قال * ع * وظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم انه باخبار من النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله اليه طالوت فحرب به جنده وهذه النزعة واجب ان تقع من كل متولى حرب فليس يحارب الا بالجند المطيع وبين ان الغرفة كافة ضرر العطش عند الحزمة الصابرين على شطف العيش الذين هم في غير الرفاهية وقوله فليس منى اي ليس من اصحابي في هذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن رمانا بالنبل فليس منا وليس منا من شق الجيوب ولطم الحدود وفي قوله ومن لم يطعمه سد الذرائع لان ادنى الذوق يدخل في لفظ الطعم فاذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرب منه * ص * الا من اغترف غرفة بيده استثناء من الجملة الاولى وهو قوله فمن شرب منه فليس منى اي الا من اغترف غرفة بيده دون الكرع فهو منى والاستثناء اذا تعقب جلتين فاكثرا مكن عوده الى كل منها فليل يعود على الاخيرة وقيل الى الجميع وقال ابو البقاء ان شئت جعلته من من الاولى وان شئت من من الثانية وتُعقب بانه لو كان استثناء من الثانية وهي ومن لم يطعمه فانه منى للزم ان يكون من اغترف غرفة ليس منه لان الاستثناء من الاثبات نفى ومن النفي اثبات على الصحيح وليس كذلك لانه ابيح لهم الاغتراف والظاهر عوده الى الاولى والجملة الثانية مفهومة من الاولى لانه حين ذكر ان من شربه فليس منه فهم من ذلك ان من لم يشرب منه فانه منه انتهى ثم اخبر تعالى ان الاكثر شرب وخالف ما اريد منه روي عن ابن عباس وغيره ان القوم شربوا على

قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب العاصون دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيأ واخذ بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم يرو بل برج به العطش واما من ترك الماء فحسنت حاله وكان اجلد ممن اخذ الغرفة * وقوله تعالى فلما جاوزة هو والذين ءامنوا معه الآية اكثر المفسرين على انه انما جاوز النهر من لم يشرب لا غرفة ومن لم يشرب جملة ثم كانت بصائر هؤلاء مختلفة فبعض كع وقليل صمم وهم عدة اهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا * وقوله تعالى قالوا لا طاقة لنا على جهة الفشل والآلاف الباقية مع طالوت الذين جاوزوا النهر لا طاقة لنا على جهة الفشل والفرع من الموت وانصرفوا عن طالوت فقال المؤمنون الموقنون بالبعث والرجوع الى الله تعالى وهم عدة اهل بدر كم من فئة والظن على هذا القول اليقين والفئة الجماعة التي يرجع اليها في الشدائد وفي قولهم رضي الله عنهم كم من فئة الآية تحريض بالمثال وحض واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه والله مع الصابرين بنصرة وتأييده * وقوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا الآية برزوا معناه صاروا في البراز وهو الافيج من الارض المتسع والافراغ اعظم الصب وكان جالوت امير العمالقة وملكوهم وروي في قصة داود وقتله جالوت ان اصحاب طالوت كان فيهم اخوة داود وهم بنو ايش وكان داود صغيرا يرعى غنما لابيه فلما حضرت الحرب قال في نفسه لا ذهبن لرؤية هذه الحرب فلما نهض مرفى طريقه بحجر فناده يا داود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر اخر ثم اخر ثم اخر فاخذها وجعلها في مخلاته وسار فلما حضر الباس خرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى قال طالوت من برز له ويقتله فانا ازوجه ابنتي واحكمه في مالى فجاء داود فقال انا ابرز له واقتله فقال له طالوت فاركب

فرسى وخذ سلاحى ففعل وخرج فى احسن شكتة فلما مشى قليلا رجع فقال
الناس جبس الفتى فقال داود ان الله سبحانه ان لم يقتله لى ويعيننى عليه لم
ينفعنى هذا الفرس ولا هذا السلاح ولكنى احب ان اقاتله على عادتى قال وكان
داود من ارمى الناس بالمقلع فنزل واخذ مخلاته فنقلدها واخذ مقلعه فخرج الى
جالوت وهو شاك فى السلاح فقال له جالوت انت يا فتى تخرج اليى قال نعم
قال هكذا كما يُخرج الى الكلب قال نعم وانت اهون قال لا طعمن اليوم لحمك
الطير والسباع ثم تدانيا فادار داود مقلعه وادخل يده الى الحجارة فروي انها
التأمت فصارت واحدا فأخذه ووضعها فى المقلع وسمى الله واداره ورماه فاصاب
به راس جالوت فقتله وحز راسه وجعله فى مخلاته واختلط الناس وجل اصحاب
طالوت وكانت الهزيمة ثم ان داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له ان
بنات الملوك لهن غرائب من المهر ولا بد لك من قتل مائتين من هؤلاء
الجحراجة الذين يوذون الناس وتحببىنى بغلفهم وطعم طالوت ان يعرض داود
للقتل بهذه النزعة فقتل داود منهم مائتين وجاء بذلك وطلب امرأته فدفعها
اليه طالوت وعظم امر داود فيروى ان طالوت تخلى له عن الملك وصار هو
الملك وقد اكثر الناس فى قصص هذه الآية وذلك كله لين الاسانيد فلذلك
انتقيت منه ما تنفك به الآية ويعلم به مناقل النازلة واما الحكمة التى اتاه
الله فيها النبوة والزبور وعلمه سبحانه صنعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك من
انواع علمه صلى الله على نبينا وعليه * وقوله تعالى ولو لا دفاع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض الآية اخبر الله سبحانه فى هذه الآية انه لو لا دفعه
بالمؤمنين فى صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الارض لان الكفر كان يطبقها
ولكنه سبحانه لا يخلى الزمان من قائم بحق وداع الى الله الى ان جعل ذلك

في امة محمد الى قيام الساعة له الحمد كثيرا * ص * ولكن استدراك
بائبات الفضل لله سبحانه على جميع العالمين لما يتوهمه من يريد الفساد ان الله
غير متفضل عليه اذ لم يبلغه مقاصده واحتيج الى هذا التقدير لان لكن تكون بين
متنافيين بوجه ما انتهى والاشارة بتلك الى ما سلف من القصص والانباء وفي هذه
القصة بجملتها مثال عظيم للمؤمنين ومعتبر وقد كان اصحاب نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم معدين لحرب الكفار فلهم في هذه النازلة معتبر يقتضى تقوية
النفوس والثقة بالله سبحانه وغير ذلك من وجوه العبر * قوله سبحانه
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية تلك رفع بالابتداء والرسل خبره
ويجوز ان يكون الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وتلك اشارة الى جماعة
ونص الله سبحانه في هذه الآية على تفصيل بعض النبيئين على بعض من غير
تعيين وقوله تعالى ورفع بعضهم درجات قال مجاهد وغيره هي اشارة الى نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الناس كافة واعطي الخمس التي لم
يعطها احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوات الى غير ذلك
مما اعطاه من الخلق العظيم ومن معجزاته وابهراء اياته ويحتمل اللفظ
ان يراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن عظمت اياته وبيانات عيسى
عليه السلام احياء الموتى وابراء الاكه والابرص وخلق الطير من الطين وروح
القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم ما قال العلماء فيه * وقوله تعالى ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم الآية معنى الآية ولو شاء الله ما اقتتل الناس بعد
كل نبي فمنهم من آمن ومنهم من كفر بغيا وحسدا وعلى حطام الدنيا وذلك
كله بقضاء وقدر واردة من الله سبحانه ولو شاء الله خلاف ذلك لكان ولكنه المستأثر
بسر الحكمة في ذلك وهو الفعال لما يريد سبحانه * ص * ولو شاء الله

ما اقتتل قيل في الكلام حذف اي فاختلف امهم فاققتلوا ولو شاء الله فمفعول
شاء محذوف اي ان لا يقتتلوا انتهى وقوله ما اقتتلوا اي بان قاتل المومنون
الكافرين على مر الدهر وذلك هو دفاع الله الناس بعضهم ببعض * قوله تعالى
يا ايها الذين ءامنوا انفقوا مما رزقناكم الآية قال ابن جريج هذه الآية تجمع
الزكاة والتطوع اي وجميع وجوه البر من سبيل وصلة رحم وهذا كلام صحيح لكن
ما تقدم من الآيات في ذكر القتال يرجح ان هذه النفقة في سبيل الله ويقوى
ذلك قوله والكافرون هم الظالمون اي فكافحهم بالقتال بالانفس وانفاق
الاموال مما رزقناكم وهذا غاية الانعام والتفضل منه سبحانه ان رزق ثم ندب
لِلنفقة مما به انعم وحذر سبحانه من الامساك الى ان ياتي يوم لا يمكن فيه بيع
ولا شراء ولا استدراك نفقة في ذات الله تعالى اذ هي مبايعة اذ البيع فدية لان
المرد قد يشتري نفسه ومراة بماله فكان معنى الآية ان لا فدية يوم القيامة ولا خلة
نافعة واهل التقوى في ذلك اليوم بينهم خلة ولكنه غير محتاج اليها
* ت * وفي قوله غير محتاج اليها قلق ولا شفاعة يومئذ لا لمن اذن له سبحانه
فالمنفى مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة بغير اذن المشفوع عنده قال
عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم
الكافرون * وقوله تعالى لا اله الا هو الحي القيوم الآية هذه الآية سيدة اي
القروان وورد في الحديث انها تعدل ثلث القرآن وورد ان من قرأها اول ليله
لم يقربه شيطان وكذلك من قرأها اول نهاره وهي متضمنة التوحيد والصفات
العلی وعن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما منعك
ان تسمعي ما اوصيتك به تقولين اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم
برحمتك استغيث اصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين رواه

النساءى واللفظ له والحاكم فى المستدرک على الصحيحين وقال صحيح على شرط
الشيخين يعنى البخارى ومسلما انتهى من السلاح وعن ابن مسعود ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل به هم او غم قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
رواه الحاكم فى المستدرک وقال صحيح الاسناد ورواه الترمذى من حديث انس
والنساءى من حديث ربيعة بن عامر انتهى من السلاح والله مبتدأ ولا اله مبتدأ
ثان وخبره محذوف تقديره معبود او موجود وقيوم بناء مبالغة اي هو القائم على
كل نفس بما كسبت بهذا المعنى فسرہ مجاهد والربيع والضحاك ثم نفى
عز وجل ان تاخذہ سنة او نوم وفى لفظ لاخذ غلبة ما فلذلك حسنت فى هذا
الموضع بالنفى والسنة بدء النعاس وليس يفقد معه كل الذهن والنوم هو المستثقل
الذى يزول معه الذهن والمراد بالآية التنزيه انه سبحانه لا تدركه افة ولا يلحقه
خلل بحال من الاحوال فجعلت هذه مثالا لذلك واقیم هذا المذكور من الآفات
مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال تعالى ولا تقل لهما اف * ت *
وبيانه انه اذا حرم التأفيف فاحرى ما فوقه من الشتم والضرب فى حق الابوين
وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى (١) عن موسى على
المنبر قال وقع فى نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا
ثم اعطاه قارورتين فى كل يد قارورة وامره بان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد
يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احدهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت
يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان لو كان ينام لم تستمسك
السماء والارض * وقوله تعالى له ما فى السماوات وما فى الارض اي بالملك

(١) فى البحر المحیط لابی حيان ما نصه قال بعض معاصرينا هذا حديث وضعه
الحشوية ومستحيل ان يسأل موسى ذلك عن نفسه او عن قومه لان المومن
لا يتشكك فى ان الله ينام او لا ينام فكيف الرسل اھ من هامش بعض النسخ

فهو مالك الجميع وربّه ثم قرر ووقف تعالى من يتعاطى ان يشفع لا باذنه اي
بامره * ص * من ذا الذى يشفع عنده من مبتدأ وهو استفهام معناه النفي
ولذا دخلت لا فى قوله لا باذنه والخبر ذا والذى نعت لذا او بدل منه وهذا على
ان ذا اسم اشارة وفيه بعد لان الجملة لم تستقل بمن مع ذا ولو كان خبرا
لاستقل ولم يحتاج الى الموصول فالاولى ان من ركبت مع ذا للاستفهام انتهى قال
مجاهد وغيره ما بين ايديهم الدنيا وما خلفهم الآخرة وهذا صحيح فى نفسه عند
موت الانسان لان ما بين اليد هو كل ما تقدم للانسان وما خلفه هو كل ما ياتى
بعده ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته لان علم الله تعالى لا يتبعص
ومعنى الآية لا معلوم لاحد الا ما شاء الله ان يعلمه قال ابن عباس كرسى عليه الطبرى
ومنه الكراسى قال * ع * والذى تقتضيه الاحاديث ان الكرسي مخلوق
عظيم بين يدي العرش والعرش اعظم منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما السماوات السبع فى الكرسي الا كدراهم سبعة القيت فى ترس وقال ابو ذر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي فى العرش الا كحلقة من
حديد القيت فى فلاة من الارض وهذه الآية منبئة عن عظم مخلوقات الله سبحانه
والمستفاد من ذلك عظم قدرته جل وعلا اذ لا يسوده حفظ هذه المخلوقات
العظيمة ولا يسوده معناه لا يشق عليه وهو تفسير ابن عباس وغيره والعلي
يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لان الله سبحانه منزّه عن التحيز وكذا العظيم
هو صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا على معنى عظم الاجرام ومن سلاح المومن قال وعن
ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي فى دبر كل
صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت رواه النسائي عن
الحسين بن بشر عن محمد بن حمير عن محمد بن زياد الالهاني عن ابى امامة

فاما الحسين فقال فيه النسائي لا باس به وقال في موضع اخر ثقة وقال ابو حاتم شيخ واما المحمّدان فاحتج بهما البخاري في صحيحه وقد اخرج شيخنا الحافظ ابو محمد الدميّاطي رحمه الله الحديث في بعض تصانيفه من حديث ابي امامة وعلي وعبد الله بن عمرو والمغيرة وجابر وانس قال واذا ضمت هذه الاحاديث بعضها الى بعض اخذت قوة انتهت من السلاح وقد اخرج البخاري والنسائي من حديث ابي هريرة في قصته مع الشيطان واخذة الطعام ما هو معلوم من فضل هذه الآية وفيه انه انما قرأها حين تاوى الى فراشه لم يزل عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وخرجه الترمذي من حديث ابي ايوب في قصته مع الغول نحو حديث ابي هريرة قال الغزالي ما معناه انما وصفت بكونها سيدة اي القروان لاشتمالها على اسم الله الاعظم وهو الحي القيوم قاله في الجواهر واسند صاحب غاية المغنم في اسم الله الاعظم عن غالب القطان قال مكثت عشرين اذعوا الله ان يعلمني اسمه الاعظم الذي اذا دعيت به اجاب واذا سئل به اعطى فأتاني ايات في منامي ثلاث ليال متواليات يقول يا غالب قل يا فارح الهم ويا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجزا للوعد يا حي يا قيوم لا اله الا انت انتهى من غاية المغنم * قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الدين في هذه الآية هو المعتقد والملة ومقتضى قول زيد ابن اسلم ان هذه الآية مكية وانها من ايات المواعدة التي نسختها اية السيف وقال قتادة والضحاك بن مزاحم هذه الآية محكمة خاصة في اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية وقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي معناه بنصب الادلة ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي الى الله والآيات المنيرة والرشد مصدر من قولك رشد بكسر الشين وضمها يرشد رُشدا ورُشدا والغني مصدر من غوى يغوى اذا صل

في معتقد او رأي ولا يقال الغي في الضلال على الاطلاق والطاغوت بناء مبالغة من طغى يطغى واختلف في معنى الطاغوت فقال عمر بن الخطاب وغيره هو الشيطان وقيل هو الساحر وقيل الكاهن وقيل الاصنام وقال بعض العلماء كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت * ع * وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون ونمرود واما من لا يرضى ذلك فهي طاغوتا في حق العبد قال مجاهد العروة الوثقى الايمان وقال السدي الاسلام وقال ابن جبير وغيره لا اله الا الله قال * ع * وهذه عبارات ترجع الى معنى واحد والانقسام الانكسار من غير بينونة وقد يجيء بمعنى البينونة والتقصم كسر بالبينونة * ت * وفي الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الوحي ياتيني احيانا في مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت قال ابو عمر في التمهيد قوله فيفصم عني معناه ينفرج عني ويذهب كما تفصم الخخال اذا فتحته لتخرجه من الرجل وكل عقدة حللتها فقد فصمتها قال الله عز وجل فقد استمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانفصام العروة ان تنفك عن موضعها واصل الفصم عند العرب ان تفك الخخال ولا يبين كسره فاذا كسره فقد قصمته بالقاف انتهى ولما كان الايمان مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات سمع من اجل النطق وعليه من اجل المعتقد * قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا الآية الولي من ولي فاذا لازم احد احدا بنصرة ووده واحتباله فهو وليه هذا عرفه لغة ولفظ الآية مترتب في الناس جميعا وذلك ان من آمن منهم فالله وليه اخرجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فشيطانهم ومغويه اخرجهم من الايمان اذ هو معتد واهل للدخول فيه ولفظ الطاغوت في هذه الآية يقتضي انه اسم جنس ولذلك

قال اولياؤهم بالجمع اذ هي انواع * قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابراهيم
فى ربه آية الم تر تنبيه وهي رؤية القلب والذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن
كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة قاله مجاهد وغيره قال قتادة هو اول من
تجبروه وصاحب الصرح ببابل قيل انه ملك الدنيا باجمعها وهو احد الكافرين
والآخر بخت نصر وقيل ان النمروذ الذى حاج ابراهيم هو نمروذ بن فالخ وفى
قصص هذه المحاجة روايتان احدهما ذكر زيد بن اسلم ان النمروذ هذا قعد يامر
للناس بالميرة فكما جاء قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم وجاء
ابراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك والهك قال ابراهيم ربي الذى يحيى
ويميت فلما سمعها نمروذ قال انا احيى واميت فعارضه ابراهيم بامر الشمس فبهت
الذى كفروا قال لا تميروه فرجع ابراهيم الى اهله دون شيء فمر على كتيب رمل
كالدقيق فقال لوملأت غرارتي من هذا فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر
لها فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلوا يلعبان فوق الغرارتين
ونام هو من الاعياء فقالت امرأته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه
ففتحت احدى الغرارتين فوجدت احسن ما يكون من الحواري فخبزته فلما
قام وضعته بين يديه فقال من اين هذا قالت من الدقيق الذى سقت فعلم
ابراهيم ان الله يسر لهم ذلك وقال الربيع وغيره فى هذا القصص ان النمروذ
لما قال انا احيى واميت احضر رجلين فقتل احدهما وارسل الآخر وقال قد
احييت هذا وامت هذا فرد عليه ابراهيم بامر الشمس والرواية الاخرى ذكر
السدي انه لما خرج ابراهيم من النار وادخل على الهلك قال له من ربك
قال ربي الذى يحيى ويميت يقال بهت الرجل اذا انقطع وقامت عليه الحجة
* وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين اخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم

وامته والمعنى لا يرشدهم في حجبهم على ظلمهم وظاهر اللفظ العموم ومعناه الخصوص لان الله سبحانه قد يهدى بعض الظالمين بالتوبة والرجوع الى الايمان * قوله تعالى او كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية عطف او في هذه الآية على المعنى الذى هو التعجب في قوله الم تر الى الذى حاج قال ابن عباس وغيره الذى مر على القرية هو عزيز وقال وهب بن منبه وغيره هو ارميا قال ابن اسحاق ارميا هو الخضر وحكاة النقاش عن وهب بن منبه واختلف في القرية ما هي فقيل الموتفكة وقال زيد بن اسلم قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقال وهب بن منبه وقتادة والضحاك والربيع وعكرمة هي بيت المقدس لما خربها بخت نصر البابلي والعريش سقف البيت قال السدى يقول هي ساقطة على سقفها اي سقطت السقف ثم سقطت الحيطان عليها وقال غيره معناه خاوية من الناس وخاوية معناه خالية يقال خوت الدار تحوى خواء وخويا ويقال خويت قال الطبرى والاول افسح قال * ص * وهي خاوية في موضع الحال من فاعل مر او من قرية وعلى عروشها قيل على بابها والمعنى خاوية من اهلها ثابتة على عروشها والبيوت قائمة والمجرور على هذا يتعلق بمحذوف وهو ثابتة وقيل يتعلق بخاوية والمعنى وقعت جدرانها على سقفها بعد سقوط السقف انتهى وقد زدنا هذا المعنى وضوحا في سورة الكهف والله الموفق بفضلته وقوله انى يحيى هذه الله بعد موتها ظاهر اللفظ السؤال عن احياء القرية بعمارة او سكان فكان هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينة اجتهد ويحتمل ان يكون سؤاله انما كان عن احياء الموتى فضرب له المثل في نفسه وحكى الطبرى عن بعضهم ان هذا القول منه شك في قدرة الله على الاحياء قال * ع * والصواب ان لا يتأول في الآية شك وروي في قصص هذه الآية ان بنى اسرائيل لها

اجدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت نصر فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس
وخزبه فلما ذهب عنه جاء عزيز اوارميا فوقف على الهدينة معتبرا فقال انى
يحي هذه الله بعد موتها فاماته الله تعالى وكان معه جار قد ربطه بحبل جديد وكان
معه سلة فيها تين هو طعامه وقيل تين وعنب وكانت معه ركوة من خمر وقيل من
عصير وقيل قلة من ماء هي شرابه وبقي ميتا مائة عام فروي انه بلي وتفرقت
عظامه هو وحمارة وروي ان الحمار بلي وتفرقت اوصاله دون عزيز * وقوله
تعالى ثم بعثه معناه احياه فسأله الله تعالى بوساطة الملك كم لبثت على جهة
التقرير فقال لبثت يوما او بعض يوم قال ابن جريج وقتادة والربيع اماته الله
غدوة يوم ثم بعثه قرب الغروب فظن هو اليوم واحدا فقال لبثت يوما ثم رأى
بقية من الشمس فحشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فليل له بل لبثت
مائة عام وقوله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ابي لم يتغير
* ت * قال البخارى فى جامعه يتسنه يتغير واما قوله تعالى وانظر الى
حمارك فقال وهب بن منبه وغيره المعنى انظر الى اتصال عظامه واحيائه جزوا
جزوا ويروى انه احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما
حتى كمل حمارا ثم جاء ملك فنسف في انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي
عن الضحاك وهب بن منبه ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما
فى مربوط لم يصبه شيء مائة سنة قالا وانما العظام التى نظر اليها عظام نفسه
واعمى الله العيون عنه وعن حمارة طول هذه المدة وكثر اهل القصص
فى صورة هذه النازلة كثيرا اختصرته لعدم صحته * وقوله تعالى ولنجعلك اية
للناس قال * ع * وفى اماته هذه المدة ثم احيائه اعظم اية وامره كله اية للناس غابر
الدهر * ت * قال ابن هشام لا يصح انتصاب مائة باماته لان الامانة سلب الحياة

وهي لا تمتد وإنما الوجه أن يضمن أماته معنى أَلْبَسَهُ فكانه قيل فالبشّة الله بالموت
مائة عام وحينئذ يتعلق به الظرف انتهى من المغنى ومعنى ننشرها اي نحسيها
وقرأ حزة وغيره ننشرها ومعناه نرفعها اي ارتفاعا قليلا قليلا فكانه وقف على نبات
العظام الرفات وقال النقاش ننشرها معناه ننبتها ومن ذلك نشز ناب البعير
* وقوله تعالى فلما تبين له قال اعلم المعنى قال هو اعلم ان الله على كل شيء
قدير وهذا عندى ليس باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبرى بل هو قول بعته
الاعتبار كما يقول الانسان المومن اذا رأى شيئا غريبا من قدرة الله لا اله الا الله
ونحو هذا واما قراءة حزة والكسائى قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم فتحتمل
وجهين احدهما قال الملك له اعلم وقد قرأ ابن مسعود والاعمش قيل اعلم
والوجه الثانى ان ينزل نفسه منزلة المخاطب الاجنبى المنفصل اي قال لنفسه
اعلم وامثلة هذا كثيرة * قوله تعالى واذا قال ابراهيم رب ارنى كيف تحي الموتى
قال او لو تومن قال بلى الآية قال جمهور العلماء ان ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا
فى احياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة واما قول النبى صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه ان لو كان شك لكنا نحن احق به ونحن
لا نشك فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبني على نفى
الشك عن ابراهيم والذى روي فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك
محض لايمان انما هو فى الخواطر الجارية التى لا تثبت واما الشك فهو
توقف بين امرين لا مزية لاحدهما على الآخر وذلك هو المنفى عن الخليل
صلى الله عليه وسلم واحياء الموتى انما يثبت بالسمع وقد كان ابراهيم اعلم بذلك
يدلك على ذلك قوله ربى الذى يحيى ويميت والشك يبعد على من ثبت
قدمه فى الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة والانبياء معصومون من الكبائر

ومن الصفات التي فيها رذيلة اجاعا واذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الفاظ الآية لم تعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو عن حال شيء موجود ومتقرر الوجود عند السائل والمسئول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الشوب فكيف في هذه الآية انما هي استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقرر ولما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن انكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم انها لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدلي كأنه يقول افرض انك ترفعه ارني كيف فلما كان في عبارة الخليل صلى الله عليه وسلم هذا الاشتراك المجازي خلص الله سبحانه ذلك وحمله على ان يبين الحقيقة فقال له اولم تومن قال بلى فكمل الامر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة * ت * قال الداودي وعن ابن جبير اولم تومن بالخلعة قال مجاهد والنخعي ولكن ليطمئن قلبي اي ازداد ايمانا الى ايماني وعن قتادة لازداد يقينا انتهى قال * ع * وقوله تعالى اولم تومن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو حال دخلت عليها الف التقرير وقال * ص * الهمزة في اولم تومن للتقرير كقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وكقوله * الستم خير من ركب المطايا * اي قد شرحنا لك صدرك وانتم خير وقول ابن عطية الواو للحال دخلت عليها الف التقرير متعقب والظاهر ان التقرير منسحب على الجملة المنفية فقط وان الواو للعطف انتهى وليطمئن معناه ليسكن فطمأنينة القلب هي ان تسكن فكرة في الشيء المعتقد والفكر في صورة الاحياء غير محظورة كما لنا نحن اليوم ان نفكر فيها

بل هي فكر فيها عبر فاراد الخليل ان يعاين فتذهب فكرة في صورة الاحياء اذ حركه الى ذلك اما الدابة الماكولة في تاويل واما قول النمرود انا حي واميت في تاويل . اخروروي ان الاربعة التي اخذ ابراهيم عليه السلام هي الديك والطاوس والحمام والغراب قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس مكان الغراب الكركي فروي انه اخذها عليه السلام حسب ما امر وذاكها ثم قطعها قطعاً قطعاً صغاراً وجمع ذلك مع الدم والريش ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزاً على كل جبل ووقف هو من حيث يرى تلك الاجزاء وامسك رموس الطير في يده ثم قال تعالى باذن الله فتطايرت تلك الاجزاء وطار الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التأمت كما كانت اولاً وبقيت بلا رموس ثم كرر النداء فجاءته سعياء حتى وضعت اجسادها في رموسها وطارت باذن الله تعالى وقوله تعالى فصرهن يقال صرت الشيء صورة بمعنى قطعته ويقال ايضاً صرت الشيء بمعنى املته وقد تأول المفسرون اللفظة بمعنى التقطيع وبمعنى الامالة وقد قال ابن عباس وغيره في هذه الآية صرهن معناه قطعهن وقال قتادة صرهن فصلهن وقال عطاء بن ابي رباح صرهن اضعهن وقال ابن زيد معناه اجمعهن وعن ابن عباس ايضاً اوثقهن وقرأ قوم فصرهن بضم الصاد وشد الراء كانه يقول فشدهن ومنه صرة الدنانير * قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم في الآية بيان شرف النفقة في سبيل الله وتحسينها وضمنها التحريض على ذلك وهذه الآية في نفقة التطوع وسبل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين وعلى الملة واشهرها واعظمها غناء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا والحبة اسم جنس لكل ما يزرعه ابن ادم واشهر ذلك البر وقد يوجد في سنبلة اقمح ما فيه مائة حبة واما

في سائر الجيوب فاكثرو قد ورد القرآن بان الحسنه بعشر امثالها واقتضت
الآية ان نفقة الجهاد حسنتها بسبع مائة ضعف وبين ذلك الحديث
الصحيح واختلف في معنى قوله سبحانه والله يضاعف لمن يشاء فقل هي مبينه
ومتكدة لها تقدم من ذكر السبع مائة وقالت طائفة من العلماء بل هو
اعلام من الله تعالى بانه يضاعف لمن يشاء اكثر من سبعمائة ضعف
* ت * وارجع لاقوال عندى قول هذه الطائفة وفي الحديث الصحيح
عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك
وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم
بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعلها كتبها الله
عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة الحديث
رواه مسلم والبخارى بهذه الحروف انتهى وقال ابن عمر لما نزلت هذه الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد امتى فنزلت من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا الآية فقال رب زد امتى فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب وفي الآية حذف مضاف تقديره مثل انفاق الذين وكمثل ذى
حبة وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما تقدم في
الآية التى قبلها ذكر فضل الانفاق فى سبيل الله على العموم بين ان ذلك
انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك ان المنفق فى سبيل الله انما
يريد وجه الله تعالى ورجاء ثوابه واما من اراد من المنفق عليه جزاء بوجه من
الوجوه فهذا لم يرد وجه الله تعالى وهذا هو الذى متى اخلفه ظنه من بالانفاق
ما اذى اذ لم يكن انفاقه مخلصا لوجه الله فالمن والاذى مبطلان للصدقة وهما

كاشفان لمقاصد المنفقين والمن ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتشريع بها
والآذى السب والتشكى وهو أهم من المن لأن المن جزء من الآذى ولكنه نص
عليه لكثرة وقوعه وقال زيد بن اسلم لئن طننت أن سلامك يشغل على من
انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امرأة يا أبا اسامة دلني
على رجل يخرج في سبيل الله حقاً فانهم انما يخرجون لياكلوا الفواكه فان عدى
اسهما وجعبة فقال لها لا بارك الله في اسهمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل أن
تعطيهم وتضمن الله الاجر للمنفق في سبيل الله والاجر الجنة ونفى عنه الخوف
لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لانه يغتبط بآخرته * ت *
ومما جاء من صحيح الآثار في هذا الباب ما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب
عن حيد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي من ابواب الجنة يا عبد
الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل
الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة
ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر يا رسول الله ما على
من يدعى من هذه الابواب من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الابواب كلها
قال نعم وارجو أن تكون منهم قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد في هذا الحديث
من الفقه الحصص على الانفاق في سبيل الخير ومعنى زوجين اي شئنين من
نوع واحد نحو درهمين او دينارين او فرسين او قيصين هكذا قال اهل العلم
وفيه أن من أكثر من شيء عرف به ونسب اليه لا تری الى قوله فمن كان من
اهل الصلاة يريد من أكثر منها فنسب اليها لأن الجميع من اهل الصلاة وكذلك
من أكثر من الجهاد ومن الصيام على هذا المعنى والريان فعلاً من الري ومعنى

الدعاء من تلك الابواب اعطاؤه ثواب العاملين تلك الاعمال وفيه ذلك
والله اعلم وفيه ان للجنة ابوابا يعنى متعددة بحسب الاعمال انتهى وروى ابن
ابى شيبة فى مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل اهل عمل بابا من
ابواب الجنة يدعون فيه بذلك العمل هذا لفظه على ما نقله صاحب الكوكب
الدرى انتهى * قوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى
هذا اخبار جزم من الله تعالى ان القول المعروف وهو الدعاء والتانيس والترجيعة
بما عند الله خير من صدقة هي فى ظاهرها صدقة وفى باطنها لاشي لان ذلك
القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها والمغفرة الستر للخلعة وسوء حالة
المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سأل قوما بكلام فصيح فقال له قائل
ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء لاكتساب يمنع من الانتساب * وقال النقاش
يقال معناه ومغفرة للسائل ان اغلظ اوجفا اذا حُرِمَ ثم اخبر تعالى بغناه عن صدقة
من هذه حاله وحلمه عن من يقع منه هذا وامهاله * وحدث الجوزى
فى صفوة الصفوة بسنده الى حارثة بن النعمان الصحابي رضى الله عنه قال
لما كف بصرة جعل خيطا فى مصلاه الى باب حجرته ووضع عنده مكتلا فيه تمر
وغير ذلك فكان اذا سأل المسكين اخذ من ذلك التمر ثم اخذ من ذلك
الخيط حتى ياخذ الى باب الحجره فيناول المسكين فكان اهلهم يقولون نحن
نكفيك فيقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مناولت المسكين
تقى ميتة السوء انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالن والاذى الآية * العقيدة ان السيئات لا تبطل الحسنات فقال جمهور
العلماء فى هذه الآيه ان الصدقة التى يعلم الله من صاحبها انه يمن بها او يوذى
فانها لا تتقبل صدقة وقيل بل يجعل الله للملك عليها اماره فهو لا يكتبها قال

* ع * وهذا حسن لان المان الموزي لم تكن نيته خالصة لله سبحانه فلم تترتب له صدقة فهذا هو البطلان بالمان والاذى وهما لا يبطلان صدقة غيرها سالمة النية * ثم مثل الله سبحانه هذا الذى يمن ويؤذى بحسب مقدمة نيته بالذى ينفق رياء لا لوجه الله والرياء مصدر من فاعل من الرؤية كان الرياء تظاهروا وتفاحر بيس من لا خير فيه من الناس * قال المهدوى والتقدير كابطال الذى ينفق رياء * وقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الآخر يحتمل ان يريد الكافر او المنافق اذ كل منهما ينفق ليقال جواد ثم مثل سبحانه هذا المنفق رياء بصفوان عليه تراب فيظنه الطان ارضا منبنتة طيبة كما يظن قوم ان صدقة هذا المرامى لها قدر او معنى فاذا اصاب الصفوان وابل من المطرانكشف ذلك التراب وبقي صلدا فكذلك هذا المرامى اذا كان يوم القيامة وحضرت الاعمال انكشف سره وظهر انه لا قدر لصدقاته ولا معنى والصفوان الحجر الكبير لا ملس والوابل الكثير القوي من المطر وهو الذى يُسِيل وجه الارض والصلد من الحجارة الاملس الصلب الذى لا شيء فيه ويستعار للراس الذى لا شعريه * وقوله تعالى لا يقدرון يريد الذين ينفقون رياء اي لا يقدرون على الانتفاع بشيء من انفاقهم ذلك وهو كسبهم * وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين اما عموم يراد به الخصوص ويحتمل لا يهديهم فى كفرهم اذ هو ضلال محض ويحتمل لا يهديهم فى صدقاتهم واعمالهم وهم على الكفر * وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله الآية من اساليب فصاحة القروان انه ياتى فيه ذكر نقيض ما يتقدم ذكره ليتبين حال التضاد بعرضها على الذهن ولما ذكر الله صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المومنين عن واقعة ما يشبه ذلك بوجه ما عقب فى هذه الآية بذكر نفقات القوم الذين بذلوا صدقاتهم على وجهها

في الشرع فضرِب لها مثلا وتقدير الكلام ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل
غارِس جنة او تقدر الاضمار في اخر الكلام دون اضمار في اوله كانه قال كمثل
غارِس جنة وابتغاء معناه طلب وهو مصدر في موضع الحال وتثبيتا مصدر
ومرضات مصدر من رضي وقال * ص * ابتغاء مرضات الله وتثبيتا كلاهما
مفعول من اجله وقاله مكِّي ورده ابن عطية بان ابتغاء لا يكون مفعولا من اجله
لعطف وتثبيتا عليه ولا يصح في تثبيت ان يكون مفعولا من اجله لان الانفاق
ليس من اجل التثبيت * واجيب بانه يمكن ان يقدر مفعول التثبيت
الشواب اي وتحصيلا لانفسهم الشواب على تلك النفقة فيصح ان يكون
مفعولا من اجله ثم قال ابو حيان بعد كلام والمعنى انهم يشتبون من انفسهم على
الايمان وما يرجونه من الله تعالى بهذا العمل انتهى * قال قتادة وغيره
وتثبيتا معناه وتيقنا اي ان نفوسهم لها بصائر متأكدة فهي تثبتهم على الانفاق
في طاعة الله تثبيتا وقال مجاهد والحسن معنى قوله وتثبيتا اي انهم يشتبون
ان يصنعون صدقاتهم قال الحسن كان الرجل اذا هم تثبت فان كان ذلك
له امضاء وان حاله شيء امسك والقول الاول اصوب لان هذا المعنى الذي
ذهب اليه مجاهد والحسن انما عبارته وتثبيتا فان قال محتج ان هذا من المصادر
التي خرجت على غير المصدر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا والله
انبتكم من الارض نباتا فالجواب ان هذا لا يسوغ الا مع ذكر المصدر
والانصاح بالفعل المتقدم للمصدر واما اذا لم يقع انصاح بفعل فليس لك ان
تأتي بمصدر في غير معناه ثم تقول احمله على فعل كذا وكذا لفعل لم يتقدم له
ذكر هذا مبهع كلام العرب فيها علمت والزبوة ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا
معنى الاغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه وما كان كذلك فنباته احسن

ولفظ الربوة مأخوذ من رباً يربو إذا زاد واثنت معناه اعطت والاكل بضم الهمزة
الشمر الذى يؤكل والشيء المأكول من كل شيء يقال له اكل واصافته الى
الجنة اضافة اختصاص كسرج الدابة وباب الدار وضعفين معناه اثنين مما يظن
بها ويُحزَر من مثلها * ثم أكد سبحانه مدح هذه الربوة بانها ان لم يصبها
وابل فان اطل يكفيها وينوب مناب الوابل وذلك لكرم الارض والطل المستدق
من القطر قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور اللغة فشبه سبحانه نمو نفقات هؤلاء
المخلصين الذين يربى الله صدقاتهم كتربية الفلأوالفصيل حسب الحديث
بنمو نبات هذه الجنة بالربوة الموصوفة وذلك كله بخلاف الصفوان وفي قوله
تعالى والله بما تعملون بصير وعد ووعد * وقوله تعالى ايود احدكم ان تكون له
جنة من نخيل واعناب الآية حكى الطبرى عن ابن زيد انه قرأ قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن الآية ثم قال ضرب الله في ذلك
مثلاً فقال ايود احدكم الآية وهذا بين وهو مقتضى سياق الكلام وقال ابن عباس
هذا مثل ضربه الله كانه قال ايود احدكم ان يعمل عمرة بعمل اهل الخير فاذا فني
عمرة واقترب اجله ختم ذلك بعمل من عمل اهل الشقاء فرضي ذلك عمر منه
رضي الله عنه وروى ابن ابي مليكة عن عمر نحوه * ع * فهذا نظر
يحمل الآية على كل ما يدخل تحت الفاظها وقال بنحو هذا مجاهد وغيره ونقل
الثعلبى عن الحسن قال قلّ والله من يعقل هذا المثل شيخ كبر سنه وضعف
جسمه وكثر عياله افقر ما كان الى جنته واحدكم افقر ما يكون الى عمله اذا
انقطعت الدنيا عنه انتهى وهو حسن جدا وقال ابو عبد الله اللخمي في
مختصره لتفسير الطبرى وعن قتادة هذا مثل فاعقلوا عن الله امثاله هذا رجل
كبرت سنه ورق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته احوج ما يكون اليها يقول

ايحب احدكم ان يضل عنه عمله يوم القيامة احوج ما يكون اليه وعن الحسن نحوه انتهى وخص الاعناب والنخيل بالذكر لشرفهما وفضلهما على سائر الشجر والواو في قوله واصابه واو الحال وكذلك في قوله وله وضعفاء جمع ضعيف والاصار الريح الشديدة العاصفة التي فيها احراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك في شدة الحر ويكون في شدة البرد وكل ذلك من فيسح جهنم ولعلكم ترج في حق البشري اذا تأمل من بئين له هذا البيان رُجي له التفكير وكان اهلا له وقال ابن عباس تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم الآية هذا خطاب لجميع امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صيغة امر بالانفاق واختلف المتأولون هل المراد بهذا الانفاق الزكاة المفروضة او التطوع والآية تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الذنب وجمهور المتأولين قالوا معنى من طيبات من جيد ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الردىء وقال ابن زيد معناه من حلال ما كسبتم قال وقوله ولا تيمموا الخبيث اي الحرام * ع * وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الآية لا من معناه في نفسه وكسبتم معناه كانت لكم فيه سعاية ومما اخرجنا لكم من الارض النباتات والمعادن والركاز وما ضارع ذلك وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا والتيمم التصد وقال الجرجاني قال فريق من الناس ان الكلام تم في قوله الخبيث ثم ابتدأ خبرا آخر فقال تنفقون منه وانتم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم اي ساهلتم قال * ع * كأن هذا المعنى عتاب للنفس وتقريع وعلى هذا فالضمير في منه عائد على الخبيث قال الجرجاني وقال فريق آخر بل الكلام متصل الى قوله فيه وعلى هذا فالضمير في

منه عائد على ما كسبتم كانه في موضع نصب على الحال والمعنى في الآية فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لانفسكم واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم فمن تقرب وطلب ثبوتة فليفعل ذلك بماله قدر * ت * وهذا يقوى القول بانها في الزكاة المفروضة وحيد معناه محمود * وقوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر الآية هذه الآية وما بعدها وان لم تكن امرا بالصدقة فهي جالبة النفوس الى الصدقة بين عز وجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته وذكر ثوابه هو سبحانه لا رب غيره وذكر بتفصله بالحكمة وائسنى عليها ونبه ان اهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الانفاق في طاعة الله وغير ذلك ثم ذكر سبحانه علمه بكل نفقة ونذرو في ذلك وعد ووعد ثم بين الحكم في الاعلان والاخفاء وكذلك الى اخر المعنى والوعد في كلام العرب اذا اطلق فهو في الخير واذا قيد بالموعد فقد يقيد بالخير وقد يقيد بالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بذكره والفحشاء كل ما فحش وفحش ذكره روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للشيطان لمة من ابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد لاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء الآية قلت هذا حديث صحيح خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حسن غريب صحيح والمغفرة هي الستر على عبادة في الدنيا والآخرة والفصل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه والنعيم في الآخرة وبكل قد وعد الله جل وعلا وروي ان في التوراة عبدى انفق من رزقى ابسط عليك فضلى فان يدى مبسطة على كل يد مبسطة وفي القرآن مصداقه وهو ما انفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير

الرازقين * ت * روى الطبرانى سليمان بن أحمد بسنده عن عبد الله ابن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بقدره الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة مائة عام انتهى وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم اخرجه ابوداود من حديث ابي خالد هو الدولاني عن نبيح وقد وثق ابوحاتم ابا خالد وسئل ابوزرعة عن نبيح فقال هو كوفي ثقة انتهى من الاعلام في احاديث الاحكام لابن دقيق العيد وواسع لانه وسع كل شىء رحمة وعلما * يوتى الحكمة أي يعطيها لمن يشاء من عباده والحكمة مصدر من الاحكام وهوالانقياد في عمل او قول وكتاب الله حكمة وسنة نبيه عليه السلام حكمة وكل ما ذكره المتأولون فيها فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس قال الامام البخاري شرحه لاسماء الله الحسنى قال المحققون العلماء ثلاثة علماء باحكام الله فقط وهم العلماء اصحاب الفتوى وعلماء بالله فقط وهم الحكماء وعلماء بالتقسيم وهم الكبراء فالقسم الاول كالسراج يحرق نفسه ويضيء لغيره والقسم الثاني حالهم اكمل من الاول لانه اشرق قلبه بمعرفة الله وسره بنور جلال الله لانه كالكنز تحت التراب لا يصل اثره الى غيره واما القسم الثالث فهم اشرف الاقسام فهو كالشمس تضيء العالم لانه تام وفوق التام انتهى وباقي الآيات تذكيرة بينة واقامة لهم الغفلة والالباب العقول واحدها لب * وقوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر الآية يقال نذر الرجل كذا اذا التزم فعله * وقوله تعالى فان الله يعلمه قال مجاهد معناه يحصيه وفي الآية وعد ووعيد اي

من كان خالص النية فهو مثاب ومن انفق رياء او لمعنى آخر مما يكشفه المن والاذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا فيه * وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعمنا سي الآية ذهب جمهور المفسرين الى ان هذه الآية في صدقة التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر في التطوع تفصل علانيتها يقال بسبعين صغفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها يقال بخمسة وعشرين صغفا قال وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها * ع * ويقوى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته افضل من صلاته في المسجد الا المكتوبة وذلك ان الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل غرضة لذلك قال الطبري اجمع الناس على ان اظهار الواجب افضل * وقوله تعالى فنعمنا هي ثناء على ابداء الصدقة ثم حكم ان الاخفاء خير من ذلك الابداء والتقدير نعم شيء ابدائها فالابداء هو المخصوص بالمدح وخرج ابو داود في سننه عن ابي امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انطلق برجل الى باب الجنة فرفع راسه فاذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض الواحد بشمانية عشر لان صاحب القرض لا ياتيكم الا وهو محتاج والصدقة ربما وضعت في غني وخرجه ابن ماجه في سننه قال حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر امثالها والقرض بشمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال ان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى من التذكرة وقرأ ابن كثير وغيره ونكفر بالنون ورفع الراء وقرأ ابن عامر ويكفر بالياء ورفع الراء وقرأ نافع وغيره ونكفر بالنون

والجزم فاما رفع الراء فهو على وجهين احدهما ان يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن نكفروا والله يكفر والثاني القطع والاستيناف والوار لعطف جملة على جملة والجزم في الراء اوضح هذه القراءات لانها توذن بدخول التكفير في الجزاء وكونه مشروطا ان وقع لاختفاء واما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى ومن في قوله من سيأتكم للتبعيض المحض لا انها زائدة كما زعم قوم والله بما تعملون خبير وعد ووعيد * وقوله تعالى ليس عليك هدام الآية وردت اثار ان النبي صلى الله عليه وسلم منع فقراء اهل الذمة من الصدقة فنزلت الآية مبيحة لهم وذكر الطبري ان مقصد النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الصدقة انما كان ليسلوا وليدخلوا في الدين فقال الله سبحانه ليس عليك هدام قال * ع * وهذه الصدقة التي اباحت لهم حسبما تضمنته هذه الآثار انما هي صدقة التطوع واما المفروضة فلا يجزئ دفعها لكافر قال ابن المنذر اجاعا فيما علمت وقول المهدي اباحتها هذه الآية مردود قال ابن العربي واذا كان المسلم يترك اركان الاسلام من الصلاة والصيام فلا تصرف اليه الصدقة حتى يتوب وسائر المعاصي تصرف الصدقة الى مرتكبيها لدخولهم في اسم المسلمين انتهى من الاحكام ويعنى بالصدقة المفروضة والهدى الذي ليس على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خلق الايمان في قلوبهم واما الهدى الذي هو الدعاء فهو عليه صلى الله عليه وسلم وليس بمراد في هذه الآية ثم اخبر سبحانه انه يهدي من يشاء وفي الآية رد على القدرية وطوائف المعتزلة ثم بين تعالى ان النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله وفي الآية تاويل آخر وهوانها شهادة من الله تعالى للصحابه انهم انما ينفقون ابتغاء وجه الله سبحانه فهو خبر منه لهم فيه تفضيل وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي في الآخرة وهذا هو بيان قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم والخير هنا المال

بقريضة الانفاق ومتى لم يقتنر بما يدل على انه المال فلا يلزم ان يكون بمعنى المال وهذا الذى قلناه تحرزنا من قول عكرمة كل خير فى كتاب الله فهو المال * وقوله تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله الآية التقدير الانفاق او الصدقة للفقراء قال مجاهد وغيره المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم * ع * ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقر غابر الدهر ثم بين الله سبحانه من احوال اولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله الذين احصروا فى سبيل الله والمعنى حبسوا ومنعوا وتأول الطبري فى هذه الآية انهم هم حابسوا انفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو اذ احاط بهم الكفر فصار خوف العدو عذرا احصروا به * ع * كأن هذه الاعذار احصرتهم فالعدو وكل محيط يحصر وقوله فى سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول فى الاسلام والضرب فى الارض هو التصرف فى التجارة وكانوا لا يستطيعون ضربا فى الارض لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا فى صدر الهجرة وكانوا رضى الله عنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله تعالى بحيث يحسبهم الجاهل بباطن احوالهم اغنياء * ت * واعلم ان المواساة واجبة وقد خرج مسلم وابوداود عن ابى سعيد الخدري قال بينما نحن فى سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من اصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لاحد منا فى فضل انتهى والتعفف تفعل وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره * ت * مدح الله سبحانه هؤلاء السادة على ما اعطاهم

من غنى النفس وفي الحديث الصحيح ليس الغنى عن كثرة المال وإنما الغنى غنى النفس وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم اجعل قوتي مال محمد كفافا اخرجهم مسلم وغيره وعندى أن المراد بالآل هنا متبوعة صلى الله عليه وسلم وفي سنن ابن ماجه عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من غني ولا فقير لا ود يوم القيامة انه اوتي من الدنيا قوتا وروى مسلم والترمذي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن ادم انك أن تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قال ابو عيسى واللفظ له هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم السيماء مقصورة العلامة واختلف المفسرون في تعيينها فقال مجاهد هي التخشع والتواضع وقال الربيع والسدى هي جهد الحاجة وقضف الفقر في وجوههم وقلة النعمة وقال ابن زيد هي رثة الثياب وقال قوم وحكاة مكى هي اثر السجود قال * ع * وهذا حسن وذلك لانهم كانوا متفرغين متوكلين لاشغل لهم في الاغلب لا الصلاة فكان اثر السجود عليهم ابدا والاحاف والالاحاح بمعنى قال * ع * والآية تحتل معنيين احدهما نفى السؤال جملة وهذا هو الذى عليه الجمهور انهم لا يسألون البتة والثانى نفى الاحاف فقط اى لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وباجمال * ت * وهذا الثانى بعيد من الفاظ الآية فتأمله * ت * وينبغى للفقير ان يتعفف في فقره ويكتفى بعلم ربه قال الشيخ ابن ابي جمرة وقد قال اهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو اسير انتهى وذكره عبد الملك بن محمد بن ابي القاسم ابن الكردبوس في الاكتفاء في اخبار الخلفاء قال وتكلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه بتسع كلمات ثلاث في المناجاة وثلاث في الحكمة وثلاث في الآداب اما المناجاة فقال كفاني فخرا ان تكون لى

ربا وكفاني عزا ان اكون لك عبدا وانت كما احب فاجعلني كما تحب واما
الحكمة فقال قيمة كل امرئ ما كان يحسنه وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه
والمرء مخبوء تحت لسانه واما الآداب فقال استغن عمن شئت فأنت نظيره
وتفصل على من شئت فأنت أميرة واضرع الى من شئت فأنت أسيرة انتهى
ولما كانت السيمة تدل على حال صاحبها ويعرف بها حاله اقامها الله سبحانه مقام
الاخبار عن حال صاحبها فقال تعرفهم بسيماهم وقد قال الشيخ العارف بالله
صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية كل ما دل على معنى فقد اخبر عنه ولو كان
صامتا و اشار اليه ولو كان ساكنا لكن حصول الفهم والمعرفة بحسب اعتبار المعتبر
ونظر المتأمل المتدبر انتهى قال * ع * وفي الآية تنبيه على سوء حالة من
يسأل الناس الخافا وقال * ص * وقوله تعالى لا يسألون الناس الخافا اذا
نفي حكم من محكوم عليه بقيد فلاكثر في لسانهم انصراف النفي الى ذلك
القيد فالمعنى على هذا ثبوت سؤالهم ونفي الالحاح ويجوز ان ينفي الحكم
فينتفى ذلك القيد فينتفى السؤال والالحاح وله نظائر انتهى * وقوله تعالى وما
تسفقوا من خير فان الله به عليم وعد محض اي يعلمه ويحصيه ليجازي عليه ويشيب
* وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية قال ابن عباس نزلت
هذه الآية في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت له اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال قتادة نزلت في المنفقين
في سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير قال * ع * والآية وإن كانت نزلت
في علي رضي الله عنه فمعناها يتناول كل من فعل فعله وكل مشاء بصدقته في
الظلم الى مظنه الحاجة * وقوله تعالى الذين ياكلون الربوا الآية الربا هو
الزيادة مأخوذ من ربا يربو اذا نما وزاد على ما كان وغالبه ما كانت العرب تفعله

من قولها للغيرم اتقضى ام تربى فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه ومن الربا البين التفاصل في النوع الواحد وكذلك اكثر البيوع الممنوعة انما تجدد منعها لمعنى زيادة اما في عين مال او في منفعة لاحدهما من تأخير ونحوه ومعنى الآية الذين يكسبون الربا ويفعلونه وانما قصد الى لفظة الاكل لانها اقوى مقاصد الناس في المال قال ابن عباس وغيره معنى قوله سبحانه لا يقومون اي من قبورهم في البعث يوم القيامة الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قالوا كلهم يبعث كالمجننون عقوبة له وتمقيتا عند جميع المحشرويقوى هذا التاويل المجمع عليه ان في قراءة عبد الله بن مسعود لا يقومون يوم القيامة الا كما يقوم * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا معناه عند جميع المتأولين في الكفار وانه قول بتكذيب الشريعة والآية كلها في الكفار المرّبين نزلت ولهم قيل فله ما سلف ولا يقال ذلك لمومن عاص ولكن ياخذ العصاة في الربا بطرف من وعيد هذه الآية ثم جزم الله سبحانه الخبر في قوله واحل الله البيع وحرّم الربوا قيل هذا من عموم القرآن المخصص وقيل من مجمله المبيّن قال جعفر بن محمد الصادق وحرّم الله الربا ليتقارض الناس * وقوله تعالى فله ما سلف اي من الربا لاتباعه عليه في الدنيا والآخرة وهذا حكم من الله سبحانه لمن اسلم من الكفار وفي قوله تعالى وامره الى الله اربع تاويلات احدها امر الربا في امرار تحريمه وغير ذلك والثاني امر ما سلف اي في العفو واسقاط التبعة فيها والثالث ان الضمير عائد على ذى الربا بمعنى امره الى الله في ان يشته على لانهتهاء او يعيده الى المعصية والرابع ان يعود الضمير على المنتهى ولكن بمعنى التانيس له وبسط امله في الخير * وقوله تعالى ومن عاد يعنى الى فعل الربا والقول انما البيع مثل الربا والخلود في حق

الكافر خلود تابيد حقيقى وان لحظنا الآية فى مسلم عاص فهو خلود مستعار على معنى المبالغة * وقوله تعالى يحق الله الربوا ويربى الصدقات يحقق معناه ينقص ويذهب ومنه محاق القمر وهو انتقاصه ويربى الصدقات معناه ينميها ويزيد ثوابها تضاعفا تقول ربت الصدقة وارباها الله تعالى ورباها وذلك هو التضعيف لمن يشاء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صدقة احدكم لتقع فى يد الله تعالى فيرببها كما يربى احدكم فلو او فضيله حتى تحيى يوم القيامة وان اللقمة لعلى قدر احد قال * ع * وقد جعل الله سبحانه هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشيع من بنى آدم اذ يظن الربا يغنيه وهو فى الحقيقة محقق ويظن الصدقة تفقره وهى فى الحقيقة نماه فى الدنيا والآخرة وعن يزيد بن ابى حبيب ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة ابن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس او قال حتى يحكم بين الناس قال يزيد وكان ابو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق بشيء فيه ولو كعكة او بصله قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعنى البخاري ومسلم انتهى من الامام فى احاديث الاحكام لابن دقيق العيد قال الشيخ ابن ابى جرة ولا يلهم للصدقة الا من سبقت له سابقة خير انتهى قال ابو عمر فى التمهيد وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على بنيه وكان فى ظل الله يوم لا ظل الا ظله وحفظ فى يوم صدقته من كل عاهة ووافة انتهى وروى ابو داود فى سننه ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله ان ام سعد ماتت فاي الصدقة افضل قال الماء فحفر بييرا وقال هذه لام سعد وروى ابو داود فى سننه عن ابى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما

ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة وإيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وإيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم انتهى * وقوله تعالى والله لا يحب كل كفار أثيم يقتضى الزجر للكفار المستحلين للربا ووصف الكفار بأثيم اما مبالغة من حيث اختلف اللفظان واما ليذهب الاشتراك الذى فى كفار اذ قد يقع على الزارع الذى يستر الحب فى الارض قاله ابن فورك ولما انقضى ذكر الكافرين عقب سبحانه بذكر ضدهم ليبين ما بين الحالتين فقال ان الذين ءامنوا الآيـة وقد تقدم تفسير مثل هذه الالفاظ * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا الآيـة سبب هذه الآيـة انه لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال فى خطبته اليوم الثانى من الفتح لا كل ربا فى الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس فبدأ صلى الله عليه وسلم بعمه واخص الناس به وهذه من سنن العدل للامام ان يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض فى الناس ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن اسيد فلما استنزل صلى الله عليه وسلم اهل الطائف بعد ذلك الى الاسلام اشترطوا شروطا وكان فى شروطهم ان كل ربا لهم على الناس فانهم ياخذونه وكل ربا عليهم فهو موضوع فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر لهم هذه ثم ردها الله بهذه الآيـة كما رد صاحبه لكفار قريش فى رد النساء اليهم عام الحديبية وذكر النقاش رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يكتب فى اسفل الكتاب لتثيف لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما جاءت اجال رباهم بعثوا الى مكة للاقتضاء وكانت على بنى المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة لا نعطي شيئاً فان الربا قد وضع ورفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد بمكة

فكتب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وكتب بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فعلت بها ثقيف فكفت هذا سبب الآية
على اختصار مما روى ابن اسحاق وابن جريج والسدي وغيرهم فمعنى الآية
اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بترككم ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه ثم
توعدهم تعالى ان لم يذروا الربا بحرب منه ومن رسوله وامته والحرب داعية القتل
* وقوله تعالى فاذنوا قال سيبويه آذنت اعلمت * ت * وهكذا فسر
البخاري فقال قال ابو عبد الله فاذنوا فاعلموا وقال * ع * هي عندي من
الاذن وقال ابن عباس وغيره معناه فاستيقنوا بحرب ثم ردهم سبحانه مع التوبة
الى رءوس اموالهم وقال لهم لا تظلمون في اخذ الزائد ولا تظلمون في ان يتمسك
بشيء من رءوس اموالكم ويحتمل لا تظلمون في مطل لان مطل الغني ظلم كما
قال عليه السلام فالمعنى انه يكون القضاء مع وضع الربا وهكذا سنة الصلح وهذا
اشبه شيء بالصالح لا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشار على كعب بن
مالك في دين ابن ابي حذر بوضع الشطر فقال كعب نعم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم للآخر قم فاقضه فتلقى العلماء امره بالقضاء سنة في المصالحات
* وقوله سبحانه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة حكم الله تعالى لارباب
الربا برءوس اموالهم عند الواجدين للمال ثم حكم في ذى العسرة بالنظرة الى حال
اليسر والعسر ضيق الحال من جهة عدم المال والنظرة التأخير * ت * وفي
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان
يقول لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال فلقي الله
فتجاوز عنه وفي صحيح مسلم من سرة ان ينجي الله من كرب يوم القيامة فلينفس
عن معسرا ويضع عنه وفي رواية من انظر معسرا او وضع عنه انجاه الله من كرب

يوم القيامة وفي رواية من انظر معسرا او وضع عنه اظلم الله في ظله انتهى والميسرة
صدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسرة بكان النامة التي هي بمعنى وجد وحدث
وارتفع قوله فنظرة على خبر ابتداء مقدر تقديره فالواجب نظرة واختلف اهل العلم
هل هذا الحكم بالنظرة الى الميسرة واقف على اهل الربا خاصة وهو قول ابن
عباس وشريح او هو منسحب على كل دين حلال وهو قول جمهور العلماء * ع *
وما قاله ابن عباس انما يترتب اذا لم يكن فقر مدقع واما مع الفقر والعدم الصريح
فالحكم هي النظرة ضرورة * ت * ولا يخالف ابن عباس في ذلك
* وقوله تعالى وان تصدقوا خير لكم ندب الله بهذه الالفاظ الى الصدقة على
المعسر وجعل ذلك خيرا من انظاره قاله جمهور العلماء وروى سعيد ابن المسيب
عن عمر بن الخطاب انه قال كان اخر ما نزل من القرآن آية الربا وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال ابن عباس
اخر ما نزل آية الربا قال * ع * ومعنى هذا عندي انها من اخر ما نزل
لان جمهور الناس ابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم قالوا اخر
آية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان قوله واتقوا
نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شي
وروي بثلاث ليال وروي انها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وانه صلى
الله عليه وسلم قال اجعلوها بين آية الربا وآية الدين وحكى مكي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل فقال اجعلها على مائتين وثمانين آية
من البقرة * وقوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية وعظ لجميع
الناس وامر يخلص كل انسان * ت * حدثني من اثق به انه جالس عند
شيخ من الافاضل يجود عليه القرآن فقرئت عليه هذه الآية فبكى عندها ثم بكى

الى ان فاضت نفسد ومال فحركوه فاذا هوميت رحمه الله ونفع به يا هذا من
صحا عقله من سكرهواه وجهله احترق بنار الندم والنجل من مهابة نظرربه
وتنكرت صورة حاله في عينه نفوس الاغبياء الجهال * غافلة عن العظمة
والجلال * ولاهية عن احوال المعاد والمآل * مشغولة برذائل الافعال * وفضل
القيل والقال * والاستنباط والاحتيال * لازدياد الاموال * ولا يعلمون انها
فتنة ووبال * وطول حساب وبلاء وبلبال * اغتبنوا يا ذوى البصائر نعمة
الامهال * واطرحوا خوادع الاماني وكواذب الآمال * فكان قد فجأتكم هواجم
الآجال * انتهى من الكلم الفارقة في الحكم الحقيقية ويوما نصب على المفعول لا
على الظرف وجمهور العلماء على ان هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب
والتوفية وقال قوم هو يوم الموت والاول اصح وهو يوم تنفطر لذكره القلوب وفي هذه
الآية نص على ان الثواب والعقاب متعلق بكسب الانسان وهذا رد على الجبرية
* وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا تدانستم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت في السلم خاصة قال * ع * معناه
ان سلم اهل المدينة كان سبب الآيته ثم هي تتناول جميع المداينات اجماعا
ووصفه لاجل بمسمى دليل على ان الجهالة لا تجوز وقال جمهور العلماء الامر
بالكتب ندب الى حفظ الاموال وازالة الريب واذا كان الغريم تقيا فما يضره
الكتب وان كان غير ذلك فالكتب ثقاء في دينه وحاجة صاحب الحق قال
بعضهم ان اشهدت فحزم وان ائتمنت ففي حل وسعة * ع * وهذا هو القول
الصحيح ثم علم تعالى انه سيقع الائتمان فقال ان وقع ذلك فليود الآيته فهذه
وصية للذين عليهم الديون واختلف في قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب
فقال عطاء والشعبي واجب على الكاتب ان يكتب اذا لم يوجد سواء وقال

السدى هو واجب مع الفراغ * وقوله بالعدل معناه بالحق ثم نهى الله سبحانه الكتاب عن الاباية وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك ان قوله تعالى ولا ياب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال * ع * اما اذا امكن الكتاب فليس يجب الكتب على معين بل له الامتناع الا اذا استاجره واما اذا عدم الكتاب فيتوجه وجوب الذنب حينئذ على الكاتب * وقوله تعالى وليلل الذى عليه الحق الآية امر الله تعالى الذى عليه الحق بالاملال لان الشهادة انما تكون بحسب اقراره واذا كتبت الوثيقة واقر بها فهي كالملا والبخس النقص بنوع من المخادعة والمدافعة وهؤلاء الذين امروا بالاملال هم المالكون لانفسهم اذا حضروا ثم ذكر تعالى ثلاثة انواع تقع نوازلهم في كل زمان فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها والسفيه الهلhel الراي في المال الذى لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطاء منها مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والسفه الخفته وهذه الصفة في الشريعة لا تخلو من جراب او وصي وذلك هو وليه ثم قال او ضعيفا والضعيف هو المدخول في عقله وهذا ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذى لا يستطيع ان يمل هو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغائب عن موضع الاشهاد لمرض او لغير ذلك من الاعذار ووليه وكيله واما الاخرس فيسوغ ان يكون من الضعفاء والاؤلى انه ممن لا يستطيع * وقوله بالعدل معناه بالحق وقصد الصواب * وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين الآية لاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببناء مبالغة في شهيدين دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشارة الى العدالة قال ابن العربي في احكامه والصحيح ان الامر بالاستشهاد محمول على الذنب اه * وقوله تعالى من رجالكم نص في رفض الكفار والصبيان والنساء واما العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف

العلماء فيهم وقول مالك والشافعي وأبي حنيفة وجمهور العلماء أن شهادتهم لا تجوز وغلبوا نقص الرق واسم كان الضمير الذى فى قوله يكونا والمعنى فى قول الجمهور فان لم يكن المستشهد رجلين وقال قوم بل المعنى فان لم يوجد رجلا ولا يجوز استشهد المرأتين لاعم عدم الرجال قال * ع * وهذا قول ضعيف ولفظ الآية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور * وقوله فرجل وامرأتان اي فليشهدا او فليكن رجل وامرأتان * وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء رفع فى موضع الصفة لقوله فرجل وامرأتان وهذا الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس بهذه القصة هم الحكام وهذا كثير فى كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض وفى قوله ممن ترضون دليل على أن فى الشهود من لا يرضى فيجىء من ذلك أن الناس ليسوا بمحمولين على العدالة حتى تثبت لهم * وقوله تعالى أن تضل أحديهما الآية أن مفعول من أجله والشهادة لم تقع لأن تضل أحدهما وإنما وقع اشهاد امرأتين لأن تذكر أحدهما أن ضلت الأخرى قال سيبويه وهذا كما تقول أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فدعاه * ع * ولما كانت النفوس مستشرفة الى معرفة اسباب الحوادث قدم فى هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود الى أن يخبر به وهذا من أبرع الفصاحة إذ لو قال لك رجل أعددت هذه الخشبة أن ادعم بها هذا الحائط لقال السامع ولم تدع حائطا قائما فيجب ذكر السبب فيقال إذا مال فجاء فى كلامهم تقديم السبب اخصر من هذه المحاوراة قال أبو عبيد ومعنى تضل تنسى * ع * والضلal عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المراءى بين ذلك حيران ضالا * وقوله تعالى ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا الآية قال قتادة وغيره معنى الآية إذا دعوا أن يشهدوا وقال الحسن بن أبى الحسن

الآية جمعت امرين لا تاب اذا دعيت الى تحصيل الشهادة ولا اذا دعيت الى ادائها وقاله ابن عباس وقال مجاهد معنى الآية لا تاب اذا دعيت الى اداء شهادة قد حصلت عندك واسند النقاش الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر الآية بهذا * ت * وهذا هو الحقيقة في الآية واما تسمية الشيء بما يؤول اليه فمجاز والشاهد حقيقة من حصلت له الشهادة قال مجاهد فاما اذا دعيت اولا فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب وقاله جماعة قال * ع * والآية كما قال الحسن جمعت امرين والمسلون مندوبون الى معونة اخوانهم فاذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والامن من تعطل الحق فالمدعو مندوب وان خيف تلف الحق بتأخر الشاهد وجب عليه القيام بها سيما ان كانت محصلة ودعي لا دائها فهذه أكد لانها قلادة في العنق وامانة تقتضى الاجاء * م * ولا ياب الشهداء قال ابو البقاء مفعول ياب محذوف اي ولا ياب الشهداء اقامة الشهادة او تحمل الشهادة واذا ظرف لياب ويحتمل ان يكون ظرفا للمفعول المحذوف اه * وتسموا معناه تملوا وقدم الصغير اهتماما به واقسط معناه اعدل واقوم اي اشد اقامة وقيل اقوم من قام بمعنى اعتدل وادنى معناه اقرب وترتابوا معناه تشكوا قال ابن هشام الى اجله لا يصح تعلقه بكتبتوه لاقتضائه استمرار الكتابة الى اجل الدين وانما هو حال اي مستقرا في الذمة الى اجله اه من المغنى * وقوله تعالى لا ان تكون تجارة حاضرة الآية لما علم الله سبحانه مشقة الكتب عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه في كل مبايعة بنقد وذلك في الاغلب انما هو في قليل كالطعام ونحوه لا في كثير كالاملاك ونحوها وقال السدي والضحاك هذا فيما كان يدا بيد تاخذ وتعطي * وقوله تعالى تديرونها يقتضى التقاوض والبينونة في المقبوض * وقوله تعالى واشهدوا اذا تباعتم اختلف حل ذلك على الوجوب او على

الندب والوجوب في ذلك قلق اما في الدقائق فصعب شاق واما ما كثر فرما
يقصد التاجر لاستيلاى بترك الاشهاد الى غير ذلك من المصالح فلا يشهد
ويدخل ذلك كله في الائتمان ويبقى الامر في الاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة
في الاغلب وحكى المهدوي عن قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله
تعالى فان امن الآية وذكره مكي عن ابى سعيد الخدري واختلف الناس في
معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد اي باختلافهم في قوله تعالى لا تضار والدة
بولدها هل الفعل مسند الى الفاعل فاصله ولا يضارر كاتب ولا شهيد بكسر الراء وقيل
مسند الى المفعول الذى لم يسم فاعله فاصله ولا يضارر بفتحها * ع * وجوه
المضارة لا تنحصر وفك الفعل هي لغة الحجاز والادغام لغة تميم * وقوله
وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي وان تفعلوا المضارة وقوله بكم اي حال بكم
وباقي الآية موعظة وتهديد والله المستعان لا رب غيره وقيل معنى الآية الوعد
لان من اتقى عليم الخير والهمه * ت * وفي العتبية من سماع ابن القاسم
قال سمعت مالكا يقول سمعت انه يقال ما زهد عبد واتقى الله الا انطقه الله
بالحكمة اه والمراد بهذا العلم النافع الذى يورث الخشية قال ابو عمر
ابن عبد البر رويانا عن مسروق قال كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء
جهلا ان يعجب بعلمه ابو عمر انما اعرفه بعلمه اه من كتاب فضل العلم * وقوله
تعالى وان كنتم على سفر الآية لما ذكر الله تعالى الندب الى الاشهاد والكتب
لمصاحبة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار المانعة من الكتب
وجعل بدلها الرهن ونص على السفر اذ هو الغالب من الاعذار ويدخل في ذلك
بالمعنى كل غدر قال * ع * رهن الشيء في كلام العرب معناه دام واستمر
قيل ولما كان الرهن بمعنى الثبوت والدوام فمن ثم بطل الرهن عند الفقهاء اذا

خرج من يد المرتهن الى يد الراهن لانه فارق ما جعل له * وقوله تعالى مقبوضة هي بينونة المرتهن بالرهن واجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك على قبض وكيله فيما علمت واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجيع اصحابه وجهور العلماء قبض العدل قبض وقال الحكم ابن عتيبة وغيره ليس بقبض وقول الجمهور اصح من جهة المعنى في الرهن * وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا شرط ربط به وصية الذي عليه الحق بالاداء قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا معناه ان اسقط الكتب والاشهاد والرهن وعول على امانة المعامل فليود الامانة وليتق الله ربه وهذا يبين ان الاشهاد ليس بواجب اذ لو كان واجبا لما جاز اسقاطه ثم قال وجملة الامران الاشهاد حزم والائتمان ثقة بالله تعالى من الدائن ومروءة من المديان ثم ذكر الحديث الصحيح في قصة الرجل من بني اسرائيل الذي استسلف الف دينار وكيف تعامل على الائتمان ثم قال ابن العربي وقد روي عن ابي سعيد الخدري انه قرأ هذه الآية فقال هذا نسخ لكل ما تقدم يعنى من الامر بالكتب والاشهاد والرهن اه * وقوله فليود امر بمعنى الوجوب وقوله امانته مضدر رسمي به الشيء الذى فى الذمة وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة الآية نهى فيه تهديد ووعيد وخص تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ هو البضعة التى بصلاحها يصلح الجسد كله كما قال صلى الله عليه وسلم وفى قوله تعالى والله بما تعملون عليم توعده وان كان لفظها يعم الوعيد والوعد وروى البزار فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء ونبتت له بكل خطوة شجرة تغرس فى الجنة وذنبه يغفره من الكوكب الدرى * قوله تعالى لله ما

في السموات وما في الارض الآية المعنى جميع ما في السموات وما في الارض ملك له سبحانه * وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم الآية قوله ما في انفسكم يقتضى قوة اللفظ انه ما تقرر في النفس واستصحبت الفكرة فيه واما الخواطر التى لا يمكن دفعها فليست في النفس الا على تجوز واختلاف في معنى هذه الآية فقال عكرمة وغيره هي في معنى الشهادة التى نهى عن كتمانها فلفظ الآية على هذا التاويل العموم ومعناه الخصوص وكذا نقل الثعلبى وقال ابن عباس وابو هريرة وجماعة من الصحابة والتابعين ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكتا يا رسول الله ان حوسبنا بخواطر نفوسنا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم لكنه قال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها ونسخ بهذه تلك هذا معنى الحديث الصحيح وله طرق من جهات واختلفت عباراته وتعاضدت عبارة هؤلاء القائلين بلفظة النسخ في هذه النازلة وقال ابن عباس لما شق ذلك عليهم فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فنسخت الوسوسة وثبت القول والفعل وقال آخرون هذه الآية محكمة غير منسوخة والله محاسب خلقه على ما عملوه واضمروه وارادوه ويغفر للمؤمنين ويأخذ به اهل الكفر والنفاق ورجح الطبري ان الآية محكمة غير منسوخة * ع * وهذا هو الصواب وانما هي مخصصة وذلك ان قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه معناه بما هو في وسعكم وتحت كسبكم وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن ان تدخل فيه الخواطر اشفق الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى لهم ما اراد بالآية الاولى وخصصها ونص على حكمه انه لا يكلف نفسا الا وسعها والخواطر ليست هي

ولا دفعها في الوسع بل هي امر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب وكان في هذا البيان فرحهم وكشف كربهم وتأتى الآية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع امر النسخ ان الآية خبر ولاخبار لا يدخلها النسخ فان ذهب ذاهب الى تقرير النسخ فانما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الآية وذلك ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا واطعنا يجيء منه الامر بان يبنوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله في الغفران فاذا قرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه وتشبه الآية حينئذ قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه واصبروا بحسبه ثم نسخ ذلك بعد ذلك فهذه الآية في البقرة اشبه شئ بها * وقوله تعالى ويعذب من يشاء يعنى من العصاة وتعلق قوم بهذه الآية ممن قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقالوا ان الله قد كلفهم امر الخواطر وذلك مما لا يطاق قال * ع * وهذا غير بين وانما كان امر الخواطر تاويلا تأوله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت تكليفا لا على الوجه الذى ذكرناه من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم اياهم على ذلك قال الشيخ الولي العارف بالله ابن ابي جرة والخواطر عندهم ستة يعنى عند العلماء العارفين بالله اولها الهمة ثم اللمة ثم الخطرة وهذه الثلاث عندهم غير مواخذ بها ثم نية ثم ارادة ثم عزيمة وهذه الثلاث مواخذ بها اه * وقوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه الآية سبب هذه الآية انه لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم واشفق منها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم تقرر الامر على ان قالوا سمعنا واطعنا ورجعوا الى التصرع والاستكانة مدحهم الله تعالى واثنى عليهم في هذه الآية وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم فجمع لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء

ورفع المشقة في امر الخواطر وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله تعالى لا كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا فاعقبهم ضد ذلك وهذه ثمرة العصيان اعادنا الله من نعمه وامن معناه صدق والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه القرآن وسائر ما اوحى الله اليه من جملة ذلك وكل لفظة تصلح للاحاطة وهي كذلك هنا والايمان بالله هو التصديق به اي بوجوده وصفاته ورفض كل معبود سواه والايمان بملأئكته هو اعتقادهم انهم عباد لله مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والايمان بكتبه هو التصديق بكل ما انزل سبحانه على انبيائه وقرأ الجمهور لا نفرق بالنون والمعنى يقولون لا نفرق ومعنى هذه الآية ان المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارى في انهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض * وقوله تعالى وقالوا سمعنا واطعنا مدح يقتضى الحض على هذه المقالة وان يكون المؤمن يمتثلها غابر الدهر والطاعة قبول الاوامر وغفرانك مصدر والعامل فيه فعل تقديره نطلب او نسأل غفرانك * ت * وزاد ابو حيان قال وجوز بعضهم الرفع فيه على ان يكون مبتدأ اي غفرانك بغيتنا اه واليك المصير اقرار بالبعث والوقوف بين يديه سبحانه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انزلت عليه هذه الآية قال له جبريل يا محمد ان الله قد اجل الشئ عليك وعلى امتك فسل تعطه فسأل الى آخر السورة * وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية خبر جزم نص على انه لا يكلف الله العباد من وقت نزول الآية عبادة من اعمال القلب والجوارح الا وهى في وسع المكلف وفي مقتضى ادراكه وبنيته وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأويلهم امر الخواطر وهذا المعنى الذى ذكرناه في هذه الآية يجرى مع معنى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج

وقوله فأتقوا الله ما استطعتم قال العراقي وسعها أي طاقتها أنه قال * ع *
واختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الأحكام التي هي في الدنيا بعد
اتفاقهم على أنه ليس واقعا الآن في الشرع وأن هذه الآية آذنت بعدمه واختلف
القائلون بجوازه هل وقع في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فقالت
فرقة وقع في نازلة أبي لهب لأنه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك
مؤذن أنه لا يؤمن وتكليف الشرع له لايمان راتب فكانه كلف أن يؤمن وأن
يكون في ايمانه أنه لا يؤمن لأنه إذا ءامن فلا محالة أن يدين بسورة تبست يدا
أبي لهب وقالت فرقة لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا إنما معناه أن وافى
على كفره * ع * وما لا يطاق على أقسام منه المحال عقلا كالجمع بين
الضدين ومنه المحال عادة كرفع إنسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك
كالاحتراق بالنار ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا إنما يقال
فيه ما لا يطاق على تجوز كثير * وقوله تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات
وعليها ما اكتسبت يريد من السيئات قاله جماعة المفسرين لا خلاف في ذلك
والخواطر ونحوها ليس من كسب لأنسان وجاءت العبارة في الحسنات بلها من
حيث هي مما يفرح لأنسان بكسبه ويسر المرء بهن فتضاف إلى ملكه وجاءت في
السيئات بعليها من حيث هي أوزار واثقال وتحملات صعبة وهذا كما تقول
لـي مال وعليّ دين وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريفين حسنا لنمط الكلام
كما قال فمهل الكافرين أمهلهم رويدا هذا وجه * ع * والذي يظهر لي في
هذا أن الحسنات مما يكسب دون تكلف إذ كسبها على جادة أمر الله ورسم
شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كسبها يتكلف في أمرها خرق
حجاب نهى الله تعالى ويتخطأه إليها فيحسن في الآية مجيء التصريفين لهذا

المعنى وقال المهدوي وغيره معنى الآية لا يواخذ احد بذنب احد قال * ع * وهذا صحيح في نفسه لكن من غير هذه الآية * وقوله تعالى ربنا لا تواخذنا معناه قولوا واختلف الناس في معنى قوله سبحانه ان نسينا او اخطانا فذهب كثير من العلماء الى ان هذا الدعاء في النسيان والغالب والخطأ غير المقصود وهو الصحيح عندي قال قتادة في تفسير الآية بلغنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لا متى عن نسيانها وخطاياها وقال السدي لما نزلت هذه الآية فقالوها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قد فعل الله ذلك يا محمد قال * ع * فظاهر قوليهما ما صححته وذلك ان المومنين لما كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى يحاسبكم به الله امروا بالدعاء في ذلك النوع الذي ليس من طاقة الانسان دفعه وذلك في النسيان والخطأ والاصر الثقيل وما لا يطاق على اتم انواعه وهذه الآية على هذا القول تقضى بجواز تكليف ما لا يطاق ولذلك امر المومنون بالدعاء في ان لا يقع هذا الجائز الصعب ومذهب ابى الحسن الاشعري وجماعة من المتكلمين ان تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً ولا يخرم ذلك شيئاً من عقائد الشرع وذهب الطبري وغيره الى ان تكليف ما لا يطاق غير جائز وان النسيان في الآية بمعنى الترك اي ان تركنا شيئاً من طاعتك والخطأ هو المقصود من العصيان والاصرهي العبادات الثقيلة كتكاليف بنى اسرائيل وما لا طاقة للمؤمن به هو عندهم على تجوز كما تقول لا طاقة لى على خصومة فلان او لا طاقة لنا به من حيث هو مهلك كعذاب جهنم وغيرها ثم قال تعالى فيما امر المومنين بقوله واعف عنا اي فيما واقعناه واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا وارحمنا اي تفعل مبتدئاً برحمة منك لنا فهذه مناجاة من الدعاء متباعدة وانت مولانا مدح في ضمنه تقرب اليه وشكر على نعمه ومولى هو من ولي وفي الحديث

ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل ربنا لا تواخذنا ان نسينا
او اخطأنا فقال جبريل قد فعل قال قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل قد
فعل الى اخر السورة وتظاهرت بهذا المعنى احاديث وروى ابو مسعود عقبة
ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الآيتين من اخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه يعنى من قيام الليل قال صاحب سلاح المومن هذا الحديث
رواه الجماعة يعنى السنة ومعنى كفتاه اجزأه عن قيام الليل وقيل كفتاه من كل
شيطان فلا يقربه ليلته وقيل كفتاه ما يكون من آفات تلك الليلة وقيل معناه
حسبه بهما فضلا واجرا ويحتمل الجميع والله اعلم اهـ من سلاح المومن وقال علي
رضي الله عنه ما اظن احداً عقل وادرك لاسلام ينالم حتى يقرأهما وفي الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هؤلاء الآيات من اخر سورة البقرة من
كنز تحت العرش لم يؤتهن احد قبلى * كمل تفسير سورة البقرة والحمد لله

سورة آل عمران بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع في ما علمت * قوله جلت قدرته الم الله لا اله الا هو الحي القيوم الابرع في نظم الآية ان يكون الله لا اله الا هو الحي القيوم
كلاما مبتدأ جزما جملة رادة على نصارى نجران الذين وفدوا على النبي صلى الله
عليه وسلم فحاجوه في عيسى ابن مريم وقالوا انه الله على ما هو معلوم في السير
فنزل فيهم صدر هذه السورة الى نيف وثمانين آية منها الى ان دعاهم صلى الله
عليه وسلم الى الابطهال وقد تقدم تفسير قوله الحي القيوم في آية الكرسي
والآية هناك اخبار لجميع الناس وكررت هنا اخبارا يحـ هؤلاء النصارى ويرد
عليهم اذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى عليه السلام لانهم اذ يقولون انه

صلب فذلك موت في معتقدهم واذ من البين انه ليس بقيوم وقراءة الجمهور
القيوم وقرئ خارج السبع القيام والقيم وهذا كله من قام بالامر يقوم به اذا اضطلع
بحفظه وبجميع ما يحتاج اليه في وجوده فالله تعالى القيام على كل شيء مما ينبغي
له اوفيه او عليه * ت * وقد تقدم ما نقلناه في هذا الاسم الشريف انه
اسم الله الاعظم قال النووي وروينا في كتاب الترمذي عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان اذا كبره امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال
الحاكم هذا حديث صحيح لاسناد اه قال صاحب سلاح المومن وعن علي رضي
الله عنه قال لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ثم جئت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انظر ما صنع فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم يا حي
يا قيوم ثم رجعت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد لا يزيد على ذلك ثم
ذهبت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه رواه
النسائي والحاكم في المستدرک واللفظ للنسائي وعن اسماء بنت يزيد رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهمك
الم واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة الم الم الله لا اله الا هو الحي
القيوم رواه ابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم
في ثلاث سور في سورة البقرة والم عمران وطه قال القاسم فالتستها انه الحي
القيوم انتهى وقوله بالحق يحتمل معنيين احدهما ان يكون المعنى ضمن
الحقائق في خبرة وامره ونهيهِ ومواعظه والثاني ان يكون المعنى انه نزل الكتاب
باستحقاق ان ينزل لما فيه من المصاحبة الشاملة وليس ذلك على انه واجب على
الله تعالى ان يفعل * ت * اي اذ لا يجب على الله سبحانه فعل قال

* ع * فالباء في هذا المعنى على حد قوله سبحانه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقيل معنى بالحق اي مما اختلف فيه اهل الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى الوافدون قال * ع * وهذا داخل في المعنى الاول * وقوله مصدقا حال مؤكدة لانه لا يمكن ان يكون غير مصدق لما بين يديه من كتب الله سبحانه وما بين يديه هي التوراة والانجيل وسائر كتب الله التي تلقيت من شرعنا * وقوله تعالى من قبل يعنى من قبل القروان * وقوله هدى للناس معناه دعاء والناس بنو اسرائيل في هذا الموضع وان كان المراد انهما هدى في ذاتهما مدعو اليه فرعون وغيره فالناس عام في كل من شاء حينئذ ان يستبصر والفرقان القران لانه فرق بين الحق والباطل ثم توعد سبحانه الكفار عموما بالعذاب الشديد والاشارة بهذا الوعيد الى نصارى نجران وعزيز معناه غالب والنقمة والانتقام معاقبة المذنب بمبالغة في ذلك * قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هذه الآية خبر عن علم الله تعالى بالاشياء على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لاحد من المخلوقين ثم اخبر سبحانه عن تصويره للبشر في ارحام الامهات وهذا امر لا ينكره عاقل ولا ينكر ان عيسى وسائر البشر لا يقدر ان عليه ولا ينكر ان عيسى من المصورين كغيره من سائر البشر فهذه الآية تعظيم لله جلّت قدرته في ضمنها الرد على نصارى نجران وفي قوله ان الله لا يخفى عليه شيء وعيد وشرح النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التصوير في الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره ان النطفة اذا وقعت في الرحم مكثت نطفة اربعين يوما ثم تكون علقته اربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليها ملكا فيقول يا رب اذكر ام انشى اشقي ام سعيد الحديث بطوله على اختلاف الفاظه وفي

مسند ابن سنجر حديث أن الله سبحانه يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل ولحمه وشحمه وسائر ذلك من مني المرأة وصور بناء مبالغته من صار يصور إذا أمال وثنى إلى حال ما فلما كان التصوير أمالة إلى حال وإثباتا فيها جاء بناءه على المبالغة والكتاب في هذه الآيات القرآن باجاء والمحكمات المفصلات المبينات الثابتات الأحكام والمتشابهات هي التي تحتاج إلى نظر وتاويل ويظهر فيها ببادي النظر أما تعارض مع أخرى وأما مع العقل إلى غير ذلك من أنواع التشابه فهذا الشبه الذي من أجله توصف بمتشابهات إنما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها أهل الزيف ومن لم ينعم النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات أي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبهه عند من لم ينعم النظر شيئا حلالا وكذلك الآيات يكون لها في نفسها معنى صحيح فيشبهه عند من لم ينعم النظر أو عند الزائغ معنى آخر فاسدا فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله هذا عندي معنى الأحكام والتشابه في هذه الآية قال * ع * وأحسن ما قيل في هذه الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير أن المحكمات هي التي فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تحريف ولا تحريف عما وضعن عليه والمتشابهات لها تحريف وتاويل ابتلى الله فيهن العباد قال ابن الحاجب في منتهى الوصول مسألة في القرآن محكم ومتشابه قال تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فالمحكم المنضج المعنى قال الرموني يعني نساكن أو ظاهرا والمتشابه مقابله أما للاشتراك مثل ثلاثة قروء أو للأجلال مثل الذي بيده عقدة النكاح وما ظاهرة التشبيه مثل من روى وأيدنا وبسدي وبمينه ويستهنى ومكر الله ونحوه والظاهر الوقف على والراسخون

في العلم لان الخطاب بما لا يفهم بعيد انتهى قال الرهونى وسمى ما ذكر متشابهها
لاشتباهه على السامع قال الرهونى والحق الوقف على وما يعلم تاويله الا الله
وهو المروي عن جماعة منهم ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ومالك وغيرهم وفي
مصحف ابي وما يعلم تاويله الا الله ويقول الراسخون في العلم انما به اه
* وقوله تعالى هن ام الكتاب اي معظم الكتاب وعمدة ما فيه اذ المحكم في
آيات الله كثير قد فصل ولم يفرط في شيء منه قال يحيى بن يعقوب كما يقال
لمكة ام القرى قال * ع * وكما يقال ام الراس لمجتمع الشئون فجميع
المحكم هو ام الكتاب ومعنى الآية لانحاء على اهل الزيغ والمذمة لهم ولاشارة
بذلك اولا الى نصارى نجران وإلى اليهود الذين كانوا معاصرين لمحمد صلى الله
عليه وسلم فانهم كانوا يعترضون معاني القرآن ثم يعم بعد ذلك كل زائغ فذكر
تعالى انه نزل الكتاب على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فضلا منه ونعمة
وان محكمه وبينه الذى لا اعتراض فيه هو معظمه والغالب فيه وان متشابهه
الذى يحتمل التأويل ويحتاج الى التفهم هو اقله ثم ان اهل الزيغ يتكون المحكم
الذى فيه غنيتهم ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وان يفسدوا ذات البين
ويردوا الناس الى زيغهم * م * قال ابو البقاء واخر معطوف على آيات
ومتشابهات نعت لاخرا * وقوله تعالى الذين في قلوبهم زيغ يعم كل
طائفة من كافرو زنديق وجاهل صاحب بدعة والزيغ الميل وابتغاء نصب على
المفعول من اجله ومعناه طلب الفتنة قال الربيع الفتنة هنا الشرك وقال
مجاهد الفتنة الشبهات واللبس على المومنين ثم قال وابتغاء تاويله والتاويل
هو مرد الكلام ومرجهه والشيء الذى يقف عليه من المعانى وهو من ال يشول
اذا رجع فالمعنى وطلب تاويله على منازعهم الفاسدة هذا في ماله تاويل حسن

وان كان مما لا يتأول بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه فنفس طلب تاويله هو اتباع ما تشابه ثم قال تعالى وما يعلم تاويله الا الله اي وما يعلم تاويله على الكمال الا الله سبحانه واختلف في قوله والراسخون في العلم فرأت فرقة ان رفع الراسخين هو بالعطف على اسم الله عز وجل وانه مع علمهم بالمتشابه يقولون ءامنا به وقالت طائفة اخرى والراسخون رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام الاول وخبره يقولون والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده قال * ع * وهذه المسألة اذا تؤملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله تعالى قسم اي الكتاب قسمين محكما ومتشابهها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه الى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ويستوى في علمه الراسخ وغيره والمتشابه على نوعين منه ما لا يعلم البتة كامر الروح وآماد الغيبات التي قد اعلم الله بوقوعها الى سائر ذلك ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتأول ويعلم تاويله ولا يسمى احد راسخا الا ان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له فمن قال ان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه فمراده النوع الثاني الذي ذكرناه ومن قال ان الراسخين لا يعلمون تاويله فمراده النوع الاول كامر الروح ووقت الساعة لكن تخصيصه المتشابه بهذا النوع غير صحيح بل هما نوعان كما ذكرنا والضمير في تاويله عائد على جميع متشابه القرآن وهما نوعان كما ذكرنا والرسوخ الثبوت في الشيء وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الراسخين في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه قلت ومن جامع العتبية وسئل مالك عن تفسير الراسخين في العلم فقال العالمون العاملون بما علموا المتبعون له قال ابن رشد قول مالك هذا هو معنى ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من الراسخ في العلم

فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ في العلم قال ابن رشد ويشهد لصحة هذا قول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء لانه كلام يدل على ان من لم يخش الله فليس بعالم انتهى قلت وقد جاء في فضل العلم اثار كثيرة فمن احسنها ما رواه ابو عمر بن عبد البر بسندة عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذلك لاهله قربته لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل اهل الجنة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء ويرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وائمة تقتص اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهي الى رايهم وترغب الملائكة في خلعتهم وباجتاحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب وبابس وحيثان البحر وهواقه وسباع البر وانعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومضاييح الابصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة الفكر فيد يعدل الصيام ومداسته تعدل القيام به توصل لارجام وبه يعرف الحلال من الحرام هو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء قال ابو عمر هكذا حدثني عبيد بن محمد مرفوعا باسناد الذي رويناه به عنه وهو حديث حسن جدا ولكن ليس له اسناد قوي ورويناه من طرق شتى موقوفا على معاذ انتهى من كتاب فضل العلم قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي رجد الله ومن علامة نور العلم اذا حل بالقلب المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر والرضى والانس والمجاهدة والضمات والخوف والرجاء والتقناعة وذكر الموت اذ وقوله تعالى كل من عند ربنا

فيه ضمير عائد على كتاب الله محكمه ومتشابهه والتقدير كله من عند ربنا ثم قال تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يقول هذا ويومن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابهه الا دولب وهو العقل واولوا جمع ذو * وقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا الآية لما ذكر الله سبحانه اهل الزيغ وذكر نقيضهم وظهر ما بين الحاليتين عقب ذلك بان علم عباده الدعاء اليه في ان لا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت وهم اهل الزيغ ويحتمل ان يكون هذا من تمام قول الراشخين وتزغ معناه تمل قلوبنا عن الهدى والحق ومن لدنك معناه من عندك تفضلا لا عن سبب منا ولا عمل وفي هذا استسلام وتطراح والمراد هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة * وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اقرار بالبعث ليوم القيامة والريب الشك والمعنى انه في نفسه حق لا ريب فيه * وقوله تعالى ان الله لا يخلو الميعاد يحتمل ان يكون اخبارا منه سبحانه لحمد صلى الله عليه وسلم وامته ويحتمل ان يكون حكاية من قول الداعين ففى ذلك اقرار بصفة ذات الله تعالى والميعاد من الوعد * وقوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا الآية الاشارة بالآية الى معاصى النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يفخرون باموالهم وابنائهم وهى بعد متناولة كل كافر والوقود بفتح الواو كل ما يحترق في النار من حطب ونحوه والدأب والدأب بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب يدأب اذا لازم فعل شيء ودام عليه مجتهدا فيه ويقال للعادة دأب والمعنى في الآية تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم عليه باولاتك المتقدمين وآخر الآية يقتضى الوعيد بان يصيب هؤلاء ما اصاب اولائك والكاف في قوله كدأب في موضع رفع والتقدير دأبهم كدأب والضمير في قبلهم عائد على ال فرعون ويحتمل على معاصى رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الكفار * وقوله كذبوا بآياتنا يحتمل ان يريد
المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة * وقوله تعالى قل للذين كفروا
ستغلبون الآية اختلف في تعيين هؤلاء الذين امر صلى الله عليه وسلم بالقول لهم
فقل هم جميع معاصريه امر ان يقول لهم هذا الذي فيه اعلام بغيب فوقع بحمد
الله كذلك فغلبوا وصار من مات منهم على الكفر الى جهنم وتظاهرت روايات عن
ابن عباس وغيره بان المراد يهود المدينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غزوة بدر جمعهم وقال يا معشر يهود اسلموا من قبل ان يصيبكم ما اصاب قريشا
فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا اعداء لا يعرفون
القتال انك لو قاتلنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله فيهم هذه الآية
والحشر الجمع والاحضار * وقوله تعالى وبئس المهاد يعني جهنم هذا
ظاهر الآية وقال مجاهد المعنى بئس ما مهدوا لانفسهم قال * ع *
فكان المعنى وبئس فعلهم الذي اداهم الى جهنم * وقوله تعالى قد
كان لكم اية في فتيين الآية تحتمل ان يخاطب بها المومنون تشبيها
لنفسهم وتشجيعا لها وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب بها
يهود المدينة وبكل احتمال منها قد قال قوم وقرئ شاذا ترونهم بضم التاء
فكان معناها ان اعتقاد التضعيف في جمع الكفار انها كان تخميننا وظنا
لا يقينا وذلك ان ارى بضم الهمزة تقولها فيما بقي عندك فيه نظرا وارى بفتح
الهمزة تقولها في ما قد صح نظررك فيه ونحا هذا المنحى ابو الفتح وهو صحيح
والمراد بالفتنين جماعة المومنين وجماعة الكفار ببدر قال * ع * ولا خلاف
ان الاشارة بهاتين الفتنتين هي الى يوم بدر ويؤيد معناه يقتوى من الايد وهو
القوة * وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية هذه الآية ابتداء وعظ

لجميع الناس وفي ضمن ذلك توبيخ والشهوات ذميمة واتباعها مرد وطاعتها مهلكة وقد قال صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره فحسبك ان النار حفت بها فمن واقعها خلس الى النار قلت وقد جاءت احاديث كثيرة في التزهيد في الدنيا ذكرنا من صحيحها وحسنها في هذا المختصر جملة صالحة لا توجد في غيره من التفاسير فعليك بتحصيله فتطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد مجموعة في غيره كما هي بحمد الله حاصلة فيه وكيف لا يكون هذا المختصر فائقا في الحسن واحاديثه بحمد الله مختارة اكثرها من اصول الاسلام الستة البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه فهذه اصول الاسلام ثم من غيرها كصحيح ابن حبان وصحيح الحاكم اعني المستدرک على الصحيحين وابي عوانة وابن خزيمة والدارمي والموطأ وغيرها من المسانيد المشهورة بين ائمة الحديث حسبما هو معلوم في علم الحديث وقصدي من هذا نصح من اطلع على هذا الكتاب ان يعلم قدر ما انعم الله به عليه فان التحدث بالنعم شكر ولنرجع الى ما قصدناه من نقل الاحاديث روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحق بى فليكنك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة لاغنياء ولا تستخلفى ثوبا حتى ترقعيه حديث غريب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان البذاذة من الايمان خرجه ابو داود وقد نقله البغوي في مصابيح والبذاذة هي رث الهيئة والقناطر جمع قنطار وهو العقدة الكثيرة من المال واختلف الناس في تحرير حده واصح الاقوال فيه ما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القنطار الف ومائتا اوقية لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الاوقية * وقوله المنطرة قال الطبري

معناه المضعفة وقال الربيع المال الكثير بعضه على بعض * ص * المقنطرة
مفعلة او مفعلة من القنطار ومعناه المجتمعة * م * ابو البقاء ومن الذهب في
موضع الحال من المقنطرة اه وقوله المسومة قال مجاهد معناه المطهمة الحسان وقال
ابن عباس وغيره معناه الراعية وقيل المعدة والانعام واحدها نعم والنعم الابل والبقرة
والضأن والمعز * ص * والانعام واحدها نعم والنعم الابل فقط واذا جمع
انطلق على الابل والبقرة والغنم اه والحرث هنا اسم لكل ما يحرث من حب
وغيره والمتاع ما يستمتع به وينتفع مدة ما منحصرة والمثاب المرجع فمعنى الآية
تقليل امر الدنيا وتحقيرها والترغيب في حسن المرجع الى الله تعالى * وقوله
تعالى قل اوبئكم بخير من ذلكم الآية في هذه الآية تسليية عن الدنيا وتقوية
لنفوس تاركها ذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقرت رزين شهواتها
ثم جاء بالانباء بخير من ذلك هازا للنفوس وجامعا لها لتسمع هذا النبا
المستغرب النافع لمن عقل وانبئ معناه اخبر * وقوله تعالى ورضوان من الله
الرضوان مصدر من رضي وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان اهل الجنة اذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم مالا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله لهم انريدون ان اعطيكم ما هو افضل من
هذا قالوا يا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول الله سبحانه اهل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا هذا سياق الحديث وقد يجي مختلف الالفاظ والمعنى
قريب بعضه من بعض قال الفخر وذلك ان معرفة اهل الجنة مع هذا النعيم
المقيم بانه تعالى راض عنهم مشي عليهم ازيد عليهم في ايجاب السرور اه وباقي
الآية بين وقد تقدم في سورة البقرة بيانه * وقوله تعالى الذين يقولون ربنا
اننا امننا فاعفر لنا ذنوبنا الآية الذين بدل من الذين اتقوا وفسر سبحانه في هذه

الآية احوال المتقين الموعودين بالجنات والصبر في هذه الآية معناه على الطاعات
وعن المعاصي والشهوات والصدق معناه في الاقوال والافعال والفنوت الطاعة
والدعاء ايضا وبكل ذلك يتصف المتقي ولا نفاق معناه في سبيل الله ومطابق
لاجر والاستغفار طلب المغفرة من الله سبحانه وخص تعالى السحر لما فيه من
الفصل حسبما ورد فيه من صحيح الاحاديث كحديث النزول هل من داع
فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له الى غير ذلك مما ورد في فضله قلت
تنبيه قال القرطبي في تذكرته وقد جاء حديث النزول مفسرا مبينا في ما خرجه
النسائي عن ابي هريرة وابى سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يهمل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع
يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه ابو محمد عبد
الحق اه وخرج ابو بكر بن الخطيب يسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان نزول الله تعالى الى الشيء اقباله عليه من غير نزول
اه والسحر اخر الليل قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع
اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة ثم يسأل فاذا قلت نعم قعد يستغفر قال * ع *
وحقيقة السحر في هذه الاحكام الشرعية من الاستغفار الحمد وسحور الصائم ومن
يمن لو وقعت انما هي من ثلث الليل الآخر الى الفجر * وقوله تعالى شهد الله
انه لا اله الا هو الآية معنى شهد الله اعلم عباده بهذا الامر الحق وقال * ع *
شهد بمعنى علم او قضى او حكم او بين وحي اقوال اه واسند ابو عمر بن عبد البر
في كتاب فصل العلم عن غالب القطان قال كنت اختلف الى لاعمش فرأيت
ليلة قام بهجد من الليل وقرا بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو واللائكة واولوا
العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الذين عند الله لاسلام قال

الاعمش وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة فقلت للاعمش
انى سمعتك تقرأ هذه الآية ترددها فما بلغك فيها قال حدثنى ابووائل عن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول
الله سبحانه عبدى عهد الي وانا احق من وقى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة اه
وقراً جميع القراء انه بفتح الهمزة وبكسرها من قوله ان الدين على استيناف
الكلام وقراً الكسائي وحده ان الدين بفتح الهمزة بدل من انه لاولى والملائكة
واولوا العلم عطف على اسم الله قال الفخر المبراد باولى العلم هنا الذين عرفوا الله
بالدلالة القطعية لان الشهادة انما تكون مقبولة اذا كان الاخبار مقرونا بالعلم وهذا
يدل ان هذه الدرجة الشريفة ليست الا للعلماء بالاصول وتكررت لا اله الا الله
هنا وفائدة هذا التكرير الاعلام بان المسلم يجب ان يكون ابداً في تكرير هذه
الكلمة فان اشرف كلمة يذكرها للانسان هي هذه الكلمة واذا كان في اكثر الاوقات
مشتغلاً بذكرها وتكريرها كان مشتغلاً باعظم انواع العبادات فكان من التكرير
في هذه الآية حص العباد على تكريرها اه وصح في البخاري عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله
خالصاً من قبل نفسه وروى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من قال لا اله الا الله مخلصاً دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها
قال ان تجزى عن محارم الله خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
اه من التذكيرة وقائماً حال من اسمه تعالى في قوله شهد الله او من قوله لا هو
والقسط العدل وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام الآية الدين في هذه الآية الطاعة
والملة والمعنى ان الدين المقبول او النافع هو الاسلام والاسلام في هذه الآية هو
الايمان والطاعات قاله ابو العالية وعليه جمهور المتكلمين وحديث بني الاسلام على

خمس وحديث محيي جبريل يعلم الناس دينهم يفسر ذلك ثم اخبر تعالى عن اختلاف اهل الكتاب بعد علمهم بالحقائق وانه كان بغيا وطلبيا للدنيا قاله ابن عمر وغيره والذين اوتوا الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى لكن الربيع بن انس قال المراد بهذه الآية اليهود اختلفوا بعد موت موسى وبعد مضي ثلاثة قرون وقيل الآية توبيح لنصارى نجران وسرعة الحساب يحتمل ان يراد بها محيي القيامة والحساب اذ كل مات قريب ويحتمل ان يراد بسرعة الحساب ان الله تعالى باحاطته بكل شيء علما لا يحتاج الى عد ولا فكرة قاله مجاهد * وقوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني الآية الضمير في حاجوك لليهود والنصارى نجران والمعنى ان جادلوك وتعنتوا بالاقاويل المزورة والمغالطات فاسند الى ما كلفت من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرته وقوله وجهي يحتمل ان يراد به المقصد اي جعلت مقصدي لله ويحتمل ان يراد به الذات اي اسلمت شخصي وذاتي لله واسلمت في هذا الموضع بمعنى دفعت وامضيت وليست بمعنى دخلت في السلم لان تلك لا تتعدى ومن اتبعني في موضع رفع عطا على الضمير في اسلمت والذين اوتوا الكتاب في هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق والاميون الذين لا يكتبون وهم العرب في هذه الآية وقوله اسلمتم تقرير في ضمنه الامر وقال الزجاج اسلمتم تهدد وهو حسن والبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل وفي قوله تعالى والله بصير بالعباد وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين * وقوله تعالى ان الذين يكفرون بآيات الله الآية هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى وتعم كل من كان بهذه الحال وفيها توبيح للمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى ابو عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فاجتمع من عبادهم

واحبارهم مائة وعشرون ليغيروا المنكر وينكروا فقتلوا جميعا كل ذلك في يوم واحد وذلك معنى قوله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وحبطت معناه بطلت * وقوله تعالى ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآية بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال ان ابراهيم كان يهوديا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فهلما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا عليه ونزلت الآية قال * ع * فالكتاب في قوله من الكتاب اسم جنس والكتاب في قوله الى كتاب الله هو التوراة وقال قتادة وابن جريج هو القرآن ورجح الطبري الاول * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا الاشارة فيه الى التولى والاعراض اي انما تولوا واعرضوا لاغترارهم باقوالهم وافترائهم ثم قال تعالى خطابا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامته على جهة التوقيف والتعجيب فكيف حال هؤلاء المغترين بالباطيل اذا حشروا يوم القيامة واصحلت تلك الزخارف والدعوى وجوزوا بما اكتسبوه من كفرهم واعمالهم القبيحة قال ابن عطية والصحيح في يوم القيامة انه يوم لان قبله ليلة وفيه شمس وقال النقاش المراد باليوم الوقت * وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية هو سبحانه وتعالى مالك الملك كله مطلقا في جميع انواعه واشرف ملك يوتيه عبادة سعادة الآخرة روي ان الآية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر امته بفتح ملك فارس وغيره فقالت اليهود والمنافقون هيهات وكذبوا بذلك ومذهب البصريين ان الاصل في اللهم يا الله فعوض من ياء النداء ميما مشددة ومالك نصب

على النداء وخص تعالى الخير بالذكر وهو تعالى بيده كل شيء ، اذ الآية في معنى دعاء
ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل حظي منه قال النووي وروينا في
كتاب الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له
الف الف درجة ورواه الحاكم ابو عبد الله في المستدرک على الصحيحين من
طرق كثيرة وزاد فيه في بعض طرقه وبنى له بيتنا في الجنة قال الحاكم وفي
الباب عن جابر وابى هريرة وانس وبريدة الاسلمي اه من الحلية وقال ابن
عباس وغيره في معنى قوله تعالى تولج الليل في النهار الآية انه ما ينتقص من
النهار فيزيد في الليل وما ينتقص من الليل فيزيد في النهار دأبا كل فصل من
السنة وتحتل الفاظ الآية ان يدخل فيها تعاقب الليل والنهار كأن زوال احدهما
ولوح في الآخر واختلف في معنى قوله تعالى وتخرج الحي من الميت الآية فقال
الحسن معناه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن وروي نحوه عن
سلمان الفارسي وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع نغمة خالدة
بنت الاسود بن عبد يغوث فقال من هذه فاخبر بها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة سالحة وكان
ابوها كافرا والمراد على هذا موت قلب الكافر وحياة قلب المومن وذهب جمهور
كثير الى ان الحياة والموت في الآية حقيقة لا انها استعارة ثم اختلفوا في المُثَل
التي فسروا بها فقال ابن مسعود هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو
حي ويخرج الرجل منها وهي ميتة وقال عكرمة هو اخراج الدجاجة وهي حية

من البيضة وهي ميتة واخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية وروى
السدي عن ابي مالك قال هي الحبة تخرج من السنبلتة والسنبلتة تخرج من
الحبة وكذلك النواة * وقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء الآيت
هذا النهي عن الاتخاذ انما هو عن اظهار اللطف للكفار والميل اليهم فاما ان يتخذوا
بالقلب فلا يفعل ذلك مومن ولفظ الآيت عام في جميع الاصناف واختلف في
سبب نزولها فقال ابن عباس في كعب بن الاشرف وغيره قد بطنوا بنفر من
الانصار ليفتنوهم عن دينهم فنزلت في ذلك الآيت. وقال قوم نزلت في قصة
حاطب بن ابي بلتعة وكتابه الى اهل مكة والآيت عامة في جميع هذا * وقوله
تعالى فليس من الله في شيء معناه في شيء مرضي كقوله صلى الله عليه وسلم من
غشنا فليس منا ثم اباح سبحانه اظهار اتخاذهم بشرط الانتفاء فاما ابطانه فلا يصح ان
يتصف به مومن في حال * وقوله تعالى ويحذركم الله الى اخر الآيت وعيد وتنبيه
ووعظ وتذكير بالآخرة * وقوله نفسه نائبة عن اياه وهذه مخاطبة على معهود ما
يفهمه البشر والنفس في مثل هذا راجع الى الذات وفي الكلام حذف مضاف لان
التحذير انما هو من عقاب وتنكيل ونحوه قال ابن عباس والحسن ويحذركم الله
عقابه * وقوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم الآيت الضمير في تخفوا هو
للمؤمنين الذين نهوا عن الكافرين والمعنى انكم ان ابطنتم الحرس على اظهار
موالاتهم فان الله يعلم ذلك ويكرهه منكم * وقوله تعالى يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا قال ابن هشام في المغنى يوم نصب بمحذوف تقديره
اذكروا او احذروا ولا يصح ان يكون ظرفا ليحذركم كما زعم بعضهم لان التحذير في
الدنيا وقع لا في الآخرة اه * وقوله تعالى وما عملت من سوء يحتمل ان تكون
ما معطوفة على ما الاولى فهي في موضع نصب ويكون تود في موضع الحال واليه

ذهب الطبري وغيره ويحتمل ان تكون ما رفع بالابتداء والخبر في قوله تود وما بعده والامد الغاية المحدودة من المكان او الزمان * وقوله تعالى والله رءوف بالعباد يحتمل ان يكون اشارة الى ان تحذيره رافة منه سبحانه بعبادة ويحتمل ان يكون ابتداء اعلام بهذه الصفة فيقتضى ذلك التأسيس ليلا يفرط الوعيد على نفس مومن فسبحانه ما ارحمه بعبادة وعن منصور بن عمار انه قال اعقل الناس محسن خائف واجهل الناس مستيء ما من فلما سمع عبد الملك بن مروان منه هذا الكلام بكى حتى بل ثيابه ثم قال له ائتل علي يا منصور شيئاً من كتاب الله فتلا عليه يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً الآية فقال عبد الملك قتلتنى يا منصور ثم غشي عليه اه * وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية قال الشيخ العارف بالله ابن ابي جرة رضي الله عنه من علامة السعادة للشخص ان يكون معتنياً بمعرفة السنة في جميع تصرفاته والذي يكون كذلك هو دائم في عبادة في كل حركاته وسكناته وهذا هو طريق اهل الفضل حتى حكي عن بعضهم انه لم ياكل البطيخ سنين لما لم يبلغه كيفية السنة في اكله وكيف لا والله سبحانه يقول قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والاتباعية الكاملة انما تصح بان تكون عامة في كل الاشياء يعنى لا ما خصه به الدليل جعلنا الله من اهلها في الدارين انتهى قال * ع * قال الحسن بن ابي الحسن وابن جريج ان قوماً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد انا نحب ربنا فنزلت هذه الآية وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا القول لنصارى نجران قال * ع * ويحتمل ان تكون الآية عامة لاهل الكتاب اليهود والنصارى لانهم كانوا يدعون انهم يحبون الله ويحبهم قال عياض اعلم ان من احب شيئاً أثره واثـر موافقته ولا لم يكن

صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واتباع سنته واتباع أقواله وأفعاله والتأدب بآدابه في عسره ويسره قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية قال عياض روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المستمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها لاحظ الله عنه خطاياهم كما تحات عن الشجرة ورقها الحديث قال عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم زهد مدعيها في الدنيا وإشارة الفقر واتصافه به ففي حديث أبي سعيد أن الفقرا إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفلهم وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني لأحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه اه من الشفا قال * ع * والمحبة ارادة يقترب بها اقبال من النفس وميل بالمعتقد وقد تكون الارادة المجردة فيما يكره المرید والله تعالى يريد وقوع الكفر ولا يحبه ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد ان يطيعه ومحبة الله تعالى أمارتها للمتأمل ان يرى العبد مهديا مسددا

ذا قبول فى الارض فلفظ الله تعالى بالعبد ورجته اياه هي ثمرة محبته وبهذا النظر
يفسر لفظ المحبة حيث وقعت من كتاب الله عزوجل * وقوله تعالى ان الله
اصطفى ادم ونوحا الآية لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران والرد عليهم
وبيان فساد ما هم عليه جاءت هذه الآيات معللة بصورة الامر الذى قد ضلوا فيه
ومنبثة عن حقيقته كيف كانت فبدأ تعالى بذكر فضل ادم ومن ذكر بعده
ثم خص امرأة عمران بالذكر لان القصد وصف قصة القوم الى ان يبين امر
عيسى عليه السلام وكيف كان وانصرف نوح مع عجمته وتعريفه لخفة الاسم
كهود ولوط قال الفخر هنا اعلم ان المخلوقات على قسمين مكلف وغير مكلف
واتفقوا على ان المكلف افضل من غير المكلف واتفقوا على ان اصناف المكلفين
اربعة الملائكة والانس والجن والحيوانات * تأمله جعل الشياطين
قسما للجن اه والآل فى اللغة الاهل والقرابة ويقال للاتباع واهل الطاعة آل والآل
فى الآية يحتمل الوجهين فان اريد بالآل القرابة فالتقدير ان الله اصطفى هؤلاء
على عالمى زمانهم او على العالمين جميعا بان يقدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من
آل ابراهيم وان اريد بالآل الاتباع فيستقيم دخول امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فى الآل لانها على ملة ابراهيم * وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض اي متشابهين
فى الدين والحال وعمران هو رجل من بنى اسرائيل وامرأة عمران اسمها حنة
ومعنى نذرت جعلت لك ما فى بطنى محررا اي حبسا على خدمة بيتك
محررا من كل خدمة وشغل من اشغال الدنيا والبيت الذى نذرت له هو بيت
المقدس فتقبل منى اي ارض عنى فى ذلك واجعله فعلا مقبولا مجازى به
والسميع اشارة الى دعائها والعليم اشارة الى نيتها * وقوله تعالى فلما وضعتها قالت
رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت الوضع الولادة وقولها رب انى وضعتها

انثى لفظ خبر في ضمنه التحسر والتلطف وبين الله ذلك بقوله والله اعلم بما
وضعت وقولها وليس الذكر كالانثى تريد في امتناع نذرها اذ الانثى تحيض
ولا تصلح لصحبة الرهبان قاله قتادة وغيره وبدأت بذكر لاهم في نفسها والا فسياق
قصتها يقتضى ان تقول وليس الانثى كالذكر وفي قولها وانى سميتها مريم سنة تسمية
الاطفال قرب الولادة ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولد لي الليلة مولود فسميته
باسم ابى ابراهيم وباقي الآية اعادة قال النووي وروينا في سنن ابى داود باسناد
جيد عن ابى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تدعون يوم
القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب اسمائكم الى الله عز وجل عبد الله وعبد
الرحمن وفي سنن ابى داود والنسائي وغيرهما عن ابى وهب الجشمي قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله
تعالى عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث وهمام واقبحها حرب ومرة اه وفي
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابى هريرة قال قال كل مولود
من بنى ادم له طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم
ابنت عمران وابنها فان امها قالت حين وضعتها وانى اعيزها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم فضرَبَ بينهما حجاب فطعن الشيطان في الحجاب وقد اختلفت
الفاظ هذا الحديث والمعنى واحد كما ذكرته قال النووي باب ما يقال عند الولادة
روينا في كتاب ابن السني عن فاطمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما دنا ولادها امرام سلمة وزينب بنت جحش ان تاتيها فتقرأ عندها اية
الكرسي وان ربكم الله الى اخر الآيت وتعوذانها بالمعوذتين انتهى * وقوله
تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اخبار منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه

رضي مريم لخدمة المسجد كما نذرت امها وستى لها الامل في ذلك * وقوله سبحانه وانبتها نباتا حسنا عبارة عن حسن النشأة في خلقته وخلق * ص * بقبول مصدر على غير الصدر والجاري على تقبل تقبلا وعلى قبل قبولا ونباتا مصدر منصوب بانبتها على غير الصدر انتهى * وقوله تعالى وكفلها زكرياء معناه ضمها الى انفاقه وحضنه والكافل هو المربي قال السدي وغيره ان زكرياء كان زوج اختها ويعصد هذا القول قوله صلى الله عليه وسلم في يحيى وعيسى ابنا الخالة والذي عليه الناس ان زكرياء انما كفلهما بالاستهام لتشاحهم حينئذ فيمن يكفل المحرر * وقوله تعالى كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا المحراب المبني الحسن ومحراب القصر اشرف ما فيه ولذلك قيل لا شرف ما في المصلى وهو موقف الامام محراب ومعنى رزقا اي طعاما يتغذى به لم يعهده ولا عرف كيف جلب اليها قال مجاهد وغيره كان يجدها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ونحوه عن ابن عباس لا انه قال ثمار الجنة وقوله اني معناه كيف ومن اين وقولها من عند الله دليل على انه ليس من جلب بشر قال الزجاج وهذا من آية التي قال الله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقولها ان الله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لكون ذلك الرزق من عند الله وذهب الطبري الى ان ذلك ليس من قول مريم وانه خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه لا تنتقص خزائنه فليس يحسب ما خرج منها وقد يعبر بهذه العبارة عن الكثيرين من الناس انهم ينفقون بغير حساب وذلك مجاز وتشبيه والحقيقة هي فيما ينتفق من خزائن الله سبحانه قال الشيخ ابن ابي جرة رضي الله عنه وقد قال العلماء في معنى قوله عز وجل ان الله يرزق من يشاء بغير حساب انه الفتوح اذا كان على وجهه اه ذكر هذا عند شرحه لقوله صلى

الله عليه وسلم لودعيت الى ذراع او كراع لا جبت * وقوله تعالى هنالك دعا
زكريا ربه الآية هنالك في كلام العرب اشارة الى مكان او زمان فيه بعد ومعنى
هذه الآية ان في الوقت الذي رأى زكريا رزق الله لمريم ومكانتها من الله
وفكر في انها جاءت امها بعد ان اسنت وان الله تعالى تقبلها وجعلها من
الصالحات تحرك امله لطلب الولد وقوي رجاءه وذلك منه على حال سن
وهن عظم واشتعال شيب فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة يرثه والذرية اسم
جنس يقع على واحد فصاعدا كما ان الولد اسم جنس كذلك وطيبة معناه
سليمة في الخلق والدين تقية ثم قال تعالى فنادته الملائكة ونُزِكَ محذوف
كثير دل عليه ما ذكر تقديره فقبل الله دعاءه وبعث الملك او الملائكة
فنادته وذكر جمهور المفسرين ان المنادي انها هو جبريل وقال قوم
بل نادته ملائكة كثيرة حسبما تقتضيه الفاظ الآية قلت وهذا هو الظاهر ولا يعدل
عنه الا ان يصح في ذلك حديث عنه صلى الله عليه وسلم فيتبع وقوله تعالى
فنادته عبارة تستعمل في التبشير وفي ما ينبغي ان يسرع به وينتهي الى نفس
السامع ليسر به فلم يكن هذا من الملائكة اخبارا على عرف الوحي بل نداء كما
نادى الرجل الانصاري كعب بن مالك من اعلى الجبل * وقوله تعالى وهو
قائم يصلى في المحراب يعنى بالمحراب في هذا الموضع موقف الامام من المسجد
ويحي اسم سماء الله به قبل ان يولد ومصدقا نصب على الحال قال ابن عباس
وغیره الكلمة هنا يراد بها عيسى ابن مريم قال * ع * وسمى الله تعالى
عيسى كلمة اذ صدر عن كلمة منه تعالى وهي كن لا بسبب انسان * وقوله تعالى
وسيدا قال قتادة اي والله سيد في الحلم والعبادة والورع قال * ع * من
فسر السودد بالحلم فقد احرز اكثر معنى السودد ومن جرد تفسيره بالعلم

والتقى ونحوه فلم يفسره بحسب كلام العرب وقد تحصل العلم ليحي عليه السلام بقوله مصدقا بكلمته من الله وتحصل التقى بباقي الآية وخصه الله بذكر السودد الذى هو الاعتمال فى رضى الناس على اشرف الوجوه دون ان يوقع فى باطل هذا اللفظ يعم السودد وتفصيله ان يقال بذل الندى وهذا هو الكرم وكف الاذى وهنا هي العفة بالفرج واليد واللسان واحتمال العظام وهنا هو الحلم وغيره من تحمل الغرامات والانقاذ من الهلكات وجبر الكسير والافصال على المسترفد وانظر قول النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وذكر حديث الشفاعة فى اطلاق الموقف وذلك منه اعتمال فى رضى ولد ادم ثم قال * ع * اما انه يحسن بالتقى العالم ان ياخذ من السودد بكل ما لا يخل بعلمه وتقاه وهكذا كان يحي عليه السلام * وقوله تعالى وحصورا اصل هذه اللفظة الحبس والمنع ومنه حصر العدو قال * ع * واجمع من يعتد بقوله من المفسرين على ان هذه الصفة ليحي عليه السلام انها هي الامتناع من وطء النساء الا ما حكى مكي من قول من قال انه الحصور عن الذنوب وذهب بعض العلماء الى ان حصره كان بانه يمسك نفسه تقى وجلدا فى طاعة الله سبحانه وكانت به القدرة على جماع النساء قالوا وهذه امدح له قال الامام الفخر وهذا القول هو اختيار المحققين انه لا ياتى النساء الا للعجز بل للعصمة والزهد قلت قال عياض اعلم ان ثناء الله تعالى على يحي عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا ولا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه معصوم من الذنوب اي لا ياتىها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء كفاية من الله له لكونها مشغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي فى حق من اقدر عليها وقام

بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي وسائر النبيين اه من الشفا وباقى الآيتة بين وروي من صلاحه عليه السلام انه كان يعيش من العشب وانه كان كثير البكاء من خشية الله حتى اتخذ الدمع في وجهه اخذودا * ص * ومن الصالحين اي من اصلاّب الانبياء او صالحا من الصالحين فيكون صفة لموصوف محذوف اه قلت والثانى احسن ولاول تحصيل الحاصل فتأمل * وقوله تعالى قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر الآيتة ذهب الطبري وغيره الى ان زكريا لما رأى حال نفسه وحال امرأته وانها ليست بحال نسل سأل عن الوجه الذى به يكون الغلام اتبدل المرأة خلقتها ام كيف يكون قال * ع * وهذا تاويل حسن لائق بزكريا عليه السلام وانى معناها كيف ومن اين وحسن فى الآيتة بلغنى الكبر من حيث هي عبارة واهن منفعل * وقوله كذلك اي كهذه القدرة المستغربة قدرة الله ويحتمل ان تكون الاشارة بذلك الى حال زكريا وحال امرأته كانه قال رب على اي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا فقال له كما انتما يكون لكما الغلام والكلام تام على هذا التاويل فى قوله كذلك * وقوله الله يفعل ما يشاء جلته مبينة مقررة فى النفس وقوع هذا الامر المستغرب * وقوله قال رب اجعل لى آية اي علامة قالت فرقة من المفسرين لم يكن هذا من زكريا على جهة الشك وانما سأل علامة على وقت الحمل * وقوله تعالى ايتك لا تكلم الناس الآيتة قال الطبري وغيره لم يكن منعه الكلام لافته ولكنه منع محاورة الناس وكان يقدر على ذكر الله ثم استثنى الرمز وهو استثناء منقطع والكلام المراد فى الآيتة انما هو النطق باللسان لا الاعلام بما فى النفس والرمز فى اللغة حركة تعلم بما فى نفس الرامز كانت الحركة من عين او حاجب او شفة او يد او عود او غير ذلك

وقد قيل للكلام المحرف عن ظاهره رموز وامره تعالى بالذكر لربه كثيرا لانه لم يحل بينه وبين ذكر الله وهذا قاص بان لم تدركه ءافته ولا علة في لسانه قال محمد بن كعب القرظي لو كان الله رخص لاحد في ترك الذكر لرخص لذكرياء عليه السلام حيث قال ءايتك لا تكلم الناس ثلاثة ايام لارمزا لكنه قال له اذكر ربك كثيرا قال لامام الفخروي الآيتة تاويلان احدهما ان الله تعالى حبس لسانه عن امور الدنيا واقدرة على الذكر والتسبيح والتهيل ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله وطاعته شكراً لله على هذه النعمة ثم اعلم ان هذه الواقعة كانت مشتملة على المعجز من وجوه احدها ان قدرته على الذكر والتسبيح وعجزه عن التكلم بامور الدنيا من المعجزات وثانيها ان حصول ذلك العجز مع صحة البنية من المعجزات وثالثها ان اخباره بانه متى حصلت تلك الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر خرج على وفق هذا الخبر يكون ايضا من المعجزات والتاويل الثاني ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين في بحار معرفة الله تعالى عادتهم في اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللساني مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله تعالى سكتوا باللسان وبقي الذكر في القلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكرياء عليه السلام امر بالسكوت باللسان واستحضر معاني الذكر والمعرفة واستدامتها بالقلب اه * وقوله تعالى وسبح معناه قل سبحان الله وقال قوم معناه صل والاول اصوب لانه يناسب الذكر ويستغرب مع امتناع الكلام مع الناس والعشي في اللغة من زوال الشمس الى مغيبها والابكار مصدر ابكر الرجل اذا بادر امره من لدن طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتتمادي البكرة شيئاً بعد طلوع الشمس يقال ابكر الرجل وبكر * وقوله تعالى واذا قالت الملائكة العامل في اذ اذكر لان هذه الآيات كلها

انما هي اخبارات بغيب تدل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مقصد ذكرها هو الاظهر في حفظ رونق الكلام واصطفاك معناه تخيرك لطاعته وطهرتك معناه من كل ما يصم النساء في خلق او خلق او دين قاله مجاهد وغيره وقول الزجاج قد جاء في التفسير ان معناه طهرتك من الحيض والنفاس يحتاج الى سند قوي وما احفظه والعالمين يحتمل عالم زمانها قال * ع * وسائغ ان يتأول عموم الاصطفاء على العالمين وقد قال بعض الناس ان مريم نبيه من اجل مخاطبة الملائكة لها وجهور الناس على انها لم تنبأ امرأة واقنتى معناه اصبى واطيعى قاله الحسن وغيره ويحتمل ان يكون معناه اطيلى القيام في الصلاة وهذا هو قول الجمهور وهو المناسب في المعنى لقوله واسجدى وروى مجاهد انها لما خطبت بهذا قامت حتى ورمت قدميها وروى الاوزاعي حتى سال الدم والقيح من قدميها وروى ان الطير كانت تنزل على راسها تظنها جادا واختلف المتأولون لم قدم السجود على الركوع فقال قوم كان ذلك في شرعهم والقول عندى في ذلك ان مريم امرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما وهذان يختصان بصلاتها مفردة والا فمن يصلى وراء امام فليس يقال له اطل قيامك ثم امرت بعد بالصلاة في الجماعة فقل لها واركعى مع الراكعين وقصد هنا معلم اخر من معالم الصلاة لئلا يتكرر اللفظ ولم يرد في الآية الركوع والسجود الذى هو منتظم في ركعة واحدة والله اعلم وقال * ص * قوله واركعى الواو لا ترتب فلا يسأل لم قدم السجود لا من جهة علم البيان وجوابه انه قدم لانه اقرب ما يكون العبد فيه من ربه فكان اشرف وقيل كان مقدما في شرعهم اه * وقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك الآية هذه المخاطبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاشارة بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص والانباء الاخبار

والغيب ما غاب عن مدارك الانسان ونوحيه معناه تلقينه في نفسك في خفاء
وحد الوحي القاء المعنى في النفس في خفاء فمنه بالملك ومنه بالالهام ومنه
بالاشارة ومنه بالكتاب وفي هذه الآية بيان لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ
جاءهم بغيوب لا يعلمها الا من شاهدها وهو لم يكن لديهم او من قرأها في كتبهم وهو
صلى الله عليه وسلم امي من قوم اميين او من اعلمه الله بها وهو ذاك صلى الله
عليه وسلم ولديهم معناه عندهم ومعهم * وقوله اذ يلقون اقلامهم الآية جمهور
العلماء على انه استهام لاخذها والمنافسة فيها فروي انهم القوا اقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التوراة في النهر فروي ان قلم زكرياء صاعد الجربة وضت اقلام
الآخرين وقيل غير هذا قلت ولفظ ابن العربي في الاحكام قال النبي صلى الله
عليه وسلم فجرت الاقلام وعلا قلم زكرياء اه واذا ثبت الحديث فلا نظر لاحد معه
ويختصمون معناه يتراجعون القول الجهير في امرها وفي هذه الآية استعمال القرعة
والقرعة سنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر اقرع بين نسائه وقال
صلى الله عليه وسلم لويلعلون ما في الصف الاول لاستهموا عليه واختلف ايضا هل
الملائكة هنا عبارة عن جبريل وحده او عن جماعة من الملائكة ووجيها نصب على
الحال وهو من الوجه اي له وجه ومنزلة عند الله وقال البخاري وجيها شريفا اه
ومن المقربين معناه من الله تعالى وكلامه في المهد آية دالة على براءة امه واخبر
تعالى عنه انه ايضا يكلم الناس كهلا وفائدة ذلك انه اخبار لها بحياته الى سن
الكهولة قال جمهور الناس الكهل الذي بلغ سن الكهولة وقال مجاهد الكهل الحليم
قال * ع * وهذا تفسير للكهولة بعرض مصاحب لها في الاغلب واختلف
الناس في حد الكهولة فقيل الكهل ابن اربعين وقيل ابن خمسة وثلاثين وقيل
ابن ثلاثة وثلاثين وقيل ابن اثنين وثلاثين هذا حد اولها واما اخرها فائنان

وخسون ثم يدخل سن الشيخوخة وقول مريم انى يكون لى ولد استفهام عن جهة
جلها واستغراب للحمل على بكارتها ويمس معناه يظاً ويجامع * ص *
والبشر يطلق على الواحد والجمع اه والكلام فى قوله كذلك كالكلام فى امر زكريا
وجاءت العبارة فى امر زكريا يفعل وجاءت هنا يخلق من حيث ان امر زكريا داخل
فى الامكان الذى يتعارف وان قل وقصة مريم لا تتعارف البتة فلفظ الخلق اقرب
الى الاختراع وادل عليه * وقوله تعالى اذا قضى امرا معناه اذا اراد ايجاده والامر
واحد الامور وهو مصدر سمي به والضمير فى له عائد على الامر والقول على جهة المخاطبة
* وقوله كن خطاب للمقضى * وقوله فيكون بالرفع خطاب للمخبر * وقوله
تعالى ويعلمه الكتاب الآية الكتاب هنا هو الخط باليد وهو مصدر كتب يكتب قاله
جمهور المفسرين * وقوله ورسولا الى بنى اسرائيل اي ويجعله رسولا وكانت رسالة
عيسى عليه السلام الى بنى اسرائيل مبينا حكم التوراة ونادبا الى العمل بها ومحلا
اشياء مما حرم فيها كالشروب ولحوم الابل واشياء من الحيتان والطيرو من اول
القول لمريم الى قوله اسرائيل خطاب لمريم ومن قوله انى قد جئتمكم الى قوله
مستقيم يحتمل ان يكون خطابا لمريم على معنى يكون من قوله لبنى اسرائيل
كيت وكيت ويكون فى اخر الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فجاء
عيسى بنى اسرائيل رسولا فقال لهم ما تقدم ذكره ويحتمل ان يكون المحذوف
مقدرا فى صدر الكلام بعد قوله الى بنى اسرائيل فيكون تقديره فجاء عيسى كما
بشر الله رسولا الى بنى اسرائيل بانى قد جئتمكم ويكون قوله انى قد جئتمكم
ليس بخطاب لمريم ولا اول اظهر * وقوله انى اخلق لكم من الطين الآية قرا
نافع انى اخلق بكسر الهمزة وقراً باقى السبعة بفتحها فوجه قراءة نافع اما القطع
ولا استيناف واما انه فسر الآية بقوله انى كما فسر المثل فى قوله كمثل ادم ووجه

قراءة الباقيين البدل من آية كانه قال وجئتكم بانى اخلق واخلق معناه اقدر
واهينى بيدى * ص * كهينة الهيئة الشكل والصورة وهو مصدر هاء الشيء .
يهينى هيئة وهياً اذا ترتب واستقر على حال ما وتعيده بالتصغير قال تعالى
ويهيئ لكم من امركم مرفقا هـ وقرأ نافع وحده فيكون طائرا بالافراد اي يكون
طائرا من الطيور وقرأ الباقيون فيكون طيرا بالجمع وكذلك فى سورة المائدة
والطير اسم جمع وليس من ابنية الجموع وانما البناء فى جمع طائر اطيوار
وجمع الجمع طيور * وقوله فانفخ فيه ذكر الضمير لانه يحتمل ان يعود على
الطين المهيئ ويحتمل ان يريد فانفخ فى المذكور وانث الضمير فى سورة المائدة
لانه يحتمل ان يعود على الهيئة او على تانيث لفظ الجماعة وكون عيسى يخلق
بيده وينفخ فيه انما هو ليبين تلبسه بالمعجزة وانها جاءت من قبله واما الابداد
من العدم وخلق الحياة فى ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له
وروي فى قصص هذه الآية ان عيسى عليه السلام كان يقول لبنى اسرائيل اي
الطير اشد خلقته واصعب ان يحكى فيقولون الخفاش لانه طائر لا ريش له
فكان يصنع من الطين خفافيش ثم ينفخ فيها فتطير وكل ذلك بحضرة الناس
ومعاينتهم فكانوا يقولون هذا ساحر وابرى معناه ازيل المرض والاكمه هو الذى
يولد اعمى مضموم العينين قاله ابن عباس وقتادة قال * ع * والاكمه فى
اللغة هو الاعمى وقد كان عيسى عليه السلام يبرى بدعائه ومسح يده على كل
عاهة ولكن الاحتجاج على بنى اسرائيل فى معنى النبوة لا يقوم الا بالابراء من العلل
التي لا يبرى منها طبيب بوجه وروي فى احيائه الموتى انه كان يضرب بعصاه
الميت او القبر او الجمجمة فيحيى الانسان ويكلمه باذن الله وفى قصص الاحياء
احاديث كثيرة لا يوقف على صحتها وايات عيسى عليه السلام انما تجري فيما

يعارض الطب لان علم الطب كان شرف الناس في ذلك الزمان وشغلهم
وحينئذ اثبرت فيه العجائب فلما جاء عيسى عليه السلام بغرائب لا تقتضيها
الأمزجة واصول الطب وذلك احياء الموتى وابراء الالكه والابرس علمت الاطباء
ان هذه القوة من عند الله وهذا كامر السحرة مع موسى والفصحاء مع نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ووقع في التواريخ المترجمة عن الاطباء ان جالينوس كان في
زمن عيسى عليه السلام وانه رحل اليه من رومية الى الشام فمات في طريقه ذلك
* وقوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم الآية قال مجاهد وغيره
كان عيسى عليه السلام من لدن طفوليته وهو في الكتاب يخبر الصبيان بما يفعل
اباؤهم في منازلهم وبما ياكل من الطعام ويدخر وكذلك الى ان نبي فكان يقول
لكل من سأل عن هذا المعنى اكلت البارحة كذا وادخرت كذا وقال قتادة معنى
الآية انها هو في نزول المائدة عليهم وذلك انها لما نزلت اخذ عليهم عهد ان
ياكلوا ولا يخبأ احد شيئاً ولا يدخره ولا يحمله الى بيته فخانوا وجعلوا يخبئون
فكان عيسى عليه السلام يخبر كل احد عما اكل وعما ادخر في بيته من ذلك
وعوقبوا على ذلك * وقوله فاتقوا الله واطيعوا الله وتحذروا دعاء الى الله عز وجل
* وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان الفاظه
جمعت الايمان والطاعات والصراط الطريق والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه *
وقوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر الآية قبل هذه الآية محذوف به يتم
اتساق الآيات تقديره فجاء عيسى كما بشر الله به فقال جميع ما ذكر لبنى
اسراييل فلما احس ومعنى احس علم من جهة الحواس بما سمع من اقوالهم
في تكذيبه ورأى من قرائن احوالهم وشدة عداوتهم واعراضهم قال من انصاري
الى الله وقوله الى الله يحتمل معنيين احدهما من ينصرني في السبيل الى الله

والثانى ان يكون التقدير من يضيف نصرته الى نصرته الله لى فالى دالته على
الغاية فى كلا التقديرين وليس يباح ان يقال الى بمعنى مع كما غلط فى ذلك
بعض الفقهاء فى تاويل قوله تعالى وايدىكم الى المرافق فقال الى بمعنى مع وهذه
عجمة والحواريون قوم مر بهم عيسى صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى نصرته واتباع
ملته فاجابوه وقاموا بذلك خير قيام وصبروا فى ذات الله واختلف لم قيل لهم
حواريون فقال ابن جبير لبياض ثيابهم وقال ابوارطاة لانهم كانوا قصارين
يحورون الثياب اى يبيضونها وقال قتادة الحواريون اصفاء الانبياء الذين
تصلح لهم الخلافة وقال الضحاك نحوه قال * ع * وهذا القول تقرير
حال القوم وليس بتفسير اللفظة وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم
ابن عمته بهم فى قوله وحواري الزبير والاقوال الأول هي تفسير اللفظة اذ هي
من الحور وهو البياض حورت الثوب بيضته ومنه الحوارى وقد تسمى العرب
النساء الساكنات فى الامصار الحواريات لغلبة البياض عليهن ومنه قول ابى
جلدة الشكري

فقل للحواريات يبيكن غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوايح
وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون خطابا لعيسى عليه السلام اى
اشهد لنا عند الله ويحتمل ان يكون خطابا لله تعالى كقوله صلى الله
عليه وسلم فى حجة الوداع اللهم اشهد وقولهم ربنا امننا بما انزلت
يريدون الانجيل وامايات عيسى فاكتبنا مع الشاهدين اى فى عداد
من شهد بالحق من مومنى الامم ثم اخبر تعالى عن بنى اسرائيل الكافرين
بعيسى عليه السلام فقال ومكروا يريد فى تحيلهم فى قتله بزعمهم فهذا هو مكروهم
فجازاهم الله تعالى بان طرح شبه عيسى على احد الحواريين فى قول الجمهور

او على يهودي منهم كان جاسوسا واعتقب بنى اسرائيل مذلتة وهوانا في الدنيا والآخرة فهذه العقوبة هي التي سماها الله تعالى مكرًا في قوله ومكر الله وذلك مهيع ان تسمى العقوبة باسم الذنب وقوله والله خير الماكرين معناه فاعل حق في ذلك وذكر ابو القاسم القشيري في تحبيره قال سئل ميمون احسبه ابن مهران عن قوله تعالى ومكروا ومكر الله فقال تخليته اياهم مع مكرهم هو مكره بهم اه ونحوه عن الجنيد قال الفراء المكر من المخلوق الخب والحيلة ومن الاله الاستدراج قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال ابن عباس كلما احدثوا خطيئة احدثنا لهم نعمة اه وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيک الآية اختلف في هذا التوفى فقال الربيع هي وفاة نوم وقال الحسن وغيره هو توفى قبض وتحصيل اي قابضك من الارض ومحصلك في السماء وقال ابن عباس هي وفاة موت ونحوه لمالك في العتبية وقال وهب بن منبه توفاه الله بالموت ثلاث ساعات ورفع فيها ثم احياه بعد ذلك وقال الفراء هي وفاة موت ولكن المعنى اني متوفيک في اخر امرک عند نزولک وقتلک الدجال ففي الکلام تقديم وتأخير قال * ع * واجمعت الامة على ما تضمنه الحديث المتواتر من ان عيسى عليه السلام في السماء حي وانه ينزل في اخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر ويبقى في الارض اربعا وعشرين سنة وقيل اربعين سنة ثم يميتة الله تعالى قال * ع * فقول ابن عباس هي وفاة موت لا بد ان يتم اما على قول وهب بن منبه واما على قول الفراء * وقوله تعالى ورافعک الي عبارة عن نقله من سفلى الى علو واصافه الله سبحانه اضافة تشريف ولا فمعلوم انه سبحانه غير متحيز في جهة

ومطهرت اي من دعاوى الكفرة ومعاشرتهم * وقوله وجاعل الذين اتبعوك
الآية قال جمهور المفسرين بعموم اللفظ في المتبعين فتدخل في ذلك امته محمد
صلى الله عليه وسلم لانها متبعة لعيسى قاله قتادة وغيره وكذلك قالوا بعموم اللفظ
في الكافرين فمقتضى الآية اعلام عيسى عليه السلام ان اهل الايمان به كما
يجب هم فوق الذين كفروا بالحجة والبرهان والعز والغلبة ويظهر من عبارة ابن
جريج وغيره ان المراد المتبعين له في وقت استنصاره وهم الحواريون * وقوله
تعالى ثم الي مرجعكم خطاب لعيسى والمراد الاخبار بالقيامة والحشروباقي الآية
بين وتوفية الاجور هي قسم المنازل في الجنة فذلك هو بحسب الاعمال واما
نفس دخول الجنة فبرحمة الله وتفضله سبحانه * وقوله تعالى ذلك نتلوه
عليك من الآيات الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من الانباء ونتلوه معناه نسرده
ومن الآيات ظاهرة آيات القرآن ويحتمل ان يريد من المعجزات والمستغربات
ان تاتيهم بهذه الغيوب من قبلنا وبسبب تلاوتنا والذكر ما ينزل من عند الله
قال ابن عباس الذكر القرآن والحكيم الذي قد كمل في حكمته * وقوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله الآية قال ابن عباس وغيره سبب نزولها محاجة نصارى
نجران في امر عيسى وقولهم يا محمد هل رأيت بشرا قط جاء من غير فحل او سمعت
به ومعنى الآية ان المثل الذي تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمصور من
ادم اذ الناس مجمعون على ان الله تعالى خلقه من تراب من غير فحل وفي هذه الآية
صحة القياس * وقوله تعالى ثم قال ترتيب للاخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم المعنى
خلقهم من تراب ثم كان من امره في الازل ان قال له كن وقت كذا * وقوله
تعالى الحق من ربك اي هذا هو الحق والمترين هم الشاكون ونهي النبي
صلى الله عليه وسلم في عبارة اقتضت ذم المترين وهذا يدل على ان المراد

بالامتراة غيره ونهي عن الامتراة مع بعده عنه على جهة التثبيت والدوام على حاله
* وقوله تعالى فمن حاجك فيه اى فى عيسى ويحتمل فى الحق والعلم الذى
اشير اليه بالمجيب هو ما تضمنته هذه الآيات المتقدمة * وقوله فقل تعالوا
استدعاء للمباهلة وتعالوا تفاعلوا من العلو وهي كلمة قصد بها اولا تحسين الادب
مع المدعو ثم اطردت حتى يقولها الانسان لعدوه وللبيهمة ونبتهل معناه نلتعن
ويقال عليهم بهلته الله والابتهاال الجد فى الدعاء بالبهلة قال محمد بن جعفر بن
الزبير وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا نصارى نجران الى المباهلة
قالوا دعنا ننظر فى امرنا ثم نأتك بما نفعل فذهبوا الى العاقب وهو ذو رأيهم
فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال يا معشر النصارى والله لقد عرفتم ان محمدا
النبي المرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لادن قوم قط
نبيا فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه الاستيصال ان فعلتم فان ابستم الا الف
دينكم وما انتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
حتى يريكم زمن رايه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا
ان لا نلاعنك وان نبقي على ديننا وصالحوه على اموال وقالوا له ابعت معنا رجلا
من اصحابك ترصاه لنا يحكم بيننا فى اشياء قد اختلفنا فيها من اموالنا فانكم
عندنا رضى قال * ع * وفى ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بنبوة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم شاهد عظيم على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم عندهم
ودعاء النساء والابناء اهز للنفوس وادعى لرجة الله للمحقين او لغضبه على المبطلين
* وقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق الآية هذا خبر من الله تعالى جزم
موكد فصل به بين المختصمين والاشارة بهذا هي الى ما تقدم فى امر عيسى
عليه السلام والقصص معناه الاخبار وقال * ص * ان هذا لهو هذا اشارة

الى القروان اه واختلف المفسرون من المراد باهل الكتاب هنا فروى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يهود المدينة وقال ابن زيد وغيره المراد نصارى نجران قال * ع * والذى يظهر لى ان الآيتـة نزلت فى وفد نجران لكن لفظ الآيتـة يعمهم وسواهم من النصارى واليهود وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيتـة الى هرقل عظيم الروم وكذا ينبغى ان يدعى بها اهل الكتاب الى يوم القيامة والكلمة هنا عند الجمهور عبارة عن الالفاظ التى تتضمن المعاني المدعو اليها وهي ما فسر بعد ذلك وهذا كما تسمى العرب القصيدة كلمة وقوله سواء نعت للكلمة قال قتادة وغيره. معناه الى كلمة عدل وفى مصحف ابن مسعود الى كلمة عدل كما فسر قتادة قال * ع * والذى اقله فى لفظة سواء انها ينبغى ان تفسر بتفسير خاص بها فى هذا الموضع وهو انه دعاهم الى معان جميع الناس فيها مستوون * وقوله لا نعبد الا الله هو فى موضع خفض على البدل من كلمة او فى موضع رفع بمعنى هي لا نعبد الا الله واتخاذ بعضهم بعضا اربابا هو على مراتب اشدها اعتقادهم الا لوهيتـة وعبادتهم لهم كعزيز وعيسى ومريم وادنى ذلك طاعتهم لا ساقفتهم فى كل ما امروا به من الكفر والمعاصى والتزامهم طاعتهم شرعا * م * فان تولوا ابر البقاء تولوا فعل ماض ولا يجوز ان يكون التقدير تتولوا لفساد المعنى لان قوله فقولوا اشهدوا خطاب للمؤمنين وتولوا للمشركين اه وقوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون امر بالاعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك واشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم الآيتـة قال ابن عباس وغيره اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند النبي صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله الآيتـة ومعنى قوله تعالى فيما لكم به علم اى على

زعمكم وفسر الطبري هذا الموضع بانه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وانبيائهم مما
ايقنوه وثبتت عندهم صحته قال * ع * وذهب عنه رحمه الله ان ما كان
هكذا فلا يحتاج معهم فيه الى محاجة لانهم يجدونه عند محمد صلى الله عليه وسلم كما
كان هناك على حقيقته قلت وما قاله الطبري ابين وهو ظاهر الآية ومن المعلوم
ان اكثر احتجاجاتهم انما كانت تعسفا وجحدا للحق * وقوله تعالى ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية اخبر الله تعالى في هذه الآية عن حقيقة امر ابراهيم
عليه السلام ونفى عنه اليهودية والنصرانية والاشراك ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا
ان اولى الناس بابراهيم هم القوم الذين اتبعوه فيدخل في ذلك كل من اتبع
الحنيفية في الفترات وهذا النبي يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث
بالحنيفية السمحة والذين آمنوا يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء
على ما يجب ثم اخبر سبحانه انه ولي المؤمنين وعدا منه لهم بالنصر في الدنيا
والنعيم في الآخرة روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لكل نبي ولاية من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان
اولى الناس بابراهيم الآية * وقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
قال مكي قيل ان هذه الآية عني بها قريظة والنضير وبنو قينقاع ونصارى نجران
* ص * قوله تعالى ودت طائفة ود بمعنى تمنى ويستعمل معها ان ولو وربما
جمع بينهما نحو وددت ان لو فعل ومصدرة الودادة والاسم منه الود وبمعنى احب
فيتعدى كتعدى احب ومصدرة مودة والاسم منه ود وقد يتداخلان في الاسم
والمصدر اه * وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اعلام بان سوء فعلهم عائد عليهم
وانهم يبعدهم عن الاسلام هم الضالون ثم اعلم تعالى انهم لا يشعرون بذلك اي
لا يتفطنون ثم وقفهم تعالى موبخا لهم على لسان نبيه والمعنى قل لهم يا محمد

لاي سبب تكفرون بآيات الله التى هي آيات القرآن وانتم تشهدون ان امره
وصفة محمد فى كتابكم قال هذا المعنى قتادة وغيره ويحتمل ان يريد بالآيات ما
ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من المعجزات قلت ويحتمل الجميع من الآيات
المتلوة والمعجزات التى شاهدها منه صلى الله عليه وسلم وقال * ص * وانتم
تشهدون جلته حالية ومفعول تشهدون محذوف اي انها آيات الله او ما يدل
على صحتها من كتابكم او بمثلها من آيات الانبياء اه * وقوله لم تلبسون معناه
تخلطون تقول لبست الامر بفتح الباء بمعنى خلطته ومنه قوله تعالى وللبنات عليهم
ما يلبسون وفى قوله وانتم تعلمون توقيف على العناد ظاهر وباقي الآية تقدم بيانه
فى سورة البقرة * وقوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى
انزل على الذين امنوا وجه النهار الآية اخبر الله سبحانه فى هذه الآية ان طائفة
من اليهود من احبارهم ذهبوا الى خديعة المسلمين بهذا المنزع قال قتادة وغيره
قال بعض الاحبار لنظهر الايمان بمحمد صدر النهار ثم لنكفر به اخر النهار فيقول
المسلمون عند ذلك ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذاك لانهم
انكشفت لهم حقيقة فى الامر فيشكون ولعلمهم يرجعون عن الايمان بمحمد قال
الامام الفخر وفى اخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الحيلة من الفائدة وجوه
الاول ان هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم فلما اخبر بها عنهم كان اخبارا
بمغيب فيكون معجزا الثانى انه تعالى لما اطلع المؤمنين على تواطئهم على هذه
الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة اثر فى قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام لا يمكن تأثيرها
فى قلب من ضعف ايمانه الثالث ان القوم لما افتضحوا فى هذه الحيلة صار
ذلك رادعا لهم عن الاقدام على امثالها من الحيل والتلبيس اه وذكر تعالى عن
هذه الطائفة من اهل الكتاب انهم قالوا ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا خلاف

ان هذا القول هو من كلام الطائفة واختلف الناس في قوله تعالى ان يوتى احد
مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فقال مجاهد وغيره من اهل التاويل الكلام
كله من قول الطائفة لاتباعهم * وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض
بيس الكلامين قال * ع * والكلام على هذا التاويل يحتمل معاني احدها
ولا تصدقوا وتؤمنوا لا لمن جاء بمثل دينكم حذارا ان يوتى احد من النبوة والكرامة
مثل ما اوتيتم وحذارا ان يحاجوكم بتصديقتكم اياهم عند ربكم اذا لم تستمروا عليه
وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر مع المعرفة بصحة نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم ويحتمل الكلام ان يكون معناه ولا تؤمنوا بمحمد وتقرأوا بنبوته اذ قد
علمت صحتها لا لليهود الذين هم منكم وان يوتى احد مثل ما اوتيتم صفة لحال
محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى تستمروا باقراركم ان قد اوتى مثل ما اوتيتم او
فانهم يعنون العرب يحاجونكم بالاقرار عند ربكم وقرأ ابن كثير وحده من بين
السبعة ان يوتى بالمد على جهة الاستفهام الذى هو تقرير وفسر ابو علي قراءة ابن
كثير على ان الكلام كله من قول الطائفة لا الاعتراض الذى هو قل ان الهدى
هدى الله فانه لا يختلف انه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال فلا
يجوز مع الاستفهام ان يحمل ان يوتى على ما قبله من الفعل لان الاستفهام
قاطع فيجوز ان تكون ان في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره
تصدقون او تعترفون او تذكرونه لغيركم ونحو هذا مما يدل عليه الكلام قال * ع *
ويكون يحاجوكم على هذا معطوفا على ان يوتى قال ابو علي ويجوز ان يكون
موضع ان نصبا فيكون المعنى انشيعون او تذكرون ان يوتى احد مثل ما
اوتيتم ويكون ذلك بمعنى قوله تعالى عنهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم فعلى كلا
الوجهين معنى الآية توبيخ من الاحبار للاتباع على تصديقهم بان محمدا صلى الله

عليه وسلم نبيء مبعوث قال * ع * ويكون قوله تعالى او يحاجوكم
في تاويل نصب ان بمعنى او تريدون ان يحاجوكم وقال السدي وغيره
الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى اخر الآية هو مما امر
به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله لامتته وحكى الزجاج وغيره ان المعنى
قل ان الهدى هو هذا الهدى لا يوتى احد مثل ما اوتيتم ومعنى الآية على
قول السدي اي لم يعط احد مثل حظكم والا فليحاجكم من ادعى سوى ذلك
او يكون المعنى او يحاجوكم على معنى الازدراء باليهود كانه قال او هل لهم ان
يحاجوكم او يخاصموكم فيما وهبكم الله وفضلكم به وقال قتادة والربيع الكلام كله
من قوله قل ان الهدى هدى الله الى اخر الآية هو مما امر به النبي صلى الله
عليه وسلم ان يقوله للطائفة قال * ع * ويحتمل ان يكون قوله ان يوتى
بدلا من قوله هدى الله قلت وقد اطالوا الكلام هنا وفيما ذكرناه كفاية * وقوله
تعالى قل ان الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم في الآية تكذيب لليهود في قولهم لن يوتي الله احدا
مثل ما اتى بنى اسرائيل من النبوة والشرف وباقي الآية تقدم تفسير نظيره
* وقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه الآية اخبر تعالى عن اهل الكتاب
انهم قسمان في الامانة ومقصد الآية ذم الخونة منهم والتفنيذ لرأيهم وكذبهم على
الله في استحلالهم اموال العرب قال الفخروفي الآية ثلاثة اقوال الاول ان اهل الامانة
منهم الذين اسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصررون على الخيانة لان
مذهبهم انه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين واخذ ماله الثاني ان اهل
الامانة منهم هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود الثالث قال ابن عباس اودع
رجل عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فادى اليه واودع اخر

فخاصا اليهودي ديناراً فخاناه فنزلت الآية اه قال ابن العربي في احكامه قال
الطبري وفائدة هذه الآية النهي عن ائتمانهم على مال وقال شيخنا ابو عبد الله
المغربي فائدتها ان لا يؤتمنوا على دين يدل عليه ما بعده في قوله وان منهم
لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآية والصحيح عندي انها في المال نص وفي
الدين تنبيه فافادت المعنيين بهذين الوجهين قال ابن العربي فالامانة عظيمة
القدر في الدين ومن عظيم قدرها انها تقف على جنبتي الصراط لا يمتكن من
الجواز الا من حفظها ولهذا وجب عليك ان تؤديها الى من ائتمنتك ولا تخن
من خانتك فتقابل المعصية بالمعصية وكذلك لا يجوز ان تغدر من غدرت قال
البخاري باب اثم الغادر للبر والفجرا والقنطار في هذه الآية مثال للمال الكثير
يدخل فيه اكثر من القنطار واقل اما الدينار فيحتمل ان يكون كذلك مثالا لما قل
ويحتمل ان يريد ان منهم طبقة لا تخون الا في دينار فما زاد ولم يعن لذكر
الخائنين في اقل اذ هم طعام خثالة ودام معناه ثبت وقوله قائما يحتمل معنيين
قال قتادة ومجاهد والزجاج معناه قائما على اقتضاء حقتك يريدون بانواع
الاقتضاء من الحفز والمرافعة الى الحاكم من غير مراعاة لهيئة هذا الدائم وقال
السدي وغيره معنى قائما على راسه * وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في
الامين سبيل الآية لاشارة بذلك الى كونهم لا يؤدون لامانة اي يقولون نحن
من اهل كتاب والعرب اميون اصحاب اوثان فاموالهم لنا حلال متى قدرنا على
شيء منها لا حجة علينا في ذلك ولا سبيل لمعتراض * وقوله تعالى ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون ذم لبنى اسرائيل بانهم يكذبون على الله سبحانه في غير
ما شيء وهم عالمون بمواضع الصدق قال * ص * وهم يعلمون جملة حالية
اه ثم رد الله تعالى في صدر قولهم ليس علينا بقوله بلى اي عليهم سبيل وجملة وتباعة

ثم اخبر على جهة الشرط ان من اوفى بالعهد وانقى عقوبة الله في نقتضه فانه محبوب عند الله * وقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله الآية آية وعيد لمن فعل هذه الافاعيل الى يوم القيامة وهي آية يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد الحق وختر الموائيق وكل ياخذ من وعيدها بحسب جريمته قال ابن العربي في احكامه وقد اختلف الناس في سبب نزول هذه الآية والذي يصح من ذلك ان عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وامانهم ثمنا قليلا الآية قال فجاء الاشعث بن قيس فقال في نزلت كانت لي بيري ارض ابن عم لي وفي رواية كان بيني وبين رجل من اليهود ارض فجحذني فقال النبي صلى الله عليه وسلم بينتك او يمينه قلت اذا يحلف يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث اه وقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الآية يلوون معناه يحرفون ويتحيلون لتبديل المعاني من جهة اشتباه الالفاظ واشتراكها وتشعب التاويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس التبديل المحض بلي وحقيقة اللي في الشيا وبالحبال ونحوها وهو فتلها واراغتها ومنه لي العنق ثم استعمل ذلك في الحجج والخصومات والمجادلات والكتاب في هذا الموضع التوراة والضمير في تحسوبة للمسلمين * وقوله وما هو من عند الله نفى ان يكون منزلا من عند الله كما ادعوا وهو من عند الله بالخلق والاختراع والايجاد ومنهم بالنكسب * وقوله تعالى ما كان لبشر الآية معناه النفي التام لانا نقطع ان الله لا يوتى النبوة للكذبة والمدعين والكتاب هنا اسم جنس والحكم بمعنى الحكمة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وقال الفخر هنا اتفق اهل

اللغة والتفسير على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى واثينا الحكم صبيا يعنى العلم والفهم اه وثم فى قوله ثم يقول معطية تعظيم الذنب فى القول بعد مهلة من هذا الانعام وقوله عبادا جمع عبد ومن جموعه عبيد وعبدى قال * ع * والذى استقرت فى لفظة العباد انه جمع عبد متى سقت اللفظة فى مضار الترفع والدلالة على الطاعة دون ان يقتصر بها معنى التحقير وتصغير الشأن واما العبید فيستعمل فى التحقير قال * ص * ونوقش ابن عطية بان عبدي اسم جمع وتفريقه بين عباد وعبيد لا يصح اه قلت وقوله تعالى انتم اضللتم عبادى هؤلاء ونحوه يوضحه اه ومعنى الآية ما كان لاحد من الناس ان يقول اعبدونى واجعلونى الها قال النقاش وغيره وهذه الاشارة الى عيسى عليه السلام والآية رادة على النصارى وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين بل الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم وسبب نزول الآية ان ابا رافع القرطبي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعت الاحبار من يهود والوفد من نصارى نجران يا محمد انما تريد ان نعبدك وننخذك الها كما عبت النصارى عيسى فقال الرئيس من نصارى نجران او ذاك تريد يا محمد واليه تدعوننا فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت فنزلت الآية قال بعض العلماء ارادت الاحبار ان تلزم هذا القول محمدا صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وانما معنى الآية فاتبعونى فيما ادعوكم اليه من طاعة الله فحرفوها بتأولهم وهذا من نوع ليهم الكتاب بالسنتهم قال الفخر وقال ابن عباس ان الآية نزلت بسبب قول النصارى المسيح ابن الله وقول اليهود عزيز ابن الله وقيل ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله افلا نسجد لك فقال عليه السلام ما ينبغي السجود

الا لله قيل وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يقوى هذا التاويل اه
* وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية المعنى ولكن يقول كونوا ربانيين وهو
جمع رباني قال قوم منسوب الى الرب من حيث هو عالم ما علمه عامل بطاعته
معلم للناس ما امر به وزيدت فيه النون مبالغة وقال قوم منسوب الى الربان وهو
معلم الناس مأخوذ من رب يرب اذا اصلح وربى والنون ايضا زائدة كما زيدت
فى غضبان وعطشان وفى البخاري الرباني الذى يربى الناس بصغار العلم قبل
كباره قال * ع * فجملة ما يقال فى الرباني انه العالم بالرب والشرع
المصيب فى التقدير من الاقوال والافعال التى يحاولها فى الناس وقوله بما كنتم
معناه بسبب كونكم عالمين دارسين فما مصدرية واسند ابو عمر بن عبد البر فى
كتاب فضل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم علان علم فى القلب
فذلك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن ادم
ومن حديث ابن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاك امتى عالم
فاجر وعابد جاهل وشر الشرار جبار العلماء وخير الخيار خيار العلماء اه وقرأ جمهور
الناس تدرسون بضم الراء من درس اذا أذمن قراءة الكتاب وكررة وقرأ نافع وغيره
ولا يامرکم برفع الراء على القطع قال سيبويه المعنى لا يامرکم الله وقال ابن
جريح وغيره المعنى ولا يامرکم هذا البشر الذى اوتي هذه النعم وهو محمد
صلى الله عليه وسلم واما قراءة من نصب الراء وهو حمزة وغيره فهى عطف
على قوله ان يؤتیه الله المعنى ولا له ان يامرکم قاله ابو علي وغيره
وهو الصواب لا ما قاله الطبري من انها عطف على قوله ثم يقول
والارباب فى هذه الآية بمعنى الآلهة * وقوله تعالى واذا اخذ الله ميثاق
النبيين لهما اثيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن

به ولتنصرنه المعنى واذا كريا مجد اذ فيحتمل ان يكون اخذ هذا الميثاق حين
اخرج بنى ادم من ظهر ادم نسما ويحتمل ان يكون هذا الاخذ على كل نبي
فى زمنه ووقت بعثه والمعنى ان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بانه ملتزم
هو ومن آمن به الايمان بمن اتى بعده من الرسل والنصر له وقال ابن عباس
انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم فهو اخذ لميثاق الجميع وقال علي بن
ابى طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه
العهد فى مجد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
وامره باخذه على قومه ثم تلا هذه الآية وقاله السدي وقرأ حمزة لما بكسر اللام وهي
لام الجبر والتقدير لاجل ما اتيناكم اذ انتم القادة والروس ومن كان بهذه الحال
فهو الذى يوخذ ميثاقه وما فى هذه القراءة بمعنى الذى والعائد اليها من الصلة
تقديره اتيناكموه ومن لبيان الجنس وثم جاءكم الآية جملة معطوفة على الصلة
ولا بد فى هذه الجملة من ضمير يعود على الموصول وانما حذف تخفيفا لطول الكلام
وتقديره عند سبويه رسول به مصدق لما معكم واللام فى لتؤمنن به هي اللام
المتلقية للقسم الذى تضمنه اخذ الميثاق وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار
والمجرور وذلك جائز وقرأ سائر السبعة لما بفتح اللام وذلك يتخرج على
وجهين احدهما ان تكون ما موصولة فى موضع رفع بالابتداء واللام لام الابتداء
وهي متلقية لما اجري مجرى القسم من قوله تعالى واذا اخذ الله ميثاق النبيين
وخبر الابتداء قوله لتؤمنن ولتؤمنن متعلق بقسم محذوف فالمعنى والله لتؤمنن
قاله ابو علي وهو متجه بان الحلف يقع مرتين والوجه الثانى ان تكون ما
للجزاء شرطا فتكون فى موضع نصب بالفعل الذى بعدها وهو مجزوم وجاءكم
معطوف فى موضع جزم واللام الداخلة على ما ليست المتلقية للقسم ولكنها

الموطئة المودنة بمجيء لام القسم فهي بمنزلة اللام في قوله تعالى لنن لم
ينته المنافقون لانها مودنة بمجيء المتلقية للقسم في قوله لنغرينك بهم
وكذلك هذه مودنة بمجيء المتلقية للقسم في قوله لنؤمنن وقرأ نافع وحده
آتيناكم بالنون وقرأ الباقر آتيتكم بالتاء ورسول في هذه الآية اسم جنس وقال
كثير من المفسرين هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قال اقررتم
واخذتم على ذلكم اصرى هذه الآية هي وصف توقيف الانبياء عليهم السلام على
اقرارهم بهذا الميثاق والتزامهم له واخذتم في هذه الآية عبارة عما تحصل لهم
من ايتاء الكتب والحكمة فمن حيث اخذ عليهم اخذوا هم ايضا وقال الطبري
اخذتم في هذه الآية معناه قبلتم والاصر العهد لا تفسير له في هذا الموضع الا
ذلك * وقوله تعالى فاشهدوا يحتمل معنيين احدهما فاشهدوا على اممكم
المؤمنين بكم وعلى انفسكم بالتزام هذا العهد قاله الطبري وجماعة والمعنى
الثاني بُشُوا الامر عند اممكم واشهدوا به وشهادة الله على هذا التأويل هي اعطاء
المعجزات واقرار نبوءاتهم هذا قول الزجاج وغيره قال * ع * فتأمل ان القول
الاول هو ايداع الشهادة واستحفاظها والقول الثاني هو الامر بادائها وحكم تعالى
بالفسق على من تولى من الامم بعد هذا الميثاق قاله علي بن ابي طالب
وغيره وقرأ ابو عمرو يبغون بالياء من اسفل مفتوحة وترجعون بالتاء من فوق
مضمومة وقرأ عاصم بالياء من اسفل فيهما وقرأ الباقر بالتاء فيهما ووجوه هذه
القراءات لا تخفى بادنى تأمل وتبغون معناه تطلبون قال النووي وروينا في
كتاب ابن السني عن السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه
يونس ابن عبيد بن دينار البصري الشافعي المشهور انه قال ليس رجل يكون
على دابة صعبة فيقول في اذنها اغيير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات

والارض طوعا وكرها واليه ترجعون الا وقفت باذن الله تعالى وروينا في كتاب ابن
السني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انفلتت دابة
احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله عز وجل في
الارض حاضرا سيجبها قال النووي حكى لى بعض شيوخنا انه انفلتت له دابة
اظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقال له فحبسها الله عليه في الحال وكنت
انا مرة مع جماعة فانفلتت منا بهيمة فعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير
سبب سوى هذا الكلام اه واسلم معناه استسلم عند الجمهور واختلفوا في معنى قوله
طوعا وكرها فقال مجاهد هذه الآية كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فالمعنى ان اقرار كل كافر بالصانع هو اسلام كرها ونحوه لابي
العالية وعبارته كل ادمي فقد اقر على نفسه بان الله ربي وانا عبده فمن اشرك
في عبادته فهو الذي اسلم كرها ومن اخلص فهو الذي اسلم طوعا قال * ع *
والمعنى في هذه الآية يفهم كل ناظر ان الكره خاص باهل الارض * وقوله
سبحانه افغير دين الله توقيف لمعاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من
الاحبار والكفار * قوله تعالى قل آما بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
الآية المعنى قل يا محمد انت وامتك انا بالله الآية وقد تقدم بيانها في البقرة
ثم حكم تعالى في قوله ومن يبتغ غير الاسلام الآية بانه لا يقبل من ادمي دين
غير دين الاسلام وهو الذي وافق في معتقداته دين كل من سمي من الانبياء
عليهم السلام وهو الحنيفية السمحة وقال بعض المفسرين ان من يبتغ الآية
نزلت في الحارث بن سويد قلت وعلى تقدير صحة هذا القول فهي تتناول
بعمومها من سواه الى يوم القيامة * وقوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا

بعد ايمانهم الآيات قال ابن عباس نزلت هذه الآيات من قوله كيف يهدى الله في الحارث بن سويد الانصاري كان مسلما ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من توبة فنزلت الآيات الى قوله لا الذين تابوا فارسل اليه قومه فاسلم قال مجاهد وحسن اسلامه وقال ابن عباس ايضا والحسن بن ابي الحسن نزلت في اليهود والنصارى شهدوا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وامنوا به فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به ورجحه الطبري وقال النقاش نزلت في طعيمة بن ابيرق قال * ع * وكل من ذكر فالفاظ الآية تعمه وقوله تعالى كيف سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للامر فالمعنى انهم لشدة هذه الجرائم يبعد ان يهديهم الله جميعا وباقي الآية بين قال الفخر واستعظم تعالى كفر هؤلاء المرتدين بعد حصول هذه الخصال الثلاث لان مثل هذا الكفريكون كالعاندة والجحود وهذا يدل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل اه وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا الآية قال ابو العالية رُفِيعُ الآية في اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم بصفاته واقرارهم انها في التوراة ثم ازدادوا كفرا بالذنوب التي اصابوها في خلاف النبي صلى الله عليه وسلم من الافتراء والبهت والسعي على الاسلام وغير ذلك قال * ع * وعلى هذا الترتيب يدخل في الآية المرتدون اللاحقون بقرينش وغيرهم وقال مجاهد معنى قوله ثم ازدادوا كفرا اي اتموا على كفرهم وبلغوا الموت به قال * ع * فيدخل في هذا القول اليهود والمرتدون وقال السدي نحوه ثم اخبر تعالى ان توبة هؤلاء لن تقبل وقد قررت الشريعة ان توبة كل كافر تقبل فلا بد في هذه الآية من تخصيص تحمل عليه ويصح به نفي قبول التوبة فقال

الحسن وغيره المعنى لن تقبل توبتهم عند الغرغرة والمعينة وقال ابو العالية
المعنى لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التي اصابوها مع اقامتهم على
كفرهم بحمد صلى الله عليه وسلم قال * ع * وتحتل الآية عندي ان تكون
اشارة الى قوم باعياهم من المرتدين وهم الذين اشار اليهم بقوله سبحانه كيف
يهدى الله قوما فاخبر عنهم انه لا تكون منهم توبة فيتصور قبولها فكانه اخبر
عن هؤلاء المعينين انهم يموتون كفارا ثم اخبر الناس عن حكم كل من يموت
كافرا والملء ما شحن به الوعاء وقوله ولو افتدى به قال الزجاج المعنى لن يقبل
من احدهم انفاقه وتقرباته في الدنيا ولو انفق ملء الارض ذهباً ولو افتدى
ايضا به في الآخرة لن يقبل منه قال فاعلم الله انه لا يشي بهم على اعمالهم من
الخير ولا يقبل منهم لاقتداء من العذاب قال * ع * وهذا قول حسن وقال
قوم الواو زائدة وهذا قول مردود ويحتمل المعنى نفي القبول على كل وجه ثم خص
من تلك الوجوه اليقها واحراها بالقبول وباقي الآية وعيد بين عافانا الله من
عقابه وختم لنا بما ختم به للصالحين من عبادة * وقوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون الآية خطاب لجميع المؤمنين فتحتل الآية ان يريد
لن تنالوا بر الله بكم اي رحمته ولطفه ويحتمل ان يريد لن تنالوا درجة الكمال
من فعل البر حتى تكونوا ابرارا لا بالانفاق المنصاف الى سائر اعمالكم
قال * ص * قوله ما تحبون من للتبعض تدل عليه قراءة عبد الله بعض
ما تحبون اه قال الغزالي قال نافع كان ابن عمر مريضا فاشتبهى سمكة طرية
فحملت اليه على رغيف فقام سائل بالباب فامر بدفعها اليه ثم قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتبهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه
غفر الله له اه من الاحياء قال * ع * وبسبب نزول هذه الآية تصدق

ابوطالحة بحائطه المسمى ببيرحا وتصدق زيد بن حارثة بفرس كان يحبها
وكان عبد الله بن عمر يشتري اكل السكر باللوز فكان يشتري ذلك ويتصدق
به قال الفخر والصحيح ان هذه الآية في ايتاء المال على طريق النذب لانها
في الزكاة الواجبة اه * وقوله سبحانه وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم
شرط وجواب فيه وعد اي عليم مجاز به وان قل * وقوله تعالى كل الطعام كان حلا
لبنى اسرائيل الآية اخبار بمغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمه الا الله
وعلماء اهل الكتاب وحلا معناه حلالا والآية رد على اليهود في زعمهم ان كل ما
حرموه على انفسهم انه بامر الله تعالى في التوراة فاكذبهم الله تعالى بهذه الآية
وقوله سبحانه الا ما حرم اسرائيل على نفسه اي فهو محرم عليهم في التوراة لا هذه
الزوائد التي افتروها وقال الفخر قوله تعالى من قبل ان تنزل التوراة المعنى ان قبل
نزول التوراة كان حلالا لبنى اسرائيل كل انواع المطعومات سوى ما حرمه اسرائيل
على نفسه فاما بعد نزول التوراة فلم يبق الامر كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة
بسبب بغيتهم وذلك هو عين النسخ الذي هم له منكرون اه قال * ع * ولم
يختلف فيما علمت ان سبب تحريم يعقوب ما حرمه على نفسه هو بمرض اصابه
فجعل تحريم ذلك شكرا لله ان شفي وقيل هو وجع عرق النساء وفي حديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عصابة من بنى اسرائيل قالوا له يا محمد ما الذي
حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم انشدكم بالله هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا
شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرم من احب
الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه
البانها قالوا اللهم نعم قال * ع * وظاهر الاحاديث والتفسير في هذا الامر
ان يعقوب عليه السلام حرم لحوم الابل والبانها وهو يحبها تقريبا بذلك

اذ تركت الترفه والتنعيم من القرب وهذا هو الزهد في الدنيا واليه نحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله اياكم وهذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ومن ذلك قول ابي حازم الزاهد وقد مر بسوق الفاكة فرأى محاسنها فقال موعذك الجنة ان شاء الله * وقوله عز وجل قل فاتوا بالتوراة الآيت قال الزجاج وفي هذا تعجيز لهم واقامة للحجة عليهم * وقوله سبحانه فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك اي من بعد ما تبين له الحق وقيام الحجة فهو الظالم * وقوله قل صدق الله اي الامر كما وصف سبحانه لا كما تكذبون فان كنتم تعتزون الى ابراهيم فاتبعوا ملته على ما ذكر الله * وقوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الآية لا مربة ان ابراهيم عليه السلام وضع بيت مكة وانما الخلاف هل هو وضع بدأة او وضع تجديد وقال الفخر يحتمل اولاً في الوضع والبناء ويحتمل ان يريد اولاً في كونه مباركا وهذا تحصيل المفسرين في الآية اه قال ابن العربي في اجكاهم وكون البيت الحرام مباركا قيل بركته ثواب الاعمال هناك وقيل ثواب قاصديه وقيل امن الوحش فيه وقيل عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته قال ابن العربي والصحيح عندي انه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة وذلك بجميعه موجود فيه اه قال مالك في سماع ابن القاسم من العتبية بكة موضع البيت ومكة غيره من المواضع قال ابن القاسم يريد القرية قلت قال ابن رشد في البيان أرى مالكا اخذ ذلك من قول الله عز وجل لانه قال تعالى في بكة ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهو انما وضع بموضع الذي وضع فيه لا فيما سواه من القرية وقال في مكة وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم بطن مكة وذلك انما كان في القرية لا في موضع البيت اه * وقوله سبحانه فيه اي في البيت آيات بينات قال * ع *

والمترجح عندي أن المقام وأمن الداخل جعلاً مثلاً مما في حرم الله من الآيات
وخصاً بالذكر لعظمهما ومقام إبراهيم هو الحجر المعروف قاله الجمهور وقال قوم
البيت كله مقام إبراهيم وقال قوم الحرم كله مقام إبراهيم والضمير في قوله ومن
دخله عائد على البيت في قول الجمهور وعائد على الحرم في قول من قال مقام
إبراهيم هو الحرم * وقوله كان ءامنا قال الحسن وغيره هذه وصف حال كانت
في الجاهلية إذا دخل أحد الحرم أمن فلا يعرض له فاما في الاسلام فان الحرم
لا يمنع من حد من حدود الله وقال يحيى بن جعدة معنى الآية ومن دخل
البيت كان ءامنا من النار وحكى النقاش عن بعض العباد قال كنت اطوف
حول الكعبة ليلاً فقلت يا رب انك قلت ومن دخله كان ءامنا فمما ذا هو ءامن
فسمعت مكلماً يكلمنى وهو يقول من النار فنظرت وتأملت فما كان في المكان
أحد قال ابن العربي في احكامه وقول بعضهم ومن دخله كان ءامنا من النار لا يصح
حمله على عمومهم ولكنه ثبت أن من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه
كيوم ولدته أمه والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قال ذلك كله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اه * وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية هو فرض
الحج في كتاب الله باجماع وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج البيت
بكسر الحاء وقرأ الباقر بفتحها فبكسر الحاء يريدون عمل سنة واحدة وقال
الطبري هما لغتان الكسر لغة نجد والفتح لغة اهل العالية * وقوله سبحانه
من استطاع اليه سبيلاً من في موضع خفض بدل من الناس وهو بدل البعض من
الكل وقال الكسائي وغيره هي شرط في موضع رفع بالابتداء والجواب محذوف
تقديره فعليه الحج ويدل عليه عطف الشرط الآخر بعده في قوله ومن كفر واسند
الطبري الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ملك زاداً وراحلة فلم يحج

فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذهب جماعة من العلماء الى ان قوله سبحانه من استطاع اليه سبيلا كلام عام لا يتفسر بزيادة ولا راحلة ولا غير ذلك بل اذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه فقد وجب عليه الحج واليه نحا مالك في سماع اشهب وقال لا صفة في هذا ابيّن مما قال الله تعالى وهذا انبل لاقوال وهذه من الامور التي يتصرف فيها وفقه الحال والضمير في اليه عائد على البيت ويحتمل على الحج * وقوله سبحانه ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال ابن عباس وغيره المعنى من زعم ان الحج ليس بفرض عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال رجل من هذيل يا رسول الله من تركه كفر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من تركه لا يخاف عقوبته ومن حجه لا يرجو ثوابه فهو ذلك وقال بمعنى هذا الحديث ابن عباس وغيره وقال السدي وجماعة من اهل العلم معنى الآية من كفر بان وجد ما يحج به ثم لم يحج قال السدي من كان بهذه الحال فهو كافر يعنى كفر معصية ولا شك ان من انعم الله عليه ببال وصحة ولم يحج فقد كفر النعمة وقال ابن عمر وجماعة معنى الآية ومن كفر بالله واليوم الآخر قال الفخر والاكثرون هم الذين حملوا الوعيد على من ترك اعتقاد وجوب الحج وقال الصحابي لما نزلت اية الحج فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اهل الملل وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفر غيرهم فنزلت الآية قال الفخر وهذا هو الاقوى والله اعلم اه ومعنى قوله تعالى غني عن العالمين الوعيد لمن كفر والقصد بالكلام فان الله غني عنهم ولكن عم اللفظ ليسرع المعنى وتنتبه الفكر لقد رتبه سبحانه وعظيم سلطانه واستغنائه عن جميع خلقه لا رب سواه * وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بشايات الله والله شهيد على ما تعملون هذه الآيات توبيخ لليهود

المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة وآيات الله يحتمل ان يريد بها القروان ويحتمل العلامات الظاهرة على يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه والله شهيد على ما تعملون وعيد محض قال الطبري هاتان الآيتان قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وما بعدهما الى قوله فاولائك لهم عذاب عظيم نزلت بسبب رجل من اليهود حاول لاغراء بين الاوس والخزرج قال ابن اسحاق حدثني الثقة عن زيد بن اسلم قال مرشاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد صا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فغاطه ما رآه من جماعتهم وصلاحيات بينهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع ملائكتي قبليته بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملائمتهم بها من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال اعد اليهم واجلس معهم وذكرهم يوم بُعث وما كان قبله من ايام حربهم وانشداهم ما قالوه من الشعر في ذلك ففعل الفتى فتكلم القوم عند ذلك فتفاخروا وتنازعوا حتى تواءم رجلان من الحيين على التركب اوس بن قيطي من الاوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت الله وردناها الآن جذعة فغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة يريدون الحرة فخرجوا اليها وتحاور الناس على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم وعظمتهم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالتقوا السلاح وبكوا وعانق الناس بعضهم بعضا من الاوس والخزرج وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله في شاس بن

قيس وما صنع هذه الآيات وقال الحسن وغيره نزلت في احبار اليهود الذين
يصدون المسلمين عن الاسلام ويقولون ان محمدا ليس بالموصوف في كتابنا قال
* ع * ولا شك في وقوع هذين الشئيين وما شاكلهما من افعال اليهود
واقوالهم فنزلت الآيات في جميع ذلك ومعنى تبغون اي تطلبون لها الاعوجاج
والانفساد وانتم شهداء يريد جمع شاهد على ما في التوراة من صفة النبي صلى
الله عليه وسلم وصدقه وباقي الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآية خطاب
عام للمومنين والاشارة بذلك وقت نزوله الى الالوس والخزرج بسبب نائرة
شاس بن قيس قال * ص * قوله تعالى يردوكم بعد ايمانكم كافرين رد
بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين الاول الكافى والثانى الكافرين كقوله

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا
اه ويعتصم معناه يتمسك وعصم الشيء اذا منع وحمي ومنه قوله يعصمنى من
الهاء وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق
تقاته قال ابن مسعود حق تقاته هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان
يشكر فلا يكفر وكذلك عبر الربيع بن خثيم وقتادة والحسن قالت فرقة نزلت
الآية على عموم لفظها من لزوم غاية التقوى حتى لا يقع الاخلال في شيء من
الاشياء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وبقوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها وقالت جماعة لا نسخ هنا وانما المعنى اتقوا الله حق تقاته في ما
استطعتم وهذا هو الصحيح وخرج الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ هذه الآية وهي اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا

لافسدت على اهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه ايضا اه * وقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه دوموا على الاسلام حتى يوافيكم الموت وانتم عليه والحبل في هذه الآية مستعار قال ابن مسعود جبل الله الجماعة وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بنى اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة وقرأ واعتصموا بحبل الله جميعا وقال قتادة وغيره جبل الله الذى امر بالاعتصام به هو القرآن ورواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد هو الاسلام وقيل غير هذا مما هو كذا قريب بعضه من بعض * وقوله تعالى ولا تفرقوا يريد التفرق الذى لا يتأتى معه الائتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق فى العقائد واما الافتراق فى مسائل الفروع والفقهاء فليس بداخل فى هذه الآية بل ذلك هو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم خلاى امتي رحمة وقد اختلفت الصحابة فى الفروع اشد اختلافى وهم يد واحدة على كل كافر * وقوله سبحانه واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم الآية هذه الآية تدل على ان الخطاب انما هو للاوس والخزرج كما تقدم وكانت العداوة قد دامت بين الحسين مائة وعشرين سنة حتى رفعها الله بالاسلام فجاء النفر الستة من الانصار الى مكة حجاجا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عليهم وتلا عليهم شيئا من القرآن كما كان يصنع مع قبائل العرب فآمنوا به واراد الخروج معهم فقالوا يا رسول الله ان قدمت بلدنا على ما بيننا من العداوة والحرب خفنا لا يتم ما نريده بك ولكن نمضى نحن ونشيع امرك ونداخل الناس وموعدا وايامك العام القابل

فمضوا وفعلوا وجاءت الانصار في العام القابل فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الاولين ثم جاءوا من العام الثالث فكانت بيعة العقبة الكبرى حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيبا ووصف القصة مستوعب في السير ويسر الله تعالى الانصار للاسلام بوجهين احدهما ان بنى اسرائيل كانوا مجاورين لهم وكانوا يقولون لمن يتعدونه من العرب يبعث لنا الآن نبي نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما رأى النفر من الانصار النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي تذكره بنو اسرائيل فلا تُسَبِّقن اليه والوجه الآخر الحرب التي كانت ضررتهم وافنت سرائهم فرجوا ان يجمع الله به كلمتهم فكان الامر كما رجوا فعدد الله سبحانه عليهم نعمته في تاليهم بعد العداوة وذكرهم بها قال الفخر كانت الانصار قبل الاسلام اعداء فلما اكرمهم الله سبحانه بالاسلام صاروا اخوانا في الله متراحمين واعلم ان كل من كان وجهه الى الدنيا كان معاديا لاكثر الخلق ومن كان وجهه الى خدمة المولى سبحانه لم يكن معاديا لاحد لانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء والقدر ولهذا قيل ان العارف اذا امر امر برفق ونصح لا بعنف وعسرو كيف وهو مستبصر بالله في القدر اه * وقوله تعالى فاصبحتم عبارة عن الاستمرار قال * ص * اصبح يستعمل لاتصاف الموصوف بصفته وقت الصباح وبمعنى صار فلا يلاحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والضرورة من حال الى حال واصبح هنا بمعنى صار وما ذكره ابن عطية من ان اصبح للاستمرار لم يذهب اليه احد من النحويين اه قلت وفيما ادعاه نظر وهي شهادة على نفي وكلام * ع * واضح من جهة المعنى والشفاه حرف كل جرم له مهوى كالحفرة والبير والجرف والسقف والجدار ونحوه ويضاف في الاستعمال الى الاعلى كقوله شفا جرف والى الاسفل كقوله شفا حفرة فشبه الله كفرهم

الذى كانوا عليه بالشفاء لانهم كانوا يسقطون في جهنم ذأبا فانقذهم الله منها بالاسلام * وقوله تعالى فانقذكم منها اي من النار ويحتمل من الحفرة والاول احسن قال العراقي انقذكم اي خلصكم اه * وقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امر الله سبحانه الامة بان يكون منها علماء يفعلون هذه الافعال على وجوها ويحفظون قوانينها ويكون سائر الامة متبعين لاولئك اذ هذه الافعال لا تكون الا بعلم واسع وقد علم الله سبحانه ان الكل لا يكونون علماء فمن هنا للتبعيض وهو تاويل الطبري وغيره وذهب الزجاج وغير واحد الى ان المعنى ولتكونوا كلكم امة يدعون ومن لبيان الجنس ومعنى الآية على هذا امر الامة بان يدعوا جميع العالم الى الخير فيدعون الكفار الى الاسلام والعصاة الى الطاعة ويكون كل واحد في هذه الامور على منزلته من العلم والقدرة وروى الليث بن سعد قال حدثني محمد بن عجلان ان وافدا النصري اخبره عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليرتبن برجال يوم القيامة ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين يحبون الله الى الناس ويحبون الناس الى الله ويمشون في الارض نصحا قلنا يا رسول الله هذا يحبون الله الى الناس فكيف يحبون الناس الى الله قال يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله تعالى اه من التذكرة للقرطبي قال * ع * قال اهل العلم وفرض الله سبحانه بهذه الآية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فروض الكفاية اذا قام به قائم سقط عن الغير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان والناس في الامر بالمعروف وتغيير المنكر على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه الولاة وحملهم على

جادة العلم وفرض الولاية تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم هي اليد وفرض سائر الناس رفعه الى الولاية والحكام بعد النهي عنه قولا وهذا في المنكر الذي له دوام واما ان رأى احد نازلة بديهة من المنكر كالسلب والزنا ونحوه فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة ويحسن لكل مومن ان يعتدل في تغيير المنكر وان ناله بعض الاذى ويؤيد هذا المنزع ان في قراءة عثمان وابن مسعود وابن الزبير يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم فهذا وان لم يثبت في المصحف ففيه اشارة الى التعرض لما يصيب عقيب الامر والنهي كما هو في قوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك * وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا الآية قال ابن عباس هي اشارة الى كل من افترق من الامم في الدين فاهلكهم لافتراق وقال الحسن هي اشارة الى اليهود والنصارى قلت وروى ابو داود في سننه عن معاوية بن ابي سفيان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وروى ابو هريرة نحوه ولم يذكر النار * وقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية بياض الوجوه عبارة عن اشراقها واستنارتها وبشرها برجة الله قاله الزجاج وغيره * وقوله تعالى اكفرتم تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم وفي هذا المحذوب جواب اما وهذا هو فحوى الخطاب وهو ان يكون في الكلام شيء مقدرا لا يستغنى المعنى عنه كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة المعنى فافطر فعدة * وقوله تعالى بعد ايمانكم يقتضى ان لهؤلاء المذكورين ايمانا متقدما واختلف اهل التأويل في تعيينهم فقال ابي بن كعب هم جميع الكفار وايمانهم هو اقرارهم يوم قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وقال اكثر

المتأولين المراد اهل القبلة من هذه الامة ثم اختلفوا فقال الحسن الآية في المنافقين وقال قتادة هي في اهل الردة وقال ابو امامة هي في الخوارج * وقوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق لاشارة بتلك الى هذه الآيات المضمنة تعذيب الكفار وتنعيم المؤمنين ولما كان في هذا ذكر التعذيب اخبر سبحانه انه لا يريد ان يقع منه ظلم لاحد من العباد واذا لم يرد ذلك فلا يوجد البتة لانه لا يقع من شيء الا ما يريد سبحانه وقوله بالحق معناه بالاخبار الحق ويحتمل ان يكون المعنى نتلوها عليك مضمنة لافعال التي هي حق في نفسها من كرامة قوم وتعذيب اخرين ولما كان للذهن ان يقف هنا في الوجه الذي به خص الله قوما بعمل يرجهم من اجله واخرين بعمل يعذبهم عليه ذكر سبحانه الحجة القاطعة في ملكه جميع المخلوقات وان الحق ان لا يعترض عليه وذلك في قوله ولله ما في السموات وما في الارض الآية * وقوله تعالى كنتم خیرامة اخرجت للناس الآية اختلف في تاويل هذه الآية ف قيل نزلت في الصحابة وقال الحسن بن ابی الحسن وجماعة من اهل العلم الآية خطاب لجميع الامة بانهم خیرامة اخرجت للناس ويؤيد هذا التاويل كونهم شهداء على الناس واما قوله كنتم على صيغته المضي فانها التني بمعنى الدوام كما قال تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال قوم المعنى كنتم في علم الله وهذه الخيرية التي خص الله بها هذه الامة انما ياخذ بحظه منها من عمل بهذه الشروط من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله مما جاء في فضل هذه الامة ماخرجه مسلم في صحيحه عن ابی هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة وفي رواية سابقون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي رواية المقضى

بينهم اه وخرج ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن اءخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبياها فنحن الآخرون الاولون وفي رواية عن ابن عباس فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا مجلين من اثار الطهور فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وخرجه ايضا ابو داود الطيالسي في مسنده بمعناه اه من التذكرة وروى ابو داود في سننه قال حدثنا عثمان بن ابى شيبة عن ابيه عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل اه وقد ذكرنا هذا الحديث ايضا عن غير ابى داود وهذا الحديث ليس هو على عمومته فى جميع الامة لثبوت نفوذ الوعيد فى طائفة من العصاة اه وقوله تامرون بالمعروف وما بعده احوال فى موضع نصب وفى الحديث خير الناس اتقاهم لله وءامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واصلهم للرحم رواه البغوي فى منتخبه اه من الكوكب الدرى * وقوله سبحانه منهم المومنون تنبيه على حال عبد الله بن سلام واخيه وثعلبة بن سعية وغيرهم ممن ءامن * وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى اى لا اذى بالالسننة فقط واخبر سبحانه فى قوله وان يقاتلوكم يولوكم الاءبار بخبر غيب صححه الوجود فهى من ءايات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفائدة الخبر هي فى قوله ثم لا ينصرون اى لا تكون حرب اليهود معكم سجلا وخص الاءبار بالذكر دون الظاهر تخسيسا للفار وهكذا هو حيث تصرف * وقوله تعالى ضربت معناه اثبتت بشدة والزام وهذا وصف حال تقررت على اليهود فى اقطار الارض قبل محيى الاسلام وثقفوا معناه اخذوا بحال المذنب المستحق لاهلاك وقوله لا يجبل من الله فى الكلام محذوف يدركه فهم السامع تقديره فلا نجاة لهم من القتل او لاءستىصال لا بجبل وهو العهد * وقوله

ذلك اشارة الى الغضب وضرب الذلة والمسكنة وباقي الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى ليسوا سواء الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما اسلم عبد الله ابن سلام وثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد ومن اسلم من اليهود معهم قال الكفار من احبار اليهود ما امن بمحمد الا شارنا ولو كانوا خيارا ما تركوا دين ابائهم فانزل الله سبحانه في ذلك ليسوا سواء الآية وقال مثله قتادة وابن جريج وهو اصح التاويلات في الآية واختلف في قوله قائمة فقال ابن عباس وغيره معناه قائمة على كتاب الله وحدوده مهتدية وقال السدي القائمة القائمة المطيعة وهذا كله يرجع الى معنى واحد ويحتمل ان يراد بقائمة وصف حال التالين في اثناء الليل ومن كانت حاله هذه فلا محالة انه معتدل على امر الله وَايات الله في هذه الآية هي كنبه والآناء الساعات واحدها اني بكسر الهمزة وسكون النون وحكم هذه الآية لا يتفق في شخص شخص بان يكون كل واحد يصلي جميع ساعات الليل وانما يقوم هذا الحكم من جاعة الامة اذ بعض الناس يقوم اول الليل وبعضهم اخره وبعضهم بعد هجعت ثم يعود الى نومه فياتي من مجموع ذلك في المدن والجماعات عمارة اثناء الليل بالقيام وهكذا كان صدر هذه الامة وعُرف الناس القيام في اول الثلث الآخر من الليل او قبله بشيء وحينئذ كل يقوم لاكثر والقيام طول الليل قليل وقد كان في الصالحين من يلتزمه وقد ذكر الله سبحانه القصد من ذلك في سورة المزمل وقيام الليل لقراءة العلم المتبغى به وجه الله داخل في هذه الآية وهو افضل من التنفل لمن يرجى انتفاع المسلمين بعلمه قلت وقد تقدم في اول السورة ما جاء من التاويل في حديث النزول فلنذكر الآن الحديث بكماله لما فيه من الفوائد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

الآخر فيقول من يدعوني فاستجب له من يستلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له رواه الجماعة اعنى الكتب الستة البخاري ومسلم وابا داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وفي بعض الطرق حتى يطلع الفجر زاد ابن ماجه فلذلك كانوا يستحبون الصلاة . اخر الليل على اوله وعن عمرو بن عبسة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرک واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم اه من السلاح وعن ابى امامة قلت يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي هذا حديث حسن وفي رواية جوف الليل الآخر ارجى او نحو هذا اه من السلاح ومما يدخل في ضمن قوله سبحانه ويسارعون في الخيرات ان يكون المرء مغتتما للخمس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اغتتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلک وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرک فيكون متى اراد ان يصنع خيرا بادر اليه ولم يسوف نفسه بالامل فهذه ايضا مسارعة في الخيرات وذكر بعض الناس قال دخلت مع بعض الصالحين في مركب فقلت له ما تقول اصالحك الله في الصوم في السفر فقال لي انها المبادرة يا ابن الاخ قال المحدث فجاءني والله بجواب ليس من اجوبة الفقهاء قال * ص * قوله من الصالحين من للتبعيض ابن عطية ويحسن ايضا ان تكون لبيان الجنس وتعقب بانه لم يتقدم شيء فيه ابهام فيبين جنسه اه * وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي فلن يعطى دونكم فلا تشابون عليه وفي قوله سبحانه والله

علم بالمتقين وعد ووعد * وقوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا
كمثل ربح الآية وقع في الآيات التشبيه بين شيئين وشيئين وترك من كل منهما
ما دل عليه الكلام وهذه غاية الإيجاز والبلاغة وجمهور المفسرين على أن ينفقون
يراد به الأموال التي كانوا ينفقونها في التحنث أي يبطلها كفرهم كما تبطل
الريح الزرع والصر البرد الشديد المحرق لكل ما يهب عليه والحرث شامل للزرع
والثمار * وقوله سبحانه حرث قوم ظلموا أنفسهم الآيات من أهل العلم من يرى
أن كل مصائب الدنيا فأنما هي بمعاصي العبيد وينتزع ذلك من غير ما آية
في القروان فيستقيم على قوله أن كل حرث تحرقه ريح فأنما هو لمن قد ظلم
نفسه والضمير في قوله وما ظلمهم الله للكفار الذين تقدم ضميرهم في ينفقون
وليس هو للقوم ذوى الحرث * وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة أي لا تتخذوا من الكفار واليهود والمنافقين إخواناً تانسون بهم في الباطن
وتفاوضونهم في الآراء * وقوله سبحانه من دونكم يعني من دون المؤمنين
* وقوله سبحانه لا يالونكم خبالاً معناه لا يقصرون لكم فيما فيه فساد عليكم تقول ما
ألوت في كذا أي ما قصرت بل اجتهدت والخبال الفساد قال ابن عباس كان
رجال من المؤمنين يواصلون رجالاً من اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم في
الجاهلية فنزلت الآية في ذلك وقال ابن عباس أيضاً وقتادة والربيع والسدي
نزلت في المنافقين قال * ع * ويدخل في هذه الآية استكتاب أهل
الذمة وتصريفهم في البيع والشراء ونحو ذلك وما في قوله ما عنتم مصدرية
فالمعنى ودوا عنتم والعنت المشقة والمكروه يلقاه المرء وعقبة عنوت أي شاقة
قال * ص * قال الزجاج عنتم أي مشقتكم وقال ابن جرير ضلالكم
وقال الزبيدي العنت الهلاك اه * وقوله تعالى قد بدت البغضاء من

افواههم اي فهم فوق المستتر الذى تبدو البغضاء فى عينيه وخص سبحانه الافواه بالذكر دون الالسنه اشارة الى تشدقهم وثرثرتهم فى اقوالهم هذه ثم قال سبحانه للمومنين قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون تحذيرا وتنبيها وقد علم سبحانه انهم عقلاء ولكن هذا هزل للنفس كما تقول ان كنت رجلا فافعل كذا وكذا * وقوله هانتم اولاء تحبونهم الضمير فى تحبونهم للذين تقدم ذكرهم فى قوله بطانة من دونكم قال * ص * وتومنون بالكتاب كله قال ابو البقاء الكتاب هنا جنس اي بالكتب كلها اه * وقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه ومنه قول ابى طالب * يعصون غيظا خلفنا بالانامل * وقوله سبحانه قل موتوا بغيظكم قال فيه الطبري وكثير من المفسرين هودعاء عليهم وقال قوم بل امر النبي صلى الله عليه وسلم وامته ان يواجهوهم بهذا فعلى هذا زال معنى الدماء وبقي معنى التقربيع * وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور وعيد وذات الصدور ما تنطوى عليه * وقوله سبحانه ان تمسكم حسنة تسوهم الآيت الحسنة والسيئة فى هذه الآية لفظ عام فى كل ما يحسن ويسوء قلت ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وروينا فى كتاب الترمذي عن وائلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشمانة لاختيك فيرحمه الله ويبتلك اه والكيد الاحتيال بالاباطيل وقوله تعالى واكيد كيدا من باب تسمية العقوبة باسم الذنب * وقوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال هذا ابتداء عتب المومنين فى امر اُحد وفيه نزلت هذه الآيات كلها وكان من امر غزوة اُحد ان المشركين اجتمعوا فى ثلاثة آلاف رجل وقصدوا المدينة لياخذوا بشارهم فى يوم بدر فنزلوا عند اُحد يوم الاربعاء الثانى عشر من شوال سنة ثلاث

من الهجرة على رأس احد وثلاثين شهرا من الهجرة واقاموا هنالك يوم الخميس
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدبر وينتظر امر الله سبحانه فلما كان في
صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستشارهم واخبرهم
انه كان يرى بقرا تذبج وثلما في ذباب سيفه وانه يدخل يده في درع حصينة
وانه تأولها المدينة وقال لهم ارى ان لا نخرج الى هؤلاء الكفار فقال له عبد الله
ابن ابي بن سلول اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس فان هم اقاموا اقاموا
بشر محبس وان انصرفوا مضوا خائبين وان جاءونا الى المدينة قاتلناهم في الافنية
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الآطام فوالله ما حاربنا قط عدو في هذه
المدينة الا غلبناه ولا خرجنا منها الى عدو الا غلبنا فوافق هذا الرأي رأي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورأي جماعة عظيمة من المهاجرين والانصار وقال قوم من
صاحبة المؤمنين ممن فاتته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا وشجعوا الناس
ودعوا الى الحرب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس صلاة الجمعة
وقد حشده هؤلاء الداعون الى الحرب فدخل اثر صلاته بيته ولبس سلاحه فندم
اولئك القوم وقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم في سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نريد
ان نكرهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي لبس سلاحه ان
يضعها حتى يقاتل ثم خرج بالناس وسار حتى قرب من عسكر المشركين فعسكر
هنالك وبات تلك الليلة وقد غضب عبد الله بن ابي بن سلول وقال اطاعهم
وعصاني فلما كان في صبيحة يوم السبت اعتزم النبي صلى الله عليه وسلم على
المسير الى مناجزة المشركين فنهض وهو في الف رجل فانحزل عنه عند ذلك عبد
الله بن ابي بن سلول بثلاثمائة رجل من منافق ومتبع وقالوا نطن انكم لا تلقون

قتالا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبع مائة فهمت عند ذلك بنو حارثة من لادس وبنو سلمة من الخزرج بالانصراف ورأوا كثافة المشركين وقلة المسلمين وكادوا ان يجبنوا ويفشلوا فعصمهم الله تعالى وذم بعضهم بعضا ونهضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اطل على المشركين فتصافى الناس وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر على الرماة عبد الله بن جبير وكانوا خمسين رجلا وجعلهم يحمون الجبل وراء المسلمين واسند هو الى الجبل فلما اضطربت نار الحرب انكشف المشركون وانهزموا وجعل نساء المشركين يشددن في الجبل ويرفعن عن سوقهن قد بدت خلاخيلهن فجعل الرماة يقولون الغنيمة الغنيمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لهم لا تبرحوا من هنا ولورأيتونا تخطفنا الطير فقال لهم عبد الله بن جبير وقوم منهم اتقوا الله واثبتوا كما امركم نبيكم فصموا وخالفوا وانصرفوا يريدون النهب وخلوا ظهور المسلمين للخيل وجاء خالد في جريدة خيل من خلف المسلمين حيث كان الرماة فحمل على الناس ووقع التخاذل وصيح في المسلمين من مقدمتهم ومن ساقتهم وصرخ صارخ قتل محمد فتخاذل الناس واستشهد من المسلمين سبعون وتحيز رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعلى الجبل وتحاوز الناس هذا مختصر من القصة يتركب عليه تفسير الآيات وامر احد مستوعب في السير وليس هذا التعليق مما يقتضى ذكره وتبوى معناه تعيين لهم مقاعد يتمكنون فيها ويثبتون وقوله سبحانه مقاعد جمع مقعد وهو مكان القعود وهذا بمنزلة قولك موافق ولكن لفظة القعود ادل على الثبوت ولا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وكذلك كانت صفوف المسلمين اولا والمبارزة والسرعان يجولون * وقوله تعالى والله سميع اي ما تقول وما يقال لك وقت المشاورة وغيره وهمت معناه ارادت ولم تفعل والفشل في هذا الموضع

هو الجبن الذى كاد يلحق الطائفتين ففى البخارى وغيره عن جابر قال نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان فى بنى سلمة وبنى حارثة وما احب انهما لم تنزل والله يقول والله وليهما * وقوله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلتم لما امر الله سبحانه بالتوكل عليه ذكر يامر بدر الذى كان ثمرته التوكل على الله سبحانه والثقة به * وقوله سبحانه وانتم اذلتم معناه قليلون واسم الذل فى هذا الموضع مستعار اذ نسبتهم الى عدوهم والى جميع الكفار فى اقطار الارض تقتضى عند المتأمل ذلتهم وانهم مغلوبون روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم انهم حفاة فاجلهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل الا قد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا رواه ابو داود والحاكم فى المستدرک على الصحيحين واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين اه من السلاح * وقوله سبحانه اذ تقول العامل فى اذ فعل مضر ويحتمل ان يكون العامل نصرکم وعلى هذا قول الجمهور ان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان ببدر قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة فى يوم من الايام الا يوم بدر وكانوا يكونون فى سائر الايام عددا ومددا لا يضربون قال الشعبي وهم يحضرون حروب المسلمين الى يوم القيامة وقال قتادة امد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف قال عكرمة كان الوعد يوم بدر فلم يصبروا يوم اُحد ولا اتقوا فلم يمدوا ولم يدوا لم يهزموا وقال الضحاك وابن زيد انما كان هذا الوعد والمقالة للمؤمنين يوم اُحد ففر الناس وولوا مدبرين فلم يمدهم الله وانما مدوا يوم بدر بالف من الملائكة مردفين والفور النهوض السريع الى الشيء مأخوذ من فور القدر والماء ونحوه ومنه الفور فى الحج والوضوء ومسومين معناه معلمين بعلامات

وروي ان الملائكة اعلمت يوم بدر بعثهم بيض لا جبريل فانه كان بعامة صفراء
على مثال عمامة الزبير بن العوام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
للمسلمين يوم بدر سوموا فان الملائكة قد سومت * وقوله سبحانه وما جعله
الله الا بشئ لكم ولتنظمن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم
الضمير في جعله الله عائد على الانزال والامداد ومعنى الآية وما كان هذا الامداد
الا لنستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وترون حفاية الله بكم والا فالكثرة لا تغني
شيئا الا ان ينصر الله واللام في قوله ليقطع متعلقة بقوله وما النصر ويحتمل ان تكون
متعلقة بجعله فيكون قطع الطرف اشارة الى من قتل ببدر على قول ابن اسحاق
وغیره او الى من قتل باحد على ما قال السدي وقتل من المشركين ببدر سبعون
وقتل منهم يوم احد اثنان وعشرون رجلا والطرف الفريق * وقوله سبحانه
او يكبتهم معناه يخزيهم والكبت الصرع لليدين وقال * ص * الكبت
الهبزبة وقيل الصرع لليدين اه * وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء
الآية روي في سبب هذه الآية انه لما هزم اصحابه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه
وكسرت ربايعته جعل يمسح وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وفي
بعض طرق الحديث كيف يقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فنزلت
الآية فقل له ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله فامض انت
لشأنك ودم على الدعاء الى ربك قلت وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم
ممثلا امر به قال عياض روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت ربايعته
وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني
لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي وامى انت يا رسول الله لقد

دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآيت ولو دعوت علينا لهلكنا من عندنا اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول لا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اه قال الطبري وغيره من المفسرين او يتوب عطف على يكتبهم والمعنى او يتوب عليهم فيسلمون او يعذبهم ان تمادوا على كفرهم فانهم ظالمون ثم اكد سبحانه معنى قوله ليس لك من الامر شيء بذكر الحجة الساطعة في ذلك وهي ملكه الاشياء فقال سبحانه والله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم اي فله سبحانه ان يفعل بحق ملكه ما يشاء لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه وذكر سبحانه ان الغفران او التعذيب انما هو بمشيئته وبحسب السابق في علمه ثم رجع سبحانه في اخر ذلك تأنيسا للنفوس * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة الآية قال * ع * هذا النهي عن اكل الربا اعترض اثناء قصته احد ولا احفظ سببا في ذلك مرويا ومعناه الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة * وقوله تعالى اعدت للكافرين اي انهم المقصود والمراد الاول وقد يدخلها سواهم من العصاة هذا مذهب اهل العلم في هذه الآية وحكى الماوردي وغيره عن قوم انهم ذهبوا الى ان اكلت الربا انما توعدهم الله بنار الكفرة لا بنار العصاة * وقوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحبون قال محمد بن اسحاق هذه الآية من قوله تعالى واطيعوا الله هي ابتداء المعاتبة في امر احد وانهمزام من فروزال الرماة عن مراكزهم * وقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض قرأ نافع وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل المدينة والشام وقرأ باقي السبعة بالواو والمسارة المبادرة وهي مفاعلة اذ الناس كان

كل واحد يسرع ليصل قبل غيره فبينهم في ذلك مغالطة لا ترى الى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات والمعنى سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب الى ربكم الى حال يغفر الله لكم فيها قلت وحق على من فهم كلام ربه ان يبادر ويسارع الى ما ندبه اليه ربه وان لا يتهاون بترك الفضائل الواردة في الشرع قال النووي رحمه الله اعلم انه ينبغي لمن بلغه شيء في فضائل الاعمال ان يعمل به ولو مرة ليكون من اهله ولا ينبغي ان يتركه جلة بل ياتى بما تيسر منه لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته واذا امرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم اهـ من الحلية * وقوله سبحانه وجنته عرضها السموات والارض اي كعرض السموات والارض قال ابن عباس في تفسير الآية تقرر السموات والارضون بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولا يعلم طولها الا الله سبحانه وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من ابواب الجنة مسيرة اربعين سنة وسألتني عليها يوم يزدهم الناس فيها كما تزدهم الابل اذا وردت خُمصاً ظمأ وفي الصحيح ان في الجنة شجرة يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها فهذا كله يقوى قول ابن عباس وهو قول الجمهور ان الجنة اكبر من هذه المخلوقات المذكورة وهي ممتدة على السماء حيث شاء الله تعالى وذلك لا ينكر فان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي لا كدراهم القيت في فلاة من الارض وما الكرسي في العرش لا كحلقته من حديد القيت في فلاة من الارض قال * ع * فهذه مخلوقات اعظم بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله قلت قال الفخر وفي الآية وجه ثان ان الجنة التي عرضها مثل عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان يرغب فيما يكون ملكا له فلا بد

ان تصير الجنة الملوكة لكل احد مقدارها هكذا اه وقدره الله تعالى اوسع وفضله اعظم وفي صحيح مسلم والترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في سؤال موسى ربه عن ادنى اهل الجنة منزلة وانه رجل ياتى بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له اترضى ان يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت اي رب فيقال له لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت اي رب فيقال له لك ذلك وعشرة امثاله فيقول رضيت اي رب فيقال له فان لك مع هذا ما اشتئت نفسك ولدت عينك قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري من طريق ابن مسعود رضي الله عنه ان اخر اهل الجنة دخولا الجنة واهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر مرات اه وفي جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية الحديث قال ابو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا وفي الصحيح ما معناه اذا دخل اهل الجنة الجنة تبقى فيها فضلة فينشئ الله لها خلقا او كما قال اه قال * ع * وخص العرض بالذكر لانه يدل متى ما ذكر على الطول والطول اذا ذكر لا يدل على قدر العرض بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه ثم وصف تعالى المتقين الذين اعدت لهم الجنة بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء وهما اليسر والعسر قاله ابن عباس اذ الاغلب ان مع اليسر النشاط وسرور النفس ومع العسر الكراهية وضر النفس وكظم الغيظ رده في الجوف اذا كاد ان

يخرج من كثرتة ومنعه كظم له والكظام السير الذى يشد به فم الرق والغيط اصل
الغضب وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فسر بعض الناس الغيط بالغضب وليس تحرير
الامر كذلك بل الغيط حال للنفس لا تظهر على الجوارح والغضب حال لها
تظهر فى الجوارح وفعل ما ولا بد ولهذا جاز اسناد الغضب الى الله سبحانه اذ هو
عبارة عن افعاله فى المصنوع عليهم ولا يسند اليه تعالى الغيط ووردت فى كظم
الغيط وملكت النفس عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العبادات وجهاد
النفس ففى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا الى غير ذلك من
الاحاديث قلت وروى ابو داود والترمذي عن معاذ بن انس رضى الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على
رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى اى الحور شاء قال ابو عيسى هذا
حديث حسن اه وفى رواية اخرى لابى داود ملأه الله امنا وايمانا ومن ترك
لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشر احسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة
وحدث الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسنده عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته
ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره اه من صفوة التصوف والعفو عن الناس من
اجل ضرور فعل الخير ثم قال سبحانه والله يحب المحسنين فعم انواع البر وظاهر
الآية انها مدح بفعل المندوب * وقوله سبحانه والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم ذكروا الله الآية ذكر سبحانه فى هذه الآية صنفا هو دون الصنف الاول
فالحقهم بهم برجته ومنه وهم التوابون وروى فى سبب نزول هاتين الآيتين
ان الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله

منا حين كان المذنب منهم يصبح وعقوبته مكتوبة على باب داره فانزل الله هذه الآية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك الفعل بنى اسرائيل وروي ان ابليس بكى حين نزلت هذه الآية والفاحشة لفظ يعم جميع المعاصي وقد كثر استعماله في الزنا حتى فسر السدي الفاحشة هنا بالزنا وقال قوم الفاحشة هنا اشارة الى الكبائر وظلم النفس اشارة الى الصغائر واستغفروا معناه طلبوا الغفران قال النووي وروينا في سنن ابن ماجه باسناد جيد عن عبد الله بن بسر بضم الباء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا اه من الحلية وذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحياء منه اذ هو المنعم المتطول ثم اعترض اثناء الكلام قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراضا موقفا للنفس داعيا الى الله مرجيا في عفوّه اذا رجع اليه وجاء اسم الله مرفوعا بعد الاستثناء والكلام موجب جلا على المعنى اذ هو بمعنى وما يغفر الذنوب الا الله وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الآية رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جبران في صحيحه وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن اه من السلاح * وقوله سبحانه ولم يصروا الاصرار هو المقام على الذنب واعتقاد العودة اليه وقوله وهم يعلمون قال السدي معناه وهم يعلمون انهم قد اذنبوا وقال ابن اسحاق معناه وهم يعلمون بما حرمت عليهم وقيل وهم يعلمون ان باب التوبة مفتوح وقيل وهم يعلمون اني اعاقب على الاصرار ثم شتركت سبحانه الطائفتين المذكورتين في قوله اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم الآية قال * ص * قوله ونعم المخصوص

بالمُدح مَحذوف اي المغفرة والجنة * وقوله سبحانه قد خلت من قبلكم
سنن فسيروا في الارض الآية الخطاب للمؤمنين والمعنى لا يذهب بكم ان ظهر
الكفار المكذبون عليكم باحد فان العاقبة للمتقين وقد بما اذال الله المكذابين
على المؤمنين ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك فكذلك
تكون عاقبة هؤلاء وقال النقاش الخطاب بقد خلت للكفار قال * ع *
وذلك قَلْبِى وخلت معناه مضت والسند الطرائق وقال ابن زيد سنن معناه
امثال وهذا تفسير لا يخص اللفظة وقوله فانظروا هو عند الجمهور من نظر العين وقال
قوم هو بالفكر * وقوله تعالى هذا بيان للناس يريد به القراءان قاله الحسن وغيره
وقال جاعة لاشارة بهذا الى قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن وقال الفخر يعنى
بقوله هذا بيان ما تقدم من امره سبحانه ونهي ووعده وذكره لانواع البينات
والآيات اه ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن وهو الضعف وانسهم بانهم لاعلون
اصحاب العاقبة ومن كرم الخلق ان لا يهين الانسان فى خبره اذا كان محققا
وانما يحسن اللين فى السلم والرضى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن هين
لين وقوله سبحانه وانتم لاعلون اخبار بعلو كلمة الاسلام هذا قول الجمهور وهو
ظاهر اللفظ قال * ص * وانتم لاعلون فى موضع نصب على الحال
* وقوله سبحانه ان كنتم مؤمنين المقصد هز النفوس واقامتها ويترتب من ذلك
الطعن على من نجم فى ذلك اليوم نفاقه او اضطرب يقينه اي لا يتحصل الوعد
لا بالايمان فالزموه ثم قال تعالى تسلية للمؤمنين ان يمسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله والاسوة مسلاة للبشر ومنه قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل اخي ولكن * اعزى النفس عنه بالتأسى

والقرح القتل والجراح قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس اخبر سبحانه على جهة التسلية ان الايام على قديم الدهر وغابرة ايضا انما جعلها دولا بين البشري فلا تنكروا ان يدال عليكم الكفار * وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا تقديرة وليعلم الله الذين امنوا فعل ذلك والمعنى ليظهر في الوجود ايمان الذين قد علم الله ازا انهم يؤمنون ولا فقد علمهم في الازل ويتخذ منكم شهداء معناه اهل فوز في سبيله حسبما ورد في فضائل الشهداء وذهب كثير من العلماء الى التعبير عن ادالة المومنين بالنصروعن ادالة الكفار بالادالة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك حديث انهم يدالون كما تنصرون والتمحيص التنقية قال الخليل التمحيص التخليص من العيب فتمحيص المومنين هو تنقيتهم من الذنوب والحق لا ذهاب شيئا فشيئا ومنه محاق القمر وقوله سبحانه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الآية حسبتم معناه ظننتم وهذه الآية وما بعدها عتب وتقريع لطوائف من المومنين الذين وقعت منهم الهنوات المشهورة في يوم اُحُد ثم خاطب الله سبحانه المومنين بقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه والسبب في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة بدر يريد غير قريش مبادرا فلم يوصب الناس معه اذ كان الظن انه لا يلقى حربا فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز حاصروها بالمنزلة الرفيعة كان المتخلفون من المومنين عنها يتمنون حضور قتال الكفار ليكون منهم في ذلك غناء يلحقهم عند ربهم ونبيهم بمنزلة اهل بدر فلما جاء امر اُحُد لم يصدق كل المومنين فعاتبهم الله بهذه الآية والزهمهم تمنى الموت من حيث تمنوا اسبابه وهو لقاء العدو ومصاربتهم ولا فنفس قتل المشرك للمسلم لا يجوز ان يتمنى من حيث هو

قتل وانما تتمنى لواحقه من الشهادة والتنعيم قلت وفي كلام * ع *
بعض اجمال وقد ترجم البخاري تمنى الشهادة ثم اسند عن ابى هريرة قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسى بيده لولا ان رجلا من
المومنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عنى ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت
عن سريّة تغزو في سبيل الله والذي نفسى بيده لوددت انى اقتل في سبيل
الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل وخرجه ايضا مسلم وخرج
البخاري ومسلم من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد
يموت له عند الله عز وجل خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان الدنيا له وما فيها الا
الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر
مرات لما يرى من الكرامة اه فقد تبين لك تمنى القتل في سبيل الله بهذه
النصوص لما فيه من الكرامة وصواب كلام * ع * ان يقول وانما يتمنى
القتل للواحقه من الشهادة والتنعيم * وقوله سبحانه فقد رأيتموه يريد
رأيتم اسبابه وقوله وانتم تنظرون تأكيد للرؤية واخراجها من الاشتراك الذى
بين رؤية القلب ورؤية العين * وقوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الآية هذا استمرار في عتبهم واقامة الحجّة عليهم المعنى ان
محمدًا عليه السلام رسول كسائر الرسل قد بلغ كما بلغوا ولزمكم ايها المومنون
العمل بمضمّن الرسالة وليست حياته وبقاؤه بين اظهركم شرطًا في ذلك لانه
يموت كما ماتت الرسل قبله ثم توعّد سبحانه المنقلب على عقبيه بقوله فلن
يضر الله شيئًا لان المعنى فانما يضر نفسه واياها يوبق ثم وعد الشاكرين وهم
الذين صدقوا وصبروا ومضوا في دينهم ووفوا لله بعهدهم كسعد بن الربيع ووصيته
يومئذ للانصار وانس بن النضر وغيرهما ثم يدخل في الآية الشاكرون الى يوم

القيامة وقال علي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية الشاكرون الثابتون على دينهم ابو بكر واصحابه وكان يقول ابو بكر امير الشاكرين اشارة منه الى صدع ابي بكر بهذه الآية يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم وثبوته في ذلك الموطن وثبوته في امر الردة وسائر المواطن التي ظهر فيها شكره وشكر الناس بسببه ثم اخبر عز وجل عن النفوس انها انما تموت باجل مكتوب محتوم عند الله تعالى اي فالحسين والخور لا يزيد في الاجل والشجاعة والاقدام لا ينقص منه وفي هذه الآية تقوية للنفوس في الجهاد وفيها رد على المعتزلة في قولهم بالاجلين * وقوله سبحانه ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها الآية اي نوت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقرينة الكلام تقتضي انه لا يوتى شيئاً من الآخرة لان من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له في الآخرة والاعمال بالنيات وقرينة الكلام من قوله ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها لا تمنع ان يوتى نصيباً من الدنيا قال ابن فورك في قوله تعالى وسنجزى الشاكرين اشارة الى انه ينعمهم بنعم الدنيا لا انهم يقصرون على الآخرة ثم ضرب سبحانه المثل للمؤمنين بمن سلف من صالح الامم الذين لم يشنهم عن دينهم قتل الكفار لانبيائهم فقال وكاين من نبيء قتل معه ربيون كثير الآية وفي كاين لغات فهذه اللغة اصلها لانها كافي التشبيه دخلت على اتي وكاين في هذه الآية في موضع رفع بالابتداء وهي بمنزلة كم وبمعناها تعطى في الاغلب النكثير وقرأ نافع وابن كثير وابوعمره قتل مبني لها لم يسم فاعله وقرأ الباقر قاتل فقله قتل قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري انه مستند الى ضمير نبيء والمعنى عندهم ان النبي قتل ونحا اليه ابن عباس واذا كان هذا فربيون مرتفع بالظرف بلا خلاف وهو متعلق

بمحدوف وليس متعلقا بقتل وقال الحسن بن ابي الحسن وجماعة ان قتل انما هو مستند الى قوله ربيون وهم المقتولون قال الحسن وابن جبير لم يقتل نبي في حرب قط قال * ع * فعلى هذا القول يتعلق قوله معه بقتل ورج الطبري القول الاول بدلالة نازلة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المومنين انما تخاذلوا يوم احد لما قيل قتل محمد ف ضرب المثل بنبي قتل وترجيح الطبري حسن ويؤيد ذلك ما تقدم من قوله افان مات او قتل حجة من قرأ قاتل انها اعم في الممدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي قال * ع * ويحسن عندي على هذه القراءة استناد الفعل الى الربيعين وقوله ربيون قال ابن عباس وغيره معناه جوع كثيرة وهو من الرتبة بكسر الراء وهي الجماعة الكثيرة وروي عن ابن عباس والحسن بن ابي الحسن وغيرهما انهم قالوا ربيون معناه علماء ويقوى هذا القول قراءة من قرأ ربيون بفتح الراء منسوبون الى الرب اما لانهم مطيعون له او من حيث انهم علماء بما شرع * وقوله سبحانه وما استكانوا ذهب طائفة من النخاة الى انه من السكون وذهبت طائفة الى انه مأخوذ من كان يكون واصلمه استكنونوا والمعنى انهم لم يضعفوا ولا كانوا قريبا من ذلك قلت واعلم رحمك الله ان اصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس لله وبذل مهجها للقتل في سبيل الله لا ترى الى حال الصحابة رضي الله عنهم وقتلتهم في صدر الاسلام وكيف فتح الله بهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله انفسهم في الجهاد وحالنا اليوم كما ترى عدد اهل الاسلام كثير ونكايتهم في الكفار نزر يسير وقد روى ابو داود في سننه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تتداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها فقال قاتل ومن قلة نحن يومئذ قال بل

انتم كثير ولكنكم غشاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم
وليقدفن في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا
وكراهية الموت اه فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان لا زماننا بعينه وتأمل حال
ملوكنا انما همتهم جمع المال من حرام وحلال واعراضهم عن امر الجهاد فانا لله
وانا اليه راجعون على مُصاب لاسلام * وقوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا الآيتة هذه الآيتة في ذكر الربيبين اي هذا كان قولهم لا ما
قاله بعضكم يا اصحاب محمد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا الى غير ذلك
مما اقتضته تلك الحال من الاقوال قلت وهذه المقالة ترجع القول الثاني في
تفسير الربيبين اذ هذه المقالة انما تصدر من علماء عارفين بالله قال * ع *
واستغفار هؤلاء القوم المدوحين في هذا الموطن ينحو الى انهم رأوا ان ما نزل
من مصائب الدنيا انما هو بذنوب من البشر كما نزلت قصة اُحد بعضيان من
عصى وقولهم ذنوبنا واسرافنا في امرنا عبارتان عن معنى قريب بعضه من بعض
جاء للتأكيد ولتعم مناحي الذنوب وكذلك فسر ابن عباس وغيره وقال الضحاک
الذنوب عام والاسراف في الامر اريد به الكبائر خاصة فآثام الله ثواب الدنيا
بان اظهرهم على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة بلا خلاف قال الفخر ولا شك
ان ثواب الآخرة هي الجنة وذلك غير حاصل في الحال فيكون المراد انه
سبحانه لما حكم لهم بحصولها في الآخرة قام حكمه لهم بذلك مقام الحصول في
الحال ومحمل قوله آثام انه سيوتيههم قيل ولا يمتنع ان تكون هذه الآيتة خاصة
بالشهداء وانه تعالى في حال نزول هذه الآيتة كان قد آثام حسن ثواب الآخرة
انتهى وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعنى المنافقين
الذين خيبوا المسلمين وقالوا في امر اُحد لو كان محمد نبيا لم ينهزم وقوله سبحانه

بل الله مولاكم وهو خير الناصرين هذا تشببت لهم وقوله سبحانه سنلقى في قلوب
الذين كفروا الرعب سبب هذه الآية انه لما ارتحل ابوسفيان بالكفار رجع
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فتجهز واتبع المشركين وكان معبد بن ابي
معبد الخزاعي قد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله يا محمد لقد
ساءنا ما اصابك وكانت خزاة تميل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب معبد
حتى لحق بابي سفيان فلما رأى ابوسفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال
محمد في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله يتحرقون عليكم قد اجتمع معه من كان
تخلف عنه وندموا على ما صنعوا قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ان
ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة اليهم قال فاني
انهاك عن ذلك ووالله لقد حملني ما رأيت على ان قلت فيهم شعرا قال وما
قلت قال قلت

كادت تهتد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد لا بابل
تردى بسد كرام لا تنابله * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا اظن الارض مائلة * لما سموا برويس غير مخذول
الى اخر الشعر فالتقى الله الرعب في قلوب الكفار وقال صفوان بن امية لا ترجعوا
فاني ارى انه سيكون للقوم قتال غير الذي كان فنزلت الآية في هذا اللقاء
وهي بعد متناولة كل كافر قال الفخر لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه
خوف من الرعب اما عند الحرب واما عند المحاجة انتهى وقوله سبحانه بما
اشركوا هذه باء السبب والسلطان الحجة والبرهان قال * ص * قوله وبئس
المخصوص بالذم مخذوف اي النار وقوله سبحانه ولقد صدقكم الله وعدة اذ
تحسونهم باذنه جاء الخطاب لجميع المؤمنين وان كانت الامور التي عاتبهم

سبحانه عليها لم يقع فيها جميعهم ولذلك وجوه من الفصاحة منها وعظ الجميع
وزجرة اذ من لم يفعل مُعد ان يفعل ان لم يزجر ومنها الستر والابقاء على من
فعل وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد المؤمنين النصر يومئذ على خبر الله
ان صبروا ووجدوا فصدقهم الله وعده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صاف
المشركين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه قبل هذا واشتعلت نار الحرب
وابلى حمزة بن عبد المطلب وابو دُجانة وعلي وعاصم بن ابي الاقح وغيرهم وانهزم
المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا معنى قوله عز وجل اذ تحسونهم
بآذنه والحس القتل الذريع يقال حسهم اذا استاصلهم قتلا وحس البرد النبات
وقوله سبحانه حتى اذا فشلتم يحتمل ان تكون حتى غاية كانه قال الى ان
فشلتم ولاظهر الاقوى ان اذا على بابها نحتاج الى الجواب ومذهب الخليل
وسيبويه وفرسان الصناعة ان الجواب محذوف يدل عليه المعنى تقديره انهزمت
ونحوه والفشل استشعار العجز وترك الجد والتنازع هو الذى وقع بين الرماة
وعصيتهم عبارة عن ذهاب من ذهب من الرماة وتأمل رحمك الله ما يوجب الركون
الى الدنيا وما ينشأ عنها من الضرر واذا كان مثل هؤلاء السادة على رفعتهم وعظيم
منزلتهم حصل لهم بسببها ما حصل من الفشل والهزيمة فكيف بامثالنا وقد حذر
الله عز وجل ونبيه عليه السلام من الدنيا وافاتها بما لا يخفى على ذى لب وقد
ذكرنا فى هذا المختصر جملة كافية لمن وفقه الله وشرح صدره وقد خرج البغوي
فى المسند المنتخب له عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفتح الدنيا على
احد لا القت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة انتهى من الكوكب الدرر
وقال عليه السلام للانصار لما تعرضوا له اذ سمعوا بقدوم ابى عبيدة بمال البحرين
ابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقرا اخشى عليكم ولكنى اخشى ان تبسط الدنيا

عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم
اخرجه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له وقال هذا حديث صحيح انتهى واعلم
رحمك الله ان تيسير اسباب الدنيا مع اعراضك عن امرء اخرتك ليس ذلك
من علامات الفلاح وقد روى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا ابن لهيعة قال
حدثني سعيد بن ابي سعيد ان رجلا قال يا رسول الله كيف لي ان اعلم كيف
انا قال اذا رأيت كلما طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته يُسرّ لك واذا اردت
شيئا من الدنيا وابتغيته عُسر عليك فانت على حال حسنة واذا رأيت كلما
طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته عُسر عليك واذا اردت شيئا من امر الدنيا
وابتغيته يسر لك فانت على حال قبيحة انتهى فتأمله راشدا وقوله من
بعد ما اراكم ما تحبون يعنى هزيمة المشركين قال الزبير والله لقد رأيتني انظر
الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهن قليل ولا
كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا
ظهورنا للخيل فاوتينا من اذارنا وصرخ صارخ لا ان محمدا قد قتل وانكفا علينا
القوم وقوله سبحانه منكم من يريد الدنيا يعنى بهم الذين حرصوا على الغنيمة
وكان المال همهم قاله ابن عباس وسائر المفسرين وقال عبد الله بن مسعود ما
كنت ارى ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى
نزل فينا يوم اُخذ منكم من يريد الدنيا * وقوله سبحانه ومنكم من يريد الآخرة
اخبار عن ثبوت من ثبت من الرماة مع عبد الله بن جبير امتثالا للامر حتى
قتلوا ويدخل في هذا انس بن النصر وكل من جد ولم يضطرب من المؤمنين
* وقوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد العامل في اذ قوله عفا وقراءة
الجمهور تصعدون بهم التواء وكسر العين من اصعد ومعناه ذهب في الارض

والصعيد وجه الارض فاصعد معناه دخل في الصعيد كما ان اصبغ دخل في الصباح * وقوله سبحانه ولا تلون على احد مبالغة في صفة الانهزام وقرأ حميد بن قيس على احد بضم الالف والحاء يريد الجبل والمعني بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم لانه كان على الجبل والقراءة الشهيرة اقوى لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على الجبل الا بعد ما فر الناس وهذه الحال من اصعادهم انما كانت وهو يدعوهم وروي انه كان ينادى صلى الله عليه وسلم التي عباد الله والناس يفرون وفي قوله تعالى في اخراكم مدح له صلى الله عليه وسلم فان ذلك هو موقف الابطال في اعقاب الناس ومنه قول الزبير بن باطيا ما فعل مقدمتنا اذا حملنا وحاميتنا اذا فررنا وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس ومنه قول سلمة بن الاكوع كنا اذا احمر الباس اتقيناه برسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى فاتابكم معناه جازاكم على صنيعكم واختلف في معنى قوله تعالى غما بغم فقال قوم المعنى اثابكم غما بسبب الغم الذي ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم قال قتادة ومجاهد الغم الاول ان سمعوا الا ان محمدا قد قتل والثاني القتل والجراح * وقوله تعالى لكي لا تحزنوا على ما فاتكم اي من الغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح وذل الانهزام واللام من قوله لكي لا متعلقة باثابكم المعنى لتعلموا ان ما وقع بكم انما هو بجنايتكم فانتم اذيتم انفسكم وعادة البشر ان جاني الذنب يصبر للعقوبة واكثر قلق المعاقب وحزنه انما هو مع ظنه البراءة بنفسه ثم ذكر سبحانه امر النعاس الذي اتن به المؤمنين فغشي اهل الاخلاص قلت وفي صحيح البخاري عن انس ان ابا طلحة قال عشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد قال فجعل سيفي يسقط

من يدي وءاخذه ويسقط وءاخذه ونحوه عن الزبير وابن مسعود والواو في قوله وطائفة قد اهتمهم انفسهم واو الحال ذهب اكثر المفسرين الى ان اللفظة من الهم الذى هو بمعنى الغم والحزن * وقوله سبحانه يظنون بالله غير الحق معناه يظنون ان دين الاسلام ليس بحق وان امر محمد صلى الله عليه وسلم يضمحل قلت وقد وردت احاديث صحاح في الترغيب في حسن الظن بالله عز وجل ففي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل يقول سبحانه انا عند ظن عبدي بنى الحديث وقال ابن مسعود والله الذى لا اله غيره لا يحسن احد الظن بالله عز وجل الا اعطاه الله ظنه وذلك ان الخير بيده وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه اه وقوله ظن الجاهلية ذهب الجمهور الى ان المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الاسلام وهذا كقوله سبحانه حية الجاهلية وتبرج الجاهلية وذهب بعض المفسرين الى ان المراد في هذه الآية ظن الفرقة الجاهلية وهم ابوسفيان ومن معه قال قتادة وابن جريج قيل لعبد الله ابن ابي بن سلول قتل بنو الخزرج فقال وهل لنا من الامر من شيء يريد ان الرأي ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم يخرج فلم يقتل احد منا * وقوله سبحانه قل ان الامر كله لله اعتراض اثناء الكلام فصيح ومضمنه الرد عليهم وقوله سبحانه يخفون في انفسهم ما لا يبذلون لك الآية اخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين وهذه كانت سنته في المنافقين لا اله الا هو * وقوله سبحانه يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا هي مقالة سمعت من مُعْتَب بن قشير المغصص عليه بالنفاق وباقي الآية بين * وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم اللام في ليبتلي متعلقة بفعل متأخر

تقديره وليبتي ويمحص فعل هذه الامور الواقعة والابتلاء هنا الاختبار * وقوله سبحانه ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال عمر رضي الله عنه المراد بهذه الآية جيع من تولي ذلك اليوم عن العدو وقيل نزلت في الذين فروا الى المدينة قال ابن زيد فلا ادري هل عُفي عن هذه الطائفة خاصة ام عن المؤمنين جميعا * وقوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا طاهرة عند جمهور المفسرين انه كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بتمكين الشيطان من استزلالهم بوسوسته وتخويفه والفرار من الزحف من الكبائر باجاء فيما علمت وقد عده صلى الله عليه وسلم في السبع الموبقات * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية نهى الله المؤمنين ان يكونوا مثل الكفار المنافقين في هذا المعتقد الفاسد الذي هو ان من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عرض فيه نفسه للسفر او للقتال وهذا هو معتقد المعتزلة في القول بالاجلين او نحو منه وصرح بهذه المقالة عبد الله بن ابي المنافق واصحابه قاله مجاهد وغيره والضرب في الارض السير في التجارة وغزى جمع غاز * وقوله تعالى ليجعل الله ذلك لاشارة بذلك الى هذا المعتقد الذي جعله الله حسرة لهم لان الذي يتيقن ان كل قتل وموت انما هو باجل سابق يجد برد الياس والتسليم لله سبحانه على قلبه والذي يعتقد ان حيمه لو قعد في بيته لم يمت يتحسر ويتلهف وعلى هذا التأويل مشى المتأولون وهو اظهر ما في الآية والتحسر التلهف على الشيء والغم به * وقوله سبحانه والله بما تعملون بصير توكيد للنهي في قوله ولا تكونوا ووعيد لمن خالفه ووعد لمن امتثله * وقوله سبحانه ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اللام في ولئن قتلتم هي المودنة بمحيي القسم واللام في قوله لمغفرة هي

المتلقية للقسم والتقدير والله لمغفرة وترتب الموت قبل القتل في قوله تعالى ما ماتوا وما قتلوا مراعاة لترتيب الضرب في الارض والغزو وقدم القتل هنا لانه لا شرف لاهم ثم قدم الموت في قوله تعالى ولئن متم او قتلتم لانها آية وعظ بالآخرة والحشر وآية تزهيد في الدنيا والحياة وفي الآية تحقير لامر الدنيا وحض على طلب الشهادة والمعنى اذا كان الحشر لا بد منه في كلا الامرين فالمضي اليه في حال شهادة اولى وعن سهل بن حنيف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه رواه الجماعة لا البخاري وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولولم تصبه انفرد به مسلم اه من سلاح المومن * وقوله سبحانه فيما رجة من الله لنت لهم معناه فبرجة قال القشيري في التفسير واعلم ان الله سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ولا يرحم العبد الا اذا رجه الله سبحانه قال الله تعالى لنبيه عليه السلام فيما رجة من الله لنت لهم اه قال * ع * ومعنى هذه الآية التقريع لكل من اخل يوم اُحد بمركزة اي كانوا يستحقون الملام منك ولكن برجة منه سبحانه لنت لهم وجعلك على خلق عظيم وبعثك لتتميم محاسن الاخلاق ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفصوا من حولك وتفرقوا عنك والفظ الجافى في منطقه ومقاطعته وفي صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المنزلة ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الاسواق والفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفلا وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الاشفاق والرجة والانفصاض افتراق الجموع * وقوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم الآية امر سبحانه نبيه عليه السلام بهذه الاوامر التى هي بتدريج بليغ فامره ان يعفو عنهم فيما له عليهم من حق ثم يستغفر

لهم فيما لله عليهم من تبعته فاذا صاروا في هذه الدرجة كانوا اهلا للاستشارة
قال * ع * ومن لا يستشير اهل العلم والدين فعزله واجب هذا مما لا
خلاف فيه وقد وردت احاديث كثيرة في الاستشارة ومشاورته عليه السلام انما هي
في امور الحرب والبعوث ونحوه من اشخاص النوازل فاما في حلال او حرام او
حد فتلك قوانين شرع ما فرطنا في الكتاب من شيء والشورى مبنية على
اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ويتخير فاذا ارشده الله الى
ما شاء منه عزم عليه وانفذه متوكلا على الله اذ هو غاية الاجتهاد المطلوب منه
وبهذا امر الله تعالى نبيه في هذه الآية وصفة المستشار في الاحكام ان يكون
عالما ديننا ولما يكون ذلك الا في عاقل فقد قال الحسن ابن ابي
الحسن ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله قال * ع * والتوكل على الله
سبحانه وتعالى من فروض الايمان وفصوله ولكنه مقترن بالجد في الطاعات
والشمير والحزامة بغاية الجهد وليس الالقاء باليد وما اشبهه بتوكل وانما هو كما
قال عليه السلام قيدها وتوكل * وقوله تعالى ان الله يحب المتوكلين هذه غاية
في الرفعة وشرف المنزلة وقد جاءت اثار صحيحة في فضل التوكل وعظيم منزلة
المتوكلين ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله
قال هم الذين لا يترقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وخرج
ابو عيسى الترمذي عن ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
وعندني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب
مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي وخرجه ابن ماجه ايضا
وخرج ابو بكر البزار وابو عبد الله الترمذي الحكيم عن عبد الرحمن بن ابي بكر

الصديق رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه اعطاني سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني مع كل واحد من السبعين لالف سبعين الفا فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته فقال قد استزدته فاعطاني هكذا وفتح ابو وهب يديه قال ابو وهب قال هشام هذا من الله لا يدري ما عدده وخرج ابو نعيم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي مائة الف فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا و اشار سليمان بن حرب بيده فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا فقال عمر ان الله عز وجل قادر ان يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر اه من التذكرة وما وقع من ذكر الحفنة والحفنة ليس هو على ظاهرة فالا سبحانه منزلة عن صفات الاجسام * وقوله تعالى وان يخذلكم اي يترككم والخذل الترك والضمير في من بعده يعود على اسم الله ويحتمل على الخذل * وقوله تعالى وما كان لنبي ان يغفل قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ان يغفل بفتح الياء وضم الغين وقرأ باقي السبعة ان يغفل بضم الياء وفتح الغين واللفظة بمعنى الخيانة في خفاء تقول العرب اغفل الرجل يغفل اغلا لا اذا خان واختلف على القراءة الاولى فقال ابن عباس وشيرة نزلت بسبب قطيفة حمراء فقدت من المغانم يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها ف قيل كانت هذه المقالة من مومن لم يظن في ذلك حرجا وقيل كانت من منافقين وقد روي ان المفقود انما كان سيفا قال النقاش ويقال انما نزلت لان الرماة قالوا يوم احد الغنيمة الغنيمة فانا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وقال ابن اسحاق الآية انما انزلت اعلاما بان النبي صلى الله عليه وسلم

لم يكتم شيئاً مما أمر بتبليغه وإما على القراءة الثانية فمعناها عند الجمهور أي ليس لاحد ان يغفل النبي أي يخون في الغنيمة لان المعاصي تعظم بحضرته لتعيين توقيه قال ابن العربي في احكامه وهذا القول هو الصحيح وذلك ان قوما غفلوا من الغنائم او هموا فانزل الله تعالى الآية فنهاهم الله عن ذلك رواه الترمذي اه * وقوله تعالى ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة الآية وعيد لمن يغفل من الغنيمة او في زكاته بالفضيحة يوم القيامة على رموس الاشهاد قال القرطبي في تذكرته قال علماؤنا رحمهم الله في قوله تعالى ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة ان ذلك على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه وسلم أي ياتي به حاملاً له على ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومروعا بصوته وموتجاً باظهار خيانتة اه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ادوا الخائض والمخيط فان الغلول عار ونار وشار على اهل يوم القيامة رواه مالك في الموطأ قال ابو عمر في التمهيد الشنار لفظة جامعة لمعنى العار والنار ومعناها الشين والنار يريد ان الغلول شين وعار ومنقص في الدنيا وعذاب في الآخرة اه وفي الباب احاديث صحيحة في الغلول وفي منع الزكاة * وقوله سبحانه افمن اتبع رضوان الله أي الطاعة الكفيلة برضوان الله قال * ص * افمن استفهم معناه النفي أي ليس من اتبع ما يؤول به الى رضى الله تعالى عنه فباء برضاه كمن لم يتبع ذلك فباء بسخطه اه * وقوله سبحانه هم درجات عند الله قال ابن اسحاق وغيره المراد بذلك الجمعان المذكوران اهل الرضوان واصحاب السخط أي لكل صنف منهم تباين في نفسه في منازل الجنة وفي اطباق النار ايضاً وقال مجاهد والسدي ما ظاهرة ان المراد بقوله هم انما هو لمتبعي الرضوان أي لهم درجات كريمة عند ربهم وفي الكلام حذف تقديره هم ذوو درجات والدرجات المنازل

بعضها اعلی من بعض فی المسافة او فی التكرمة او فی العذاب وباقي الآیة وعد
ووعید * وقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
آیة اللام فی لقد لام القسم ومن فی هذه الآیة معناه تطول وتفصل سبحانه وقد
يقال من بمعنى كدر معروفه بالذكر فهي لفظة مشتركة وقوله من انفسهم اي فی
الجنس واللسان والمجاورة فكونه من الجنس يوجب الانس به وكونه بلسانهم
يوجب حسن التفهيم وكونه جارا وربيا يوجب التصديق والطمأنينة اذ قد
خبروه وعرفوا صدقه وامانته ثم وقف الله سبحانه المؤمنين على الخطأ فی
قلوبهم للمصيبة التي نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار فقال اولما اصابتمكم
مصيبة اي يوم احد قد اصبتم مثلها اي يوم بدر اذ قتل من الكفار سبعون واسر
سبعون هذا تفسير ابن عباس والجمهور وقال الزجاج واجد المشلين هو قتل
السبعين يوم بدر والثاني هو قتل اثنين وعشرين يوم احد ولا مدخل للاسرى
لانهم قد فدوا وانى معناها كيف ومن اين قل هو من عند انفسكم اي حين
خالقتم النبي صلى الله عليه وسلم فی الرأي حين رأى ان يقيم بالمدينة ويترك
الكفار بشر محبس فابيتهم الا الخروج وهذا هو تاويل الجمهور وقالت طائفة هو
من عند انفسكم اشارة الى عصيان الرماة وتسببهم الهزيمة على المؤمنين وقال
علي والحسن بل ذلك لما قبلوا الفداء يوم بدر وذلك ان الله سبحانه اخبرهم
على لسان نبيه بين قتل الاسرى او ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدة
الاسرى فاختراروا اخذ الفداء ورضوا بالشهادة فقتل منهم يوم احد سبعون
قلت وهذا الحديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال احمد بن نصر الداودي وعن الصحاك انی هذا اي باي ذنب
هذا قال ابن عباس قل هو من عند انفسكم عقوبة لمعصيتكم لنبيكم عليه السلام

اه * وقوله سبحانه وما اصابكم يوم التقى الجمعان يعنى يوم احد * وقوله سبحانه وليعلم المومنين ابي ليعلم الله المومن من المنافق والاشارة بقوله سبحانه نافقوا وقيل لهم هي الى عبد الله بن ابي واصحابه حين انخزل بنحو ثلث الناس فمضى فى اثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر بن عبد الله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا ونحو هذا من القول فقال له ابن ابي ما ارى ان يكون قتالا ولو علمنا ان يكون قتال لكنا معكم فلما يئس منهم عبد الله قال اذهبوا اعداء الله فسيغنى الله رسوله عنكم ومضى مع النبي صلى الله عليه فاستشهد * وقوله تعالى او ادفعوا قال ابن جريج وغيره معناه كثروا السواد وان لم تقاتلوا فيندفع القوم لكثرتكم وذهب بعض المفسرين الى ان قول عبد الله بن عمرو او ادفعوا استدعاء للقتال حية اذ ليسوا باهل للقتال فى سبيل الله والمعنى قاتلوا فى سبيل الله او قاتلوا دفاعا عن الحوزة لا ترى ان قزمان قال فى ذلك اليوم والله ما قاتلت لا على احساب قومى وقول الانصاري يومئذ لما ارسلت قريش الظهر فى البرزخ اترعى زروع بنى قيلة ولما نصارب * وقوله تعالى الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا الذين بدل من الذين المتقدم لآخوانهم اى لآجل لآخوانهم او فى شأن لآخوانهم المقتولين ويحتمل ان يريد لآخوانهم لآحياء من المنافقين ويكون الضمير فى اطاعونا للمقتولين وقعدوا جلته فى موضع الحال معترضة اثناء الكلام وقولهم لو اطاعونا يريدون فى ان لا يخرجوا وباقى الآية بين ثم اخبر سبحانه عن الشهداء انهم فى الجنة لآحياء يرزقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يطلع على الشهداء فيقول يا عبادى ما تشتهون فازيدكم فيقولون يا ربنا لا فوق ما اعطينا هذه الجنة ناكل منها حيث نشاء لكنا نريد ان تردنا الى الدنيا

فنقاتل في سبيلك فنقتل مرة اخرى فيقول سبحانه قد سبق انكم لا تردون
والاحاديث في فضل الشهداء كثيرة قال الفخر والروايات في هذا الباب كانها
بلغت حد التواتر ثم قال قال بعض المفسرين ارواح الشهداء احياء وهي تركع
وتسجد تحت العرش الى يوم القيامة اه والعقيدة ان الارواح كلها احياء لا فرق
بين الشهداء وغيرهم في ذلك الا ما خص الله به الشهداء من زيادة المزية
والحياة التي ليست بمكيفة وفي صحيح مسلم عن مسروق قال سألنا ابن مسعود
عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون فقال اما انا فقد سألت عن ذلك فقال يعنى النبي صلى الله عليه
وسلم ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة
حيث شاءت ثم تارى الى تلك القناديل الحديث الى ماخره اه ومن الآثار
الصحيحة الدالة على فضل الشهداء ما رواه مالك في الموطأ انه بلغه ان عمرو
ابن الجموح وعبد الله بن عمرو الانصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل
قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم احد
فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يغيرا كانما ماتا بالاس وكان احدهما قد
جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت
فرجعت كما كانت وكان بين احد وبين يوم حفر عنهما ست واربعون سنة
قال ابو عمر في التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه صحاح بمعنى واحد
متقارب وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو
ابن عمه ثم اسند ابو عمر عن جابر بن عبد الله قال لما اراد معاوية ان يجري
العين باحد نوذي بالمدينة من كان له قتييل فليات قتييله قال جابر فاتيناهم
فاخرجناهم رطابا يتشنون فاصابت المسحاة اصبع رجل منهم فانفطرت دما قال

ابو سعيد الخدري لا ينكر بعد هذا منكر ابدا وفي رواية فاستخرجهم يعنى معاوية بعد ست واربعين سنة لينة اجسادهم تتشنى اطرافهم قال ابو عمر الذى اصابته المسحاة اصبعه هو حزة رضي الله عنه ثم اسند عن جابر قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نؤم حتى اذا اصابته المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانشعبت دما اه * وقوله سبحانه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الآية معناه يسرون ويفرحون وذهب قتادة وغيره الى ان استبشارهم هو انهم يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبينهم فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نلنا نحن فيسرون لهم بذلك اذ يحصلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذهب فريق من العلماء الى ان الاشارة في قوله بالذين لم يلحقوا الى جميع المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم في فضل الشهادة وذلك لما عاينوا من ثواب الله فهم فرحون لانفسهم بما اناهم الله من فضله ومستبشرون للمؤمنين انهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم اكد سبحانه استبشارهم بقوله يستبشرون بنعمة ثم بين سبحانه بقوله وفضل ان ادخاله اياهم الجنة هو بفضل منه لا بعمل احد واما النعمة في الجنة والدرجات فقد اخبر انها على قدر الاعمال قلت وخرج ابو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك في رائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان الشهداء في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في انهار الجنة ياكل من كل رائحة في انهار الجنة فاذا امسى وكزة الثور بقرنه فيذكيه فياكلون لحمه يجدون في لحمه طعم كل رائحة ويبست الثور في افناء الجنة فاذا اصبح غدا عليه الحوت فوكزة بذنبه فيذكيه فياكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ثم يعودون وينظرون الى منازلهم

من الجنة ويدعون الله عز وجل ان تقوم الساعة الحديث اه مختصرا وقد ذكره صاحب التذكرة مطولا وقرأ الكسائي وان الله بكسر الهمزة على استيناف الاخبار وقرأ باقي السبعة بالفتح على ان ذلك داخل فيما يستبشر به وقوله الذين استجابوا يحتمل ان يكون صفة للمؤمنين على قراءة من كسر الالف من ان والاطهر ان الذين ابتداء وخبرة في قوله للذين احسنوا منهم الآية والمستجيبون لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حراء لاسد في طلب قريش * وقوله سبحانه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جعوا لكم الآية الذين صفة للمحسنين وهذا القول هو الذى قاله الركب من عبد القيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين حلقهم ابوسفيان ذلك فالناس الاول هم الركب والناس الثانى عسكر قريش هذا قول الجمهور وهو الصواب وقول من قال ان الآية نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى لميعاد ابي سفيان وان الناس هنا هو نعيم بن مسعود قول ضعيف وعن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه مسلم والبحاري انتهى وقوله سبحانه انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الآية اشارة الى جميع ما جرى من اخبار الركب عن رسالة ابي سفيان ومن جزع من جزع من الخبر وقرأ الجمهور يخوف اولياءه قال قوم معناه يخوف المنافقين ومن في قلبه مرض وحكى ابو الفتح بن جني عن ابن عباس انه قرأ يخوفكم اولياءه فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان وهي مفسرة لقراءة الجماعة وفي قراءة ابي ابن كعب يخوفكم بوليائه وفي كتاب القصد الى الله تعالى للمحاسبي قال وكلما

عظمت هيبة الله عز وجل في صدور الاولياء لم يهابوا معه غيره حياء منه عز وجل
ان يخافوا معه سواه انتهى وقوله سبحانه ولا يحزنك الذين يسارعون في
الكفر المسارعة في الكفر هي المبادرة الى اقواله وافعاله والجد في ذلك وسلى
الله تعالى نبيه عليه السلام بهذه الآية عن حال المنافقين والمجاهرين اذ كلهم
مسارع وقوله تعالى انهم لن يضروا الله شيئا خبر في ضمنه وعيد لهم اي وانما
يضرون انفسهم والحظ اذا اطلق فانما يستعمل في الخير وقوله سبحانه ولا يحسن
الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم نملى معناه نملى نمل في العمر والمعنى
لا نحسن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم فالآية رد على الكفار في قولهم ان كوننا
ممولين اصحة دليل على رضى الله بحالتنا وقوله تعالى ما كان الله ليزر اي
ليدع المؤمنين مختلطيين بالمنافقين مشكلا امرهم حتى يميز بعضهم من بعض
بما يظهره من هؤلاء وهؤلاء في أحد من الافعال والاقوال هذا تفسير مجاهد وغيره
وقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي في امر أحد وما كان من الهزيمة
وايضا فما كان الله ليطلعكم على المنافقين تصرحا وتسمية لهم ولكن بقرائن افعالهم
واقوالهم قال الفخر وذلك ان سنة الله جارية بانه لا يطلع عوام الناس على
غيبه اي لا سبيل لكم الى معرفة ذلك لامتياز الابطاحانات كما تقدم فاما
معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا
قال تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء انتهى وقال الزجاج وغيره روي
ان بعض الكفار قال لم لا يكون جميعنا انبياء فنزلت هذه الآية ويجتبي معناه
يختار ويصطفى وقوله سبحانه ولا يحسن الذين يبخلون بما اناهم الله
من فضله الآية قال السدي وجماعة من التأولين الآية نزلت في البخل بالمال
والانفاق في سبيل الله واداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك قال ومعنى سيطرون

ما بخلوا به هو الذى ورد فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ذى رحم ياتى ذا رحمه فيسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه قلت وفى البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال من ائاه الله ما لا يؤد زكاته مثل له شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ياخذ بلهزمتيه يعنى شقيقه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما ائاهم الله من فضله الآية قلت واعلم انه قد وردت اثار صحيحة بتعذيب العصاة بنوع ما عصوا به كحديث من قتل نفسه بحديدة فهو ينجأ نفسه بحديدته فى نار جهنم والذى قتل نفسه بالسهم فهو يتحساه فى نار جهنم ونحو ذلك قال الغزالي فى الجواهر واعلم ان المعاني فى عالم الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شي بصورة توارى معناه فيحشر المتكبرون فى صور الذر يطأهم من اقبل وادبر والمتواضعون اعزاء انتهى وهو كلام صحيح يشهد له صحيح الآثار ويؤيده النظر والاعتبار اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه قال ابن العربي فى احكامه قال علماؤنا البخل منع الواجب والشح منع المستحب والصحيح المختار ان هذه الآية فى الزكاة الواجبة لان هذا وعيد لمانعيها والوعيد اذا اقترن بالفعل المأمور به او المنهي عنه اقتضى الوجوب او التحريم انتهى وتعميمها فى جميع انواع الواجب احسن وقوله سبحانه والله ميراث السموات والارض خطاب على ما يفهمه البشر دال على فناء الجميع وانه لا يبقى مالك الا الله سبحانه * وقوله سبحانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء الآية نزلت بسبب فحاص اليهودي واشباهه كحيي بن اخطب وغيره لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالوا يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقير الغني وهذا من تحريف اليهود

للتناويل على نحو ما صنعوا في توراتهم * وقوله تعالى قول الذين قالوا دال على انهم جماعة * وقوله تعالى سنكتب ما قالوا الآية وعيد لهم اي سنخصي عليهم قولهم ويتصل ذلك بفعل ابائهم من قتل الانبياء بغير حق * وقوله سبحانه وان الله اي وبان الله ليس بظلام للعبيد قال * ص * قيل المراد هنا نفى القليل والكثير من الظلم كقول طرفة

ولست بحلال التلاع مخافة * ولكن متى يسترفد القوم ارفد ولا يريد انه قد يحل التلاع قليلا وزاد ابو البقاء وجهاء اخر وهو ان يكون على النسب اي لا ينسب سبحانه الى ظلم فيكون من باب بزاز وطار انتهى قلت وهذا القول احسن ما قيل هنا فمعنى وما ربك بظلام اي بذى ظلم * وقوله سبحانه الذين قالوا ان الله عهد الينا الآية هذه المقالة قالتها احبار اليهود مدافعة لامر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انك لم تاتنا بقربان تاكله النار فنحن قد عهد الينا لا نومن لك * وقوله تعالى قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم من امر القربان والمعنى ان هذا منكم تعلل وتعت ولو اتيتكم بقربان لتعللتم بغير ذلك ثم انس سبحانه نبيه بالاسوة والقوة فيمن تقدم من الانبياء قال الفخر والمراد بالبينات المعجزات انتهى والزبر الكتاب المكتوب قال الزجاج زبرت كتبت * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الآية وعظ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولا منه عن امر الدنيا واهلها ووعده بالفلاح في الآخرة فبالفكرة في الموت يهون امر الكفار وتكذيبهم وانما توفون اجوركم اي على الكمال ولا محالة ان يوم القيامة تقع فيه توفية الاجور وتوفية العقوبات وزحج معناه ابعد والمكان الزحاج البعيد وفاز معناه نجا من خطره وخوفه والغرور الخدع والترجية بالباطل والحياة الدنيا وكل ما فيها من الاموال هي متاع قليل

يخدع المرء ويمتية الأباطيل وعلى هذا فسر الآية جمهور المفسرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الآية فلت واسند أبو بكر بن الخطيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سكن حب الدنيا قلب عبد قط إلا التا ط منها بخصال ثلاث أمل لا يبلغ منتهاه وفقر لا يدرك غناه وشغل لا ينفك عنه انتهى * وقوله تعالى لتبلون في أموالكم وانفسكم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامتد والمعنى لتختبرن ولتمتحنن في أموالكم بالمصائب والأرزاء وبالأفناق في سبيل الله وفي سائر تكاليف الشرع والابتلاء في الانفس بالموت والأمراض وفقد الأحبة قال الفخر قال الواحدي اللام في لتبلون لام قسم انتهى * وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب الآية قال عكرمة وغيره السبب في نزولها اقوال فنحاص وقال الزهري وغيره نزلت بسبب كعب بن الأشرف حتى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله ولاذى اسم جامع في معنى الضرر وهو هنا يشمل اقوالهم فيما يخص النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من سب واقوالهم في جهة الله سبحانه وانبيائه وندب سبحانه الى الصبر والتقوى واخبرانه من عزم الامور اي من اشدّها واحسنها والعزم امضاء الامر المرؤى المنقح وليس ركوب الرأي دون روية عزما * وقوله سبحانه واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية توبيخ لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم قال جمهور من العلماء الآية عامة في كل من علم الله علما وعلماء هذه الامة داخلون في هذا الميثاق وقد قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله باجم من نار والضمير في لتبيننه ولا تكتُمونه عائد على الكتاب والنبد الطرح واطهر لاقوال في هذه الآية انها نزلت في اليهود وهم المعنيون ثم كل كاتم من هذه الامة ياخذ بحظه

من هذه المذمة * وقوله سبحانه لا يحسن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الآية ذهبت جاعة الى ان الآية في المنافقين وقالت جاعة كبيرة انما نزلت في اهل الكتاب احبار اليهود قال سعيد بن جبير الآية في اليهود فرحوا بما اعطى الله ال ابراهيم من النبوة والكتاب فهم يقولون نحن على طريقهم ويحبون ان يحمدوا بذلك وهم ليسوا على طريقهم وقراءة سعيد بن جبير بما اتوا بمعنى اعطوا بضم الهمزة والطاء وعلى قراءته يستقيم المعنى الذى قال والمفازة مفعلة من فاز يفوز اذا نجا وباقي الآية بين ثم دل سبحانه على مواضع النظر والعبرة فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقب الليل والنهار اذ جعلهما سبحانه خلفه ويدخل تحت اختلافهما قصر احدهما وطول الآخر وبالعكس واختلافهما بالنور والظلام والآيات العلامات الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته سبحانه قال الفخر واعلم ان المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والارواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق في معرفة الحق فلما طال الكلام في تقرير الاحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد الى اثاره القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء والجلال وذكر الادعية فختتم بهذه الآيات بنحو ما في سورة البقرة انتهى * وقوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا الذين في موضع خفض صفة لاولى الالباب وهذا وصف ظاهرة استعمال التحميد والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله وان يحضر القلب اللسان وذلك من اعظم وجوه العبادات والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وابن ادم متنقل في هذه الثلاث الهيئات لا يخلو في غالب امره منها فكانها تحصر زمنه وكذلك جرت عائشة رضي الله عنها الى حصر الزمن في قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه قلت خرجه ابو داود فدخل في

ذلك كونه على الخلاء وغيره وذهب جماعة الى ان قوله تعالى الذين يذكرون الله انما هو عبارة عن الصلاة اي لا يضيعونها ففى حال العذر يصلونها فعودا وعلى جنوبهم ثم عطف على هذه العبادة التى هي ذكر الله باللسان او الصلاة فرضها وندبها بعبادة اخرى عظيمة وهي الفكرة فى قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر التى بث وفى كل شيء له . اية * تدل على انه واحد

قال الغزالي ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر انتهى من الاحياء ومر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون فى الله فقال تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدرة قال * ع * وهذا هو قصد الآية فى قوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض وقال بعض العلماء المتفكر فى ذات الله كالناظر فى عين الشمس لانه سبحانه ليس كمثله شيء وانما التفكير وانبساط الذهن فى المخلوقات وفى احوال الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عبادة كتفكر وقال ابن عباس وابو الدرداء فكرة ساعة خير من قيام ليلة وقال سِرِّي السَّقَطِي فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو الا ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها فى الآخرة وقال الحسن بن ابى الحسن الفكرة مرءاة المومن ينظر فيها الى حسناته وسيئاته واخذ ابو سليمان الداراني قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده صيف فرأه لما ادخل اصبعه فى اذن القدح اقام كذلك مفكرا حتى طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال انى لما طرحت اصبعى فى اذن القدح تذكرت قول الله سبحانه اذ لا غلال فى اغانقهم والسلاسل فتفكرت فى حالى وكيف اتلقى الغل ان طرح فى عنقى يوم القيامة فما زلت فى ذلك حتى اصبح قال * ع * وهذه نهاية الخوف وخير الامور واساطها وليس علماء

الامة الذين هم الحجة على هذا المنهاج وقراءة علم كتاب الله ومعاني سنته رسوله
لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من هذا لكن يحسن ان لا تخلو البلاد من مثل
هذا قال * ع * وحديثى ابنى رحمه الله عن بعض علماء المشرق قال
كنت بائنا فى مسجد الاقدام بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع فى
كساء له حتى اصبح وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا فلما اقيمت صلاة الصبح
قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جروته فى الصلاة
بغير وضوء فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لاعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد
منسجى الجسم غائب حاصر * منتبه القلب صامت ذاكر
منبسط فى الغيوب منقبض * كذاك من كان عارفا ناكر
يبسيت فى ليله اخا فكر * فهو مدى الليل نائم ساهر
قال فعلت انه ممن يعبد الله بالفكرة فانصرف عنه قال الفخر ودلت الآية
على ان اعلی مراتب الصديقين التفكير انتهى وفى العتبية قال مالك قيل
لام الدرداء ما كان اكثر شان ابنى الدرداء قالت كان اكثر شانه التفكير
قال مالك وهو من الاعمال وهو اليقين قال الله عز وجل ويتفكرون
فى خلق السموات والارض قال ابن رشد والتفكر من الاعمال كما قاله مالك
رحمه الله وهو من اشرف الاعمال لانه من اعمال القلوب التى هي اشرف
الجوارح لا ترى انه لا يثاب احد على عمل من اعمال الجوارح من سائر الطاعات
الامع مشاركة القلوب لها باخلاص النية لله عز وجل فى فعلها انتهى من البيان
والتحصيل قال ابن بطال ان الانسان اذا كمل ايمانه وكثر تفكره كان الغالب
عليه الاشفاق والخوف انتهى قال ابن عطاء الله الفكرة سير القلب فى ميادين
لاعتبار والفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له قلت قال بعض المحققين

وذلك ان الانسان اذا تفكر علم واذا علم عمل قال ابن عباد قال الامام ابو القاسم
القشيري رحمه الله التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم ثم فكر
الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفاتها لطلابها فيزدادون بالفكر زهدا وفكر العابدين
في جيل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء
فيزدادون محبة للحق سبحانه انتهى * وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا
اي يقولون ياربنا على الذناء ما خلقت هذا باطلا يريد لغير غاية منصوبة بل
خلقته وخلقت البشر لينظروا فيه فيوجدوك ويعبدوك فمن فعل ذلك نعمته
ومن ضل عن ذلك عذبه وقولهم سبحانه اي تنزيها لك عما يقول المبطلون
وقولهم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي فلا تفعل ذلك بنا والخزي
الفضيحة المخجلة الهامة لقدر الموء قال انس بن مالك والحسن بن ابي
الحسن وابن جريج وغيرهم هذه اشارة الى من يخلد في النار واما من يخرج منها
بالشفاعة والايمان فليس بمخزي اي وما اصابه من عذابها انما هو تمحيص لذنوبه
* وقوله سبحانه وما للظالمين من انصار هو من قول الداعين * وقوله سبحانه ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان الآية حكاية عن اولى الالباب قال ابو الدرداء يرحم
الله المؤمنين ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجيب لهم قال ابن جريج وغيره
المنادى محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المنادى كتاب الله
وليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه وقولهم ما وعدتنا على رسلك
معناه على السنة رسلك وقولهم ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد
اشارة الى قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فهذا وعده
تعالى وهو دال على ان الخزي انما هو مع الخلود قال * ص * قال ابو البقاء
الميعاد مصدر بمعنى الوعد اه * وقوله سبحانه فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع

عمل عامل منكم من ذكر او انشى الآية استجاب بمعنى اجاب روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله قد ذكر الله تعالى الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء في شيء من ذلك فنزلت الآية وهي آية وعد من الله اي هذا فعله سبحانه مع الذين يتصفون بما ذكر قال الفخر روي عن جعفر الصادق انه قال من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية قال لان الله تعالى حكى عنهم انهم قالوا ربنا خمس مرات ثم اخبر انه استجاب لهم انتهى * وقوله تعالى بعضكم من بعض يعنى في الاجر وتقبل الاعمال اي ان الرجال والنساء في ذلك على حد واحد قال الفخر قوله سبحانه بعضكم من بعض اي شبه بعض او مثل بعض والمعنى انه لا تفاوت في الثواب بين الذكر والانثى اذا استنوا في الطاعة وهذا يدل على ان الفصل في باب الدين انما هو بالاعمال لا بسر صفات العاملين لان كونهم ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تأثير له في هذا الباب انتهى وبين سبحانه حال المهاجرين ثم الآية بعد تنسحب على كل من اودي في الله وهاجر ايضا الى الله الى يوم القيامة * وقوله سبحانه واخرجوا من ديارهم عبارة فيها الزام الذنب للكفار واللام في قوله لا كفرن لام القسم وثوابا مصدر مؤكد وباقي الآية بين * وقوله سبحانه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الآية نزلت لا يغرنك في هذه الآية منزلة لا تظن ان حال الكفار حسنة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته والتقلب التصرف في التجارات والارباح والحروب وسائر الآمال وقوله نزلا معناه تكرمته * وقوله تعالى وما عند الله خير للابرار يحتمل ان يريد خير مما هؤلاء فيه من الثقلب والتنعم ويحتمل ان يريد خير مما هم فيه في الدنيا وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر

قال القاضي ابن الطيب هذا بالاضافة الى ما يصير اليه كل واحد منهما في الآخرة وفيل المعنى انها سجن المؤمن لانها موضع تبعه في الطاعة * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله قال جابر بن عبد الله وغيره هذه الآية نزلت بسبب اصحمة النجاشي سلطان الحبشة ءامن بالله وبمحمد عليه السلام واصحمة تفسيره بالعربية عطية قاله سفيان وغيره وقال قوم نزلت في عبد الله بن سلام وقال ابن زيد ومجاهد نزلت في جميع من ءامن من اهل الكتاب * وقوله سبحانه لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا مدح لهم وذم لسائر كفار اهل الكتاب لتبديلهم واثارهم مكاسب الدنيا على ءاخرتهم وعلى آيات الله سبحانه ثم ختم الله سبحانه السورة بهذه الوصاة التي جعلت الظهور في الدنيا على الاعداء والفوز بنعيم الآخرة فحص سبحانه على الصبر على الطاعات وعن الشهوات وامر بالمصابرة فقليل معناه مصابرة الاعداء فانه زيد بن اسلم وقيل معناه مصابرة وعد الله في النصر قاله محمد بن كعب القرظي اي لا تسأموا وانتظروا الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة قال الفخر والمصابرة عبارة عن تحمل المكاره الواقعة بين الانسان وبين الغير انتهت وقوله واربطوا معناه عند الجمهور رابطوا اعداءكم الخيل اي ارتبطوها كما يرتبطها اعداؤكم قلت وروى مسلم في صحيحه عن سليمان قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل واجرني عليه رزقه وامن الفتان وخرج الترمذي عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمو عمله الى يوم القيامة ويامن من فتنة القبر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابو داود

بمعناه وقال ويومن من فتاني القبر وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان ويبعث الله أمانا من الفزع وروى مسلم والبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها انتهى وجاء في فضل الرباط احاديث كثيرة يطول ذكرها قال صاحب التذكرة وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في رمضان افضل عند الله واعظم اجرا أراه قال من عبادة ألفي سنة صيامها وقيامها الحديث ذكره القرطبي مسندا انتهى والرباط هو الملازمة في سبيل الله اصلها من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم لشعر من ثغور الاسلام مرابطا فارسا كان او رجلا واللفظة مأخوذة من الربط قلت قال الشيخ زين الدين العراقي في اختصاره لغريب القرآن لابي حيان معنى رابطوا دوموا وثابتوا ومتى ذكرت العراقي فمرادى هذا الشيخ انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه ان هذه الآية اصبروا وصابروا وربطوا انما نزلت في انتظار الصلاة خلف الصلاة قاله ابوسلمة بن عبد الرحمن قال ولم يكن يومئذ عدو يربط فيه انتهى وقوله سبحانه لعلمكم تفاحون ترج في حق البشر والحمد لله حق حمده

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء مدنية

الآية واحدة نزلت بمكة عام الفتح وهي ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى

اهلها الآية وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني قد بنى بها * قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الآية في الآية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود وفيها حص على التواصل لحكمة هذا النسب والمراد بالنفس ادم صلى الله عليه وسلم وقال واحدة على تانيث لفظ النفس وزوجها يعنى حواء قال ابن عباس وغيره خلق الله ادم وحشا في الجنة وحده ثم نام فانتزع الله احدى اضلاعه القصيرى من شماله وقيل من يمينه فخلق منها حواء ويعضد هذا الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع اعوج الحديث وبث معناه نشر كقوله تعالى كالفراس المبوث اي المنتشر وفي تكرير الامر بالتقوى تاكيد لنفوس المأمورين وتساءلون معناه تتعاطفون به فيقول احذكم اسألك بالله وقوله والارحام اي واتقوا الارحام وقرأ حمزة والارحام بالخفض عطفا على الضمير كقولهم اسألك بالله وبالرحم قاله مجاهد وغيره قال * ع * وهذه القراءة عند نحاة البصرة لا تجوز لانه لا يجوز عندهم ان يعطف ظاهر على مضمير مخفوض الا في ضرورة الشعر كقوله * فاذهب فما بك ولايام من عجب * لان الضمير المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف واستسهل بعض النحاة هذه القراءة انتهى كلام * ع * قال * ص * والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كمذهب الكوفيين ولا ترد القراءة المتواترة بمثل مذهب البصريين قال وقد اعنا الكلام عليه في قوله تعالى وكفر به والمسجد الحرام انتهى وهو حسن ونحوه للامام الفخر وفي قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا ضرب من الوعيد قال المحاسبى سألت ابا جعفر محمد بن موسى فقلت اجمل حالات العارفين ما هي فقال ان

الحال التي تجمع لك الحالات المحمودة كلها في حالة واحدة هي المراقبة
فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله اليك في حركتك وسكونك وجميع
احوالك فانك بعين الله عز وجل في جميع تقلباتك وانك في قبضته
حيث كنت وان عين الله على قلبك وناظر الى سرّك وعلايتك فهذه الصفة
يا فتى بجرليس له شط بحر تجرى منه السواقي والانهار وتسير فيه السفن الى
معادن الغنيمة انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه * وقوله سبحانه واتوا
اليتمى اموالهم الآية قال ابن زيد هذه مخاطبة لمن كانت عاداته من العرب
ان لا يرث الصغير من الاولاد وقالت طائفة هذه مخاطبة للأوصياء قال ابن
العربي وذلك عند الابتلاء والارشاد انتهى * وقوله ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب قال ابن المسيب وغيره هو ما كان يفعل بعضهم من ابدال الشاة السمينة
من مال اليتيم بالهزيلة من ماله والدرهم الطيب بالزائف وقيل المراد لا تاكلوا
اموالهم خبيثا وتدعوا اموالكم طيبا وقيل غير هذا والطيب هنا الحلال والخبيث
الحرام وقوله الى اموالكم التقدير ولا تضيفوا اموالهم الى اموالكم في الاكل والضمير
في انه عائد على الاكل والحبوب الاثم قاله ابن عباس وغيره وتحبب الرجل اذا
لقى الحوب عن نفسه وكذلك تحنت وتائم وتحرج فان هذه الاربعة بخلاف
تفعل كله لان تفعل معناه الدخول في الشيء كتعبد وتكسب وما اشبهه
ويالحق بهذه الاربعة تفكّهون في قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فظلم
تفكّهون اي تطرحون الفكاهة عن انفسكم * وقوله تعالى كبيرا نص على ان اكل
مال اليتيم من الكبائر * وقوله تعالى وان خفتن لا تقسطوا في اليتامى الآية قال ابو
عبدة خفتن هاهنا بمعنى ايقنتم قال * ع * وما قاله غير صحيح ولا يكون
الخوف بمعنى اليقين بوجه وانما هو من افعال التوقع الا انه قد يميل فيه الظن

الى احدى الجهتين قلت وكذا رد الداودي على ابى عبيدة ولفظه وعن ابى
عبيدة فان خفتم لا تعدلوا مجازة ايقنتم قال ابو جعفر بل هو على ظاهر الكلمة
انتهى وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط الرجل اذا عدل وقسط اذا جار قالت
عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في اولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال
وليائهم فيريدون ان يبخسوهن في المهر لمكان ولا يتهم عليهن ف قيل لهم اقسطوا
في مهرهن فمن خاف لا يقسط فليتزوج ما طاب له من الاجنبيات اللواتي
يكايسن في حقوقهن وقاله ربعة قال الحسن وغيره ما طاب معناه ما حل وقيل
ما ظرفية اي ما دتم تستحسنون النكاح وضعف قلت وفي تضعيفه نظر فتأمل
قال الامام الفخر وفي تفسير ما طاب بما حل نظر وذلك ان قوله تعالى فانكحوا
امر اباحة فلو كان المراد بقوله ما طاب لكم اي ما حل لكم لتنزلت الآية منزلة
ما يقال ابحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك يخرج الآية عن
الفائدة ويصيرها مجملة لا محالة اما اذا حملنا طاب على استطابة النفس وميل
القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وقد ثبت في اصول الفقه انه اذا وقع
التعارض بين الاجمال والتخصيص كان رفع الاجمال اولى لان العام المخصص
حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا انتهى وهو حسن ومثنى
وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب على البدل من ما طاب وهي نكرات لا
تنصرف لانها معدولة وصفة * وقوله فواحدة اي فانكحوا واحدة او ما ملكت
ايمانكم يريد به الاماء والمعنى ان خاف ان لا يعدل في عشرة واحدة فما ملكت
يمينه واسند الملك الى اليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن
لا ترى انها المنفقة كما قال عليه السلام حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه
وهي المعاهدة المباعدة قال ابن العربي قال علماءنا وفي الآية دليل على ان ملك

اليمين لا حق له في السوط والقسم لان المعنى فان خفتم لا تعدلوا في القسم فواحدة او ما ملكت ايمانكم فجعل سبحانه ملك اليمين كله بمنزلة الواحدة فانتفى بذلك ان يكون للامة حق في وطه او قسم انتهى من الاحكام * وقوله ذلك ادنى لا تعولوا ادنى معناه اقرب لا تعولوا اي لا تميلوا قاله ابن عباس وغيره وقالت فرقة معناه ادنى لا يكثر عيالكم وقدح في هذا الزجاج وغيره * وقوله تعالى واثوا النساء صدقاتهن نحلة الآية قال ابن عباس وغيره الآية خطاب للازواج وقال ابو صالح هي خطاب لاولياء النساء لان عادة بعض العرب كانت ان ياكل ولي المرأة مهرها فرفع الله ذلك بالاسلام وقيل ان الآية في المتشاورين الذين يتزوجون امرأة باخرى فامروا ان يضربوا المهور قال * ع * والآية تتناول هذه التاويلات الثلاث ونحلة اي عطية منكم لهن وقيل نحلة معناه شرعة مأخوذ من النحل وقيل التقدير نحلة من الله لهن قال ابن العربي وذلك ان النحلة في اللغة العطية عن غير عوض انتهى * وقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الآية الخطاب حسبا تقدم من الاختلاف والمعنى ان وهبن غير مكروهات طيبة نفوسهن والضمير في منه يعود على الصداق قاله عكرمة وغيره ومن تتضمن الجنس هاهنا ولذلك يجوز ان تهب المهر كله * وقوله تعالى هنيئا مريئا قال اللغويون الطعام الهنيء هو السائغ المستحسن الحميد المغبة وكذلك المريء * وقوله سبحانه ولا توتوا السفهاء اموالكم قال ابو موسى الاشعري وغيره نزلت في كل من اقتضى الصفة التي شرط الله من السفر كان من كان وقوله اموالكم يريد اموال المخاطبين قاله ابو موسى الاشعري وابن عباس والحسن وغيرهم وقال ابن جبير يريد اموال السفهاء و اضافها الى المخاطبين اذ هي كاموالهم وقيما جمع قيمة * وقوله تعالى وارزقوهم فيها الآية قيل معناه فيمن

تلززم الرجل نفقته وقيل في المحجورين من اموالهم ومعروفا قيل معناه ادعوا لهم وقيل معناه عدوهم وعدا حسنا اي ان رشدتم دفعنا لكم اموالكم ومعنى اللفظة كل كلام تعرفه النفوس وتانس اليه ويقتضيه الشرع * وقوله وابتلوا اليتامى الآية الابتناء الاختبار وبلغوا النكاح معناه بلغوا مبلغ الرجال بحلم او حيض او غير ذلك ومعناه جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم وأنستم معناه علمتم وشعرتهم وخبرتم ومالك رحمه الله يرى الشرطين البلوغ والرشد المختبر وحينئذ يدفع المال قال * ع * والبلوغ لم تسقه الآية سياق الشرط ولكنها حالة الغالب على بنى آدم ان تلتئم عقولهم فيها فهو الوقت الذى لا يعتبر شرط الرشد لافيه فقال اذا بلغ ذلك الوقت فلينظر الى الشرط وهو الرشد حينئذ وفصاحة الكلام تدل على ذلك لان التوقيت بالبلوغ جاء باذا والمشروط جاء بان التى هي قاعدة حروف الشرط واذا ليست بحرف شرط الا فى ضرورة الشعر قال ابن عباس الرشد فى العقل وتدبير المال لا غير وهو قول ابن القاسم فى مذهبنا وقال الحسن وقتادة الرشد فى العقل والدين وهو رواية ايضا عن مالك * وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا نهي منه سبحانه للاوصياء عن اكل اموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم والاسراف الافراط فى الفعل والسرف الخطأ فى مواضع الانفاق وبدارا معناه مبادرة كبرهم اي ان الوصي يستغنم مال محجورة وان يكبروا نصب ببدار ويجوز ان يكون التقدير مخافة ان يكبروا * وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف يقال عف الرجل عن الشيء واستعفف اذا امسك فامر الغني بالامسак عن مال اليتيم واباح الله للوصي الفقير ان ياكل من مال يتيمة بالمعروف واختلف العلماء فى حد المعروف فقال ابن عباس وغيره انما ياكل الوصي بالمعروف اذا شرب من اللبن واكل من الثمر بما يهنا الجرباء ويلط الحوض ويجد الثمر وما اشبهه

قلت يقال للقطران الهناء في لغة العرب كذا رأيته منصوفا عليه * وقوله تعالى فاذا
دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم امر من الله تعالى بالتحرز والحزم وهذا هو
الاصل في الاشهاد في المدفوعات كلها اذا كان حبسها اولا معروفا قال * ع *
ولاظهر ان حسيبا هنا معناه حاسبا اعمالكم ومجازيا بها ففي هذا وعيد لكل جاحد
حق * وقوله سبحانه للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية قال
قتادة وغيره سبب نزول هذه الآية ان العرب كان منها من لا يورث النساء
ويقولون لا يرث الا من طامن بالرمح وقاتل بالسيف * وقوله تعالى واذا حضر
القسمتة اولوا القربى الآية اختلف فيمن خوطب بهذه الآية ف قيل الخطاب
للوارثين وقيل للمحتضرين والمعنى اذا حضركم الموت ايها المومنون وقسمتم
اموالكم بالوصية وحضركم من لا يرث من ذوى القرابة واليتامى فارزقوهم منه قاله
ابن عباس وغيره واختلف هل هي منسوخة بآية المواريث او هي محكمة وعلى انها
محكمة فهل الامر على الوجوب فيعطى لهم ما خف او على الندب خلاف والضمير
في قوله فارزقوهم وفي قوله لهم عائد على الاصناف الثلاثة والقول المعروف كل ما
يتأنس به من دعاء او عدة او غير ذلك * وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم الآية اختلف من المراد في هذه الآية فقال ابن عباس وغيره المراد من
حضر ميتا حين يوصى فيقول له قدم لنفسك واعط لفلان وفلان ويؤدى الورثة
بذلك فكان الآية تقول لهم كما كنتم تخشون على ورثتكم وذريتكم بعدكم
فكذلك فاحشوا على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله وتركهم عالة وقال
مقسم وحضرمي نزلت في عكس ذلك وهو ان يقول للمحتضر اسك على
ورثتك وابق لولدك وينهاه عن الوصية فيضر بذلك ذوى القربى واليتامى
والمساكين وكل من يستحق ان يوصى له ف قيل لهم كما كنتم تخشون على

ذريتكم وتسرون بان يحسن اليهم فكذلك فسددوا القول في جهة اليتامى
والمساكين قال * ع * والقولان لا يطردان في كل الناس بل الناس صنفان
يصلح لاحدهما القول الواحد وللآخر القول الثانى وذلك ان الرجل اذا ترك
ورثة اغنياء حسن ان يندب الى الوصية ويحمل على ان يقدم لنفسه واذا ترك
ورثة ضعفاء مقلين حسن ان يندب الى الترك لهم ولاحتياط فان اجره في قصد
ذلك كاجرته في المساكين فالمراعى انما هو الضعف فيجب ان يمال معه وقال
ابن عباس ايضا المراد بالآية ولالة الايتام فالمعنى احسنوا اليهم وسددوا القول
لهم واتقوا الله في اكل اموالهم كما تخافون على ذريتكم ان يفعل بهم خلاف
ذلك وقالت فرقة بل المراد جميع الناس فالمعنى امرهم بالتقوى في الايتام
واولاد الناس والتسديد لهم في القول وان لم يكونوا في حجبهم كما يريد كل احد
ان يفعل بولده بعده والسديد معناه المصيب للحق * وقوله تعالى ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية اكثر الناس ان الآية نزلت في الاوصياء
الذين ياكلون ما لم يبح لهم من اموال اليتامى وهى تتناول كل اكل وان لم
يكن وصيا وورد في هذا الوعيد احاديث منها حديث ابى سعيد الخدري قال
حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال رأيت قوما لهم مشافر
كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافهم ثم يجعل في افواههم صخرا من
نار تخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما قلت تأمل رجلك الله صدر هذه السورة معظمه انما هو في شان
الاجوفين البطن والفرج مع اللسان وهما المهلكان واعظم الجوارح افة وجناية
على الانسان وقد روينا عن مالك في الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من وقاه الله شرائنتين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه ما بين

لحييه وما بين رجله ما بين لحييه وما بين رجله قال ابو عمر بن عبد البر
في التمهيد ومعلوم انه اراد صلى الله عليه وسلم ما بين لحييه اللسان وما بين
رجليه الفرج والله اعلم ولهذا اردف مالك حديثه هذا بحديثه عن زيد بن
اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب دخل على ابي بكر رضي الله تعالى عنه وهو
يجبذ لسانه فقال له عمر مـ غفر الله لك فقال ابو بكر ان هذا اوردني الموارد
قال ابو عمرو في اللسان اثار كثيرة ثم قال ابو عمرو عن ابي هريرة ان اكثر ما
يدخل الناس النار الاجوفان البطن والفرج ثم اسند ابو عمر عن سهل بن سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتكفل لي بما بين لحييه وما بين
رجليه وضمن له الجنة ومن طريق جابر نحوه انتهى والصلى هو التسخن
بقرب النار او بمباشرتها والمجترق الذي يذهب الحرق ليس بصال الا في بدء
امره واهل جهنم لا تذهبهم النار فهم فيها صالون اعادنا الله منها بجوده وكرمه
والسعير الجمر المشتعل وهذه آية من آيات الوعيد والذي يعتقد اهل السنة
ان ذلك نافذ على بعض العصاة ليلا يقع الخبر بخلاف مخبره ساقط بالمشيئة
عن بعضهم * وقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الآية تتضمن الفرض والوجوب
قال نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع وقيل بسبب جابر بن عبد الله *
وقوله للذكر مثل حظ الانثيين اي حظ مثل حظ الانثيين * وقوله فوق اثنتين
معناه اثنتين فما فوقهما تقتضى ذلك قوة الكلام واما الوقوف مع اللفظ فيسقط
معه النص على اثنتين ويشبث الثلثان لهما بالاجماع ولم يحفظ فيه خلاف الا ما
روي عن ابن عباس انه يرى لهما النصف ويشبث لهما ايضا ذلك بالقياس
على الاختين وبحديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للابنتين
بالثلثين * وقوله سبحانه فان لم يكن له ولد المعنى ولا ولد ذكر كان او انشى

فلامه الثلث اي وللاب الثلثان * وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس اي كانوا اشقاء او للاب او للام والاجماع على انهم لا ياخذون السدس الذى يحبون الام عنه وكذا اجمعوا على ان اخوين فصاعدا يحبون الام عنه لا ما روي عن ابن عباس من ان الاخوين في حكم الواحد وقدم الوصية في اللفظ اهتماما بها وندبا اليها اذ هي اقل لزوما من الدين وايضا قدمها لان الشرع قد حص عليها فلا بد منها والدين قد يكون وقد لا يكون وايضا قدمها اذ هي حظ مساكين وضعاف وآخر الدين لانه حق غريم يطلبه بقوة وله فيه مقال واجمع العلماء على ان الدين مقدم على الوصية والاجماع على انه لا يوصى باكثر من الثلث واستحب كثير منهم ان لا يبلغ الثلث * وقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم رفع بالابتداء والخبر مضمرة تقديره هم المقسوم عليهم او هم المعطون وهذا عرض للحكمة في ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة قال ابن زيد قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يعنى في الدنيا والآخرة قال الفخر وفي الآية اشارة الى الانقياد الى الشرع وترك ما يميل اليه الطبع انتهى * وقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد الآية الولد هنا في هذه الآية وفي التي بعدها هم بنو الصلب وبنو ذكورهم وان سفلوا والكلالة خلوا الميت عن الوالد والولد هذا هو الصحيح * وقوله تعالى وله اخ او اخت الآية الاجماع على ان الاخوة في هذه الآية الاخوة للام واما حكم سائر الاخوة سواء هم فهو المذكور في آخر السورة وقرأ سعد بن ابى وقاص وله اخ او اخت لأمه والانثى والذكر في هذه النازلة سواء باجماع * وقوله سبحانه غير مضار قال ابن عباس المضار في الوصية من الكبائر ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مضار في وصيته القاه الله تعالى في واد في

جهنم قال * ع * وجوه المضارة كثيرة من ذلك ان يقر بحق ليس عليه اويوصي باكثر من ثلثه اولوارثه قال * ص * غير مضار منصوب على الحال اي غير مضار ورثته انتهى قلت وتقدير ابي حيان ورثته ياباه فصاحة الفاظ الآية اذ مقتضاها العموم فلو قال غير مضار ورثته او غيرهم لكان احسن لكن الغالب مضارة الورثة فلهذا قدرهم * وقوله تعالى تلك حدود الله الآية تلك اشارة الى القسمة المتقدمة في المواريث وباقي الآية بين * وقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الآية الفاحشة في هذا الموضع الزنا وقوله من نسائكم اضافة في معناها لاسلام وجعل الله الشهادة على الزنا خاصة لا تتم الا باربعة شهداء تغليظا على المدعى وسنرا على العباد قلت ومن هذا المعنى اشتراط رؤية كذا في كذا كالسرود في المكحلة قال * ع * وكانت اول عقوبة الزناة الامساك في البيوت ثم نسخ ذلك بالاذى الذي بعده ثم نسخ ذلك بآية النور وبالرجم في الثيب قاله عبادة بن الصامت وغيره وعن عمران بن حصين انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحي ثم اقلع عنه وجهه محمرا فقال قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم خرجته مسلم وهو خبر آحاد ثم ورد في الخبر المتواتر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد فمن قال ان السنة المتواترة تنسخ القروان جعل رجم الرسول دون جلد ناسخا لجلد الثيب وهذا الذي عليه الامة ان السنة المتواترة تنسخ القروان اذ هما جميعا وحي من الله سبحانه ويوجبان جميعا العلم والعمل ويتجه عندي في هذه النازلة بعينها ان يقال ان الناسخ لحكم الجلد هو القروان المتفق على رفع لفظه وبقاء حكمه في قوله تعالى الشيخ والشيخة فارجوها البتة وهذا نص في الرجم وقد

قرره عمر على المنبر بمحضر الصحابة والحديث بكماله في مسلم والسنة هي
المبينة ولفظ البخاري او يجعل الله لمن سيلا الرجم للثيب والجلد للبكر انتهى
* وقوله تعالى والذان ياتيانها منكم الآية قال مجاهد وغيره الآية الاولى في النساء
عموما وهذه في الرجال فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الاذى وهذا قول
يقتضيه اللفظ ويستوفى نص الكلام اصناف الزناة عامة ويؤيده من جهة اللفظ
قوله في الاولى من نسائكم وقوله في الثانية منكم واجمع العلماء على ان هاتين
الآيتين منسوختان كما تقدم * وقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة الآية قال * ص * التوبة مبتدأ على حذف مضاف اي قبول التوبة
انتهى قال * ع * انما حاصرة وهو مقصد المتكلم بها ابدا فقد تصادف من
المعنى ما يقتضى العقل فيه الحصر كقوله تعالى انما الله واحد وقد لا تصادف
ذلك كقوله انما الشجاع عنزة وهي في هذه الآية حاصرة اذ ليست التوبة الا لهذا
الصنف المذكور وتصح التوبة وان نقصها التائب في ثاني حال بمعاودة الذنب
فان التوبة الاولى طاعة قد انقضت وصحت وهو محتاج بعد واقعة الذنب
الى توبة اخرى مستأنفة وتصح ايضا التوبة من ذنب مع الاقامة على غيره
من غير نوعه خلافا للمعتزلة في قولهم لا يكون تائبا من اقام على ذنب * وقوله
تعالى على الله اي على فضل الله ورجته لعباده وهذا نحو قوله صلى الله عليه
وسلم ما حق العباد على الله انما معناه ما حقه على فضله ورجته والعقيدة انه
لا يجب على الله تعالى شيء عقلا والسوء في هذه الآية يعم الكفر والمعاصي وقوله
تعالى بجهالة معناه بسفاهة وقلة تحصيل ادى الى المعصية وليس المعنى ان
تكون الجهالة بان ذلك الفعل معصية لان المتعمد للذنوب كان يخرج من
التوبة وهذا فاسد اجاعا وما ذكرته في الجهالة قاله اصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم ذكر ذلك عنهم ابو العالية وقال قتادة اجتمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ان كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت او جهلا وقال به ابن عباس ومجاهد والسدي وروي عن مجاهد والضحاك انهما قالا الجهالة هنا العمد وقال عكرمة امور الدنيا كلها جهالة قال * ع * يريد الخاصة بها الخارجية عن طاعة الله سبحانه وهذا المعنى عندى جار مع قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو واختلف المتأولون في قوله تعالى من قريب فقال ابن عباس والسدي معنى ذلك قبل المرض والموت وقال الجمهور معنى ذلك قبل المعاناة للملائكة والسوق وان يغلب المرء على نفسه وروى ابو قلابة ان الله تعالى لما خلق ادم فراه ابليس اجوف ثم جرى له ما جرى ولعن وانظر قال وعزتك لا برحت من قلبه ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا احجب عنه التوبة ما دام فيه الروح قال * ع * فابن عباس رضي الله عنه ذكر احسن اوقات التوبة والجمهور حدوا اخر وقتها وروى بشير بن كعب والحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ ويغلب على عقله قال * ع * لان الرجاء فيه باق ويصح منه الندم والعزم على الترتك وقوله تعالى من قريب انما معناه من قريب الى وقت الذنب ومدة الحياة كلها قريب والمبادرة في الصحة افضل قلت بل المبادرة واجبة * وقوله تعالى وكان الله عليا اي بمن يتوب وييسره هو سبحانه للتوبة حكيما فيما ينفذه من ذلك وفي تأخير من يؤخر حتى يهلك ثم نفى بقوله تعالى وليست التوبة الآتية ان يدخل في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز الياس كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والعرق فلم ينفعه ما اظهره من لايمان وبهذا قال ابن عباس وجاعة المفسرين قال * ع * والعقيدة عندى في هذه الآيات

ان من تاب من قريب فله حكم التائب فيغلب الظن عليه انه ينعم ولا يعذب
هذا مذهب ابى المعالى وغيره وقال غيرهم بل هو مغفور له قطعا لاخبار الله تعالى
بذلك وابو المعالى يجعل تلك الاخبار طواهر مشروطة بالمشيئة ومن لم يتب
حتى حضره الموت فليس فى حكم التائبين فان كان كافرا فهو يخلد وان كان
مومنا فهو عاص فى المشيئة لكن يغلب الخوف عليه ويقوى الظن فى تعذيبه
ويقطع من جهة السمع ان من هذه الصنفية من يغفر الله تعالى له تفضلا منه
لايعذبه وأعلم الله تعالى ايضا ان الذين يموتون وهم كفار فلا مستعتب لهم ولا توبة فى
الآخرة * وقوله تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ان كانت الاشارة الى الذين
يموتون وهم كفار فقط فالعذاب عذاب خلود مؤبد وان كانت الاشارة اليهم والى
من ينفذ عليه الوعيد ممن لا يتوب الا مع حضور الموت فهو فى جهة هؤلاء عذاب لا
خلود معه واعتدنا معناه يسرناه واحضرناه * قوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا يحل
لكم ان تراثوا النساء كرها الآية قال ابن عباس كانوا فى الجاهلية اذا مات الرجل
كان اولياؤه احق بامراته من اهلها ان شاموا تزوجها احدهم وان شاموا زوجوها
من غيرهم وان شاموا منعوها الزواج فنزلت الآية فى ذلك وقال بعض المتأولين
معنى الآية لا يحل لكم عضل النساء اللواتى انتم اولياء لهن وامساكن دون
تزويج حتى يمتن فتورث اموالهن قال * ع * فعلى هذا القول فالمرورث
مالها لا هي وروي نحو هذا عن ابن عباس * وقوله تعالى ولا تعضلوهن الآية قال
ابن عباس وغيره هي ايضا فى اولئك الاولياء الذين كانوا يرثون المرأة لانهم
كانوا يتزوجونها اذا كانت جيلة ويمسكونها حتى تموت اذا كانت دميمة وقال
نحوه الحسن وعكرمة وقال ابن عباس ايضا هي فى الازواج فى الرجل يمسك
المرأة ويسمى عشرتها حتى تفتدي منه فذلك لا يحل له وقال مثله قتادة وهو

اقوى لافوال ودليل ذلك قوله لا ان ياتين بفاحشة واذا اتت بفاحشة فليس للولي حبسها حتى يذهب بمالها اجماعا من الامة وانما ذلك للزوج على ما سنبنه الآن ان شاء الله وكذلك قوله عاشروهن الى ماخر الآية يظهر منه تقوية ما ذكرته واختلف في معنى الفاحشة هنا فقال الحسن بن ابى الحسن هو الزنا قال ابو قلابة اذا زنت امرأة الرجل فلا باس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وقال السدي اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن قلت وحديث المتلاعنين يضعف هذا القول لقوله صلى الله عليه وسلم فذاك بما استحلت من فرجها الحديث وقال ابن عباس وغيره الفاحشة في هذه الآية البغض والنشوز فاذا نشزت حل له ان ياخذ مالها قال * ع * وهو مذهب مالك وقال قوم الفاحشة البذاء باللسان وسوء العشرة قولا وفعلًا وهذا في معنى النشوز قال * غ * والزنا اصعب على الزوج من النشوز ولاذى وكل ذلك فاحشة تحل اخذ المال * وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف امر يعم لازواج والاولياء ولكن المتلبس في الاغلب بهذا الامر لازواج والعشرة المخالطة والممازجة * وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال السدي الخير الكثير في المرأة الولد وقال نحوه ابن عباس قال * ع * ومن فصاحة القروان العموم الذى في لفظة شيء لانه يطرد هذا النظر في كل ما يكره المومما يجعل الصبر عليه ويحسن اذ عاقبة الصبر الى خير اذا اريد به وجه الله * وقوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية لما مضى في الآية المتقدمة حكم الفراق الذى سببه المرأة وان للزوج اخذ المال منها عقب ذلك بذكر الفراق الذى سببه الزوج والمنع من اخذ مالها مع ذلك وقال بعض الناس يوخذ من الآية جواز المغالاة بالمهور وقال قوم لا تعطى الآية ذلك لان التمثيل انما جاء على جهة المبالغة والبهتان

مصدر في موضع الحال ومعناه مبهتائم وظ تعالى عباده وافضى معناه باشر وقال مجاهد وغيره لافضاء في هذه الآية الجماع قال ابن عباس ولكن الله كريم يَكْنَى واختلف في المراد بالميثاق الغليظ فقال الحسن وغيره هو قوله تعالى فامسك بمعروف او تسريح باحسان وقال مجاهد وابن زيد الميثاق الغليظ عقدة النكاح وقول الرجل نكحت وملكت النكاح ونحوه فهذه التي بها تستحل الفروج وقال عكرمة والربيع الميثاق الغليظ يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء لا ما قد سلف سبب الآية ما اعتادته بعض قبائل العرب ان يخلف ابن الرجل على امرأة ابيه وقد كان في العرب من تزوج ابنته وهو حاجب بن زُرارة واختلف في مقتضى الفاظ الآية فقالت فرقة قوله ما نكح يريد النساء اي لا تنكحوا النساء اللواتي نكح اباؤكم وقوله لا ما قد سلف معناه ولكن ما قد سلف فدعوه وقال بعضهم المعنى لكن ما قد سلف فهو معفو عنكم لمن كان واقعه فكانه قال ولا تفعلوا حاشا ما قد سلف وقالت فرقة معناه لا تنكحوا كما نكح اباؤكم من عقودهم الفاسدة لا ما قد سلف منكم من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم لاقامة عليه في الاسلام اذا كان مما يقرر لاسلام عليه وقيل لا ما قد سلف فهو معفو عنكم وقال ابن زيد معنى الآية النهي عن ان يطأ الرجل امرأة وطئها الاب لا ما سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا بالنساء لا على وجه المناكحة فذلك جائز لكم لان ذلك الزنا كان فاحشة والمقت البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها المقوت وساء سبيلا اي بشئ الطريق والمنهج لمن يسلكه اذ عاقبته الى عذاب الله قال * ص * ساء للمبالغة في الذم كبئس وسبيلا تفسيره والمخصوص بالذم

محذوف اي سبيل هذا النكاح كقوله تعالى بيس الشراب اي ذلك الماء انتهى * وقوله سبحانه حرمت عليكم امهاتكم الآية حكم حرم الله به سبعا من النسب وستا من بين رضاع وصهر والحقت السنة المتواترة سابعة وهي الجمع بين المرأة وعمتها ومضى عليه الاجماع وروي عن ابن عباس انه قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع وتلا هذه الآية وقال عمرو بن سالم مثل ذلك وجعل السابعة قوله تعالى والمحصنات * وقوله تعالى وامهات نسائكم اي سواء دخل بالبنت او لم يدخل فبالعقد على البنت حرمت لام هذا الذى عليه الجمهور * وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم ذكر الاغلب من هذه الامور اذ هذه حالة الربيبة في الاكثر وهي محرمة وان لم تكن في الحجر ويقال جربكسر الحاء وفتحها وهو مقدم ثوب للانسان وما بين يديه منه ثم استعملت اللفظة في الحفظ والستر * وقوله اللاتي دخلتم بهن قال ابن عباس وغيره الدخول هنا الجماع وجمهور العلماء يقولون ان جميع انواع التلذذ بالام يحرم الابنة كما يحرمها الجماع والحلائل جمع حليلة لانها تحل مع الزوج حيث حل فهي فعيلة بمعنى فاعلة وذهب الزجاج وقوم الى انها من لفظة الحلال فهي حليلة بمعنى محللة * وقوله تعالى الذين من اصلا بكم يخرج من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وحرمت حليلة الابن من الرضاع وان لم يكن للصلب بالاجاع المستند الى قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب * وقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين لفظ يعم الجمع بنكاح وبملك يمين واجعت الامة على منع جميعها بنكاح ولا خلاف في جواز جمعها بالملك ومذهب مالك ان له ان يطأ ايتها شاء والكف عن الاخرى موكل الى امانته فان اراد وطء الاخرى فيلزمه ان يحرم فرج الاولى بعثق او كتابة او غير ذلك وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه نهى ان يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها واجعت لامة على ذلك * وقوله تعالى لا ما قد سلف استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وازاله للاسلام فان الله تعالى يغفره ولاسلام يَجِبُهُ * وقوله تعالى والمحصنات عطا على المحرمات قيل والتحصن التمتع ومنه الحصن وحصنت المرأة امتنعت بوجه من وجوه الامتناع واحصنت نفسها واحصنها غيرها والاحصان تستعمله العرب في اربعة اشياء وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله عز وجل فتستعمله في الزواج لان ملك الزوج منعة وحفظ وتستعمله في الحرية لان الاماء كان عرفهن في الجاهلية الزنا والحرمة بخلاف ذلك لا ترى الى قول هند وهل تزنى الحرمة وتستعمله في الاسلام لانه حافظ وتستعمله في العفة لانها اذا ارتبط بها انسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحفظ وحيث ما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها تخرج عن هذه المعاني لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض كما سيأتي بيانه في اماكنه ان شاء الله فقوله سبحانه في هذه الآية والمحصنات قال فيه ابن عباس وغيره هن ذوات الازواج محرمات لا ما ملكت اليمين بالسبي وروي عن ابن شهاب انه سئل عن هذه الآية والمحصنات من النساء فقال نرى انه حرم في هذه الآية ذوات الازواج والعفاف من حرائر ومملوكات ولم يحل شيء من ذلك لا بنكاح او شراء او تملك وهذا قول حسن عثم لفظ الاحصان ولفظ ملك اليمين وذلك راجع الى ان الله حرم الزنا قال عبدة السلماني وغيره قوله سبحانه كتاب الله عليكم اشارة الى ما ثبت من القرآن من قوله سبحانه مثني وثلاث ورباع وفي هذا بعد ولا ظهران قوله كتاب الله عليكم انما هو اشارة الى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما كانت الجاهلية تفعله قال الفخر وكتاب الله عليكم مصدر من غير

لفظ الفعل قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون عليكم خبرا
له فيكون المعنى الزموا كتاب الله انتهى وفي التهيد لا بى عمر بن عبد البر
كتاب الله عليكم اي حكمه فيكم وقضاؤه عليكم انتهى * وقوله سبحانه واحل لكم
ما وراء ذلكم قال عطاء وغيره المعنى واحل لكم ما وراء من حرم قلت اي على ما
علم تفصيله من الشريعة قال * ع * وان تبتغوا باموالكم لفظ يجمع التزوج
والشراء ومحصنين معناه متعفيين اي تحصنون انفسكم بذلك غير مسافحين اي
غير زناة والسفاح الزنا * وقوله سبحانه فما استمتعتم به منهن فأتوهن اجورهن
قال ابن عباس وغيره المعنى فاذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء ولو مرة فقد
وجب اعطاء الاجر وهو المهر كله وقال ابن عباس ايضا وغيره ان الآية نزلت في
نكاح المتعة قال ابن المسيب ثم نسخت قال * ع * وقد كانت المتعة في صدر
الاسلام ثم نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما
تراضيتن به اي من حط او تأخير بعد استقرار الفريضة ومن قال بان الآية المتقدمة في
المتعة قال لاشارة بهذه الى ان ما تراضيا عليه من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الاجر
جائز * وقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الآية قال ابن عباس وغيره الطول
هنا السعة في المال وقاله مالك في المدونة فعلى هذا التاويل لا يصح للحر ان يتزوج
الامة الا باجتماع شرطين عدم السعة في المال وخوف العنت وهذا هو نص مالك في
المدونة قال مالك في المدونة وليست الحرية تحته بطول ان خشي العنت وقال في
كتاب محمد ما يقتضى ان الحرية بمثابة الطول قال الشيخ ابو الحسن اللخمي وهو
ظاهر القروان ونحوه عن ابن حبيب وقال ابو حنيفة وجود الحرية تحته لا يجوز معه
نكاح الامة وقاله الطبري وتقول طال الرجل طولا بفتح الطاء اذا تفصل ووجد
واتسع وطولا بضمها في ضد القصر والمحصنات في هذا الموضع الحرائر والفتاة وان

كانت في اللغة واقعة على الشابة آية كانت فعرها في الاماء وفتى كذلك
والمومنات في هذا الموضع صفة مشترطة عند مالک وجمهور اصحابه فلا يجوز نكاح
امة كافرة عندهم قلت والعلّة في منع نكاح الامّة ما يؤول اليه الحال من استرقاق
الولد * وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض معناه والله اعلم ببواطن
الامور ولكم طواهرها فاذا كانت الفتاة طاهرها لايمان فنكاحها صحيح وفي اللفظ
ايضا تنبيه على انه ربما كان ايمان امة افضل من ايمان بعض الحرائر فلا تعجبوا
بمعنى الحرية والمقصد بهذا الكلام ان الناس سواء بنو الحرائر وبنو الاماء اكرمهم
عند الله انتقامهم وفي هذا توطئة لنفوس العرب التي كانت تستهجن ولد الامّة
* وقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن معناه بولاية اربابهن المالكين وءاتوهن
اجورهن اي مهورهن بالمعروف معناه بالشرع والسنة ومحضات الطاهران
بمعنى عفيفات قال * ص * محضات منصوب على الحال والطاهران العامل
وءاتوهن ويجوز ان يكون العامل فانكحوهن محضات اي غنائف انتهى
والمسافحات الزواني المتبذلات اللواتي هن سوق للزنا ومتخذات لالاخذان هن
المستترات اللواتي يصحبن واحدا واحدا ويزنين خفية وهذان كانا نوعين في زنا
الجاهلية قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى فاذا احصن الآية اي تزوجن قال
الزهري وغيره فالمتزوجة محدودة بالقراءان والمسلمة غير المتزوجة محدودة بالحديث
وفي مسلم والبخاري انه قيل يا رسول الله الامّة اذا زنت ولم تحصن فواجب
عليها الحد والفاحشة هنا الزنا قال * ص * وجواب اذا فان اتين وجوابه
انتهى والمحضات في هذه الآية الحرائر اذ هي الصفة المشروطة في الحد الكامل
والرجم لا يتنصف فلم يُرد في الآية باجماع والعنت في اللغة المشقة قال ابن
عباس وغيره والمقصد به هنا الزنا * وقوله تعالى وان تصبروا خير لكم يعني عن نكاح

الاماء قاله ابن عباس وغيره وهذا ندب الى الشرك وعلته ما يؤدي اليه نكاح
الاماء من استرقاق الولد ومهنتهن * وقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم
الآية التفدير عند سيبويه يريد الله لان يبين لكم ويهديكم بمعنى يرشدكم
والسنن الطرق ووجوه الامور وانحائها والذين من قبلنا هم المؤمنون من كل شريعة
* وقوله سبحانه والله يريد ان يتوب عليكم الآية مقصد هذه الآية الاخبار عن ارادة
الذين يتبعون الشهوات فقدمت ارادة الله تعالى توطئة مظهره لفساد ارادة
متبعي الشهوات واختلف المتأولون في تعيين متبعي الشهوات فقال مجاهد هم
الزناة وقال السدي هم اليهود والنصارى وقالت فرقة هم اليهود خاصة لانهم
ارادوا ان يتبعهم المسلمون في نكاح الاخوات من الاب وقال ابن زيد ذلك على
العموم في هؤلاء وفي كل متبع شهوة ورجحه الطبري * وقوله تعالى يريد الله ان
يخفف عنكم الآية اي لما علمنا ضعفكم عن الصبر عن النساء خففنا عنكم باباحة
الاماء قاله مجاهد وغيره وهو ظاهر مقصود الآية ثم بعد هذا المقصد تخرج الآية
مخرج التفصل لانها تتناول كل ما خففه الله سبحانه عن عباده وجعله الدين
يسرا ويقع الاخبار عن ضعف الانسان عاما حسبا هو في نفسه ضعيف يستميله
هواه في الاغلب * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة الآية الاستثناء منقطع المعنى لكن ان كانت تجارة فكلوها واخرج
البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخذ اموال الناس يريد اداها
ادى الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله انتهى * وقوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم ان الله كان بكم رحيم اجمع المتأولون على ان المقصود بهذه الآية النهي
عن ان يقتل بعض الناس بعضا ثم لفظها يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد منه
للقتل او بان يحملها على غرر رتبا مات منه فهذا كله يتناول النهي وقد احتج

عمرو بن العاصي بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا على نفسه منه فقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجه * وقوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الآية اختلف في المشار اليه بذلك فقال طاء ذلك عائد على القتل لانه اقرب مذكور وقالت فرقة ذلك عائد على اكل المال بالباطل وقتل النفس وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نهى عنه من اول السورة وقال الطبري ذلك عائد على ما نهى عنه من اخر وعيد وذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان كل ما نهى عنه قبله الى اول السورة قرن به وعيد قال ابن العربي في احكامه والقول الاول اصح وما عداه محتمل انتهى والعدوان تجاوز الحد قال * ص * عدوانا وظلما مصدران في موضع الحال اي متعددين وظالمين ابو البقاء او مفعول من اجله انتهى واختلف العلماء في الكبائر فقال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب او لعنة او ما اشبه ذلك وقال ابن عباس ايضا كل ما نهى الله عنه فهو كبير وعلى هذا القول ائمة الكلام القاضى وابو المعالي وغيرهما قالوا وانما قيل صغيرة بالاضافة الى اكبر منها والا فهي في نفسها كبيرة من حيث المعصية بالجميع واحد واختلف العلماء في هذه المسألة فجماعة من الفقهاء والمحدثين يرون ان باجتناب الكبائر تكفر الصغائر قطعا واما الاصوليون فقالوا محمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء لا على القطع ومحمل الكبائر عند الاصوليين في هذه الآية اجناس الكفر والآية التي قيدت الحكم فترد اليها هذه المطلقات كلها قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكريما يقتضى كرم الفضيلة ونفي العيوب كما تقول ثوب كريم وهذه اية رجاء وروى ابو حاتم البستي في المسند الصحيح له عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس

على المنبر ثم قال والذي نفسى بيده ثلاث مرات ثم سكت فاكب كل رجل منا يبكى حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع لا فتحت له ثمانية ابواب من الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية انتهى من التذكرة للقرطبي ونحوه ما رواه مسلم عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر قال القرطبي وعلى هذا جماعة اهل التاويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح ان الصغائر تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الصديق وقوله الحق سبحانه واما الكبائر فلا تكفرها الا التوبة منها انتهى قلت وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات انتهى * وقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الآية سبب الآية ان النساء قلن ليتنا استويننا مع الرجال في الميراث وشاركناهم في الغزو وروي ان ام سلمة قالت ذلك او نحوه وقال الرجال ليت لنا في الآخرة حظا زائدا على النساء كما لنا عليهن في الدنيا فنزلت الآية قال * ع * لان في تمنيههم هذا تحكما على الشريعة وتطرقا الى الدفع في صدر حكم الله تعالى فهذا نهى عن كل تمن بخلاف حكم شرعي واما التمنى في الاعمال الصالحة فذلك هو الحسن وقد قال صلى الله عليه وسلم وددت ان اقتل في سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا الحديث وفي غير موضع ولقوله تعالى واسألوا الله من

فضله قال القشيري سمعت الشيخ ابا علي يقول من علامات المعرفة ان لا تسأل حوائجك قلت او كثرت لا من الله تعالى مثل موسى اشتاق الى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة الى رغي ف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير انتهى من التحبير * وقوله تعالى للرجال نصيب الآية قالت فرقة معناه من الاجر والحسنات فكانه قيل للناس لا تتمنوا في امر مخالف لما حكم الله به لا اختيار ترونه انتم فان الله تعالى قد جعل لكل احد نصيبا من الاجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له وهذا قول حسن وفي تعليقه سبحانه النصيب بالاكْتِسَاب حص على العمل وتنبيه على كسب الخير * وقوله سبحانه وسألوا الله من فضله قال ابن جبير وغيره هذا في فضل العبادات والدين لا في فضل الدنيا وقال الجمهور ذلك على العموم وهو الذي يقتضيه اللفظ فقوله وسألوا الله يقتضى مفعولا ثانيا تقديره وسألوا الله الجنة او كثيرا من فضله * وقوله تعالى ولكل جعلنا موالي الآية اي ولكل احد قال ابن عباس وغيره الموالى هنا العصبه والورثة والمعنى ولكل احد جعلنا موالي يرثون مما ترك الوالدان والاقربون * وقوله تعالى والذين رفع بالابتداء والخبر في قوله فاتوهم نصيبهم واختلف من المراد بالذين فقال الحسن وابن عباس وابن جبير وغيرهم هم الاحلاف فان العرب كانت تتوارث بالحلف ثم نسخت بشايات الانفال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال ابن عباس ايضا هم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخی بينهم كانوا يتوارثون بهذه الآية حتى نسخ ذلك بما تقدم وقال ابن المسيب هم الذين كانوا يَتَّبِعُونَ قال * ع * ولفظة المعاقدة والايمان ترجح ان المراد الاحلاف * وقوله الرجال قوامون ببناء مبالغة وهو من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه فقيام الرجال على النساء هو على هذا

الحد وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة يقتضى ان للرجال عليهن استيلاء
قال ابن عباس الرجال امرأ على النساء قال ابن العربي فى احكامه وللرجال
عليهن درجة لفصل القوامية فعليه ان يبذل المهر والنفقة وحسن العشرة
ويجبها ويأمرها بطاعة الله تعالى ويُنهي اليها شعائر الاسلام من صلاة
وصيام وما وجب على المسلمين وعليها الحفظ لماله والاحسان الى اهله
والالتزام لامره فى العجبة وغيرها لا باذنه وقبول قوله فى الطاعات انتهى
وما مصدرية فى الموضعين والصلاح فى قوله فالصالحات هو الصلاح فى
الدين وقانتات معناه مطيعات لازواجهن اوله فى ازواجهن حافظات للغيب
معناه لكل ما غاب عن علم زوجها مما استرعىته وروى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها
اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الآية وقوله بما حفظ الله ما مصدرية تقديره بحفظ الله ويصح ان
تكون بمعنى الذى ويكون العائد فى حفظ ضمير نصب اى بالذى حفظه الله
ويكون المعنى اما حفظ الله ورعايته التى لا يتم امر دونها واما اوامره ونواهي
للنساء فكانها حفظه بمعنى ان النساء يحفظن بازاء ذلك وبقدرة * وقوله تعالى
واللاتى يخافون نشوزهن الآية النشوز ان تتعوج المرأة ويرتفع خلقها
وتستعلى على زوجها واهجروهن فى المضاجع قال ابن عباس يضاجعها ويوليها
ظهره ولا يجامعها وقال مجاهد جنبوا مضاجعتهم وقال ابن جبير هي هجرة الكلام
اى لا تكلموهن واعرضوا عنهم فيقدر حذف تقديره واهجروهن فى سبب المضاجع
حتى يراجعنها * م * قوله فى المضاجع ذكر ابو البقاء فيه وجهين الاول
ان فى على بابها من الظرفية اى اهجروهن فى مواضع الاضطجاع اى اتركوا

مصاجعتهم دون ترك مكالتهم الثانى انها بمعنى السبب اي اهجروهم بسبب المضاجع كما تقول فى هذه الجناية عقوبة انتهى وكونها للظرفية اظهر والله اعلم والضرب فى هذه الآيتة هو ضرب الادب غير المبرح وهو الذى لا يكسر عظما ولا يشين جارة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اضربوا النساء اذا عصيكنم فى معروف ضربا غير مبرح قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح قال بالشراك ونحوه قال ابن العربي فى احكامه قوله عز وجل واضربوهن ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ان لكم على نساكنم حقا لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه وعليهن لا ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفى هذا دليل على ان الناشز لا نفقة لها ولا كسوة وان الفاحشة هي البذاء ليس الزنا كما قال العلماء ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الضرب وبين انه لا يكون مبرحا اي لا يظهر له اثر على البدن انتهى قال * ع * وهذه العظة والهجر والضرب مراتب ان وقعت الطاعة عند احداها لم يتعد الى سائرهما وتبغوا معناه تطلبوا وسبيلا اي الى الاذى وهو التعنيت والتعسف بقول او فعل وهذا نهى عن ظلمهم وحسن هنا الانصاف بالعلو والكبر اي قدره سبحانه فوق كل قدر ويده بالقدرة فوق كل يد فلا يستعلى احد بالظلم على امرأته فالله تعالى بالمرصاد وينظر الى هذا حديث ابى مسعود قال كنت اضرب غلامى فسمعت قائلا يقول اعلم ابا مسعود اعلم ابا مسعود فصرفت وجهى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا العبد الحديث * وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا الآيتة تختلف من المامور بالبعثة فقليل الحكام وقيل المخاطب الزوجان

واليهما تقديم الحكمين وهذا في مذهب مالك ولاول لربيعه وغيره ولا يبعث الحكمان الا مع شدة الخوف والشقاق ومذهب مالك وجمهور العلماء ان الحكمين ينظران في كل شيء ويحملان على الظالم ويمضيان ما رأياه من بقاء او فراق وهو قول علي بن ابي طالب في المدونة وغيرها * وقوله ان يريد اصلاحا قال مجاهد وغيره المراد الحكمان اي اذا نصحا وقصدا الخير بورك في وساطتهما وقالت فرقة المراد الزوجان ولاول اظهر وكذلك الضمير في بينهما يحتمل الامرين ولاظهر انه للزوجين والاتصاف بعليم خبير يناسب ما ذكر من ارادة لاصلاح * وقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا العبادة التذلل بالطاعة واحسانا مصدر والعامل فيه فعل تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا وبذى القربى هو القريب النسب من قبل الاب والام قال ابن عباس وغيره والجار ذو القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الجار الاجنبي وقالت فرقة الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة قال ابن عباس وغيره صاحب الجنب هو الرفيق في السفر وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن ابي ليلى وغيرهم هو الزوجة وقال ابن زيد هو الرجل يعتريك ويلم بك لتنفعه واسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من اصحابه وهما على راحتين فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيصة فقطع قضيبين احدهما معرج وخرج فاعطى صاحبه القويم وحبس هو المعرج فقال له الرجل كنت يا رسول الله احق بهذا فقال له يا فلان ان كل صاحب يصحب الآخر فانه مسئول عن صحابته ولو ساعة من نهار قلت واسند الحافظ محمد بن طاهر المقدسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند

الله خيرهم لصاحبه وخير الحيران عند الله خيرهم لجاره انتهى من صفوة
التصوف وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه اخرجه البخاري واخرجه
ايضا من طريق عائشة رضي الله عنها انتهى وابن السبيل المسافر وسمي ابنه
للزومه له وما ملكت ايمانكم هم العبيد لارقاء قال ابن العربي في احكامه وقد امر
الله سبحانه بالرفق بهم والاحسان اليهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اخوانكم ملككم الله رقابهم فاطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان كلفتموهم فاعينوهم انتهى ونفى سبحانه
محبتة عن من صفته الخيلاء والفخر وذلك ضرب من التوعد يقال خال الرجل يخول
خولا اذا تكبر واعجب بنفسه وخص سبحانه هاتين الصفتين هنا اذ مقتضاهما العجب
والزهو وذلك هو الحامل على الاخلال بالاصناف الذين تقدم امر الله بالاحسان
اليهم * وقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الآية قالت فرقة
الذين في موضع نصب بدل من من في قوله من كان مختالا ومعناه على هذا يبخلون
باموالهم ويامرون الناس يعني اخوانهم ومن هو مظنة طاعتهم بالبخل بالاموال ان
تنفق في شيء من وجوه الاحسان الى من ذكر ويكتمون ما اناهم الله من فضله
يعنى من الرزق والمال فالآية اذن في المؤمنين اي واما الكافرون فاعد لهم عذابا
مهينا وروي ان الآية نزلت في احبار اليهود بالمدينة اذ كتموا امر النبي صلى
الله عليه وسلم وبخلوا به والتوعد بالعذاب المهين لهم واتدنا معناه يسرنا واحضرنا
والعتيد الحاضر والمهين الذي يقتصر به خزي وذل وهو انكى واشد على المعبذب
* وقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رياء الناس الآية الذين في موضع رفع على
القطع والخبر محذوف وتقديره بعد اليوم الآخر معذبون والصحيح الذي عليه

الجمهور ان هذه الآية في المنافقين والقريين فعيل بمعنى فاعل من المقارنة وهي الملازمة والاصطحاب والانسان كله يقارنه الشيطان لكن الموفق عاص له * وقوله تعالى وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر الآية التقدير واي شيء عليهم لو آمنوا وفي هذا الكلام تفجع ما عليهم واستدعاء جميل يقتضى حيلة واشفاقا وكان الله بهم عليما اخبار يتضمن وعيدا وينبه على سوء تواطئهم اي لا ينفعهم كتم مع علم الله بهم * وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية مثقال مفعال من الثقل والذرة الصغيرة الحمراء من النمل وروي عن ابن عباس انه قال الذرة راس النملة وقرأ ابن عباس مثقال نملة قال قتادة عن نفسه ورواه عن بعض العلماء لان تفضل حسنتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا جميعا * وقوله سبحانه وان تك حسنة التقدير وان تك زنة الذرة وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم وفيه فيمر المومنون كطرف العين والبرق والريح والطير وكجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة لآخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذكر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم

يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مشقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا
وكان ابوسعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني في هذا الحديث فاقربوا ان شئتم
ان الله لا يظلم مشقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما
فيقول الله عز وجل شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ
اِلا اَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
الحديث انتهى ولفظ البخاري فما انتم باشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم
من المؤمنين يوشذ للجبار اذا رآوا انهم قد نجوا في اخوانهم الحديث وقرأ نافع
وابن كثير حسنة بالرفع على تمام كان التقدير وان توجد حسنة ويضاعفها جواب
الشرط وقرأ ابن كثير يضعفها وهو بناء تكثير يقتضى اكثر من مرتين الى اقصى ما
تريد من العدد قال بعض المتأولين هذه الآية خص بها المهاجرون لان الله
تعالى اعلم في كتابه ان الحسنه لكل مومن مضاعفة عشر مرار وأعلم في هذه الآية
انها مضاعفة مرارا كثيرة حسبما روى ابو هريرة من انها تضاعف الف مرة
وروى غيره الف الف مرة وقال بعضهم بل وعد بذلك جميع المؤمنين قال
* ع * والآية تعم المؤمنين والكافرين فاما المؤمنون فيجازون في الآخرة على
مناقب الذر فما زاد واما الكافرون فما يفعلونه من خير فانه تقع عليه المكافأة بنعم
الدنيا ويأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم قلت وقد ذكرنا في هذا المختصر من
احاديث الرجا واحاديث الشفاعة جملة صالحة لا توجد مجمعة في غيره على
نحو ما هي فيه حسب الله ان ينفع به الناطق فيه ومن اعظم احاديث الرجا ما
ذكره عياض في الشفاة قال ومن حديث انس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا شفعون يوم القيامة الا كشمس ما في الارض من شجر وجراه وهذا الحديث

اخرجه النساءى ولفظه انى لاشفع يوم القيامة لا كثر مما على الارض من شجر
وجر الحديث انتهى من الكوكب الدرى ومن لدنه معناه من عنده والاجر
العظيم الجنة قاله ابن مسعود وغيره واذا من الله سبحانه بتفضله على عبده
بلغ به الغاية اللهم من علينا بخير الدارين بفضلك * وقوله جلت قدرته فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الآية لما تقدم فى
التى قبلها الاعلام بتحقيق الاحكام يوم القيامة حسن بعد ذلك التنبيه على
الحالة التى يحضر ذلك فيها ويحاج فيها بالشهداء على الامم ومعنى الآية ان
الله سبحانه ياتى بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق والتكذيب ومعنى الامة
فى هذه الآية جميع من بعث اليه من آمن منهم ومن كفر وكذلك قال المتأولون
ان الاشارة بهؤلاء الى كفار قريش وغيرهم روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا قرأ هذه الآية فاصت عيناه وكذلك ذرفت عيناه عليه السلام
حين قرأها عليه ابن مسعود حسبما هو مذكور فى الحديث الصحيح وفى صحيح
البخارى عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى
احد صلاته على الميت بعد ثمان سنين كالموتع للاحياء والاموات ثم طاع المنبر
فقال انى بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وانى لا نظر
اليه من مقامى هذا وانى لست اخشى عليكم ان تشركوا ولكنى اخشى عليكم
الدنيا ان تنافسوها قال فكانت اخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انتهى * وقوله تعالى لو تسوى قالت فرقة معناه تنشق الارض فيحصلون
فيها ثم تتسوى هي فى نفسها عليهم وبهم وقالت فرقة معناه لو تسوى هي معهم
فى ان يكونوا ترابا كالبهائم * وقوله تعالى ولا يكتُمون الله حديثا معناه عند طائفة
ان الكفار لما يرونه من الهول وشدة المخاوف يودون لو تسوى بهم الارض فلا

ينالهم ذلك الخوف ثم استأنف الكلام فاخبر انهم لا يكتمون الله حديثا لنطق جوارحهم بذلك كله حين يقول بعضهم والله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله سبحانه كذبتهم ثم تنطق جوارحهم فلا تكتم حديثا وهذا قول ابن عباس وقالت طائفة الكلام كله متصل وودهم ان لا يكتنموا الله حديثا انما هو ندم على كذبهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والرسول في هذه الآية الجنس شرف بالذكر وهو مفرد دل على الجمع * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية نزلت قبل تحريم الخمر وجمهور المفسرين على ان المراد سكر الخمر الا الضحائى فانه قال المراد سكر النوم وهذا قول ضعيف والمراد بالصلاة هنا الصلاة المعروفة وقالت طائفة الصلاة هنا المراد بها موضع الصلاة والصلاة معا قال ابن العربي في الاحكام وروي في سبب نزول هذه الآية عن علي رضي الله عنه انه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر يعنى وذلك قبل تحريمها قال فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فانزل الله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية خرجه الترمذي وصححه انتهى * وقوله ولا جنبا لا عابرى سبيل قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره عابر السبيل المسافر وقال ابن مسعود وغيره عابر السبيل هنا الخاطر في المسجد وعابر سبيل هو من العبور اي الخطور والجواز والمريض المذكور في الآية هو الحضري واصل الغائط ما انخفض من الارض ثم كثر استعماله في قضاء الحاجة واللمس في اللغة لفظ يقع للمس الذي هو الجماع وللمس الذي هو جس اليد والقبلة ونحوه واختلف في موقعها هنا فمالك رجع الله يقول اللفظة هنا تقتضى الوجهين فالملاص بالجماع

يتيم والملاس باليد يتيم ومعنى قوله سبحانه فتتيموا اقصدوا والصعيد في اللغة وجه الارض قاله الخليل وغيره واختلف الفقهاء فيه من اجل تقييد الآية اياه بالطيب فقالت طائفة يتيم بوجه الارض ترابا كان او رملا او حجارة او معدنا او سبخة وجعلت الطيب بمعنى الطاهر وهذا هو مذهب مالك وقالت طائفة منهم الطيب بمعنى المنبت كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فالصعيد عندهم هو التراب وهذه الطائفة لا تجيز التيم بغيره فمكان الاجماع ان يتيم في تراب منبت طاهر غير منقول ولا مغصوب وترتيب القروان الوجه قبل اليدين وبه قال الجمهور وفي المدونة ان التيم ضربتان وجمهور العلماء انه ينتهي في مسح اليدين الى المرافق * وقوله سبحانه الم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الآية الم تر من رؤية القلب وهي علم بالشيء والمراد بالذين اليهود قاله قتادة وغيره ثم اللفظ يتناول معهم النصارى وقال ابن عباس نزلت في رفاعه بن زيد بن التابوت اليهودي والكتاب التوراة والانجيل ويشترون عبارة عن ايثارهم الكفر وتركهم لايمان وقالت فرقة اراد الذين كانوا يعطون اموالهم للاخبار على اقامة شرعهم فهو شراء حقيقة ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ان تكفروا * وقوله سبحانه والله اعلم باعدائكم خبر في ضمنه التحذير منهم وكفى بالله وليا اي اكتفوا بالله وليا * وقوله سبحانه من الذين هادوا قال بعض المتأولين من راجعة على الذين لاولى وقالت فرقة من متعلقة بنصيرا والمعنى ينصرم من الذين هادوا فعلى هذين التاويلين لا يوقف في قوله نصيرا وقالت فرقة هي ابتداء كلام وفيه اضمار تقديره قوم يحرفون وهذا مذهب ابى علي وعلى هذا التاويل يوقف في نصيرا وقول سيبويه اصوب لان اضمار الموصول ثقيل واضمار الموصوف اسهل وتحريفهم للكلام على وجهين اما بتغيير اللفظ وقد

فعلوا ذلك في الاقل واما بتغيير التاويل وقد فعلوا ذلك في الاكثر واليه ذهب
الطبري وهذا كله في التوراة على قول الجمهور وقالت طائفة هو كلم القرآن
وقال مكي هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم فالتحريف على هذا في التاويل
* وقوله تعالى عنهم سمعنا وسمعنا عبارة عن عتوهم في كفرهم وطفيانهم فيه وغير سمع
يتخرج فيه معنيان احدهما غير مامور وغير صاغر كانهم قالوا غير ان تسمع مامورا
بذلك والآخر على جهة الدعاء اي لا سمعت كما تقول امض غير مصيب ونحو
ذلك فكانت اليهود اذا خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم بغير سمع ارادت
في الباطن الدعاء عليه وأرت ظاهرا انها تريد تعظيمه قال ابن عباس وغيره نحوه
وكذلك كانوا يريدون منه في انفسهم معنى الرعونته وحكى مكي معنى رعاية
الماشية ويظهرون منه معنى المراعاة فهذا معنى لي اللسان وقال الحسن ومجاهد
غير مسمع اي غير مقبول منك وليا اصله لؤيا وطعنا في الدين اي توهينا له
واظهارا للاستخفاف به قال * ع * وهذا اللي باللسان الى خلاف ما في
القلب موجود حتى الآن في بنى اسرائيل ويحفظ منه في عصرنا امثلة لا انه لا
يليق ذكرها بهذا الكتاب * وقوله تعالى ولو انهم الآية المعنى ولو انهم ءامنوا وسمعوا
واطاعوا واقوم معناه اعدل واصوب وقليل نعت اما لايمان واما لنفرا و قوم والمعنى
مختلف * وقوله تعالى يا ايها الذين اتوا الكتاب ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
الآية هذا خطاب لليهود والنصارى ولما معكم معناه من شرع وملته لا لما معهم من
مبدل ومغيّر والطامس الدائر المغير للاعلام قالت طائفة طمس الوجوه هنا هو خلو
الحواس منها وزوال الخلقة وقال ابن عباس وغيره طمس الوجوه ان تزال العينان
خاصة منها وترد العينان في القفا فيكون ذلك ردا على الادبار ويمشى التهقرى
وقال مالك رحمه الله كان اول اسلام كعب الاحبار انه مر برجل من الليل وهو

يقرأ هذه الآية يا ايها الذين اوتوا الكتاب . امنوا الآية فوضع كفيه على وجهه
ورجع القهقري الى بيته فاسلم مكانه وقال والله لقد خفت ان لا ابلغ بيتي حتى
يطمس وجهي واصحاب السبت هم الذين اعتدوا في السبت في الصيد
حسبما تقدم قال قتادة وغيره وامر الله في هذه الآية واحد الامور دال على
جنسها لا واحد الاوامر فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللغة هنا او ما اقتضاه
كل موضع مما يختص به * وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء الآية هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات
الوعد والوعيد وتلخيص الكلام فيها ان يقال الناس اربعة اصناف كافرين على
كفره فهذا مخلد في النار باجاء ومومن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك
فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى باجاء وتائب مات
على توبته فهو عند اهل السنة وجهور فقهاء الامة لا حق بالمومن المحسن
الا ان قانون المتكلمين انه في المشيئة ومذنب مات قبل توبته فهذا هو
موضع الخلاف فقالت المرجئة هو في الجنة بايمانه ولا تضره سيئاته وجعلوا
آيات الوعيد كلها في الكفار وآيات الوعد عامة في المومنين تقيهم وعاصيهم
وقالت المعتزلة اذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد وقالت الخوارج اذا
كان صاحب كبيرة او صغيرة فهو في النار مخلد ولا ايمان له لا بهم يرون كل
الذنوب كبائر وجعلوا آيات الوعد كلها في المومن الذي لم يعص قط والمومن
التائب وقال اهل السنة هو في المشيئة وهذه الآية هي الحاكمة وهي النص في
موضع النزاع وذلك ان قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فصل مجمع
عليه وقوله ويغفر ما دون ذلك فصل ناطع للمعتزلة راد على قولهم ردا لا محيد
لهم عند الورود فثبت في هذا الكلام اصح قول المرجئة فجاء قوله لمن

يشاء ردا عليهم مبينا ان غفران ما دون الشرك انما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من انه مغفور لكل مومن ولما حتم سبحانه على انه لا يغفر الشرك ذكر قبح موقعه وقدره في الذنوب والفرية اشد مراتب الكذب قبحا وهو لاختلاق * وقوله تعالى الم ترالى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء الآية لا خلاف بين المتأولين ان المراد بالآية اليهود وانما اختلفوا في المعنى الذى به زكوا انفسهم فقال الحسن وقتادة ذلك قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا الى غير ذلك من غرورهم قال * ع * فتقتضى هذه الآية الغص من المزكى لنفسه بلسانه والاعلام بان الزاكي المزكى من حسنت افعاله وزكاه الله عز وجل قال ابن عباس وغيره الفتيل الخيط الذى فى شق نواة التمرة وذلك راجع الى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيرة وان الله لا يظلمه ولا شيء دونه فى الصغر فكيف بما فوقه * وقوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب الآية يبين ان تزكيتهم انفسهم كانت بالباطل والكذب ويقوى ان التزكية كانت بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ان الافتراء اعظم فى هذه المقالة وكيف يصح ان تكون فى موضع رفع بالابتداء والخبر فى قوله يفترون وكفى به اثما مبينا خبر فى ضمنه تعجب وتعجيب من امرهم قال * ص * وكفى به عائد على الافتراء وقيل على الكذب انتهى * وقوله تعالى الم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية اجمع المتأولون ان المراد بها طائفة من اليهود والقصص يبين ذلك ومجموع ما ذكره المفسرون فى تفسير الجبت والطاغوت يقتضى انه كل ما عبد واطيع من دون الله تعالى * وقوله تعالى ويقولون للذين كفروا الآية سببها ان قريشا قالت لكعب بن الاشرف حين ورد مكة انت سيدنا وسيد قومك انا قوم ننحر الكوماء

ونقرى الضيف ونصل الرحم ونسقى الحجيح ونعبد الهتنا التى وجدنا عليها
ءاباءنا وهذا محمد قد قطع الرحم فمن اهدى نحن او هو فقال كعب انتم اهدى
منه واقوم ديننا فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس فالضمير فى يقولون عائد على
كعب وعلى الجماعة التى معه من اليهود المحرضين على قتال النبي صلى الله
عليه وسلم والذين كفروا فى هذه الآية هم كفار قريش والاشارة بهؤلاء اليهم
والذين ءامنوا هم النبي صلى الله عليه وسلم وامته وقالت فرقة بل المراد حيي
ابن اخطب واتباعه وهم المقصود من اول الآيات قال * ص * للذين اللام
للتبليغ متعلقة يقولون انتهى * وقوله تعالى ام لهم نصيب من الملك الآية
عرف ام ان تعطف بعد استفهام متقدم كقولك اقام زيد ام عمرو فاذا وردت
ولم يتقدمها استفهام كما هي هنا فمذهب سيبيويه انها مضمنة معنى الاضراب
عن الكلام الاول والقطع منه وهي متضمنة مع ذلك معنى الاستفهام فهي بمعنى
بل مع همزة استفهام كقول العرب انها لا بل ام شاء التقدير عند سيبيويه انها
لا بل بل اهي شاء وكذلك هذا الموضع بل ألهم نصيب من الملك فاذا عرفت
هذا فالمعنى على الأرجح الذى هو مذهب سيبيويه والحقاق ان هذا استفهام
على معنى الانكار اي ألهم ملك فاذن لو كان لاخلوا به والنكير هي النكتة التى
فى ظهر النواة من التمر هذا قول الجمهور وهذا كناية عن الغاية فى الحقايرة والقللة
وتكتب اذا بالنون وبالألف فالنون هو الاصل كمن ومن وجاز كتبها بالألف
لصحة الوقوف عليها فاشبهت نون التنوين ولا يصح الوقوف على عن ومن
* وقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله الآية ام هذه على بابها من
العطف بعد الاستفهام وقال * ص * ام يحسدون ام ايضا منقطعة
تتقدر ببل والهمزة انتهى قلت والظاهر ما قاله * ع * واختلف فى

المراد بالناس هنا فقال ابن عباس وغيره هو النبي صلى الله عليه وسلم والفضل النبوة فقط والمعنى فلم يخصصه بالحسد ولا يحسدون ما ل ابراهيم في جميع ما اتيناهم من هذا وغيره من الملك وقال قتادة الناس هنا العرب حسدتها بنو اسرائيل في ان كان النبي صلى الله عليه وسلم منها والفضل على هذا التاويل هو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر بن عبد البر وقد ذم الله قوما على حسدهم فقال ام يحسدون الناس على ما اناهم الله من فضله ثم حدث بسنده عن عمرو ابن ميمون قال لما رفع الله موسى نجيا رأى رجلا متعلقا بالعرش فقال يا رب من هذا فقال هذا عبد من عبادى صالح ان شئت اخبرتك بعمله فقال يا رب اخبرني فقال كان لا يحسد الناس على ما اناهم الله من فضله ثم حدث ابو عمر بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وذكر عبد الرزاق عن معمر عن اسماعيل بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يسلم منهن احد الطيرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ انتهى من التمهيد * وقوله تعالى فمنهم من آمن به اختلف في الضمير من به فقال الجمهور هو عائذ على القرآن الذى فى قوله تعالى امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فاعلم الله سبحانه ان منهم من آمن كما امر فلذلك ارتفع الوعيد بالطمس ولم يقع وصد قوم ثبت الوعيد عليهم فى الآخرة بقوله سبحانه وكفى بجهنم سعيرا وقيل هو عائذ على ابراهيم عليه السلام وقيل هو عائذ على الفضل الذى اناه الله النبي عليه السلام والعرب على ما تقدم * وقوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا آية لما تقدم فى الآية وصف المردة من بنى اسرائيل وذكر افعالهم وذنوبهم

جاءت هذه الآية بالوعيد النص لهم بلفظ جلي عام لهم ولغيرهم ممن فعل فعلهم من الكفرة واختلف في معنى تبديل الجلود فقالت فرقة تبديل عليهم جلوداً اغيار اذ نفوسهم هي المعذبة والجلود لا تالم في ذاتها وقالت فرقة تبديل الجلود هو اعادة ذلك الجلد بعينه الذي كان في الدنيا وانما سماه تبديلاً لان اوصافه تتغير قال الحسن بن ابي الحسن تبديل عليهم في اليوم سبعين الف مرة عافانا الله من عذابه برحمته ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار عقب بوعد المؤمنين بالجنة على الايمان والاعمال الصالحة وظليلاً معناه عند بعضهم يقى الحر والبرد ويصح ان يريد انه ظل لا يستحيل ولا يتنقل وصح وصفه بظليل لا امتداد له فقد قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظلها مائة سنة ما يقطعها ورأيت لبعضهم ما نصه وذكر الطبري في كتابه قال لما خلق الله عز وجل الجنة قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مائة الف سنة فامتدت ثم قال لها امتدى فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدى مقدار رحمتي فامتدت فهي تمتد ابد الآبدين فليس للجنة طرف كما انه ليس لرحمة الله طرف انتهى فهذا لا يُعلم الا من جهة السمع فهو مما اطلع عليه الطبري وهو امام حافظ محدث ثقة قاله الخطيب احمد بن علي بن ثابت * وقوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها الآية قال ابن جريج وغيره الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في امر مفتاح الكعبة حين اخذه من عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبه فطلبه العباس بن عبد المطلب ليضيف السدانة الى السقاية فدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسرها كان فيها من الاوثان واخرج مقام ابراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية قال عمر بن الخطاب

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وماكنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال لهما خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ثم الآية بعد تتناول الولاية فيما لديهم من الامانات في قسمة الاموال ورد الظلمات وعدل الحكومات وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات وغير ذلك كالرجل يُحَكَّم في نازلة ما ونحوه والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات امانات لله تعالى قال ابن العربي في احكامه هذه الآية في اداء الامانة والحكم بين الناس عامته في الولاية والخلق لان كل مسلم عالم بل كل مسلم حاكم ووال قال النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وهم الذين يعدلون في انفسهم واهليهم وما ولّوا وقال صلى الله عليه وسلم لكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في اهل بيته وهو مسئول عنهم والعبد راع في مال سيده وهو مسئول عنه وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فهذه الاحاديث الصحيحة تدل على ما قلناه انتهى ونعما اصله نعم ما سكنت الميم الاولى وادغمت في الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين وخصت بالكسر اتباعا للنون وما المردوفة على نعم انما هي مهيتة لاتصال الفعل بها ومع انها موطئة فهي بمعنى الذي * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول الآية لما تُقَدِّم الى الولاية في الآية المتقدمة تُقَدِّم في هذه الى الرعية فامر بطاعته عز وجل وهي امتثال اوامره ونواهيه وطاعة رسوله وطاعة الامراء على قول الجمهور وهو قول ابن عباس وغيره فالامر على هذا التاويل هو ضد النهي ومنه لفظة الامير وقال جابر وجماعة اولوا الامر اهل القروان والعلم قال عطاء طاعة الرسول هي اتباع سنته يعني بعد موته ولفظ ابن العربي في احكامه قال قوله تعالى واولى الامر منكم فيها قولان الاول قال ميمون بن مهران

هم اصحاب السرايا وروى في ذلك حديثا وهو اختيار البخاري وروي عن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن حذافة اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية والثاني هم العلماء وبه قال اكثر التابعين واختاره مالك والطبري والصحيح عندي انهم الامراء والعلماء اما الامراء فلان الامر منهم والحكم اليهم واما العلماء فلان سؤالهم متعين على الخلق وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب ويدخل فيه تأمر الزوج على الزوجة لانه حاكم عليها انتهى * وقوله تعالى فان تنازعتم في شئ الآية معنى التنازع ان كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها والرد الى الله هو النظر في كتابه العزيز والرد الى الرسول هو سؤاله صلى الله عليه وسلم في حياته والنظر في سنته بعد وفاته هذا قول مجاهد وغيره وهو الصحيح * وقوله سبحانه ان كنتم ترمنون بالله الآية فيد بعض وعيد وتاوila معناه مثالا في قول جماعة وقال قتادة وغيره المعنى احسن عاقبة وقالت فرقة المعنى ان الله ورسوله احسن نظرا وتأولا منكم اذا انفردتم بتأولكم * وقوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك الآية تقول العرب زعم فلان كذا في الامر الذي يضعف فيه التحقيق وغاية درجة الزعم اذا قوي ان يكون مظنونا واذا قال سيبويه زعم الخليل فانما يستعملها فيما انفرد الخليل به وكان اقوى رتب زعم ان تبقى معيا عهدة الخبر على المخبر قال عامر الشعبي نزلت الآية في منافق اسمد بشر خاصم رجلا من اليهود فدعاه اليهودي الى المسلمين عليه انهم لا يرتشون وكان المنافق يدعو اليهودي الى اليهود عليه انهم يرتشون فاتفقا بعد ذلك على ان اتيا كاهنا كان بالمدينة فرصياه فنزلت هذه الآية فيهما وفي تصنيفهما فالذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل على محمد عليه السلام هم المنافقون والذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل من قبله هم اليهود وكل قد اُمر في كتابه بالكفر بالطاغوت والطاغوت

هنا الكاهن المذكور فهذا تانيب للصنفين وقال ابن عباس الطاغوت هنا هو كعب ابن الاشرف وهو الذي تراضيا به وقيل غير هذا وقوله رأيت هي رؤية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحا وهي رؤية قلب لمن صد منهم مكرًا وتخابشا ومسارقة حتى لا يعلم ذلك منه الا بالقرائن الصادرة عنه * وقوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم قالت فرقة هي في المنافقين الذين احتكموا حسبما تقدم فالمعنى فكيف بهم اذا عاقبهم الله بهذه الذنوب بنقمة منه ثم حلفوا ان اردنا بالاحتكام الى الطاغوت لا توفيق الحكم وتقريبه * وقوله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم تكذيب لهم وتوعد اي فهو سبحانه مجازيهم فاعرض عنهم وعظمهم بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواظ * وقوله سبحانه وقل لهم في انفسهم قال * ص * اي قل لهم خاليا بهم لان النصيح اذا كان في السركان انجح او قل لهم في حال انفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولاً يبلغ منهم الزجر عن العود الى ما فعلوا انتهى واختلف في القول البليغ فقليل هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول وقيل هو التوعد بالقتل ان استداموا حالة النفاق قاله الحسن وهذا ابلغ ما يكون في نفوسهم والبلاغة مأخوذة من بلوغ المراد بالقول * وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله تنبيد على جلاله الرسل اي فانت يا محمد منهم تجب طاعتك وتتعين اجابة الدعوة اليك وباذن الله معناه بامر الله وطلبوا انفسهم اي بالمعصية والنفاق وعن العتبي قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا وقد جئتكم مستعفيا من ذنوبي مستغفرا الى ربي ثم انشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاى وفيه الجود والكرم
قال ثم انصرف فحملتنى عيناى فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم
فقال لى يا عتبى الحق لاعرابى فبشرة ان الله تعالى قد غفرله انتهى من حلية
النووي وسنن الصالحين للبايجي وفيه مستغفرا من ذنوبى مستشفعا بك الى
ربى * وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية
قال الطبري قوله فلا رد على ما تقدم تقديره فليس الامر كما يزعمون انهم بما
انزل اليك ثم استأنف القسم وقال غيره انما قدم لا على القسم اهتماما بالنهي
واظهارا لقوته قال ابن عطاء الله فى التنوير وفى قوله سبحانه فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم دلالة على ان الايمان الحقيقى لا يحصل الا لمن
حكم الله ورسوله على نفسه قولا وفعلًا واخذًا وتركًا وحبا وبغضا فتبين لك من
هذا انه لا تحصل لك حقيقة الايمان بالله الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام
لقهره سبحانه انتهى وشجر معناه اختلط والتف من اموره وهو من الشجر شبه
بالنفائى لاغصان والجرج الصيق والتكلف والمشقة قال مجاهد حرجا شكا * وقوله
تسلما مصدر مؤكد منبئ عن التحقيق فى التسليم لان العرب انما تردف الفعل
بالمصدر اذا ارادت ان الفعل وقع حقيقة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما قال
مجاهد وغيره المراد بهذه الآية من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى الطاغوت
وفيههم نزلت ورجح الطبري هذا لانه اشبه بنسق الآية وقالت طائفة نزلت فى
رجل خاصم الزبير بن العوام فى السقي بماء الحرّة كما هو مذكور فى البخاري
 وغيره وان الزبير قال فما احسب ان هذه الآية نزلت الا فى ذلك وكتبنا معناه
فرصنا ان اقتلوا انفسكم معناه يقتل بعضكم بعضا وقد تقدم نظيره فى البقرة

وسبب الآية على ما حكى ان اليهود قالوا لما لم يرض المذاق بحكم النبي صلى
الله عليه وسلم ما رأينا اسخف من هؤلاء يرمون بمحمد ثم لا يرضون بحكمه ونحن
قد امرنا بقتل انفسنا ففعلنا وبلغ القتل فينا سبعين الفا فقال ثابت بن قيس
لركتب ذلك علينا لفعلاه فنزلت الآية معللة بحال اولئك المنافقين وانه لركتب
ذلك على الامة لم يفعلوه وما كان يفعلوه الا قليل مومنون محققون كتابت قلت
وفي العتبية عن مالك عن ابي بكر رضي الله عنه مقالته ثابت بن قيس
قال ابن رشد ولا شك ان ابا بكر من القليل الذي استثنى الله تعالى في الآية
فلا احد احق بهذه الصفة منه انتهى قال * ص * الا قليل الجمهور
بالرفع على البدل من واو فعلوه عدد البصريين انتهى وانهم فعلوا ما يوعظون
به اي لو ان هؤلاء المنافقين انعطوا وانابوا لكان خيرا لهم وتشبيها معناه يقينا
وتصديقا ونحو هذا اي يشبههم الله ثم ذكر تعالى ما كان يمن به عليهم من تفصله
بالاجر ووصفه اياه بالعظيم مقتضى ما لا يحصيهم بشر من النعم المقيم والصراط
المستقيم الايمان المردى الى الجنة والمقصود تعديد ما كان ينعم به عليهم سبحانه
* وقوله جلت عظمتك ومن يطم الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
الآية لما ذكر الله سبحانه الامر الذي لو فعلوه لانعم عليهم ذكر بعد ذلك
ثواب من يفعلوه وهذه الآية تفسر قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم وقالت طائفة انما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن
زيد الانصاري الذي ارى الاذان يا رسول الله اذا مات ومتنا كنت في عليين
فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر خبره على ذلك فنزلت هذه الآية قال
ع * ومعنى انهم معكم في دار واحدة ومنعهم واحد وكل من فيها قد رزق
الرضى بحاله وذهب عنه ان يعتقد انه مفصول وان كننا نحن قد علمنا من

الشريعة ان اهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر اعمالهم وعلى قدر فضل الله على من يشاء والصديق فعيل من الصدق وقيل من الصدقة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الصديقون المتصدقون ولفظ الشهداء في هذه الآية يعم انواع الشهداء قال * ص * وحسن اولائك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولائك رفيقا وقد قدمنا في كلام ابن الحاج ما يدل على ان التعجب لازم لفعل المستعمل للمدح والذم على كل حال سواء استعملت استعمال نعم اولا انتهت * وقوله تعالى ذلك الفضل من الله للاشارة بذلك الى كون المطيعين مع المنعم عليهم * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذرکم الآية هذا خطاب للمخلصين من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامرهم ببجود الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الاسلام وخذوا حذرکم اي احزموا واستعدوا بانواع الاستعداد وانفروا معناه اخرجوا وثبات معناه جماعات متفرقات وهي السرايا والثبة حكى انها فوق العشرة جميعا معناه الجيش الكثير مع النبي صلى الله عليه وسلم هكذا قال ابن عباس وغيره * وقوله تعالى وان منكم ايجاب والخطاب لجماعة المؤمنين والمراد بمن المنافقون وعبر عنهم بمنكم اذ هم في الظاهر في عداد المؤمنين واللام الداخلة على من لام التاكيد والداخلة على يُبْطِن لام القسم عند الجمهور وتقديره وان منكم امن والله ليبطن ويبطن معناه يبطئ غيره اي يبطئه ويحمله على التخلف عن مغازی رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصيبة يعنى من قتال واستشهاد وانما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد وانما الشهادة في الحقيقة نعمة من الله سبحانه لحسن مآلها وشهيدا معناه مشاهدا * وقوله تعالى ولنسن اصابکم فضل من الله اي ظفرتم وغنمتم ندم المنافق وقال يا ليتني كنت معهم فانز فوزا عظيما متمنيا شيئا قد

كان عاهد ان يفعله ثم غدر في عهده * وقوله تعالى كان لم يكن بينكم وبينه مودة التفاتة بليغة واعتراض بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم وقال الزجاج قوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة مؤخر وانما موضعه فان اصابكم مصيبة قال * ع * وهذا ضعيف لانه يفسد فصاحة الكلام قال * ص * وقوله فافوز بالنصب هو جواب التمني انتهى * وقوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية هذا امر من الله سبحانه للمؤمنين بالجهاد ويشرون هنا معناه يبيعون ثم وصف سبحانه ثواب المقاتلين ولاجر العظيم الجنة * وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله الآية ما استفهام والمستضعفين عطف على اسم الله عز وجل اي وفي سبيل المستضعفين لاستنقاذهم ويعنى بالمستضعفين من كان بمكة تحت اذلال كفرة قريش وفيهم كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انج المستضعفين من المؤمنين والولدان عبارة عن الصبيان والقرية هنا مكة باجاء والآية تتناول المؤمنين والاسرى في حواضر الشرك الى يوم القيامة قال ابن العربي في احكامه قال علماؤنا رحمهم الله اوجب الله تعالى في هذه الآية القتال لاستنقاذ الاسرى من يد العدو وقد روى الائمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني يعنى لاسير قال مالك رحمه الله على الناس ان يفكوا الاسرى بجميع اموالهم وكذلك قالوا عليهم ان يواسوهم انتهى * وقوله تعالى الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله الآية هذه الآية تقتضى تقوية قلوب المؤمنين وتحريثهم وقرينة ذكر الشيطان بعد تدل على ان المراد بالطاغوت هنا الشيطان واعلامه تعالى بضعف كيد الشيطان فيه تقوية لقلوب المؤمنين وتجريته لهم على مقارعة الكيد الضعيف فان العزم والحزم الذى يكون على حقائق الايمان يكسره ويهدده

* وقوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقموا الصلوة الآية اختلف المتأولون فيمن المراد بقوله الذين قيل لهم فقال ابن عباس وغيره كان جماعة من المؤمنين قد انفوا من الذل بمكة قبل الهجرة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسيح لهم مقاتلة المشركين فامرهم عن الله تعالى بكف الايدي فلما كتب عليهم القتال بالمدينة شق ذلك على بعضهم ولحقهم ما يلحق البشر من الخور والكآخ عن مقارعة العدو فنزلت الآية فيهم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد انما الآية حكاية عن حال اليهود انهم فعلوا ذلك مع نبيهم في وقته فمعنى الحكاية عنهم تنبيه ففهم ونهي المؤمنين عن فعل مثله وقيل المراد المنافقون واو تقدم شرحها في سورة البقرة في قوله تعالى او اشد قسوة لان الموضعين سواء وقولهم لم كنبت علينا القتال رد في صدر اوامر الله سبحانه وقلته استسلام له ولاجل القريب يعنون به موتهم على فرشهم هكذا قال المفسرون قال * ع * وهذا يحسن اذا كانت الآية في اليهود او في المنافقين وأما اذا كانت في طائفة من الصحابة فانما طلبوا التأخر الى وقت ظهور الاسلام وكثرة عددهم وبحسن القول بانها في المنافقين اطراد ذكرهم فيما ياتى بعد من الآيات * وقوله سبحانه قل متاع الدنيا قليل الآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا اي الاستمتاع بالحياة فيها الذي حرصتم عليه قليل وباقي الآية بيّن وهذا اخبار منه سبحانه يتضمن تحقير الدنيا قلت ولما علم الله في الدنيا من الآفات حمى منها اوليائه ففى الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يظّل احدكم يحمى سقيم الماء قال ابو عيسى وفى الباب عن صهيب وام المنذر وهذا حديث حسن وفى الترمذي عن ابن مسعود قال نام النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر في جنبه فقلنا

يا رسول الله لو اتخذنا لك فراشا فقال مالي وما للدنيا ما انا في الدنيا لا
كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وفي الباب عن ابن عمرو بن عباس
قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه في بروج
الاكثر والاصح الذي عليه الجمهور انه اراد بالبروج الحصون التي في الارض
المبنية لانها غاية البشر في التحصن والمنعة فمثل الله لهم بها قال قتادة المعنى
في قصور محسنة وقاله ابن جريج والجمهور وبترج معناه ظهور منه تبرج المرأة
ومشيئة قال الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة ومنه اشاد الرجل ذكر الرجل اذا
رفعه وقالت طائفة مشيدة معناه محسنة بالشيد وهو الجص وروى النسائي
عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر هادم اللذات
يعنى الموت وخرجه ابن ماجه والترمذي وخرجه ابو نعيم الحافظ باسناده من
حديث مالك بن انس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن عمر بن
الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وروى ابن ماجه بسنده عن ابن
عمر انه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي المؤمنين افضل قال
احسنهم خُلُقًا قال فاي المؤمنين اكيس قال اكثروهم للموت ذكرا واحسنهم لما
بعده استعدادا اولئك لا كياس واخرجه مالك ايضا انتهى من التذكرة
* وقوله تعالى وان تصبهم حسنة الآية الضمير في تصبهم عائد على الذين
قيل لهم كفوا ايديكم وهذا يدل على انهم المنافقون لان المؤمنين لا تليق بهم
هذه المقالة ولان اليهود لم يكونوا للنبي صلى الله عليه وسلم تحت امر فتصيبهم
بسببه اسواء والمعنى ان تصب هؤلاء المنافقين حسنة من غنمة او غير ذلك
وأما ان ذلك بالاتفاق من صنع الله لا ببركة اتباعك ولايمان بك وان

تصحبهم سيئة اي هزيمة او شدة جوع او غير ذلك قالوا هذه بسببك وقوله قل كل من عند الله اعلام من الله سبحانه ان الخير والشر والحسنة والسيئة خلق له ومن عنده لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع سواه والمعنى قل يا محمد لهؤلاء ثم وبخهم سبحانه بالاستفهام عن علمهم وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق والفقهاء في اللغة الفهم وفي الشرع الفهم في امور الدين ثم غلب عليه الاستعمال في علم المسائل الاحكامية * وقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره داخل في المعنى ومعنى الآية عند ابن عباس وغيره على القطع واستيناف الاخبار من الله عز وجل بان الحسنة منه ومن فضله وبان السيئة من الانسان باذنايه وهي من الله تعالى بخلقه واختراعه لا خالق سواه سبحانه لا شريك له وفي مصحف ابن مسعود فمن نفسك وانا قضيتها عليك وقرأ بها ابن عباس وفي رواية وانا قدرتها عليك ويعضد هذا التاويل احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم معناها ان ما يصيب ابن ادم من المصائب فانما هو عقوبة ذنوبه قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي قوله تعالى وما اصابك من سيئة فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره انتهى * وفي قوله سبحانه وارسلناك للناس رسولا ثم تلاه بقوله وكفى بالله شهيدا توعده للكفار وتهديد تقتضيه قوة الكلام لان المعنى شهيدا على من كذبه * وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فالمعنى ان الرسول عليه السلام انما يامر وينهى بيانا وتبليغا عن الله وتولى معناه اعرض وحفيظا يحتمل معنيين اي لتحفظهم حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه او لتحفظ مساوئهم وتحسبها عليهم وهذه الآية تقتضى لاعراض عن من تولى والتروك له وهي قبل نزول القتال وانما كانت تروضة ورفقا من الله

عز وجل حتى يستحكم امر الاسلام * وقوله تعالى ويقولون طاعة الآية نزلت في المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد امرنا طاعة فاذا خرجوا من عندك اجتمعوا ليلا وقالوا غير ما اظهروا لك وبيت معناه فعل ليلا وهو مأخوذ من بات او من البيت لانه ملتزم بالليل * وقوله تقول يحتمل ان يكون معناه تقول انت ويحتمل تقول هي لك ولامر بالاعراض انما هو عند معاقبتهم ومجازاتهم واما استمرار عظمتهم ودعوتهم فلازم ثم امر سبحانه بالتوكل عليه والتمسك بعروته الوثقى ثقة بانجاز وعده في النصر والوكيل القائم بالامور المصلح لما يخاف من فسادها * وقوله تعالى افلا يتدبرون القرآن الآية المعنى افلا يتدبر هؤلاء المنافقون كلام الله تعالى فتظهر لهم براهينه وتلوح لهم ادلته قلت اعلم رحمت الله تعالى ان تدبر القرآن كفيلا لصاحبه بكل خير واما الهدمة والعجلة فتأثيرها في القلب ضعيف قال النووي رحمه الله وقد كره جماعة من المتقدمين الحتم في يوم وليلة ويدل عليه ما روينا بالاسانيد الصحيحة في سنن ابي داود والترمذي والنسائي وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث انتهى قال * ع * والتدبر هو النظر في اعقاب الامور وتاويلات الاشياء هذا كله يقتضيه قوله سبحانه افلا يتدبرون القرآن وهذا امر بالنظر والاستدلال ثم عرف تعالى بموقع الحجة اي لو كان من كلام البشر لدخله ما في البشر من القصور وظهر فيه التناقض والتناقض الذي لا يمكن جمعه اذ ذلك موجود في كلام البشر والقرآن منزلة عنه اذ هو كلام المحيط بكل شيء سبحانه قال * ع * فان عرضت لاحد شبهة وطن اختلاف في شيء من كتاب الله فالواجب ان ينهم نظره ويسأل من هو اعلم منه * وقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الآية

قال جمهور المفسرين ان الآية في المنافقين حسبا تقدم والمعنى ان المنافقين كانوا يتشوفون الى سماع ما يسيء النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طرأت لهم شبهة امن للمسلمين او فتح عليهم حقروها وصغروا شانها واذا عاوا ذلك التحقير والتصغير واذا طرأت لهم شبهة خوف للمسلمين او مصيبة عظموها واذا عاوا ذلك واذا عاوا به معناه افشوه وهو فعل يتعدى بحرف الجر وبنفسه احيانا وقالت فرقة الآية نزلت في المنافقين وفيمن ضعف جلده وقلت تجربته من المؤمنين وفي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه جاء وقوم في المسجد يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء ثم قال فقلت يا رسول الله اطلقت نساءك فقال لا قال عمر فقامت على باب المسجد فقلت لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساء فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف الآية قال وانا الذي استنبطته * وقوله تعالى ولوردوه الى الرسول الآية المعنى لو امسكوا عن الخوض واستقصوا الامر من قبل الرسول واولى الامر بهم الامراء والعلماء لعلهم طلابد من اولى الامر والبحثة عند وهم مستنبطوه كما يستنبط الماء وهو استخراج من الارض * وقوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته الآية خطاب لجميع المؤمنين باتفاق من التأولين وقوله لا قليلا هو مستثنى في قول جماعة من قوله لا تبعنم الشيطان لا قليلا وقال ابن عباس وابن زيد ذلك مستثنى من قوله اذا عاوا به لا قليلا ورجحه الطبري وقال قتادة هو مستثنى من قوله يستنبطونه لا قليلا * ت * قال الداودي قال ابو عبيدة وانما كره العلماء ان يجعلوا الاستثناء من قوله لا تبعنم الشيطان لا قليلا لانه لا وجد له فانه لو لا فضل الله ورحمته لا تبعوا الشيطان كلهم انتهى وهو حسن واما قوله لا وجه له ففيه نظر فقد وجهه العلماء بما لا نطيل بذكره * وقوله تعالى فقاتل

في سبيل الله الآية هذا امر في ظاهر اللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لكن
لم نجد قط في خبر ان القتال فرض على النبي صلى الله عليه وسلم دون الامّة
مدة ما والمعنى والله اعلم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اللفظ وهو
مثال ما يقال لكل واحد في خاصّة نفسه اي انت يا محمد وكل واحد من امتك
القول له فقاتل في سبيل الله لا تكلف لا نفسك ولا هذا ينبغي لكل مومن ان
يستشعر ان يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم والله
لا قاتلنكم حتى تنفرد سالفتي وقول ابى بكر رضي الله عنه وقت الردة ولو
خالفنني يعني لجاهدتها بشمالى وعسى اذا وردت من الله تعالى فقال عكرمة
وغيره هي واجبة بفضل الله ووعدّه الجميل قلت اي واقع ما وعد به سبحانه
والتنكيل لاخذ بانواع العذاب * وقوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة
الآية قال مجاهد وغيره هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم فمن يشفع
لينفع فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل والكفل التعيب ويستعمل في الخير
وفي الشر وفي كتاب الله تعالى يوثكم كفائين من رحمة وروى ابو داود عن ابى
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شفع لاحد شفاعة فاهدى له
هدية عليها فقبلها فقد اتى بابا عظيما من ابواب الربا انتهى ومقيما معناه قديرا
ومنه قول الزبير بن عبد المطلب

وذي صغن كفت النفس عند * وكنت على اساتم مقيما
اي قديرا وقيل مقيما معناه شهيدا وقيل حفيظا وذهب مقاتل الى انه الذي
يقتر كل حيوان قال الداودي قال الكلبي المقيت هو المقدّر بلغة قريش انتهى
* وقوله سبحانه واذا حييتم بتحية الآية قالت فرقة معنى الآية تخير
الراد فاذا قال البادئ السلام عليك فللراد ان يقول وعليك السلام فقط وهذا هو

الرد وله ان يقول وعليك السلام ورحمة الله وهذا هو التحية باحسن وروي عن ابن عمر وغيره انتهاء السلام الى البركة وقالت فرقة المعنى اذا حييتم بتحية فان نقص المسلم من النهاية فحيوا باحسن منها وان انتهى فردوها كذلك قال عطاء والآية في المؤمنين خاصة ومن سلم من غيرهم فيقال له عليك كما في الحديث وفي ابي داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بالله من بدأ بالسلام انتهى واكثر اهل العلم على ان لا ابتداء بالسلام سنة مؤكدة ورده فريضة لانه حق من الحقوق قاله الحسن وغيره قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد من متحابين في الله عز وجل يستقبل احدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر وروينا فيه عن انس ايضا قال ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه حتى قال اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وروينا فيه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقوا فتصافحا وتكاشروا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما وفي رواية اذا التقى المسلمين فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما انتهى وحسبنا معناه حفيظا وهو فعيل من الحساب * وقوله سبحانه الله لا اله الا هو ليجمعنكم الآية لها تقدم لانذار والتحذير الذي تضمنه قوله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا تلاه الا اعلام بصفة الربوبية وحال الوجدانية والاعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب اعلاما بقسم تقديره وحقه وعظمته ليجمعنكم والجمع بمعنى الحشر * وقوله سبحانه ومن اصدق من الله حديثا المعنى لا احد اصدق من الله تعالى * وقوله تعالى فما لكم في

المنافقين فمئتين الآية واختلف في هؤلاء المنافقين فقال ابن عباس هم قوم كانوا بمكة اظهروا لايمان لا صحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كتب بعثوا بها الى المدينة ثم خرجوا مسافرين الى الشام واعطتهم قريش بضاعات وقالوا لهم انتم لا تخافون اصحاب محمد لانكم تحذعونهم باظهار لايمان فاتصل خبرهم بالمدينة فاختلف المومنون فيهم فقالت فرقة نخرج اليهم فانهم منافقون وقالت فرقة بل هم مومنون لا سبيل لنا اليهم فنزلت الآية وعن مجاهد نحوه قال * ع * ويعضده ما في اخر الآية من قوله تعالى حتى يهاجروا وقال زيد بن ثابت نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقين الذين رجعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وهو في صحيح البخاري مسندا قال ابن العربي في احكامه وهذا القول هو اختيار البخاري والترمذي انتهى قال * ع * وعلى هذا فقوله سبحانه حتى يهاجروا المراد هجر ما نهى الله عنه كما قال عليه السلام والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وفئتين معناه فرقتين واركسهم معناه ارجعهم في كفرهم وضلالهم والركس الرجيع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الروثة انها ركس وحكى النضر بن شميل والكسائي ركس واركس بمعنى واحد اي ارجعهم ومن قال من المتأولين اهلكهم او اضلهم فانما هو بالمعنى وباقي الآية بين قال * ص * اركسهم اي ردهم في الكفر وقال ابن العربي في احكامه اخبر الله تعالى انه رد المنافقين الى الكفر وهو الاركاس وهو عبارة عن الرجوع الى الحالة المكروهة كما قال في الروثة انها ركس اي رجعت الى حالة مكروهة فنهى الله سبحانه الصحابة ان يتعلقوا فيهم بظاهر لايمان اذ كان باطنهم الكفر وامرهم بقتلهم حيث وجدوهم انتهى * وقوله تعالى لا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال * ص * لا الذين يصلون استثناء متصل من

مفعول فخذوهم واقتلوهم انتهى قال * ع * هذه الآية من آيات المواعدة في اول الاسلام ثم نسخت بما في سورة براءة فالآية تقتضى ان من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم الى هؤلاء اهل العهد فدخل في عدادهم وفعل فعلهم من المواعدة فلا سبيل عليه * وقوله تعالى او جاءكم عطف على يصلون ويحتمل ان يكون على قوله بينكم وبينهم ميثاق والمعنى في العطفين مختلف وهذا ايضا حكم قبل ان يستحكم امر الاسلام فكان المشرك اذا اعتزل القتال وجاء الى دار الاسلام مسالما كاره لقتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين مع قومه لا سبيل عليه وهذه نسخت ايضا بما في براءة ومعنى حصرت ضاقت وخرجت ومنه الحصر في القول وهو ضيق الكلام على المتكلم وحصرت في موضع نصب على الحال واللام في قوله لسلطهم جواب لو والمعنى ولو شاء الله لسلط هؤلاء الذين هم بهذه الصفة من المسالمة والمشاركة عليكم فان اعتزلوكم اي اذا وقع هذا فلم يقاتلوكم فلا سبيل لكم عليهم وهذا كله والذي في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله الآية منسوخ قاله قتادة وغيره والسلم هاهنا الصلح * وقوله تعالى ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم الآية لها وصف الله سبحانه المحققين في المشاركة والقاء السلم به على طائفة مخادعة كانوا يريدون الاقامة في مواضعهم مع اهلهم يقولون لهم نحن معكم وعلى دينكم ويقولون ايضا للمسلمين نحن معكم وعلى دينكم خشة منهم وخديعة وقوله الى الفتننة معناه الى الاختبار حكى انهم كانوا يرجعون الى قومهم فيقال لاحدهم قل ربى الخنفساء ربى العود ربى العترب ونحوه فيقولها ومعنى اركسوا اي رجعوا رجع ضلالة اي اهلكوا في الاختبار بما واقعه من الكفر وهذه الآية حص على قتل هؤلاء المخادعين اذا لم يرجعوا عن حالهم وثقتهموهم ماخوذ من الثقال اي

ظفروهم بهم مغلوبين متمكنا منهم والسلطان الحجة قال عكرمة حيشما وقع السلطان في كتاب الله عز وجل فهو الحجة * وقوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الآية قال جمهور المفسرين معنى الآية وما كان في اذن الله وفي امره للمومن ان يقتل مومنا بوجه ثم استثنى استثناء منقطعاً ليس من الاول وهو الذي تكون فيه لا بمعنى لكن والتقدير لكن الخطأ قد يقع ويصح في معنى الآية وجه اخر وهو ان تقدر كان بمعنى استقر ووجد كانه قال وما وجد ولا تقرر ولا ساع لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ اذ هو مغلوب فيه فيجبي الاستثناء على هذا متصلاً وتتضمن الآية على هذا اعظام العمد وبشاعة شأنه * وقوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ الآية حقيقة الخطأ ان لا يقصده بالقتل ووجوه الخطأ كثيرة لا تحصى يربطها عدم القصد قال ابن عباس وغيره الرقبة المومنة هي الكبيرة التي قد صلت وعقلت لايمان وقالت جماعة منهم مالك بن انس يجزئ كل من يحكم له بحكم الاسلام في الصلاة عليه ان مات قال مالك ومن صلى وصام احب الي ولا يجزئ ذو العيب الكثير كاطع الديدن او الرجلين او الاعشى اجاعاً فيما علمت ومسلمة معناه مؤداة مدفوعة وهي على العاقلة فيما جاوزت الدية ولا ان يصدقوا يريد اولياء المقتول وقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن الآية اي وان كان هذا المقتول خطأ مومنا قد آمن وبقي في قومه وجم كشرة عدوكم فلا دية فيه وانما كفارته تحرير الرقبة قاله ابن عباس وغيره وسقطت الدية عندهم اوجبين احدهما ان اولياء المقتول كفار فلا يصح دفع الدية اليهم والآخر قلته حرمه هذا المقتول فلا دية فيه واحتجوا بقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقالت فرقة بل الوجه في سقوط الدية ان الاولياء

كفار فقط وسواء قتل بين اظهر المسلمين او بين قومه الكفار لانه لا يصح دفعها الى الكفار قال * ع * وقائل المقالة الاولى يقول ان قتل المومن في بلد المسلمين وقومه حرب فيه الدية لبيت المال والكفارة * وقوله تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال ابن عباس وغيره المقتول من اهل العهد خطأ لانبالى كان مومنا او كافرا على عهد قومه فيه الدية والتحرير * وقوله فمن لم يجد فصيام شهرين الآية اي فمن لم يجد الرقبة ولا اتسع ماله لشراؤها فيجزيه صيام شهرين متتابعة لا ايام لا يتخللها فطر وتوبة نصب على المصدر ومعناه رجوعا بكم الى التيسير والتسهيل * وقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية المتعمد في لغة العرب القاصد الى الشيء والجمهور ان المتعمد كل من قتل كان القتل بحديدة او غيرها وهذا هو الصحيح ورأى الشافعي وغيره ان القتل بغير الحديد المشحوذ هو شبه العمد ورأوا فيه تغليظ الدية ومالك لا يرى شبه العمد ولا يقول به وانما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمدا او خطأ لا غير * وقوله تعالى فجزاؤه جهنم تقديره عند اهل السنة فجزاؤه ان جازاه بذلك اي هو اهل لذلك ومستحقه لعظيم ذنبه قال * ع * ومن اقيم عليه الحد وقتل قودا فهو غير متبوع في الآخرة والوعيد غير نافذ عليه اجماعا والحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت انه من عوقب في الدنيا فهو كفارة له ومعنى الخلود هنا مدة طويلة ان جازاه الله ويدل على ذلك سقوط لفظ التابيد قال * ع * والجمهور على قبول توبته وروي عن بعض العلماء انهم كانوا يقصدون الاغلاط والتخويف احيانا فيطلقون ان لا تقبل توبته منهم ابن شهاب وابن عباس فكان ابن شهاب اذا سأل من يفهم منه انه قد قتل قال له توبتك مقبولة واذا سأل من لم يفعل قال لا توبة للقاتل وعن ابن عباس

نحوه قال الداودي وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله
للدنيا وما فيها اهن على الله من قتل نفس بغير حق ومن اعان على قتل مسلم
بشطر كلمة لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله وعن
معاوية انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره
الا من قتل مومنا متعمدا او مات كافرا وعن ابي هريرة انه سئل عن قاتل المومن
هل له من توبة فقال لا والله الذي لا اله الا هو لا يدخل الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط قال ولو ان اهل السموات والارض اشركوا في دم مومن
الاكبرهم الله جميعا في النار انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا ضربتم
في سبيل الله فتبينوا الآية تقول ضربت في الارض اذا سرت لتجارة او غزو
او غيره مقترنة بفي وضربت الارض دون في اذا قصدت قضاء الحاجة وقال
* ص * ضربتم اي سافرت قال * ع * وسبب هذه الآية ان سرية
من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت رجلا له جمل ومُنْتِيع وقيل
غُنيمة فسلم على القوم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم
فقتله واختلف في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازلة والذي عليه
الاكثر وهو في سير ابن اسحاق وفي مصنف ابي داود وغيرهما ان القاتل
مُحَلِّم بن جُثامة والمقتول عامر بن الاضبط ولا خلاف ان الذي لفظته الارض
حين مات هو محلم بن جثامة وقرأ جمهور السبعة فتبينوا وقرأ حمزة والكسائي
فتثبتوا بالهاء المثناة في الموضعين هنا وفي الحجرات وقرأ نافع وغيره السلم ومعناه
الاستسلام اي القى بيده واستسلم لكم واطهر دعوتكم وقرأ باقي السبعة السلام
بالالف يريد سلام ذلك المقتول على السرية لان سلامه بتحيةة الاسلام
موذن بطاعته وانقياده وفي بعض طرق عاصم السلم بكسر السين المشددة وسكون

اللام وهو الصلح والمعنى المراد بهذه الثلاثة متقارب وقرئ لست مؤمناً بفتح الميم
اي لسنا نؤمنك * وقوله تعالى فعند الله مغام كثيرة عِدَّة منه سبحانه بما ياتي
به من فضله من الحلال دون ارتكاب محظور اي فلا تنهافتوا واختلف في
قوله كذلك كنتم من قبل فقال ابن جبير معناه كذلك كنتم مستخفين
من قومكم باسلامكم فمن الله عليكم باعزاز دينكم واطهار شريعتكم فهم الآن كذلك
كل واحد منهم خائف من قومه متربص ان يصل اليكم فلم يصلح اذا وصل ان
تقتلوه حتى تتبينوا امره وقال ابن زيد المعنى كذلك كنتم كفرة فمن الله
عليكم بان اسلمتم فلا تنكروا ان يكون هو كافرا ثم يسلم لحينه ثم وكد تبارك وتعالى
الوصية بالتبيين وأعلم انه خبير بما يعمل العباد وذلك منه خبر يتضمن
تحذيرا منه سبحانه اي فاحفظوا انفسكم وجنبوا الزلل الموبق لكم * وقوله
تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر الآية في قوله تعالى
لا يستوى ايهام على السامع وهو ابلغ من تحديد المنزلة التي بين المجاهد
والقاعد فالتمأل يمشى مع فكرته ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما والقاعدون
عبارة عن المتخلفين قلت وخرج ابو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة
تخرج من اعلاها الحلل ومن اسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ماحمة بالدر
والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات اجنحة فيجلس عليها اولياء الله فتطير بهم حيث
شاءوا فيقول الذين اسفل منهم يا اهل الجنة ناصفونا يا رب ما بلغ هؤلاء هذه
الكرامة فيقول الله تعالى انهم كانوا يصومون وكنتم تفتطرون وكانوا يقومون بالليل
وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون
انتهى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير بالرفع صفة للقاعدين وقرأ نافع وغيره

غير بالنصب استثناء من القاعدين وروي من غير ما طريق ان الآية نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فجاء ابن ام مكتوم حين سمعها فقال يا رسول الله هل من رخصة فاني ضريب البصر فنزلت عند ذلك غير اولى الضرر قال الفلتان بن عاصم رضي الله عنه كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزل عليه وكان اذا اوحى اليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وبصره لما ياتيه من الله وكنا نعرف ذلك في وجهه قال فلما فرغ قال للكاتب اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون الى اخر الآية قال فقام لاعمى فقال يا رسول الله ما ذنبنا قال فانزل الله على رسوله فقلنا للاعمى انه ينزل عليه قال فخاف ان ينزل فيه شيء فبقي قائما مكانه يقول اتوب الى رسول الله حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للكاتب اكتب غير اولى الضرر واهل الضرر هم اهل الاعذار اذ قد اضررت بهم حتى منعهم الجهاد قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى باموالهم وانفسهم هي الغاية في كمال الجهاد قال ابن جريج الفضل بدرجة هو على القاعدين من اهل العذر قال * ع * لانهم مع المؤمنين بنيانهم كما هو مذكور في الحديث الصحيح قال ابن جريج والتفصيل بالاجر العظيم والدرجات هو على القاعدين من غير عذر والحسنى الجنة التي وعدها الله المؤمنين وكذلك قال السدي وغيره وقال ابن مكيّر الدرجات هي درجات في الجنة سبعون ما بين الدرجتين حُصِر الجواد المضمر سبعين سنة قلت وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة مائة درجة اعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى

وقال ابن زيد الدرجات في الآيات هي السبع المذكورة في براءة في قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب آية قال * ع * ودرجات الجهاد لوحصرت اكثر من هذه لكن يجمعها بذل النفس والاعتمال بالبدن والمال في ان تكون كلمة الله هي العليا ولا شك ان بحسب مراتب الاعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها فالاقوال كلها متقاربة وباقي الآيات وعد كريم وتائيس * وقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم آية المراد بهذه الآية الى قوله مصيرا جماعة من اهل مكة كانوا قد اسلموا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقتلوا ببدر فنزلت الآية فيهم قال * ع * والذي يجرى مع الاصول ان من مات من هؤلاء مرتدا فهو كافر وماواه جهنم على جهة الخلود المؤبد وهذا هو ظاهر امر هؤلاء وان فرضنا فيهم من مات مومنا واكرهه على الخروج او مات ببكة فانما هو عاص في ترك المهجرة مأواه جهنم على جهة العصيان دون خلود * وقوله تعالى توفاهم يحتمل ان يكون فعلا ماضيا ويحتمل ان يكون مستقبلا على معنى تتوفاهم فحذفت احدى التائين وتكون في العبارة اشارة الى ما ياتى من هذا المعنى في المستقبل بعد نزول الآية وظالمى انفسهم نصب على الحال اي ظالميها بترك المهجرة وتوفاهم الملائكة معناه تقبض ارواحهم قال الزجاج وحذفت النون من ظالمين تخفيفا كقوله بالغى الكعبة وقول الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ وقول هؤلاء كنا مستضعفين في الارض اعتذار غير صحيح اذ كانوا يستطيعون التحيل ويهتدون السبل ثم وقفتهم الملائكة على ذنبهم بقولهم الم تكن ارض الله واسعة والارض الاولى هي ارض مكة خاصة وارض الله هي الارض بالاطلاق والمراد فتنهاجروا فيها

الى مواضع الامن وهذه المقالة انما هي بعد توفى الملائكة لارواح هؤلاء وهي دالة على انهم ماتوا مسلمين ولا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا ثم استثنى سبحانه من كان استضعافه حقيقة من زمنى الرجال وضعفة النساء والولدان قال ابن عباس كنت انا وامى من المستضعفين والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبيل سبيل المدينة فيما قاله مجاهد وغيره والصواب انه عام فى جميع السبل ثم رضى الله تعالى هؤلاء بالغفونهم والمراغم المتحول والمذهب قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد المراغم المتزحزح عما يكره وقال ابن زيد المراغم المهاجر وقال السدي المراغم المبتغى للمعيشة قال * ع * وهذا كله تفسير بالمعنى واما الخاص باللفظة فان المراغم هو موضع المراغمة فلو هاجر احد من هؤلاء المحبوسين بمكة لا رغم انوف قريش بحصوله فى منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة قال ابن عباس وغيره السعة هنا هي السعة فى الرزق وقال مالك السعة سعة البلاد قال * ع * وهذا هو المشبه للفصاحة ان يريد سعة الارض وبذلك تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر وغير ذلك من وجوه الفرج وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة قال مالك بن انس رحمه الله الآية تعطى ان كل مسلم ينبغي له ان يخرج من البلاد التى تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق * وقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت الآية حكم هذه الآية باقى فى الجهاد والمشي الى الصلاة والحج ونحوه قلت وفى الباب حديث عن ابي امامة وسياضى عند قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال * ع * والآية نزلت بسبب رجل من كثانة وقيل من خزاعة اسمه ضمرة فى قول الاكشر لما سمع قول الله تعالى الذين لا يستطيعون حيلة

ولا يهتدون سبيلا قال انى لذو مال وعبيد وكان مريضا فقال اخرجونى الى المدينة فاخرج فى سرير فادركه الموت بالتنعيم فنزلت الآية بسببه قال * ع * ومن هذه الآية رأى بعض العلماء ان من مات من المسلمين وقد خرج غازيا فله سهم من الغنيمة قاسوا ذلك على الاجرووقع عبارة عن الثبوت وكذلك هي وجب لان الوقوع والوجوب نزول فى الاجرام بقوة فشبه لازم المعانى بذلك وباقى الآية بين * وقوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الآية ضربتم معناه سافرتم قال مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابن راهويه تقصر الصلاة فى اربعة برد وهي ثمانية واربعون ميلا وحجتهم احاديث رويت فى ذلك عن ابن عمروابن عباس وقال الحسن والزهرى تقصر فى مسيرة يومين وروى هذا ايضا عن مالك وروى عنه تقصر فى مسافة يوم وليلة وهذه الاقوال الثلاثة تتقارب فى المعنى والجمهور على جواز القصر فى السفر المباح وقال عطاء لا تقصر الا فى سفر طاعة وسبيل خير والجمهور انه لا قصر فى سفر معصية والجمهور انه لا يقصر المسافر حتى يخرج من بيوت القرية وحينئذ هو ضارب فى الارض وهو قول مالك وجداعة المذهب والى ذلك فى الرجوع وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذى الحليفة ركعتين وليس بينهما ثلث يوم ويظهر من قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا ان القصر مباح او مخير فيه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المسافر مخير فيه وقاله الابهرى وعليه حذاق المذهب وقال مالك فى المبسوط القصر سنة وهذا هو الذى عليه جمهور المذهب وعليه جواب المدونة بالاعادة فى الوقت لمن اتم فى سفره وقال ابن سحنون وغيره القصر فرض * وقوله تعالى ان خفتن ان يفتنكم الذين كفروا

الآية وفي حديث يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ان الله تعالى يقول ان خفتهم وقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ويفتنكم معناه يمتحنكم بالحمل عليكم واشغال نفوسكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الظهر باصحابه قال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى في اثرها فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتهم ان يفتنكم الذين كفروا الى اخر صلاة الخوف * وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية قال جمهور الامة الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتناول الامراء بعده الى يوم القيامة وكذلك جمهور العلماء على ان صلاة الخوف تصلى في الحضر اذا نزل الخوف قال الطبري فاقمت لهم معناه حدودها وهيئتها * وقوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك امر بالانقسام اي وسائرهم وجاه العدو ومعظم الروايات والاحاديث على ان صلاة الخوف انما نزلت الرخصة فيها في غزوة ذات الرقاع واختلف من المأمور باخذ الاسلحة هنا فقل الطائفة المصلية وقيل بل الحارسة قال * ع * ولفظ الآية يتناول الكل ولكن سلاح المصلين ما خف قلت ومن المعلوم انه اذا كانت الطائفة المصلية هي المأمورة باخذ السلاح فالحارسة من باب اخرى واختلفت الآثار في هيئة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الخوف وبحسب ذلك اختلف الفقهاء فروى يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عن سهل بن ابى حنيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذات الرقاع فصفت طائفة معه وطائفة وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالساً واتموا لانفسهم ثم سلم

بهم وروى القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن سهل هذا الحديث بعينه
الا انه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى بالطائفة الاخيرة ركعة
سلم ثم قضت بعد سلامه وبحديث القاسم بن محمد اخذ مالك واليه رجع
بعد ان كان اولاً يميل الى رواية يزيد بن رومان وروى عبد الرزاق عن مجاهد
قال لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف الا مرتين مرة بذات
الرقاع من ارض بنى سليم ومرة بعُصفان والمشركون بضجنان بينهم وبين القبلة
قال * ع * وظاهر اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم
يقتضى انه صلى صلاة الخوف في غير هذين الموطئين وقد ذكر ابن عباس
انه كان في غزوة ذي قرد صلاة خوف * وقوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم الآية المعنى فاذا سجدوا معك الركعة الاولى فلينصرفوا هذا على
بعض الهيآت المروية وقيل المعنى فاذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على رواية
ابن ابي حنيفة والضمير في قوله فليكونوا يحتمل ان يكون للذين سجدوا ويحتمل
ان يكون للطائفة القائمة اولاً بازاء العدو ويجيء الكلام وصاة في حال الحذر
والحرب * وقوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون الآية اخبار عن معتقد
القوم وتحذير من الغفلة لئلا ينال العدو امله واساحة جمع سلاح وفي قوله تعالى
ميلة واحدة مبالغة اي مستاملة لا يحتاج معها الى ثانية * وقوله تعالى ولا
جناح عليكم الآية ترخيص قال ابن عباس نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف
كان مريضاً فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس قال * ع * كانوا تلقوا
الامر باخذ السلاح على الوجوب فرخص الله تعالى في هاتين الحالتين وينقاس
عليهما كل غدر ثم قوى سبحانه نفوس المؤمنين بقوله ان الله اعد للكافرين
عذاباً مهيناً * وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً الآية

ذهب جمهور العلماء الى ان هذا الذكر المأمور به انما هو اثر صلاة الخوف على حد ما امروا عند قضاء المناسك بذكر الله فهو ذكر باللسان والطمانينة في الآية سكون النفوس من الخوف وقال بعض المتأولين المعنى فاذا رجعت من سفركم الى الحضر فاقيموها تامة اربعا * وقوله تعالى كتابا موقوتا معناه منجما في اوقات هذا ظاهر اللفظ وروي عن ابن عباس ان المعنى فرضا مفروضا فهما لفظان بمعنى واحد كرر بالغة * وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تلينوا وتضعفوا يقال جبل واهن اي ضعيف ومنه وهن العظم وابتغاء القوم طلبهم وهذا تشجيع لنفوس المؤمنين وتحقير لامر الكفرة ثم تأكد التشجيع بقوله وترجون من الله ما لا يرجون وهذا برهان بين ينبغي بحسبه ان تقوى نفوس المؤمنين وباقي الآية بين * وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله الآية في هذه الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتفويض اليه وتقويم ايضا على الجادة في الحكم وتانيب ما على قبول ما رُفِع اليه في امر بني أُبَيَّيرِق بسرعة * وقوله تعالى بما اراك الله معناه على قوانين الشرع اما بوحي ونص او نظرجار على سنن الوحي وقد تضمن الله تعالى لانبيائه العصمة * وقوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما قال الهروي خصيما اي مخاصما ولا دافعا انتهى قال * ع * سببها باتفاق من المتأولين امر بني ابيرق وكانوا اخوة بشرو وبشير ومبشر وطعيمة وكان بشير رجلا منافقا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وينحل الشعر لغيره فكان المسلمون يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث فقال شعرا يتنصل فيه فمعه قوله اني كل ما قال الرجال قصيدة * نُحِلْتُ وقالوا ابن ابيرق قالها قال قتادة بن النعمان وكان بنو ابيرق اهل فاقة فابتاع عمى رفاعه بن زيد

جلا من درمك الشام فجعله في مشربة له وفي المشربة درعان له وسيفان فعدي على المشربة من الليل فلما اصبح اتانى عمى رفاعة فقال يا ابن اخى اتعلم انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا فال فتحسنا في الدار وسألنا ف قيل لنا قد رأينا بنى ابيرق استوقدوا نارا في هذه الليلة ولا تُراه الا على بعض طعانكم قال وقد كان بنو ابيرق قالوا ونحن نسأل والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح واسلام فسمع ذلك لبيد فاخطر سيفه ثم اتى بنى ابيرق فقال والله ليخالطنكم هذا السيف او لنبينن هذه السرقة فقالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك انهم اصحابها فقال لى عمى يا ابن اخى لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بهذه القصة فاتيت صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال انظر في ذلك فلما سمع بذلك بنو ابيرق اتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك واجتمع اليه ناس من اهل الدار فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه رفاعة عمدا الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرميانهم بالسرقة على غير بينة قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة من غير بينة قال فرجعت وقد وددت ان اخرج عن بعض مالى ولم اكله فاتيت عمى فقال ما صنعت فاخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان فلم نلبث ان نزل القرآن انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات قال فالحائذون بنو ابيرق والبريء المرمى لبيد بن سهل والطائفة التى همت اسير واصحابه قال * ع * قال قتادة وغير واحد هذه القصة ونحوها انها كان صاحبها طعمة بن ابيرق ويقال فيه طعيمة قال

* ع * وطعته بن ابيرق صرح بعد ذلك بالارتداد وهرب الى مكة فروي انه نكب حائط بيت ليسرقه فانهدم الحائط عليه فقتله ويروى انه اتبع قوما من العرب فسرقهم فقتلوه * وقوله تعالى واستغفر الله ذهب الطبري الى ان المعنى استغفر من ذنبك في خصامك للناس قال * ع * وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءتهم والمعنى واستغفر للمؤمنين من امتك والمتخاصمين بالباطل لا ان تكون ذا جدال عنهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك لا غفر له ما كان في مجلسه ذلك رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن جبان في صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي والحاكم ايضا من طرق عن عائشة وغيرها انتهى من السلاح * وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لفظ عام يندرج تحته اصحاب النازلة ويتقرر به توبيخهم وفي قوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اثما رفيق وابقاء فان الخوان هو الذي تنكرر منه الخيانة كطعيمة بن الابيرق وكاثيم هو الذي يقصدها فيخرج من هذا التشديد الساقط مرة واحدة ونحو ذلك واختيان لانفس هو بما يعود عليها من الاثم والعقوبة في الدنيا والآخرة * وقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآية الضمير في يستخفون للصنف المرتكب للمعاصي ويندرج في طي هذا العموم اهل الخيانة في النازلة المذكورة واهل التعصب لهم والتدبير في خدع النبي صلى الله عليه وسلم والتلبيس عليه ويحتمل ان يكون الضمير لاهل هذه النازلة ويدخل في معنى هذا التوبيخ كل

من يفعل نحو فعلهم قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية النفوس المرتكبة
للمحارم المحتقبة للمآثم والمظالم شبيهة بالآراقم تملأ افواهها سما وتقصد من
تقذفه عليه عدوانا وظلما تجمع في صمائها سموم شرورها وضررها وتحتال لالقائها
على الغافلين عن مكائدها وخذعها انتهى ومعنى وهو معهم بالاحاطة والعلم والقدرة
ويبيتون يدبرون ليلا ويحتمل ان تكون اللفظة مأخوذة من البيت اي
يستتروا في تدبيرهم بالجدران * وقوله تعالى هانتم هؤلاء خطاب للقوم
الذين يتعصبون لاهل الربب والمعاصي ويندرج في طي هذا العموم اهل النازلة
وهو لا ظهر عندي بحكم التأكيد بهؤلاء وهي اشارة الى حاضرين ومن مصابيح
البغوي عن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حالت شفاعته
دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في
سخط الله حتى ينزع ومن قال في مومن ما ليس فيه اسكنه الله ردغة الخبال
حتى يخرج مما قال ويروى من اعان على خصومة لا يدرك احق ام باطل فهو
في سخط الله حتى ينزع انتهى * وقوله تعالى فمن يجادل الله عنهم يوم
القيامة الآية وعيد محض ولما تمكن هذا الوعيد وقضت العقول بان لا مجال لله
سبحانه ولا وكيل يقوم بأمر العصاة عنده عقب ذلك بهذا الرجاء العظيم والمهل
المنفسح فقال ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الآية وباقي الآية بين * وقوله
تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ذهب بعض الناس الى انها لفظان بمعنى كرر
لاختلاف اللفظ وقال الطبري انما فرق بين الخطيئة والاثم لان الخطيئة
تكون عن عمد وعن غير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وهذه الآية لفظها عام
ويندرج تحت ذلك العموم اهل النازلة المذكورة وبريء النازلة وهو لبيد كما
تقدم اي ويتناول عموم الآية كل بري * وقوله فقد احتمل بهتاناً تشبيهه اذ

الذنوب ثقل ووزر فهي كالحمولات وبهتاننا معناه كذبا ثم وقف الله تعالى نبيه على مقدار عصمته له وانها بفضل منه سبحانه ورجة * وقوله تعالى لهمت معناه لجعلته معها وشغلها حتى تنفذه وهذا يدل على ان الالفاظ عامة في غير اهل النازلة ولا فاهل التعصب لبنى ابيسرق قد وقع همهم وثبت ثم اخبر تعالى انهم لا يصلون الا انفسهم وما يضررونك من شيء قلت ثم ذكر سبحانه ما انعم به على نبيه من انزال الكتاب والحكمة وتعليمه ما لم يكن يعلم قال ابن العربي في رحلته اعلم ان علوم القرآن ثلاثة اقسام توحيد وتذكير واحكام وعلم التذكير هو معظم القرآن فانه مشتمل على الوعد والوعيد والخوف والرجاء والقرب وما يرتبط بها ويدعو اليها ويكون عنها وذلك معنى تتسع ابوابه وتمتد اطنابه انتهى وباقي الآيات وعد كريم لنبيه عليه السلام وتقرير نعمه لديه سبحانه لا اله غيره * وقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الآية الضمير في نجواهم عائد على الناس اجمع وجاءت هذه الآيات عامة التناول وفي عمومها يندرج اصحاب النازلة وهذا من الفصاحة ولايجاز المصن الماضي والغابر في عبارة واحدة قال النووي وروينا في كتابي الترمذي وابن ماجه عن ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم عليه لا له الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكرا لله تعالى انتهى والنجوى المسارة وقد تسمى بها الجماعة كما يقال قوم عدل وليست النجوى بمقصورة على الهمس في الاذن والمعروف لفظ يعم الصدقة والاصلاح وغيرها ولكن خصا بالذكر اهتماما اذ هما عظيمتا الغناء في مصالح العباد ثم وعد تعالى بالاجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضى الله تعالى * وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول الآية لفظ عام نزل بسبب طعمة بن ابيسرق لانه ارتد وسار الى مكة فاندرج

الانحاء عليه في طي هذا العموم المتناول لمن اتصف بهذه الصفات الى يوم القيامة * وقوله نوله ما تولى وعيد بان يترك مع فاسد اختياره في تودد الطاغوت ثم اوجب تعالى انه لا يغفر ان يشرك به وقد مضى تفسير مثل هذه الآية * وقوله تعالى ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا مريدا الآية الضمير في يدعون عائد على من ذكر في قوله ومن يشاقق الرسول وان نافية بمعنى ما ويدعون عبارة مغنية موجزة في معنى يعبدون ويتخذون الهة قلت وفي البخاري الا انا يعني الموات حجرا ومدرا وما اشبهه انتهى وفي مصحف عائشة الا اوثانا ونحوه عن ابن عباس والمراد بالشيطان هنا ابليس قاله الجمهور وهو الصواب لان سائر المقالة به تليق ومريدا معناه متمردا عاتيا صليبا في غوايته واصل اللعن الابعاد والمفروض معناه في هذا الموضع المنحاز وهو مأخوذ من الفرض وهو الحزب في العود وغيره قال * ع * ويحتمل ان يريد واجبا ان اتخذه وبعث النار هو نصيب ابليس * وقوله ولا صلنهم الآية معنى اصلنهم اصرفهم عن طريق الهدى ولا منينهم لاسولن لهم وامانيه لا تنحصر في نوع واحد والبنك القطع * وقوله ولا مرنهم فليغيرن خلق الله اختلف المتأولون في معنى تغيير خلق الله وملاك تفسير هذه الآية ان كل تغيير صار فهو داخل في الآية وكل تغيير نافع فهو مباح وفي مختصر الطبري فليغيرن خلق الله قال ابن عباس خلق الله دين الله وعن ابراهيم ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد مثله وفسر ابن زيد لا تبديل لخلق الله اي لدين الله واختار الطبري هذا القول واستدل له بقوله تعالى ذلك الدين القيم واجاز ان يدخل في الآية كل ما نهى الله عنه من معاصيه والترك لطاعته انتهى وهو حسن قال * ع * والامات كلها للقسم قال * ص * ولا صلنهم مفعوله محذوف اي عن الهدى وكذا ولا منينهم اي

الباطل وكذا ولآمرنهم اي بالبتك فليبتكن وكذا ولآمرنهم اي بالتغيير فليغيرن كل ما اوجده الله للطاعة فيستعينون به في المعصية انتهى ولما ذكر الله سبحانه عتو الشيطان وما توعد به من بث مكره حذر تبارك وتعالى عباده بان شرط لمن يتخذها وليا جزاء الخسران * وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم اي يعدهم باباطيله من الهال والجهاء وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك لكل احد ما يليق بحاله ويمنيهم كذلك ثم ابتدأ سبحانه الخبر عن حقيقة ذلك بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم اخبر سبحانه بمصير المتخذين الشيطان وليا وتوعدهم بان مأواهم جهنم لا يدافعونها بحيلة ولا يتروغون ومحيصا من حاص اذا راغ ونفرو منه قول الشاعر

ولم ندر ان حصنا من الموت حيضة * كم العمر باق والمدى متناول
ومنه الحديث فحاصوا حيضة حمر الوحش ولما ذكر سبحانه ما تقدم من الوعيد واقتضى ذلك التحذير عقب ذلك عز وجل بالترغيب في ذكره حالة المؤمنين واعلم بصحة وعده ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه في قوله ومن اصدق من الله قيلا والقيل والقول واحد ونصبه على التمييز * وقوله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب الآية الاماني جمع امنية وهي ما يتشهاه المرء ويطمع نفسه فيه قال ابن عباس وغيره الخطاب لامة النبي صلى الله عليه وسلم وفي مختصر الطبري عن مسروق وغيره قال احتج المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون نحن اهدى وقال اهل الكتاب نحن اهدى فانزل الله هذه الآية وعن مجاهد قالت العرب لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قال الطبري وقول مجاهد اولى بالصواب وذلك ان المسلمين لم يجبر لامانيهم ذكر

فيما مضى من الآي وانما جرى ذكر امانى نصيب الشيطان انتهى وعليه عول
* ص * فى سبب نزول الآيۃ اعنى على تاويل مجاهد * وقوله تعالى من
يعمل سوءا يجز به قال جمهور الناس لفظ الآيۃ عام فالكافر والمومن مجازى فاما
مجازات الكافر فالنار واما مجازات المومن فبنكبات الدنيا فمن بقي له سوءا
الى الآخرة فهو فى المشيئة يغفر الله لمن يشاء ويجازى من يشاء * وقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات دخلت من للتبعض اذ الصالحات على الكمال مما لا
يطيقه البشر ففى هذا رفق بالعباد لكن فى هذا البعض الفرائض وما امكن من
المدبوب اليه ثم قيد الامر بالايمان اذ لا ينفع عمل دونہ والنقيير النكتة التى
فى طهر النواة ومنه تنبت وعن ابن عباس ما تنقره باصبعك ثم اخبر تعالى
اخبارا موقفا على انه لا احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله اى اخلص مقصده
وتوجهه واحسن فى اعماله واتبع الحنيفية ملته ابراهيم امام العالم وقدوة لاديان
ثم ذكر سبحانه تشريفه لنبيه ابراهيم عليه السلام بانخاذه خليلاً وسماه خليلاً
اذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على الغاية التى يجرى اليها المحب المبالغ
وذهب قوم الى انه سمي خليلاً من الخلطة بفتح الخاء اى لانه انزل خلته
وفاقتہ بالله تعالى وكذلك شرف الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالخلطة
كما هو مصرح به فى الحديث الصحيح * وقوله تعالى ولله ما فى السموات
وما فى الارض الآيۃ ذكر سبحانه سعة ملكه واحاطته بكل شيء عقب ذكر الدين
وتبيين الجادة منه ترغيباً فى طاعته والانقطاع اليه سبحانه * وقوله تعالى
ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم الآيۃ معنى قوله يفتيكم فيهن اى يبين
لكم حكم ما سألتم عنه قال * ع * تحتمل ما ان تكون فى موضع رفع
عطفاً على اسم الله عز وجل اى ويفتيكم ما يتلى عليكم فى الكتاب يعنى القرآن

والاشارة بهذا الى ما تقدم من الآية في امر النساء وهو قوله تعالى في صدر السورة وان خفتم لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الآية قالت عائشة نزلت هذه الآية اولاً ثم سأل ناس بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر النساء فنزلت ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية * وقوله تعالى في يتامى النساء اللاتي لا توتونهن ما كتب لهن معناه النهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة الجميلة بدون ما تستحقه من المهر ومن عضل الدمية الغنية حتى تموت فيرثها العاضل والذي كتب الله لهن هو توفية ما تستحقه من مهر * وقوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن اي ان كانت الجارية غنية جميلة فالرغبة في نكاحها وان كانت بالعكس فالرغبة عن نكاحها * وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والذي يتلى في المستضعفين من الولدان هو قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الآية وذلك ان العرب كانت لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير ففرض الله تعالى لكل واحد حقه * وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف ايضاً على ما تقدم والذي تلي في هذا المعنى هو قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم الآية الى غير ذلك مما ذكر في مال اليتيم والقسط العدل وباقي الآية بين * وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً الآية هذه الآية حكم من الله تعالى في امر المرأة التي تكون ذات سن ونحو ذلك مما يرغب زوجها عنها فيعرض عليها الفرقة او الصبر على الاثرة فتريد هي بقاء العصمة فهذه التي اباح الله بينهما الصلح ورفع الجناح فيه واختلف في سبب نزول الآية فقال ابن عباس وجماعة نزلت في النبي عليه السلام وسودة بنت زمعة وفي المصنفات ان سودة لما كبرت وهبت يومها لعائشة وقال ابن المسيب وغيره نزلت بسبب

رافع بن خديج وامراته خولة وقال مجاهد نزلت بسبب ابى السنابل وامراته
ولفظ ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا
او اعراضا الآية قالت عائشة رضي الله تعالى عنها هي المرأة تكون عند الرجل
ليس بمستكثر منها يريد ان يفارقها فتقول له اجعلك من شانى فى حل
فنزلت الآية قال الفقيه ابو بكر بن العربي فرضوان الله على الصديقة المطهرة
لقد وفيت بما جعلها ربها من العهد فى قوله تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن
من آيات الله والحكمة انتهى * وقوله تعالى والصلح خير لفظ عام مطلق
يقتضى ان الصلح الحقيقي الذى تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف
خير على الاطلاق ويندرج تحت هذا العموم ان صلح الزوجين على ما ذكرنا خير
من الفقرة * وقوله تعالى واحضرت لانفس الشح معذرة عن عبيدة تعالى
اي لا بد للانسان بحكم خلقته وجبلته من ان يشح على ارادته حتى يحمل
صاحبه على بعض ما يكره وخصص المفسرون هذه اللفظة هنا فقال ابن جبير هو
شح المرأة بالنفقة من زوجها ويقسمه لها ايامها وقال ابن زيد الشح هنا منه
ومنها قال * ع * وهذا حسن والشح الضبط على المعتقدات وفى الهمم
والاموال ونحو ذلك فما افراط منه ففيه بعض المذمة وهو الذى قال تعالى فيه
ومن يوق شح نفسه وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعية او التى تقتضيها
المروءة فهو البخل وهي رذيلة لكنها قد تكون فى المومن ومنه الحديث قيل يا
رسول الله ايكون المومن بخيلا قال نعم واما الشح ففى كل احد وينبغى ان لا
يفرط الا على الدين ويدلك على ان الشح فى كل احد قوله تعالى واحضرت
لا نفس الشح وقوله ومن يوق شح نفسه فقد اثبت ان لكل نفس شحا
وقول النبي عليه السلام وان تصدق وانت صحيح شحيح وهذا لم يرد به واحدا

بعينه وليس يجمل ان يقال هنا ان تصدق وانت صحيح بخيل * وقوله تعالى وان تحسنوا ندب الى الاحسان في تحسين العشرة والصبر على خلق الزوجة وتتقوا معناه تتقوا الله في وصيته بهن اذ هن عوان عندكم * وقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا آية معناه العدل التام على الاطلاق والمستوى في الافعال والاقوال والمحبة والجماع وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما املك فلا تواخذنى بما تملك ولا املك فوصف الله سبحانه حالة البشر انهم بحكم الخليفة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض الأزواج دون بعض ثم نهى سبحانه عن الميل كل الميل وهو ان يفعل فعلا يقصده من التفصيل وهو يقدر ان لا يفعله فهذا هو كل الميل وان كان فى امر حقير * وقوله سبحانه فتذروها كالمعلقة اي لا هي أيم ولا ذات زوج وجاء فى التى قبل وان تحسنوا وفى هذه وان تصالحوا لان الاولى فى مندوب اليه وفى هذه فى لازم اذ يلزمه العدل فيما يملك * وقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته الآية اي ان شح كل واحد من الزوجين فلم يتصالحا لكنهما تفرقا بطلاق فان الله تعالى يغنى كل واحد منهما عن صاحبه بفضله ولطائف صنعه فى المال والعشرة والسعة وجود المراتات والتمكن منها والواسع معناه الذى عنده خزائن كل شيء * وقوله سبحانه ولله ما فى السموات وما الارض تنبيه على موضع الرجاء لهذين المفترقين ثم جاء بعد ذلك قوله وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض تنبيها على استغنائها عن العباد ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذلك قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا مقدمة للوعيد فهذه وجوه تكرار هذا الخبر الواحد ثلاث مرات متقاربة * ت * وفى تمشيته هذه عندى نظر والاحسن

بقاء الكلام على نسقه فقولہ رحمہ اللہ تنبیہ علی موضع الرجاء لہذین
المفتقرین حسن وانما الذی فیہ قلق ما بعدہ من توجیہہ * وقولہ تعالیٰ
ولقد وصینا الذین اوتوا الکتاب من قبلکم وایاکم الآیۃ لفظ عام لكل من اوتي
کتابا فان وصیتہ سبحانہ لعبادہ لم تنزل منذ اوجدہم * ت * قال الاستاذ
ابوبکر الطرطوشي فی سراج الملوک ولما ضرب ابن ملجم علیا رضي اللہ عنہ
ادخل منزله فاعتزته غشیة ثم افاق فدعا اولاده الحسن والحسين ومجدا فقال
اوصیکم بتقوی اللہ فی الغیب والشهادة وكلمة الحق فی الرضا والغضب والقصد
فی الغنى والفقر والعدل علی الصديق والعدو والعمل فی النشاط والکسل والرضا
عن اللہ فی الشدة والرخاء یا بنی ما شر بعدہ الجنة بشر ولا خیر بعدہ النار بخیر
وکل نعيم دون الجنة حقیر وکل بلاء دون النار عافیة من ابصر عیب نفسه شغل
عن عیب غیرہ ومن رضي بقسم اللہ لم یحزن علی ما فاتہ ومن سل سيف بغی
قتل بہ ومن حفر لایخيه بیثرا وقع فیها ومن هتک حجاب اخیه کشف
عورات بنیه ومن نسی خطیئته استعظم خطیئة غیرہ ومن استغنی بعقله زل
ومن تکبر علی الناس ذل ومن اعجب برأیه ضل ومن جالس العلماء وقرو من
خالط الاندال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح استخف بہ ومن
اکثر من شیء عرف بہ ومن کثر کلامه کثر خطأه ومن کثر خطأه قل حیأه
ومن قل حیأه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار
یا بنی لادب خیر میراث وحسن الخلق خیر قرین یا بنی العافیة عشرة
اجزاء تسعة منها فی الصمت الا عن ذکر اللہ وواحد فی ترک مجالسة السفهاء
یا بنی زینة الفقر الصبر وزینة الغنى الشکر یا بنی لا شرف اعز من لاسلام
ولا کرم اعز من التقوی یا بنی الحرص مفتاح البغی ومطیة النصب طوبی

لمن اخلص لله عمله وعلمه وحبّه وبغضه واخذّه وتتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله انتهى والوكيل القائم بالامور المنفذ فيها ما رآه وقوله ايها الناس مخاطبة للحاضرين من العرب وتوقيف للسامعين لتحضر اذهانهم وقوله بآخرين يريد من نوعكم وتحتمل الآية ان تكون وعيدا لجميع بني ادم ويكون الآخرون من غير نوعهم كالملائكة وقول الطبري هذا الوعيد والتوبيخ للشافعين والمخاصمين في قصة بني ابيرق بعيد واللفظ انما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة او العالم الحاضر * وقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة الآية اي من كان لا مراد له الا في ثواب الدنيا ولا يعتقد ان ثم سواه فليس كما ظن بل عند الله سبحانه ثواب الدارين فمن قصد الآخرة اعطاه الله من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن قصد الدنيا فقط اعطاه من الدنيا ما قدر له وكان له في الآخرة العذاب والله تعالى سميع للاقوال بصير بالاعمال والنيات وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما لأعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى الحديث قال النووي بلغنا عن ابن عباس انه قال انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على قدر نياتهم انتهى ثم خاطب سبحانه المؤمنين بقوله كونوا قوامين بالقسط وهو العدل ومعنى شهداء لله اي لذاته ولوجهه ولمرضاته سبحانه وقوله ولو على انفسكم متعلق بشهداء هذا هو الظاهر الذي فسر عليه الناس وان هذه الشهادة المذكورة هي في الحقوق ويحتمل ان يكون المعنى شهداء لله بالوحدانية ويتعلق قوله ولو على انفسكم بقوامين بالقسط والتاويل الاول ابين وشهادة المرء على نفسه هو اقراره بالحقائق قال * ص * وقوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا ضمير يكن عائد الى المشهود عليه والضمير في بهما عائد على جنسي الغني والفقير

انتهى قال * ع * وقوله اولى بهما اي هو انظر لهما وروى الطبري ان هذه الآية هي بسبب نازلة بنى ابيرق وقيام من قام فيها بغير القسط * وقوله تعالى فلا تتبعوا الهوى نهى بين واتباع الهوى مرد مهلك * وقوله تعالى ان تعدلوا يحتمل ان يكون معناه مخافة ان تعدلوا ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن الحق ويحتمل ان يكون معناه محبة ان تعدلوا ويكون العدل بمعنى القسط * وقوله تعالى وان تلوا او تعرضوا الآية قال ابن عباس هي في الخصمين يجلسان بين يدي القاضى فيكون لي القاضى واعراضه لاحدهما على الآخر وقال ابن زيد وغيره هي في الشهود يلقى الشهادة بلسانه او يعرض عن ادائها قال * ع * ولفظ الآية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس وكل انسان ماخوذ بان يعدل والخصم مطلوبون بعدل ما في القضاة فتأمل وقد تقدم تفسير آل وباقى الآية وعيد * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ءامنوا بالله ورسوله الآية اختلف من المخاطب بهذه الآية ف قيل الخطاب للمؤمنين ومضمون هذا الامر الثبوت والدوام وقالت فرقة الخطاب لاهل الكتابين ورجحه الطبري وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين ءامنوا في الظاهر ليكن ايمانكم حقيقة * وقوله سبحانه ومن يكفر بالله الى اخر الآية وعيد وخبر مضمونه تحذير المؤمنين من حالة الكفر * وقوله تعالى ان الذين ءامنوا ثم كفروا الآية قال مجاهد وابن زيد الآية في المنافقين فان منهم من كان يؤمن ثم يكفر ثم يؤمن ثم يكفر ثم ازداد كفرا بان تم على نفاقه حتى مات قال * ع * وهذا هو التأويل الراجح وتأمل قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم فانها عبارة تقتضى ان هؤلاء محتوم عليهم من اول امرهم ولذلك ترددوا وليست هذه العبارة مثل ان يقول لا يغفر الله لهم بل هي اشد فتأمل الفرق بين العبارتين فانه من

دقيق غرائب الفصاحة التي في كتاب الله سبحانه * وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الآية في هذه الآية دليل ما على ان التي قبلها انما هي في المنافقين ثم نص سبحانه من صفات المنافقين على اشدها ضررا وهي موالاتهم الكافرين واطراحهم المومنين ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى ان يقع في نوع منه من المومنين غفلة او جهالة او مسامحة ثم وقفهم سبحانه على جهة التوبيخ فقال ايبتغون عندهم العزة والاستكثار اي ليس الامر كذلك فان العزة لله جميعا يوتيها من يشاء وقد وعد بها المومنين وجعل العاقبة للمتقين والعزة اصلها الشدة والقوة ومنه وعزنى في الخطاب اي غلبنى بشدته * وقوله سبحانه وقد نزل عليكم في الكتاب الآية مخاطبة لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق لانه اذا اظهر الايمان فقد لزمه امتثال اوامر كتاب الله تعالى والاشارة بهذه الآية الى قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره الى نحو هذا من الآيات والكتاب في هذا الموضع القروان وفي الآية دليل قوي على وجوب تجنب اهل البدع والمعاصي وان لا يجالسوا وقد قيل

عن المرو لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن مقتصد وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات ثم توعده سبحانه المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم فتأكد بذلك النهي عن مجالستهم وخطبتهم * وقوله تعالى الذين يتربصون بكم الآية هذه صفة المنافقين ويتربصون بكم معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فان كان فتح للمومنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الايمان وان كان للكافرين نيل من المومنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاته الكفار وهذا حال المنافقين ونستحوذ معناه نغلب على امركم ونحوطكم

ومنه استحوذ عليهم الشيطان معناه غلب على امرهم ثم سلى سبحانه المؤمنين
وانسهم بما وعدهم به في قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة اي وبينهم وينصفكم
من جميعهم وبقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اي يوم
القيامة قاله علي رضي الله عنه وعليه جميع اهل التاويل والسبيل هنا الحجة
والعلبة قلت لا ابن العربي لم يرتض هذا التاويل قال وانما معنى الآية احد
ثلاثة وجوه الاول لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يحو به دولة
المؤمنين ويستبيح بيضتهم الثاني لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا لا
ان يتواصوا بالباطل ولا يتناهاوا عن المنكر ويتباعدوا عن التوبة فيكون تسليط
العدو من قبلهم وهذا نفيس جدا الثالث لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا بالشرع فان وجد ذلك فبخلاف الشرع ونزع بهذا علماؤنا بالاختجاج
على ان الكافر لا يملك العبد المسلم انتهى ومخادعة المنافقين هي لاولياء الله
ففى الكلام حذف مضاف اذ لا يقصد احد من البشر مخادعة الله سبحانه
* وقوله تعالى وهو خادعهم عبارة عن عقوبتهم سماها باسم الذنب وقال ابن جريج
والحسن والسدي وغيرهم من المفسرين ان هذا الخدع هو ان الله تعالى يعطى
لهذه الامة يوم القيامة نورا لكل انسان مومن او منافق فيفرج المنافقون ويظنون
انهم قد نجوا فاذا جاءوا الى الصراط طفئ نور كل منافق ونهض المومنون
فذلك قول المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم فذلك هو الخدع الذى
يجرى على المنافقين ثم ذكر سبحانه كسلهم فى الصلاة وتلك حال كل من يعمل
كارها غير معتقد فيه الصواب بل تقية او مصانعة قال ابن العربي فى احكامه
قوله تعالى ولا يذكرون الله الا قليلا روى لائمة مالك وغيره عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين

تلك صلاة المنافقين يجلس احدهم حتى اذا اصفرّت الشمس وكانت بين قرني الشيطان قام ينقر اربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلاً قال ابن العربي وقد بين تعالى صلاة المؤمنين بقوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ومن خشع خضع واستمر ولم ينقر صلاته ولم يستعجل انتهى ومذبذبين معناه مضطربين لا يثبتون على حال والتذبذب الاضطراب فهولاء المنافقون مترددون بين الكفار والمؤمنين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والاشارة بذلك الى حالتي الكفر والايمان * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين آية خطابه سبحانه للمؤمنين يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للايمان ففى اللفظ رفق بهم وهم المراد بقوله سبحانه اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبيناً لان هذا التوقيف انما هو لمن الم بشيء من الفعل المؤدى الى هذه الحال والمؤمنون المخلصون ما ألتوا قط بشيء من ذلك ويقوى هذا المنزع قوله تعالى من دون المؤمنين اى والمؤمنون العارفون المخلصون غيب عن هذه الموالاة وهذا لا يقال للمؤمنين المخلصين بل المعنى يا ايها الذين اظهروا لايمان والتزموا لوازمه والسلطان الحجّة ثم اخبر تعالى عن المنافقين انهم فى الدرك الاسفل من نار جهنم وذلك لانهم اسرى غوائل من الكفار واشد تمكناً من اذى المسلمين قلت وايضا لانهم شاهدوا من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وما جعل الله على يديه من الخوارق ما لم يشاهد غيرهم من الكفار فكانت الحجّة عليهم اعظم وكان كفرهم محض عناد وروي عن ابى هريرة وابى مسعود وغيرهما انهم قالوا المنافقون فى الدرك الاسفل من النار فى توابيت من النار تقفل عليهم ثم استثنى عز وجل التائبين من المنافقين ومن شروط التائب ان

يصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله اي يجعله منفعته وملاجه ويخلص دينه لله تعالى والا فليس بتائب وقوله فاولائك مع المومنين اي في رجة الله سبحانه وفي منازل الجنة ثم وعد سبحانه المومنين الاجر العظيم وهو التخليد في الجنة وقال * ص * فاولائك خبرة مضر والتقدير فاولائك مومنون مع المومنين قاله ابو البقاء انتهى ثم قال سبحانه للمنافقين ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم الآية اي ابي منفعة له سبحانه في ذلك او حاجة قال ابو عبد الله اللخمي زعم الطبري ان قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم خطاب للمنافقين ولا يكاد يقوم له على ذلك دليل يقطع به وليس في ذكر المنافقين قبله ما يقتضى ان يحمل عليهم خاصة مع احتمال الآية للعموم فقطعه بان الآية في المنافقين حكم لا يقوم به دليل انتهى وهو حسن اذ حمل الآية على العموم احسن والعجب من * ع * كيف تبع الطبري في هذا التخصيص ويظهر والله اعلم انهما عولا في تخصيص الآية على قوله تعالى وامنتم وهو محتمل ان يحمل في حق المنافقين على ظاهرة وفي حق المومنين على معنى دتم على ايمانكم والله اعلم والشكر على الحقيقة لا يكون الا مقتربا بالايمان لكنه ذكر الايمان تاكيدا وتنبيها على جلالة موقعه ثم وعد سبحانه بقوله وكان الله شاكرا عليما اي يتقبل اقل شيء من العمل وينمي فذلك شكر منه سبحانه لعباده والشكور من البهائم الذي ياكل قليلا ويظهر به بدنه والعرب تقول في مثل اشكر من برؤفة لانها يقال تخضر وتنضر بطل السحاب دون مطروفي قوله عليما تحذير ونذب الى الاخلاص * وقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية قراءة الجمهور بضم الظاء وقرئ شاذا بفتحها واختلف على قراءة الجمهور فقالت فرقة المعنى لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا من

ظلم فلا يكره له الجهر به ثم اختلفت هذه الفرقة في كيفية الجهر بالسوء وما هو المباح منه فقال ابن عباس وغيره لا بأس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر له بالسوء من القول اي بما يوازى الظلمة وقال مجاهد وغيره نزلت في الضيف المحوّل رحله فانه رخص له ان يجهر بالسوء من القول للذى لم يكرمه يريد بقدر الظلم والظلمة وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت انتهى وسميع عليم صفتان لا تقتسان بالجهر بالسوء وبالظلم ايضا فانه يعلمه ويجازى عليه ولما ذكر سبحانه عذر المظلوم في ان يجهر بالسوء لظلمه اتبع ذلك عرض ابداء الخير واخفائه والعفو عن السوء ثم وعد عليه سبحانه بقوله فان الله كان عفوا قديرا وعدا خفيا تقتضيه البلاغة ورغب سبحانه في العفو اذ ذكر انها صفة مع القدرة على الانتقام قال * ع * ففي هذه الالفاظ اليسيرة معان كثيرة لمن تأملها قال الداودي وعن ابن عمر انه قال لا يحب الله سبحانه ان يدعو احد على احد الا ان يظلم فقد رخص له في ذلك انتهى * وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الى آخر الآية نزل في اليهود والنصارى وقد تقدم بيان هذه المعانى * وقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله الآية لما ذكر سبحانه ان المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقا عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعا وهم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعد اولئك فبين الفرق بين المنزلتين * وقوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء الآية قال قتادة سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بكتاب من عند الله خاص

لليهود يامرهم فيه بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوه عن ابن جريج وزاد الى فلان والى فلان انك رسول الله ثم قال سبحانه على جهة التسليية لنبيه صلى الله عليه وسلم فقد سألو موسى اكبر من ذلك وفي الكلام محذوف يدل عليه المذكور تقديره فلا تبال يا محمد من سؤالهم وتشططهم فانها عادتهم وجهور المتأولين على ان جهرة معمول لا رنا اي حتى نراه جهازا اي عيانا واهل السنة معتقدون ان هؤلاء لم يسألوا محالا عقلا لكنه محال من جهة الشرع اذ قد اخبر تعالى على السنة انبيائه انه لا يرى سبحانه في هذه الدنيا والرؤية في الآخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر المتواتر وهي جائزة عقلا من غير تحديد ولا تكييف ولا تحيز كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات كذلك هو مروي لا كالمرويات سبحانه هذه جهة اهل السنة وقولهم وقد تقدم قصص القوم في البقرة وظلمهم هو تعنتهم وسؤالهم ما ليس لهم ان يسألوه * وقوله تعالى ثم اتخذوا العجل ثم للترتيب في الاخبار لا في نفس الامر التقدير ثم قد كان من امرهم ان اتخذوا العجل وذلك ان اتخذ العجل كان عند امر المضي الى المناجاة ولم يكن الذين صنعوا ممن اتخذ العجل لكن الذين اتخذوه كاذ قد جاءتهم البينات * وقوله سبحانه ففعلونا عن ذلك يعني بما امتحنهم به من القتل لانفسهم ثم وقع الغفوع الباقيين منهم * وقوله سبحانه فيما نقصهم ما زائدة مؤكدة التقدير فنقصهم فالآية مخبرة عن اشياء واقعوها هي ضد ما امروا به وحذف جواب هذا الكلام بليغ مبهم متروك مع ذهن السامع تقديره لعناهم ونحوه ثم قال سبحانه وبكفرهم اي بعيسى وقولهم على مريم بهتاناً هو رميهم اياها بالزنا بعد رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الآية هذه الآية والتي قبلها عدد الله تعالى فيهما اقوال بنى اسرائيل وافعالهم على

اختلاف الأزمان وتعاقب القرون فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين
لبنينا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الطائفة التي قالت انا قتلنا المسيح غير
الذين نقصوا الميثاق في الطور وغير الذين اتخذوا العجل وقول بنى اسرائيل
انما هو الى قوله عيسى ابن مريم * وقوله تعالى رسول الله انما هو اخبار من الله
تعالى بصفة لعيسى وهي الرسالة على جهة اظهار ذنب هؤلاء المقرين بالقتل
ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى لانهم صلبوا ذلك الشخص على انه عيسى
وعلى ان عيسى كذاب ليس برسول الله فلزمهم الذنب من حيث اعتقدوا ان
قتلهم وقع في عيسى قال * ص * وعيسى بدل او عطف بيان من المسيح
ورسول الله كذلك ويجوز ان يكون صفة لعيسى وان يكون نصبا على اضرار
اعنى قلت وهذا لاخير احسنها من جهة المعنى انتهى ثم اخبر سبحانه ان بنى
اسرائيل ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفت الرواة في هذه القصة
والذى لا يشك فيه ان عيسى عليه السلام كان يسيح في الارض ويدعو الى الله
وكانت بنو اسرائيل تطلبه وملكهم في ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل وكان
عيسى قد انصوى اليه الحواريون يسرون معه حيث سار فلما كان في بعض
الافاق شعر بامر عيسى فروي ان رجلا من اليهود جعل له جعل فما زال
ينقر عنه حتى دل على مكانه فلما احس عيسى واصحابه بتلاحق الطالبين بهم
دخلوا بيتا بمرأى من بنى اسرائيل فروي انهم عدوهم ثلاثة عشر وروي ثمانية
عشر وحصروا ليلا فروي ان عيسى فرق الحواريين عن نفسه تلك الليلة
ووجههم الى الآفاق وبقي هو ورجل معه فرفع عيسى والقي شبهه على الرجل
فصلب ذلك الرجل وروي ان الشبه الذي على اليهودي الذى دل عليه
فصلب وروي ان عيسى عليه السلام لما احيط بهم قال لاصحابه ايكم يلقي

عليه شبهى فيقتل ويخلص هؤلاء وهو رفيقى فى الجنة فقال سرجس انا فالقى عليه شبه عيسى وروي ان شبه عيسى القى على الجماعة كلها فلما اخرجهم بنو اسرائيل نقصوا واحدا من العدة فاخذوا واحدا ممن عليه الشبه حسب هذه الروايات التى ذكرناها فصلبوه وروي ان الملك والمتناولين لم يخف عليهم امر رفع عيسى لما رأوه من نقصان العدة واختلاط الامر * وقوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه الآية يعنى اختلف المحاولين لاخذة لانهم حين فقدوا واحدا من العدد وتحدث برفع عيسى اضطربوا واختلفوا لكن اجعوا على صلب واحد من غير ثقة ولا يقين انه هو * وقوله تعالى وما قتلوه يقينا قال ابن عباس وجاعة المعنى وما صح ظنهم عندهم ولا تحققوه يقينا فالضمير فى قتلوه عندهم عائد على الظن كما تقول ما قتل ما قتل هذا الامر علما قلت وعبارة السدي وما قتلوا امره يقينا ان الرجل هو عيسى انتهى من مختصر الطبري وقال قوم الضمير عائد على عيسى اخبر سبحانه انهم ما قتلوه فى الحقيقة جلته واحدة لا يقينا ولا شكاً لكن لما حصلت فى ذلك الدعوى صار قتله عندهم مشكوكا فيه وقال قوم من اهل اللسان الكلام تام فى قوله وما قتلوه ويقينا مصدر مؤكد للنفي فى قوله وما قتلوه المعنى نخبركم يقينا او نقص عليكم يقينا او ايقنوا بذلك يقينا وقال * ص * بعد كلام والظاهر ان الضمير فى قتلوه عائد الى عيسى لتتحد الضمائر ويقينا منصوب فى موضع الحال من فاعل قتلوه اي مستيقنين انه عيسى او نعت لمصدر محذوف اي قتل يقينا انتهى * وقوله تعالى بل رفعه الله اليه يعنى الى سمائه وكرامته وعيسى عليه السلام فى السماء على ما تضمنه حديث الاسراء فى ذكر ابني الحالة عيسى ويحيى ذكره البخاري فى حديث المعراج وذكره غيره وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله تعالى لقتل الدجال وليملأ الارض عدلا ويحيى

فيها اربعين سنة ثم يموت كما يموت البشر * وقوله تعالى وان من اهل الكتاب
الا ليومنن به قبل موته اختلف في معنى الآية فقال ابن عباس وغيره الضمير
في موته راجع الى عيسى والمعنى انه لا يبقى من اهل الكتاب احد اذا نزل
عيسى الى الارض الا يومن بعيسى كما يومن سائر البشر وترجع الاديان كلها واحدا
يعنى يرجعون على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ عيسى واحد من امته
وعلى شريعته واثمتنا منا كما ورد في الحديث الصحيح وقال مجاهد وابن عباس
ايضا وغيرهما الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي لكن عند المعاينة للموت
فهو ايمان لا ينفعه وقال عكرمة الضمير في به لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبل
موته للكتابي قال وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يومن
بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو غرق او سقط عليه جدار فانه يومن في ذلك
الوقت وفي مصحف ابي بن كعب قبل موتهم ففي هذه القراءة تقوية لعود
الضمير على الكتابي قال * ص * وان من اهل الكتاب الآية ان هنا نافية
والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه اي وما احد من اهل الكتاب كما
حذف في قوله تعالى وان منكم الا واردها وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
اي وما احد منا وما احد منكم قال الشيخ ابو حيان ليومنن به جواب قسم
محذوف والقسم وجوابه هو الخبر وكذلك ايضا الا له مقام والا واردها هما
الخبر قال الزجاج وحذف احد مطلوب في كل نفي يدخله الاستثناء نحو ما
قام لازيد اي ما قام احد لازيد انتهى * وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية فبظلم معطوف على قوله سبحانه
فبما نقضهم والطيبات هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والطيور والحوت وغير ذلك
وقرأ ابن عباس طيبات كانت احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل

ان يريد صدهم في ذاتهم ويحتمل ان يريد صدهم غيرهم واخذهم الربوا هو الدرهم بالدرهمين الى اجل ونحو ذلك مما هو مفسدة وقد نهوا عنه ثم استثنى سبحانه الراسخين في العلم منهم كعبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق ومن جرى مجراهم واختلف الناس في قوله سبحانه والمقيمين وكيف خالف اعرابها اعراب ما تقدم وما تأخر فقال بعض نحاة البصرة والكوفة انما هذا من قطع النعوت اذا كثرت على النصب باعنى والرفع بعد ذلك بهم وقال قوم والمقيمين عطف على ما في قوله وما انزل من قبلك والمعنى ويؤمنون بالمقيمين الصلاة وهم الملائكة او من تقدم من الانبياء وقال قوم والمقيمين عطف على الضمير في منهم وقال آخرون بل على الكافي في قوله من قبلك وزاد * ص * والمقيمين منصوب على المدح قال وقراً جماعة والمقيمون انتهى * وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده الآية سبب نزولها قول بعض احبار يهود ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله سبحانه الآية تكذيباً لهم قال * ع * اسماعيل هو الذبيح في قول المحققين والوحي القاء المعنى في خفاء وعرفه في الانبياء بوساطة جبريل عليه السلام وكلم الله سبحانه موسى بكلام دون تكييف ولا تحديد ولا حرف ولا صوت والذي عليه الراسخون في العلم ان الكلام هو المعنى القائم في النفس ويخلق الله لموسى ادراكاً من جهة السمع يتحصل به الكلام وكما ان الله تعالى موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات فكذلك كلامه لا كالكلام * وقوله سبحانه رسلاً مبشرين ومنذرين الآية رسلاً بدل من الاول واراد سبحانه ان يقطع بالرسل احتجاج من يقول لو بعث الي رسول لا منت والله سبحانه عزيز لا يغالبه شيء ولا حجة لاحد عليه حكيم في افعاله فقطع الحجة بالرسل حكمة منه سبحانه * وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك الآية

سببها قول اليهود ما انزل الله على بشر من شيء وقال * ص * لكن استدراك ولا يبتدأ بها فيتعين تقدير جلة قبلها يبينها سبب النزول وهو انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انتهى * وقوله تعالى انزل به علم هذه الآية من اقوى متعلقات اهل السنة في اثبات علم الله عز وجل خلافا للمعتزلة في انهم يقولون عالم بلا علم والمعنى عند اهل السنة انزل وهو يعلم انزاله ونزوله * وقوله سبحانه والملائكة يشهدون تقوية لامر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورد على اليهود * وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا تقديره وكفى الله شهيدا لكنه دخلت الباء لتدل على ان المراد اكتفوا بالله وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الآية خطاب لجميع الناس وهي دعاء الى الشرع ولو كانت في امر من اوامر الاحكام ونحو هذا لكانت يا ايها الذين امنوا والرسول في الآية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال سبحانه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وهذا خبر بالاستغناء وان ضرر الكفر انما هو نازل بهم ثم خاطب سبحانه اهل الكتاب من النصارى وهوان يدعوا الغلو وهو تجاوز الحد * وقوله في دينكم معناه في دين الله الذى انتم مطلوبون به بان توحّدوا الله ولا تقولوا على الله كالا الحق وليست الاشارة الى دينهم المصلل وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل رواه مسلم والبخاري والنسائي وفي مسلم ادخله الله من اي ابواب الجنة الثمانية شاء انتهى * وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله اي الذين من جملتهم عيسى

ومحمد عليهما السلام * وقوله تعالى انما الله واحد انما في هذه الآية حاصرة
وسبحانه معناه تنزيها له وتعظيما والاستنكاى اباية بأنفة قال * ع *
وقوله سبحانه ولا الملائكة المقربون زيادة في الحجّة وتقريب من الاذهان اي
وهؤلاء الذين هم في اعلى درجات المخلوقين لا يستنكفون عن ذلك فكيف
بسواهم وفي هذه الآية دليل على تفصيل الملائكة على الانبياء * وقوله سبحانه
فسيحشرهم عبارة وعيد قال * ع * وهذا لاستنكاى انما يكون من الكفار
عن اتباع الانبياء وما جرى مجراه * وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم الآية اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبرهان الحجّة النيرة
الواضحة التى تعطى اليقين التام والنور المبين يعنى القرآن لان فيه بيان
كل شيء وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما فينا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها
الناس فانما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتينى رسول ربى فاجيب وانا تارك
فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا
فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتى اذكركم الله فى اهل بيتى
اذكركم الله ثلاثا فى اهل بيتى الحديث وفي رواية كتاب الله فيه الهدى والنور
من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل وفي رواية لا وانى
تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله وهو جيل الله من اتبعه كان على الهدى
ومن تركه كان على ضلالة انتهى * وقوله سبحانه فاما الذين امنوا بالله
واعتصموا به اي اعتصموا بالله ويحتمل اعتصموا بالقرآن كما قال عليه السلام القرآن
حبل الله المتين من تمسك به عصم والرحمة والفضل الجنة ونعيمها ويهديهم
معناه الى الفضل وهذه هداية طريق الجنان كما قال تعالى سيهديهم ويصلهم

بالهم الآية لان هداية الارشاد قد تقدمت وتحصلت حين امنوا بالله واعتصموا بكتابه فيهديهم هنا بمعنى يعرفهم وباقي الآية بين * وقوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله قد تقدم القول في تفسير الكلاله في صدر السورة وكان امر الكلاله عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشكلا والله اعلم ما الذي اشكل عليه منها وقول النبي صلى الله عليه وسلم له تكفيك منها اية الصيف التي نزلت في اخر سورة النساء بيان فيه كفاية قال كثير من الصحابة هذه الآية هي من اخر ما نزل * وقوله سبحانه يبين الله لكم ان تصلوا التقدير ليلا تصلوا والله بكل شيء عليم سبحانه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة مدنية باجماع

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الآية عامة في الوفاء بالعقود وهي الربوط في القول كان ذلك في تعاهد على بتر او في عقدة نكاح او بيع او غيره فمعنى الآية امر جميع المؤمنين بالوفاء على عقد جار على رسم الشريعة وفسر بعض الناس لفظ العقود بالعهود وقال ابن شهاب قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمر بن حزم حين بعثه الى نجران وفي صدره هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود فكتب الآيات الى قوله ان الله سريع الحساب قال * ع * واصوب ما يقال في هذه الآية ان تعم الفاظها بغاية ما تتناول فيعم لفظ المؤمنين في مومني اهل الكتاب وفي كل مظهر للايمان

وان لم يبطنه وفي المومنين حقيقة ويعمم لفظ العقود في كل ربط بقول موافق
للحق والشرع * وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام اختلف في معنى بهيمة
الانعام فقال قتادة وغيره هي الانعام كلها * ع * كانه قال احلت لكم الانعام
وقال الطبري قال قوم بهيمة الانعام وحشها وهذا قول حسن وذلك ان الانعام
هي الثمانية الازواج وانضاف اليها من سائر الحيوان ما يقال له انعام بمجموعه معها
والبهيمة في كلام العرب ما ابيهم من جهة نقص النطق والفهم * وقوله لا ما يتلى
عليكم استثناء ما تلي في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية وما في موضع نصب
على اصل الاستثناء * وقوله سبحانه غير محلى الصيد نصب غير على الحال
من الكاف والميم في قوله احلت لكم وهو استثناء بعد استثناء قال * ص *
وهذا هو قول الجمهور واعترض بانه يلزم منه تقييد الحلية بحالة كونهم غير محلين
الصيد وهم حرم والحلية ثابتة مطلقا قال * ص * والجواب عندي عن هذا
ان المفهوم هنا متروك لدليل خارجي وكثير في القراءان وغيره من المفهومات المتروكة
لمعارض ثم ذكر ما نقله ابوحيان من الوجوه التي لم يرتضها * م * وما فيها من
التكلف ثم قال ولا شك ان ما ذكره الجمهور من ان غير حال وان لزم عنه الترتك
بالمفهوم فهو اولى من تخريج تنبوعه الفهم انتهى * وقوله سبحانه ان الله يحكم
ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود احكام الجاهلية اي فانت ايها
السامع لنسخ تلك التي عهدت تنبئة فان الله الذي هو مالك الكل يحكم ما
يريد لا معقب لحكمه سبحانه قال * ع * وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة
معانيها على قلة الفاظها لكل ذي بصر بالكلام ولمن عنده ادنى ابصار وقد حكى
النقاش ان اصحاب الكندي قالوا للكندي ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القروان
فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج فقال والله ما اقدر عليه

ولا يطبق هذا احد انى فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو
قد امر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء
ثم اخبر عن قدرته وحكمته فى سطين ولا يستطيع احد ان ياتي بهذا الا فى اُجَلاد
* وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تحلوا شعائر الله خطاب للمؤمنين حقا
ان لا يتعدوا حدود الله فى امر من الامور قال عطاء بن ابي رباح شعائر الله
جميع ما امر به سبحانه او نهى عنه وهذا قول راجح فالشعائر جمع شعيرة اى قد
اشعر الله انها حدة وطاعته فهي بمعنى معالم الله * وقوله تعالى ولا الشهر الحرام
اى لا تحلوه بقتال ولا غارة ولا اظهر ان الشهر الحرام اريد به رجب ليشهد
امره وهو شهر كان تحريمه مختصا بقريش وكانت تعظمه ويحتمل انه اريد به
الجنس فى جميع الاشهر الحرم * وقوله سبحانه ولا الهدي اى لا يستحل
ولا يغار عليه ثم ذكر المقلد منه تأكيدا ومبالغة فى التنبيه على الحرمة فى التقليد
هذا معنى كلام ابن عباس وقال الجمهور الهدي عام فى انواع ما يهدى قربة
والقلائد ما كان الناس يتقلدونه من لِحَاء السَّمُر وغيره امانة لهم وقال * ص *
ولا القلائد اى ولا ذوات القلائد وقيل بل المراد القلائد نفسها مبالغة فى النهي
عن التعرض للهدي انتهى * وقوله تعالى ولا ءامين البيت الحرام اى
قاصدينه من الكفار المعنى لا تحلوهم فتغيرون عليهم وهذا منسوخ بآية السيف
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فكل ما فى هذه الآية مما يتصور
فى مسلم حاج فهو محكم وكل ما كان منها فى الكفار فهو منسوخ * وقوله سبحانه
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال فيد جمهور المفسرين معناه يبتغون
الفصل من الارباح فى التجارة ويبتغون مع ذلك رضوانه فى ظنهم وطمعهم
وهذه الآية نزلت عام الفتح وفيها استيلاف من الله سبحانه للعرب ولطف بهم

لتنبسط النفوس بتداخل الناس ويردون الموسم فيسمعون القرآن ويدخل
الآيمان في قلوبهم وتقوم عليهم الحجة كالذى كان ثم نسخ الله ذلك كله بعد
عام في سنة تسع اذ حج ابو بكر رضي الله عنه ونودي في الناس بسورة براءة *
وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا محجيء اباحة الصيد عقب التشديد فيه حسن في
فصاحة القول * وقوله سبحانه فاصطادوا امر ومعناه الاباحة باجماع * وقوله
تعالى ولا يجرمكم معناه لا يكسبكم وجرم الرجل معناه كسب وقال ابن عباس معناه
لا يحملنكم والمعنى متقارب والتفسير الذى يخص اللفظة هو معنى الكسب
* وقوله تعالى شنآن قوم الشنآن هو البغض فاما من قرأ شنآن بفتح النون
فلاظهر فيه انه مصدر كانه قال لا يكسبكم بغض قوم من اجل أن صدوكم عدوانا
عليهم وظلما لهم وهذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان عشرين اراد المسلمون ان
يستطيروا على قريش والفاها المتظاهرين على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه عام الحديبية وذلك سنة ست من الهجرة فحصلت بذلك
بغضة في قلوب المؤمنين وحكمة للكفار فنهى المؤمنون عن مكافأتهم واذ لله
فيهم ارادة خيروفي علمه ان منهم من يؤمن كالذى كان وقرأ ابو عمرو وابن
كثير ان صدوكم ومعناه ان وقع مثل ذلك في المستقبل وقراءة الجمهور امكن ثم
امر سبحانه الجميع بالتعاون على البر والتقوى قال قوم هما لفظان بمعنى وفي
هذا تسامح والعرف في دلالة هذين ان البر يتناول الواجب والمندوب
والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما بدل الآخر فبتجاوز قلت قال
احمد بن نصر الداودي قال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه
انتهى وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان لفظ التقوى يطلق على معان وقد
بينناها في اخر سورة النور وفي الحديث الصحيح والله في عون العبد ما كان

العبد في عون اخيه قال ابن الفاكهاني عند شرحه لهذا الحديث وقد روينا في بعض الاحاديث من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له اولم تقض غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق انتهى من شرح الاربعين حديثا ثم نهى تعالى عن التعاون على الائم والعدوان ثم امر بالتقوى وتوعد توعدا مجملا قال النووي وعن وابصة بن معبد انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر والائم قال نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والائم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث حسن روينا في مسند احمد يعني ابن حنبل والدارمي وغيرهما وفي صحيح مسلم عن النّوّاس ابن سَمْعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والائم ما حاك في نفسك وكرّهت ان يطلع عليه الناس انتهى * وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم آية تعدد لما يتلى على الامة مما استثنى من بهيمة الانعام والدم معناه المسفوح ولحم الخنزير مقتض لشحمه باجماع وما اهل لغير الله به قد تقدم والمنخنقة معناه التي تموت خنقا والموقودة التي ترمى او تضرب بعضا وشبهها والمتردية هي التي تنزوي من علو الى سُفل فتموت والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة وما اكل السبع يريد كل ما افترسه ذو ناب واطفار من الحيوان وكانت العرب تاكل هذه المذكورات ولم تعتقد ميتة الا ما مات بالوجع ونحو ذلك واختلف العلماء في قوله تعالى الاها ذكيتم فقال ابن عباس وجمهور العلماء الاستثناء من هذه المذكورات فما ادرك منها يطرف بعين او يحرك ذنبا وبالجمل ما يتحقق انه لم تفص نفسه بل له حياة فانه يذكي على سنة الذكاة ويوكل وما فاضت نفسه فهو الميتة وقال مالك مرة بهذا القول وقال ايضا وهو المشهور عنه وعن

اصحابه من اهل المدينة ان قوله تعالى لا ما ذكيتم معناه من هذه المذكورات في وقت تصح فيه ذكاتها وهو ما لم تنفذ مقاتلها ويتحقق انها لا تعيش ومتى صارت في هذا الحد فهي في حكم الميتة فلا استثناء عند مالك متصل كقول الجمهور لكنه يخالف في الحال التي يصح فيها ذكاة هذه المذكورات واحتج لمالك بان هذه المذكورات لو كانت لا تحرم الا بموتها لكان ذكر الميتة اولاً يغنى عنها ومن حجة المخالف ان قال انما ذكرت بسبب ان العرب كانت تعتقد ان هذه الحوادث كالذكاة فلو لم يذكر لها غير الميتة لظنت انها ميتة الوجود حسبما كانت عليه والذكاة في كلام العرب الذبح * وقوله سبحانه وما ذبح على النصب عطف على المحرمات المذكورة والنصب جارة تنصب يذبحون عليها قال ابن جريج وليست النصب باصنام فان الصنم يصور وينقش وهذه جارة تنصب وكانت العرب تعبدها قال ابن زيد ما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به شيء واحد قال * ع * ما ذبح على النصب جزء مما اهل به لغير الله لكن خص بالذكر بعد جنسه لشبهة امره * وقوله سبحانه وان تستقسموا بالازلام حرم سبحانه طلب القسم وهو النصيب او القسم بفتح القاف وهو المصدر بالازلام وهي سهام قال صاحب سلاح المومن والاستقسام هو الضرب بها لاجرا ما قسم لهم وتمييزه بنزعهم انتهى وازلام العرب على انواع منها الثلاثة التي كان يتخذها كل انسان لنفسه على احدها فعل وعلى الآخر لا تفعل وثالث مهمل لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه فاذا اراد فعل شيء ادخل يده وهي متشابهة فاخرج احدها واثمر له وانتهى بحسب ما يخرج له وان خرج القدح الذي لا شيء فيه اعاد الضرب وقوله سبحانه ذككم فسق اشارة الى الاستقسام بالازلام * وقوله تعالى

اليوم ينس الذين كفروا من دينكم معناه عند ابن عباس وغيره من ان ترجعوا الى دينهم وظاهر امر النبي صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه وظهور الدين يقتضى ان ينس الكفار عن الرجوع الى دينهم قد كان وقع منذ زمان وانما هذا الياس عندى من اضمحلال امر الاسلام وفساد جمعه لان هذا امر كان يترجاه من بني من الكفار لا ترى الى قول اخى صفوان بن امية فى يوم هوازن حين انكشف المسلمون وطنها هزيمة لا بطل السحر اليوم الى غير هذا من الامثلة وهذه الآية فى قول الجمهور عمر بن الخطاب وغيره نزلت فى عشية يوم عرفة يوم الجمعة وفى ذلك اليوم اتحنى امر الشرك من مشاعر الحج ولم يحضر من المشركين الموسم بشر فيحتمل قوله تعالى اليوم ان تكون اشارة الى اليوم بعينه ويحتمل ان تكون اشارة الى الزمن والوقت اي هذا الاوان ينس الكفار من دينكم * وقوله الذين كفروا يعم سائر الكفار من العرب وغيرهم وهذا يقوى ان الياس انما هو من انحلال امر الاسلام وامر سبحانه بخشيته التى هي راس كل عبادة كما قال صلى الله عليه وسلم ومفتاح كل خير * وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم تحتمل الاشارة باليوم ما قد ذكرناه حكى الطبري ان النبي عليه السلام لم يعيش بعد نزول هذه الآية الا احدى وثمانين ليلة والظاهر انه عاش صلى الله عليه وسلم اكثر بايام يسيرة ثلث وفى سماع ابن القاسم قال مالكت بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى اليوم الذى توفي فيه وقف على بابي فقال انى لا احل الا ما احل الله فى كتابه ولا احرم الا ما حرم الله فى كتابه يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله اعلا لما عند الله فانى لا اغنى عنكما من الله شيئاً قال ابن رشد هذا حديث يدل على صحته قول الله عز وجل ما فرطنا فى الكتاب من شيء وقال تعالى تبينانا لكل شيء فالمعنى فى ذلك ان الله عز وجل نص على بعض الاحكام واجمل القول فى

بعضها واحال على الادلة في سائرهما بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم ما اجمله الله في
كتابه كما امره حيث يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فما احل صلى الله عليه وسلم
او حرم ولم يوجد في القرآن نصا فهو مما بين من مجمل القرآن او علمه بما
نصب من الادلة فيه فهذا معنى الحديث والله اعلم فما ينطق صلى الله عليه
وسلم عن الهوى ان هو الاوحى يوحى انتهى من البيان والتحصيل وفي الصحيح
ان عمر بن الخطاب قال له يهودي اية في كتابكم تقرءونها لو علينا نزلت
لاخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له عمر اية هي فقال اليوم اكملت لكم دينكم
فقال له عمر قد علمنا ذلك اليوم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
واقف بعرفة يوم الجمعة قال * ع * ففي ذلك اليوم عيدان للاسلام
الى يوم القيامة واتمام النعمة هو في ظهور الاسلام ونور العقائد وكمال الدين وسعة
الاحوال وغير ذلك مما اشتملت عليه هذه الملة الحنيفية الى دخول الجنة والخلود
في رحمة الله سبحانه جعلنا الله ممن شملته هذه النعمة * وقوله سبحانه ورضيت
لكم الاسلام دينا يحتمل الرضى في هذا الموضع ان يكون بمعنى الارادة ويحتمل
ان يكون صفة فعل عبارة عن اظهار الله اياه لان الرضى من الصفات المترددة
بين صفات الذات وصفات الافعال والله تعالى قد اراد لنا الاسلام ورضيه لنا
وتم اشياء يريد الله وقوعها ولا يرضاها * وقوله سبحانه فمن اضطر في مخمصة يعنى
من دعت ضرورة الى اكل الميتة وسائر تلك المحرمات وسئل صلى الله عليه وسلم
متى تحل الميتة للناس فقال اذا لم يصطبخوا ولم يغتبقوا ولم يحتفوا بقللا والمخمصة
المجاعة التى نخمض فيها البطون ابي تضر * وقوله سبحانه غير متجانف
لائم هو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم تفسيره قال * ص * متجانف ابي

ماثل منحرف انتهى وقد تقدم في البقرة * وقوله تعالى يسألونك ما إذا احل
لهم سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب سأله عاصم
ابن عدي وغيره ما إذا يحل لنا من هذه الكلاب قال * ع * وظاهر الآية ان
سائلاً سأل عما يحل للناس من المطاعم لان قوله تعالى قل احل لكم الطيبات
ليس بجواب عما يحل للناس اتخاذ من الكلاب الا ان يكون من باب اجابة
السائل باكثر مما سأل عنه وهو موجود كثيرا من النبي صلى الله عليه وسلم والطيب
الحلال * وقوله سبحانه وما علمتم اي وصيد ما علمتم قال الضحاك وغيره وما
علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة قال العراقي في مكلبين اصحاب
الكلب لها معلمين انتهى واعلى مراتب التعليم ان يشلى الحيوان فينشلى
ويدعى فيجيب وبزجر بعد طفرة بالصيد فينزجر وجوارح جمع جارح اي كاسب
يقال جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار
اي ما كسبتم من حسنة وسيئة قال * ع * وقرأ جمهور الناس وما علمتم بفتح
العين واللام وقرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام اي من
امر الجوارح والصيد بها وقرأ جمهور الناس مكلبين بفتح الكاف وشد اللام
والمكلب معلم الكلاب ومُضَرَّيْها ويقال لمن يعلم غير كلب مكلب لانه يرد ذلك
الحيوان كالكلب * وقوله سبحانه تعلمونهن مما علمكم الله اي تعلمونهن الحيلة
في الاصطياد والتأني لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علمه الله الانسان فمن
للتبعيض * وقوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم يحتمل مما امسكن فلم ياكلن
منه شيئا ويحتمل مما امسكن وان اكلن منه وبحسب هذا الاحتمال اختلف
العلماء في جواز اكل الصيد اذا اكل منه الجارح * وقوله سبحانه واذكروا اسم
الله عليه امر بالتسمية عند الارسال وذهب مالك وجمهور العلماء ان التسمية واجبة

مع الذكر ساقطة مع النسيان فمن تركها عامدا فقد افسد الذبيحة والصيد ومن تركها ناسيا سمي عند الاكل وكانت الذبيحة جائزة وفقه الصيد والذبح في معنى التسمية واحد ثم امر سبحانه بالتقوى على الجملة والاشارة الى ما تضمنته هذه الآيات من الاوامر والنواهي وفي قوله ان الله سريع الحساب وعيد وتحذير * وقوله سبحانه اليوم احل لكم الطيبات اشارة الى الزمن والاوان والخطاب للمؤمنين * وقوله سبحانه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الطعام في هذه الآية الذبائح كذا قال اهل التفسير واختلفوا في لفظة طعام فقال الجمهور هي الذبيحة كلها وقالت جماعة انما احل لنا طعامهم من الذبيحة اي الحلال لهم منها لا مالا يحل لهم كالطريف والشحوم المحصنة واختلف في لفظة اوتوا الكتاب فقالت طائفة انما احل لنا ذبائح الصرحاء منهم لا من كان دخيلا في هذين الدينين وقال جمهور لامته ابن عباس والحسن ومالك وغيرهم ان ذبيحة كل نصراني حلال كان من بني تغلب او غيرهم وكذلك اليهود وتأولوا قول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم * وقوله سبحانه وطعامكم حل لهم اي ذبائحكم فهذه رخصة للمسلمين لا لاهل الكتاب لما كان الامر يقتضي ان شيئا قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغي لنا ان نحمله منهم رخص الله تعالى لنا في ذلك دفعا للمشقة بحسب التجاور * وقوله سبحانه والمحصنات عطف على الطعام المحلل ذهب جماعة منهم مالك الى ان المحصنات في هذه الآية الحرائر فمنعوا نكاح لامته الكتابية وذهب جماعة الى انهن العفاف فاجازوا نكاح لامته الكتابية والاجور في الآية المهور وانتزع بعض العلماء من لفظ ما يتيموهن انه لا ينبغي ان يدخل زوج بزوجه لا بعد ان يبذل من المهر ما يستحلها به ومحصنين معناه متزوجين على السنة * وقوله

سبحانه ومن يكفر بالايمان اي بالامور التي يجب الايمان بها وباقي الآيات بين
* وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية
قال ابن العربي في احكامه لا خلاف بين العلماء ان هذه الآية مدنية كما انه
لا خلاف ان الوضوء كان معقولا قبل نزولها غير متلوا ولذلك قال علماؤنا ان
الوضوء كان بمكة سنة ومعناه كان مفعولا بالسنة وقوله اذا قمتم معناه اذا اردتم
القيام الى الصلاة انتهى قال زيد بن اسلم والسدي معنى الآية اذا قمتم من
المضاجع يعنى النوم والقصد بهذا التاويل ان يعم لاحداث بالذكر فى الآية
على هذا التاويل تقديم وتأخير تقديره يا ايها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلاة
من النوم او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء يعنى بالملامسة الصغرى
فاغسلوا وهنا تمت احكام الحدث الاصغر ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا فهذا
حكم نوع ءاخر ثم قال للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا وقال بهذا التاويل محمد بن مسلمة من اصحاب مالك
وغیره وقال جمهور اهل العلم معنى الآية اذا قمتم الى الصلاة محدثين وليس فى
الآية على هذا تقديم ولا تأخير بل ترتب فى الآية حكم واجد الماء الى قوله
فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى فى قولنا محدثين ثم ذكر بعد ذلك بقوله
وان كنتم مرضى الى ءاخر الآية حكم عادم الماء من النوعين جميعا وكانت
الملامسة هي الجماع وقال * ص * اذا قمتم اي اذا اردتم وعبر بالقيام عن
ارادته لانه مسبب عنها انتهى ومن احسن الاحاديث واصحها فى فضل
الطهارة والصلاة ما رواه مالك فى الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اخبركم بما يحو الله به
الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطى الى المساجد

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث من احسن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الاعمال قال صاحب كتاب العين الرباط ملازمة الشغور قال والرباط مواظبة الصلاة ايضا انتهي والغسل في اللغة ايجاد الماء في المغسول مع امرار شيء عليه كاليد والوجه ما واجه الناظر وقابلته والناس كلهم على ان داخل العينين لا يلزم غسله الا ما روي عن ابن عمر انه كان ينضح الماء في عينيه واليد لغعة تقع على العضو من المنكب الى اطراف الاصابع وحده الله سبحانه موضع الغسل منه بقوله الى المرافق واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل ام لا وتحريم العبارة في هذا المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما قبلها فالحد اول المذكور بعدها واذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فلا احتياط يعطى ان الحد آخر المذكور بعدها ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل والروايتان عن مالك قال ابن العربي في احكامه وقد روى الدارقطني وغيره عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توضأ اذار الماء على مرفقيه انتهى واختلف في رد اليدين في مسح الرأس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على ان المسح الاثرى فرض فالمشهور على انه سنة وقيل هو فرض والاجماع على استحسان مسح الرأس باليدين جميعا وعلى الاجزاء بواحدة واختلف فيمن مسح باصبع واحدة والمشهور الاجزاء ويترجح عدم الاجزاء لانه خروج عن سنة المسح وكأنه لعب الا ان يكون ذلك عن ضرر مرض ونحوه فينبغي ان لا يختلف في الاجزاء والماء في قوله تعالى بروهوسكم مؤكدة زائدة عند من يرى عموم الرأس والمعنى غدة وامسحوا بروهوسكم وهي اللصاق المحض عند من يرى اجزاء بعض الرأس كان المعنى اوجدوا مسحاً بروهوسكم فمن مسح ولو شعرة فقد فعل ذلك

* ت * قال ابن العربي في احكامه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة مسح الراس انه اقبل بيده وادبر بدأ بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه وفي البخاري فادبر بهما واكل وهما صحيحان متوافقان وهي مسألة من اصول الفقه في تسمية الفعل بابتدائه او بغايته انتهى وقرأ حزة وغيره وارجلكم بالخفص وقرأ نافع وغيره بالنصب والعامل اغسلوا ومن قرأ بالخفص جعل العامل اقرب العاملين وجمهور الامّة من الصحابة والتابعين على ان الفرض في الرجلين الغسل وان المسح لا يجزئ وفي الصحيح ويل للعقاب من النار اذ رأى صلى الله عليه وسلم اعقابهم تلوح قال ابن العربي في القبس ومن قرأ وارجلكم بالخفص فانه اراد المسح على الخفين وهو احد التاويلات في الآية انتهى وهذا هو الذي صححه في احكامه والكلام في قوله الى الكعبين كما تقدم في قوله الى المرافق وفي صحيح مسلم وغيره عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذه فقال عمر التي قبلها اجود قال ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الشمانية يدخل من ايها شاء واخرجه الترمذي من حديث ابى ادريس الحولاني عن عمر زاد في اخره اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين انتهى مختصرا واختلف اللغويون في الكعبين والجمهور على انهما العظمان النائمان في جنبتي الرجل والفاظ الآية تقتضي الموالاة بين الاعضاء قال مالك هو فرض مع الذكر ساقط مع النسيان وروى الدارقطني في سننه من

توضاً فذكر اسم الله على وضوءه كان طهوراً لجسده ومن توضأ ولم يذكر اسم الله على وضوءه كان طهوراً لأعضائه انتهى من الكوكب الدرّي وكذلك تتضمن الفاظ الآية الترتيب وأطهروا أمر لواجد الماء عند الجمهور وقال عمر بن الخطاب وغيره لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء * وقوله سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج الآية لا إرادة صفة ذات وجاء الفعل مستقبلاً مراعاة للحوادث التي تظهر عن الإرادة والخرج الضيق والحرّة الشجر الملتف المتضايق ويجرى مع معنى هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر وقوله عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وجاء لفظ الآية على العموم والشئ المذكور بقرب هو أمر التيمم والرخصة فيه وزوال الحرج في تحمل الماء ابداً ولذلك قال أسيد ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر * وقوله سبحانه ولكن يريد ليظهركم الآية اعلام بما لا يوازي بشكر من عظيم تفضله تبارك وتعالى ولعلمكم ترج في حق البشر وفي الحديث الصحيح عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأان أو تملأ ما بين السموات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقراءة حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها رواه مسلم والترمذي وفي رواية له التسييح نصف الميزان والحمد لله تملأه والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض والصوم نصف الصبر وزاد في رواية أخرى ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه انتهى * وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الآية خطاب للمؤمنين ونعمة الله اسم جنس يجمع للاسلام وحسن الحال وحسن المآل والميثاق هو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة

وبيعة الرضوان وكل موطن قال الناس فيه سمعنا واطعنا هذا قول ابن عباس
وجماعة من المفسرين وقال مجاهد المراد الميثاق المأخوذ على النسم حين
استخرجوا من ظهر آدم عليه السلام ولأول أرجح واليق بنمط الكلام وباقي الآية
بين متكرر قال ابو عمر بن عبد البر في كتابه بهجة المجالس روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده
ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله
انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والجمهور ان سبب هذه الآية
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استعان بيهود في دية الرجلين اللذين قتلها
عمرو بن امية الضمري وصاحبه قالوا نعم يا ابا القاسم انزل حتى نصنع لك
طعاما وننظر في معونتك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل جدار
وكان معه ابو بكر وعمر وعلي فتآمرت يهود في قتله وقالوا من رجل يظهر على
الحائط فيصب عليه جرا يشدخه فجاء جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
الخبر فقام صلى الله عليه وسلم من المكان وتوجه الى المدينة ونزلت الآية في
ذلك ويترجح هذا القول بما يأتى بعد من الآيات في وصف غدر يهود ونقصهم
المواثيق * وقوله سبحانه ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم
اثني عشر نقيبا هذه الآية المتضمنة للخبر عن نقصهم مواثيق الله تعالى
تقوى ان الآية المتقدمة في كف لايدى انما كانت في امر بنى النضير
والاجماع على ان النقيب كبير القوم القائم بامورهم قال قتادة وغيره هؤلاء
النقباء قوم كبار من كل سبط تكفل بكل واحد سبطه بان يؤمنوا ويلتزموا التقوى
قال * ع * ونحو هذا كانت النقباء ليلة بيعة العقبة مع النبي صلى الله

عليه وسلم والضمير في معكم لبنى اسرائيل اي معكم بنصرى وحياطتى وتأيدى
واللام في قوله لئن هي المودنة بمجيء القسم ولام القسم هي قوله لأكفرن
والدليل على ان هذه اللام انما هي مودنة انها قد يستغنى عنها احيانا ويتم
الكلام دونها ولو كانت لام قسم لم يترتب ذلك واقامة الصلاة توفية شروطها
والزكاة هنا شيء من المال كان مفروضا عليهم فيما قال بعض المفسرين وعزرتهم
معناه وقرتهمهم وعظمتهمهم ونصرتهمهم وقرأ عاصم الجحدري وعزرتهمهم خفيفة
الزاي حيث وقع وقرأ في سورة الفتح وتعزروه بفتح التاء وسكون العين وضم
الزاي وسواء السبيل وسطه وسائر ما في الآية بين والله المستعان * وقوله
تعالى فيما نقصهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية الآية اي فنقصهم والقسوة
غلظ القلب ونُبُوَّة عن الرقة والموعظة وصلابته حتى لا ينفعل لخير * وقوله
تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به نص على سوء فعلهم بانفسهم اي قد كان لهم حظ
عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلام انه لا يزال في
مستأنف الزمان يطلع على خائنة منهم وغائلة وامور فاسدة قالت فرقة خائنة
مصدرة والمعنى على خيانتة وقال آخرون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل
صفة لمؤنث * وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح منسوخ بما في براءة وباقي
الآية بين * وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى من متعلقة باخذنا
التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم ويحتمل ان تكون معطوفة
على خائنة منهم والاول ارجح وعلق قولهم نصارى بقولهم ودعواهم من حيث هو
اسم شرعي يقتضى نصردين الله وسموا به انفسهم دون استحقاق * وقوله
سبحانه فاغرينا بينهم العداوة اي اثبتناها بينهم والصقناها والاغراء مأخوذ من
الغراء الذى يلصق به وقال البخاري الاغراء التسليط انتهى والضمير في بينهم

يحتمل ان يعود على اليهود والنصارى لان العداوة بينهم موجودة مستمرة ويحتمل ان يعود على النصارى فقط لانها امة متقاتلة بينها الفتن الى يوم القيامة ثم توعدهم بعذاب الآخرة اذ صنعهم كفر يوجب الخلود في النار واعلم رحمك الله انه قد جاءت اثار صحيحة في ذم الشحناء والتباغض والهجران لغير موجب شرعي ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطاحا انظروا هذين حتى يصطاحا وفي رواية تعرض الاعمال في كل خميس واثنين فيغفر الله في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا الحديث انتهى وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرئ مسلم ان يهاجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان عن الحق ما دام على صرامهما فاولهما فيئا يكون سبقه بالفيء كفارة له وان سلم عليه فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة وردت على الآخر الشياطين واذا ماتا على صرامهما لم يدخلوا الجنة اراه قال ابدا انتهى وسنده جيد ونصه قال ابن المبارك اخبرنا شعبة عن يزيد الرشك عن معاذا العدوية قالت سمعت هشام بن عامر يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وقوله لم يدخلوا الجنة ليس على ظاهرة اي لم يدخلوا الجنة ابدا حتى يقتتص لبعضهم من بعض او يقع العفو او تحل الشفاعة حسبما هو معلوم في صحيح الآثار * وقوله سبحانه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الآية اهل الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى ولكن نوازل الاخفاء كالرجم وغيره انما حفظت لليهود لانهم كانوا مجاورى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهاجرة وفي اعلامه صلى الله

عليه وسلم بخفي ما في كتبهم وهو امي لا يكتب ولا يصحب القراء دليل على صحة نبوته لو الهمهم الله للخير ويعفوا عن كثير اي لم يفضحهم فيه ابقاء عليهم والضمير في يعفوا للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين هو القرآن ويحتمل ان يريد موسى عليه السلام والتوراة اي لو اتبعتموها حق لا تباع ولاول هو ظاهر الآية وهو اظهر وسبل السلام اي طرق السلامة والنجاة ويحتمل ان يكون السلام هنا اسما من اسماء الله عز وجل فالمعنى طرق الله والظلمات الكفر والنور الايمان وباقي الآية بين متكرر * وقوله سبحانه قل فمن يملك اي لا مالك ولاراد لارادة الله تعالى في المسيح ولا في غيره * وقوله سبحانه يخلق ما يشاء اشارة الى خلقه المسيح في رحم مريم من غير والد بل اختراعا كآدم عليه السلام * وقوله تعالى والله على كل شيء قدير عموم معناه الخصوص فيما عدا الذات والصفات والمحالات * وقوله سبحانه وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية النبوة في قولهم هذا بنوة الحنان والرفقة لانهم ذكروا ان الله سبحانه اوحى الى اسرائيل ان اول اولادك بكرى فضلوا بذلك وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولو صح ما رويوا لكان معناه بكرا في التشريف او النبوة ونحوه وكانت هذه المقالة منهم عند ما دعاهم النبي عليه السلام الى الايمان به وخوفهم العذاب فقالوا نحن لا نخاف ما تقول لانا ابناء الله واحباؤه ذكر ذلك ابن عباس وقد كانوا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في غير ما موطن نحن ندخل النار فنقيم فيها اربعين يوما فرد الله عليهم قولهم فقال لنبيه عليه السلام قل فاسم يعذبكم بذنوبكم اي لو كانت منزلتكم منه فوق منازل البشر لما عذبكم وانتم قد اقررتم انه يعذبكم ثم تركت الكلام الاول واضرب عنه غير مفسد له ودخل في غيره فقال بل انتم بشر

كسائر الناس والخلق اكرمهم عند الله اتقاهم يهذى من يشاء للايمان فيغفر له ويورط من يشاء في الكفر فيعذبه وله ملك السموات والارض وما بينهما فلم بحق الملك ان يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه واليه مصير العباد بالحقش والمعاد * وقوله تعالى يا اهل الكتاب يعنى اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد عليه السلام * وقوله على فترة من الرسل اي على انقطاع من مجيئهم مدة ما والفترة سكون بعد حركة في الاجرام ويستعار ذلك للمعانى وقد قال عليه السلام لكل عمل شرة ولكل شرة فترة وفي الصحيح ان الفترة التي كانت بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى ستمائة سنة وهذه الآية نزلت بسبب قول اليهود ما انزل الله على بشر بعد موسى من شيء قاله ابن عباس وقوله ان تقولوا معناه جذارا ان تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشيروا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقامت الحجة عليكم والله على كل شيء قدير فهو الهادي والمضل لا رب غيره * وقوله سبحانه واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الآية المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة اعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوءتك ثم عدد عيون تلك النعم فقال اذ جعل فيكم انبياء اي حاطة ومنقذون من النار وشرف في الدنيا والآخرة وجعلكم ملوكا اي فيكم ملوكا لان الملك شرف في الدنيا وحاطة في نوائبها واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين قال مجاهد هو المن والسلوى والحجر والغمام وقال غيره كثرة الانبياء وعلى هذا القول فالعالمون على العموم وعلى القول بان المؤتى هو آيات موسى فالعالمون عالم زمانهم لان ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم من آيات الله اكثر من ذلك والمقدسة معناه المطهرة قال ابن عباس هي الطور وما حوله وقال قتادة هي الشام قال الطبري ولا يختلف انها بيسن الفرات وعريش مصر

قال * ع * وتظاهرت الروايات ان دمشق هي قاعدة الجبارين ثم حذرهم موسى الارتداد على الادبار وذلك هو الرجوع القهقري والخاسر الذى قد نقص حظه ثم ذكر عز وجل انهم تعنتوا ونكصوا فقالوا ان فيها قوما جبارين والجبار من الجبر كانه لقدرته وغشمه وبطشه يجبر الناس على ارادته والنخلة الجبارة العالية التى لا تنال بيد وكان من خبر الجبارين انهم كانوا اهل قوة فلما بعث موسى لاثني عشر نقيباً مطلعين من امر الجبارين واحوالهم رأوا لهم قوة وبطشا وتخيّلوا ان لا طاقة لهم بهم فتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك من بنى اسرائيل وان يعلموا به موسى ليرى فيه امر ربه فلما انصرفوا الى بنى اسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراتهم ومن وثقوا به ففشا الخبر حتى اعوج امر بنى اسرائيل وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا ولم يف من النقباء الا يوشع بن نون وكالب بن يوفتا ويقال فيه كالوث بئاء مثلثة * وقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون اى يخافون الله سبحانه قال اكثر المفسرين الرجلان يوشع بن نون وهو ابن اخت موسى وكالب بن يوفتا انعم الله عليهما بالايمان الصحيح وربط الجاش والثبوت وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا آية عبارة تقتضى كفرا وقيل المعنى فاذهب انت وربك يعينك وان الكلام معصية لا كفر وذكر ابن اسحاق وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم الناس يوم بدر وقال لهم اشيروا علي ايها الناس فقال له المقداد بن الاسود يا رسول الله لسنا نقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ثم تكلم سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولما سمع موسى عليه السلام قولهم ورأى عصيانهم تبرأ الى الله منهم وقال داعيا عليهم رب انى لا املكك لا نفسى واخى يعنى هارون

وقوله فافرق بيننا داء حرج والمعنى فافرق بيننا وبينهم حتى لا نشقى
بفسقهم قال فانها محرمة عليهم اي قال الله وحرم الله تعالى على بنى اسرائيل
دخول تلك المدينة اربعين سنة يتيهون فى الارض اي فى ارض تلك
النازلة وهو فحص التيه وهو على ما يحكى طول ثلاثين ميلا فى عرض ستة
فراسخ ويروى انه لم يدخل المدينة احدا من ذلك الجيل الا يوشع وكالوث
وروي ان يوشع نبى بعد كمال الاربعين سنة وخرج ببنى اسرائيل من التيه
وقاتل الجبارين وفتح المدينة وفى تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة
حتى استمر هزم الجبارين والتهب الذهاب فى الارض الى غير مقصد معلوم * وقوله
تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين معناه فلا تحزن والخطاب بهذه الآية لموسى
عليه السلام قال ابن عباس ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم فقال
الله له فلا تأس على القوم الفاسقين * وقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق اذ قربا قربانا الآية اتل معناه اسرد واسمعهم اياه وهذه من علوم الكتب
الاول فهي من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من غامض
كتب بنى اسرائيل قال الفخر وفى الآية قولان احدهما اتل على الناس والثانى
اتل على اهل الكتاب انتهى وابني آدم هما لصلبه وهما هابيل وقابيل روت
جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود ان سبب هذا التقريب ان حواء كانت
تلد فى كل بطن ذكرا وانثى وكان الذكر يتزوج انثى البطن الآخر ولا تحل له
اخذة قومته فولدت مع قابيل اختا جميلة ومع هابيل اختا ليست كذلك
فلما اراد آدم ان يزوجهما من هابيل قال قابيل انا احق باختى فامرء آدم فلم
ياتمرا فاتفقوا على التقريب فتقبل قربان هابيل ووجب ان ياخذ اخت
قابيل فحينئذ قال لاقتلنك وقول هابيل انما يتقبل الله من المتقين كلام

قبله محذوف تقديره ولم تقتلنى وليس لى ذنب فى قبول الله قربانى وانما
يتقبل الله من المتقين واجماع اهل السنة فى معنى هذه الالفاظ انها اتقاء
الشرك فمن اتقاه وهو موحد فاعماله التى تصدق فيها نيته مقبولة واما المشتق
للشرك والمعاصى فله الدرجة العليا من القبول والاحتم بالرجعة علم ذلك باخبار
الله تعالى لا ان ذلك يجب على الله تعالى عقلا قلت قول * ع * فى معنى
هذه الالفاظ يعنى حيث وقعت فى الشرع واما فى هذه الآية فليس باتقاء شرك
على ما سياتى وقول هابيل ما انا بباسط يدي اليك الآية قال عبد الله بن عمر
وجمهور الناس كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكنه تخرج وهذا هو الاظهر قال
* ع * ومن هنا يقوى ان قابيل انما هو عاص لا كافر لانه لو كان كافرا لم يكن
للتخرج هنا وجه وتبوء معناه تمضى متحملا وقوله بائسى واثمك قيل معناه بائس
قتلى وسائر اثمك وقيل المعنى بائسى الذى يختص بى فيما فرط لى وهذا
تاويل يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة
فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد فى حسنات المظلوم حتى ينتصف فان لم تكن
له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه * وقوله وذلك جزاء الظالمين
يحتمل ان يكون من قول هابيل لاخيه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى
لمحمد عليه السلام قال الفخر وقوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قال
المفسرون معناه سهلت له نفسه قتل اخيه انتهى * وقوله سبحانه فاصبح من
الخاسرين اصبح عبارة عن جميع اوقاته وهذا مهيع كلام العرب ومنه * اصبحت
لا اجل السلاح * البيت وقول سعد فاصبحت بنو اسد تعزرنى الى غير ذلك
من استعمال العرب ومن خسران قابيل ما صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما قتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منها وذلك لانه

اول من سن القتل * وقوله تعالى فبعث الله غرابا الآية قيل اصبح في ثانی يوم قتله يطلب اخفاء امر قتله فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابا حیا الى غراب ميت فجعل يبحث في الارض ويلقى التراب على الغراب الميت وظاهر الآية ان هابيل هو اول ميت من بنى ءادم ولذلك جهل سنة المواراة وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحاق عن بعض اهل العلم بما في الكتب الاول والسوءة العورة ويحتمل ان يراد الحالة التي تسوء الناظر ثم ان قابيل وارى اخاه وندم على ما كان منه من مصیة في قتله حيث لا ينفعه الندم واختلف العلماء في قابيل هل هو من الكفار او من العصاة والظاهر انه من العصاة قال الفخر ولم ينتفع قابيل بندمه لان ندمه كان لاسباب منها سخط ابويه واخوته وعدم انتفاعه بقتله ونحو ذلك ولما كان ندمه لهذه الاسباب لا لاجل الخوف من الله تعالى فلا جرم لم ينفعه هذا الندم * وقوله تعالى من اجل ذلك هو اشارة الى ما تضمنته هذه القصة من انواع المفساد الحاصلة بسبب القتل الحرام لا انه اشارة الى قصة قابيل وهابيل انتهى * وقوله سبحانه من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرايل الآية جمهور الناس على ان قوله من اجل ذلك متعلق بقوله كتبنا اي من اجل هذه النازلة ومن جرّأها كتبنا وقال قوم بل هو متعلق بقوله من النادمين اي ندم من اجل ما وقع والوقف على هذا على ذلك والناس على ان الوقف من النادمين ويقال فعلت ذلك من اجلك بفتح الهمزة ومن اجلك بكسرهما * وقوله سبحانه بغير نفس اي بغير ان تقتل نفس نفسا والفساد في الارض يجمع الزنا والارتداد والحرابة * وقوله سبحانه فكانما قتل الناس جميعا روي عن ابن عباس انه قال المعنى من قتل نفسا واحدة وانتبهت حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها مخافتی

واستحيها فهو كمن احيا الناس جميعا قال الحسن وابن زيد ومن احيها اي عفا عن من وجب له قتله بعد القدرة وقيل غير هذا ثم اخبر تعالى عن بنى اسرائيل انهم جاءتهم الرسل بالبينات في هذا وفي سواه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في كل عصر يسرفون ويتجاوزون الحدود * وقوله سبحانه انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية روى انس بن مالك وغيره ان الآية نزلت في قوم من عُكْل وعُرَيْنة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم انهم مرضوا واستوخموا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في لقاح الصدقة وقال اشربوا من البانها وابوالها فخرجوا فيها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الابل فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فبعث الطلب في اثارهم فاخذوا قال جميع الرواة فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم وارجلهم من خلف وسمرا عينهم ويروى وسمل وتركهم في جانب الحرة يستسقون فلا يسقون ف قيل ان هذه الآية ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم بالعرينيين ووقف الامر على هذه الحدود وقال جماعة انها غير ناسخة لذلك الفعل لان العرينيين مرتدون لا سيما وفي بعض الطرق انهم سملوا اعين الرعاء وقالوا هذه الآية هي في المحارب المومن قال مالك المحارب عندنا من جل على الناس السلاح في مصر او برية فكابروهم عن انفسهم واموالهم دون نائرة ولا دخل ولا عداوة وبهذا القول قال جماعة من اهل العلم قالوا والامام مخير فيه بان يعاقبه بما رأى من هذه العقوبات فاما قتل المحارب فبالسيف ضربة للعنق واما صلبه فبعد القتل عند جماعة وقال جماعة بل يصلب حيا ويقتل بالطعن على الخشبة وروي هذا عن مالك وهو الاظهر من الآية وهو لانكى في النكال واما القطع فاليد اليمنى من الرسغ والرجل الشمال من المفصل * وقوله سبحانه او ينفوا من

الارض الظاهران الارض في هذه الآيّة هي ارض النازلة وقد جنب الناس قديما الارض التي اصابوا فيها الذنوب ومنه حديث الذي ناء بصدرة نحو الارض المقدسة وينبغي للامام ان كان هذا المحارب المنفي مخوف الجانب يظن به ان يعود الى حرابة وافساد ان يسجنه في البلد الذي يغرب اليه وان كان غير مخوف الجانب تركت مسرحا وهذا هو صريح مذهب مالك * وقوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا والآيّة اشارة الى هذه الحدود التي توقع بهم فيحتمل الخزي لمن عوقب وعذاب الآخرة لمن سلم في الدنيا وبالجملّة فهم في المشيئة * وقوله سبحانه لا الذين تابوا الآيّة استثنى عز وجل التائب قبل ان يقدر عليه واخبر سبحانه بسقوط حقوقه عنه بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم والعلماء على ان الآيّة في المؤمنين ويؤخذ المحارب بحقوق الناس وان تاب هذا هو الصحيح * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الآيّة هذه الآيّة وعظ من الله تعالى بعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي خائفة وجلّة وابتغوا معناه اطلبوا والوسيلة القربة واما الوسيلة المطلوبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي ايضا من هذا لان الدعاء له بالوسيلة والفضيلة انما هو ان يوتاها في الدنيا ويتصف بهما ويكون ثمرة ذلك في الآخرة الشفيع في المقام المحمود قلت وفي كلامه هذا ما لا يخفى وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة التي كان يرجوها من ربه وانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون لا لعبد من عباد الله وارجوان اكون انا هو الحديث وخص سبحانه الجهاد بالذكر وان كان داخلا في معنى الوسيلة تشريفا له اذ هو قاعدة الاسلام * وقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار اخبار بانهم يتمنون هذا وقال الحسن بن ابي الحسن اذا فارت بهم النار

قربوا من حاشيتها فحينئذ يريدون الخروج ويطعمون به وتأول هو وغيره الآية على هذا قلت ويؤيده ما خرجه البخاري في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حيث اتاه اتيان فاخذا بيده وفيه فاقبل الرجل الذي في النهر فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه وفيه ايضا فانطلقنا الى ثقب مثل التنور اعلاه صيق واسفله واسع تتوقد تحته نار فاذا اقترب ارتفعوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا فقالوا انطلق الحديث واخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم فيها مقيم مؤبد * وقوله سبحانه والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الآية قلت المسروق مال او غيره فشرط المال ان يكون نصابا بعد خروجه مملوكا لغير السارق ملكا محترما تاما لا شبهة له فيه محرزا مخرجا منه الى ما ليس بحرز له استسارارا فالنصاب ربع دينار او ثلاثة دراهم او ما يساوي ثلاثة دراهم وقوله ايديهما يعنى أيمن النوعين والنكال العذاب والنكل القيد * وقوله سبحانه فمن تاب من بعد ظله واصلح فان الله يتوب عليه الآية جمهور العلماء على ان توبة السارق لا تسقط عنه القطع وقال الشافعي اذا تاب السارق قبل ان يتلبس بالحكام باخذة فتوبته تدفع عنه حكم القطع قياسا على توبة المحارب * وقوله سبحانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء اي فلا معقب لحكمه سبحانه ولا معترض عليه يفعل ما يشاء لا اله الا هو * وقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الآية تسليية لنبيه عليه السلام وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقي من طوائف المنافقين واليهود والمعنى قد وعدناك النصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم ومعنى المسارعة في الكفر البدار الى نصره والسعي في كيد الاسلام واطفاء نوره قال مجاهد وغيره قوله تعالى من الذين قالوا امانا

بافواههم ولم تومن قلوبهم يراد به المنافقون * وقوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين يراد به اليهود ويحتمل ان يراد به اليهود مع المنافقين لان جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه ولذلك جاءت عبارة سماعهم في صيغة المبالغة اذ المراد انهم يقبلون ويستزيدون من ذلك * وقوله سبحانه سماعون لقوم آخرين يحتمل ان يريد يسمعون منهم وذكر الطبري عن جابر ان المراد بالقوم الآخرين يهود فذلك وقيل يهود خيبر ويحتمل ان يكون معنى سماعون لقوم آخرين بمعنى جواسيس مسترقين الكلام لينقلوه لقوم آخرين وهذا مما يمكن ان يتصف به المنافقون ويهود المدينة قلت وهذا هو الذى نص عليه ابن اسحاق في السير قال * ع * وقيل لسفيان بن عيينة هل جرى للجاسوس ذكر في كتاب الله عز وجل فقال نعم وتلا هذه الآية سماعون لقوم آخرين * وقوله سبحانه يحرفون الكلم من بعد مواضعه هذه صفة اليهود في معنى ما حرفة من التوراة وفيما يحرفونه من الاقوال عند كذبهم من بعد مواضعه اي من بعد ان وضع مواضعه وقصدت به وجوه القويمة يقولون ان اوتيتهم هذا فخذوه روي ان يهود فذلك قالوا ليهود المدينة استفتوا محمدا فان افتاكم بالرجم فاحذروا الرجم قاله الشعبي وغيره وقيل غير هذا من وقائعهم فالاشارة بهذا الى التحميم والجلد في الزنا على قول ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام على جهة قطع الرجاء منهم ومن يرد الله فتنته اي محنته بالكفر فلن تملك له من الله شيئا ثم اخبر تعالى عنهم انهم الذين سبق لهم في علمه ان لا يظهر قلوبهم وان يكونوا مدّسين بالكفر لهم في الدنيا خزي بالذلة والمسكنة التي ضربت عليهم في اقطار الارض وفي كل امة قال * ص * سماعون اي هم سماعون ومثله اكالون انتهى * وقوله سبحانه اكالون للمسحت فعالون

بناء مبالغته اي يتكرر اكلهم ويكثر والسحت كل ما لا يحل كسبه من المال
* وقوله تعالى فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير للنبي صلى الله
عليه وسلم ولحكام امته بعده وقال ابن عباس وغيره هذا التخيير منسوخ بقوله
سبحانه وان احكم بينهم بما انزل الله وقال كثير من العلماء هي محكمة وهذا هو
الاظهر ان شاء الله وفقه هذه الآيات ان الامة مجمعة فيما علمت على ان حاكم
المسلمين يحكم بين اهل الذمة في تظالمهم واما نوازل الاحكام التي لا تظالم فيها
فالحاكم مخير واذا رضي به الخصمان فلا بد من رضى اساقفتهم او اخبارهم قاله
ابن القاسم في العتبية قلت وعبرة الداودي قال مالك ولا يحكم بينهم اذا
اختار الحكم الا في المظالم فيحكم بينهم بما انزل الله ولا يحكم فيهم في الزنا الا ان
يعلنوه فيعاقبون بسبب اعلانه ثم يردون الى اساقفتهم قال مالك وانما رجم
النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين قبل ان تكون لهم ذمة انتهى وقال ابن
العربي في احكامه انما انفذ النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بينهم ليحقق
تحريفهم وتبديلهم وكذبهم وكنتمهم ما في التوراة ومنه صفته صلى الله عليه وسلم فيها
والرجم على زناهم وعنه اخبر الله تعالى بقوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير فيكون ذلك من آياته
الباهرة وحججه البينة وبراهينه القاطعة الدامغة للامة المخزية اليهودية انتهى
* وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا امن الله سبحانه نبيه من
ضررهم اذا اعرض عنهم وحقر في ذلك شانهم وان حكمت اي اخترت الحكم
في نازلة ما فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل ثم قال سبحانه وكيف يحكمونك
المعنى وكيف يحكمونك بنية صادقة وهم قد خالفوا حكم التوراة التي يصدقن
بها وتولوا عن حكم الله فيها فانست الذي لا يؤمنون بك اخرى بان يخالفوا

حكمك وهذا بين انهم لا يحكمونه عليه السلام لا رغبة في ميله الى اهوائهم * وقوله سبحانه من بعد ذلك اي من بعد كون حكم الله في التوراة في الرجم وما اشبهه * وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين يعنى بالتوراة وبموسى * وقوله سبحانه انا انزلنا التوراة فيها هدى اي ارشاد في المعتقد والشرائع والنور ما يستضاء به من اوامرها ونواهيها والنبیون الذين اسلموا هم من بعث من لدن موسى ابن عمران الى مدة نبينا محمد عليه السلام واسلموا معناه اخلصوا وجوههم ومقاصدهم لله سبحانه وقوله للذين هادوا متعلق بيحكم اي يحكمون بمقتضى التوراة لبنى اسرائيل وعليهم والربانيون عطف على النبيين اي ويحكم بها الربانيون وهم العلماء وقد تقدم تفسير الرباني والاحبار ايضا العلماء واحدهم خبر بكسر الحاء وفتحها وكثر استعمال الفتح فرقا بينه وبين الخبر الذى يكتب به وانما اللفظ عام في كل خبر مستقيم فيما مضى من الزمان قبل مبعث نبينا محمد عليه السلام * وقوله سبحانه بما استحفظوا اي بسبب استحفاظ الله تعالى اياهم امر التوراة واخذة العهد عليهم في العمل والقول بها وعرفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه وهؤلاء ضيعوا لما استحفظوا حتى تبدلت التوراة والقرآن بخلاف هذا لقوله تعالى وانا له لحافظون * وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشون حكاية لما قيل لعلما بنى اسرائيل * وقوله ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا نهى عن جميع المكاسب الخبيثة بالعلم والتحيل للدنيا بالدين وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الامة وحكامها ويحتمل ان يكون قوله فلا تخشوا الناس الى اخر الآيات خطابا لامة نبينا محمد عليه السلام واختلف العلماء في المراد بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فقالت جماعة المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين وروي في هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق البراء بن عازب قال

الفخر وتمسكت الخوارج بهذه الآية في التكفير بالذنب واجيب بان الآية
نزلت في اليهود فتكون مختصة بهم قال الفخر وهذا ضعيف لان الاعتبار بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب قلت وهذه مسألة خلاف في العام الوارد على سبب
هل يبقى على عمومه او يُقصر على سببه انتهى وقالت جماعة عظيمة من اهل
العلم الآية متناولة كل من لم يحكم بما انزل الله ولكنها في امراء هذه الامة كفر
معصية لا يخرجهم عن الايمان وهذا تاويل حسن وقيل لتحذيفة بن اليمان انزلت
هذه الآية في بنى اسرائيل فقال نعم لآخوة لكم بنو اسرائيل ان كانت لكم كل
حلو ولهم كل مرة لتسلكن طريقهم قذ الشراك * وقوله تعالى وكتبنا عليهم
فيها ان النفس بالنفس الآية اي وكتبنا على بنى اسرائيل في التوراة ومعنى
هذه الآية الخبر بان الله تعالى كتب فرضا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا
فيجب في ذلك اخذ نفسه ثم هذه الاعضاء المذكورة كذلك ثم استمر هذا
الحكم في هذه الامة بما علم من شرع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
ورخص الله لهذه الامة ووسع لها بالدية ولم يجعل لبنى اسرائيل دية فيما نزل
على موسى والجمهور ان النفس بالنفس عموم يراد به الخصوص في المتماثلين
كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر وكذلك
قوله سبحانه والجروح قصاص عموم يراد به الخصوص فيما لا يخاف منها
على النفس وكتب الفقه محل استيعاب الكلام على هذه المعاني قال * ص *
والجروح قصاص اي ذات قصاص انتهى * وقوله سبحانه فمن تصدق به
فهو كفارة له المعنى ان من تصدق بجرحه او دم وليه وعفا فان ذلك العفو كفارة
لذنوبه يعظم الله اجره بذلك قاله ابن عمر وغيره وفي معناه حديث مروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قلت وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يصاب

بشيء في جسده فتصدق به لا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة رواه الترمذي انتهى وقيل المعنى فذلك العفو كفاة للجراح عن ذلك الذنب كما ان القصاص كفارة فكذلك العفو كفاة واما اجر العاقي فعلى الله تعالى قاله ابن عباس وغيره وقيل المعنى اذا جنى جان فجهل وخفي امره فتصدق هذا الجانى بان اعترف بذلك ومكن من نفسه فذلك الفعل كفارة لذنبه * وقوله سبحانه وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم الآية الضمير في اثارهم للنبيئين * وقوله وهدى وموعظة للمتقين خص المتقون بالذكر لانهم المقصود به في علم الله وان كان الجميع يدعى الى توحيد الله ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمى وحيرة وقرأ حمزة وحده وليحكم بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب الفعل بها والمعنى واثينا الانجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق وليحكم اهله بما انزل الله فيه وقرأ باقى السبعة وليحكم بسكون لام الامر وجزم الفعل ومعنى امره لهم بالحكم اي هكذا يجب عليهم قلت واذا من لازم حكمهم بما انزل الله فيه اتباعهم لنبينا محمد عليه السلام والايمان به كما يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل قال الفخر قيل المراد وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل والمراد بالفاسقين من لم يمثل من النصارى انتهى وحسن عقب ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما انزل الله * وقوله سبحانه ومهيمننا اي جعل الله القرآن مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما نسب المحرفون اليها فيصح الحقائق ويبطل التحريف وهذا هو معنى مهيمنا اي شاهد ومصدق ومؤتمن وامين حسب اختلاف عبارة المفسرين في اللفظة وقال المبرد مهيم اصله مؤتمن بني من امين ابدلت همزته هاء كما قالوا ارقط الماء وهرقته واستحسنه الزجاج * وقوله

سبحانه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق المعنى
عند الجمهور ان اخترت ان تحكم فاحكم بينهم بما انزل الله وليست هذه الآية
بنسخة لقوله او اعرض عنهم ثم حذر الله تعالى نبيه عليه السلام من اتباع اهوائهم
* وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي لكل امة قاله الجمهور وهذا عندهم
في الاحكام واما في المعتقدات فالدين واحد لجميع العالم ويحتمل ان يكون
المراد الانبياء لا سيما وقد تقدم ذكرهم وذكر ما انزل عليهم وتجيء الآية مع هذا
لاحتمال تنبيهها لنبينا محمد عليه السلام اي فاحفظ شرعتك ومنهاجك لئلا
تستزك اليهود او غيرهم في شيء منه واكثر المتأولين على ان الشرعة والمنهاج
بمعنى واحد وهي الطريق وقال ابن عباس وغيره شرعة ومنهاج سبيلا وسنة ثم
اخبار سبحانه انه لو شاء لجعل الناس امة واحدة ولكنه لم يشأ لانه اراد اختبارهم
وابتلاهم فيما اتاهم من الكتب والشرائع كذا قال ابن جريج وغيره ثم امر سبحانه
باستباق الخيرات في امتثال الاوامر وختم سبحانه بالموظة والتذكير بالمعاد فقال
الى الله مرجعكم جميعا والمعنى فالبدار البدار * وقوله سبحانه فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون معناه في الشواب والعقاب فتخبرون به اخبار ايقاع وهذه الآية
بارعة الفصاحة جمعت المعاني الكثيرة في الالفاظ اليسيرة وكل كتاب الله كذلك
الا انا بقصور افهامنا يبين لنا في بعض اكثر مما يبين لنا في بعض * وقوله
تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم الآية الهوى مقصور يجمع
على اهواء والهواء ممدود يجمع على اهوية ثم حذر تعالى نبيه عليه السلام من
اليهود ان يفتنوه بان يصرفوه عن شيء مما انزل الله عليه من الاحكام لانهم كانوا
يريدون ان يخدعوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له مرارا احكم لنا في نازلة
كذا بكذا ونتبعك على دينك * وقوله سبحانه فان تولوا قبله محذوف تقديره

فان حكموك واستقاموا فنعما ذلك وان تولوا فاعلم الآية وخصص سبحانه
اصابتهم ببعض الذنوب دون كلها لان هذا الوعيد انما هو في الدنيا وذنوبهم
نوعان نوع يخصهم ونوع يتعدى الى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبه
توعدهم الله في الدنيا وانما يعذبون بالكل في الآخرة وقال الفخر وجوزوا ببعض
الذنوب في الدنيا لان مجازاتهم ببعض كاف في اهلاكهم وتدميرهم انتهى *

وقوله سبحانه فاعلم الآية وعد للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجزه بقصة بنى
قَيْنُقَاع وقصة قُرَيْظَةَ والنضير واجلاء عمر اهل خيبر وفدك وغيرهم * وقوله
تعالى وان كثيرا من الناس لفاسقون اشارة اليهم ويندرج في عموم الآية غيرهم *

وقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون اشارة الى الكهان الذين كانوا ياخذون
الحلولان ويحكمون بحسب الشهوات ومن احسن من الله حكما اي لا احد
احسن منه حكما تبارك وتعالى * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء نهى الله سبحانه المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود
والنصارى اولياء في النصرة والخطاة المؤدية الى الامتزاج والمعاضدة وحكم هذه
الآية باق وكل من اكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظ من هذا المقت الذي
تضمنه قوله تعالى فانه منهم وسبب نزول هذه الآية انه لما انقضت بدر
وشجر امر بنى قَيْنُقَاع اراد النبي صلى الله عليه وسلم قتلهم فقام دونهم عبد الله
ابن ابي ابن سلول مخاصما وقال يا محمد احسن في موالى فاني امرؤ اخاف
الدوائر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد وهبتهم لك ونزلت الآية في ذلك
* وقوله عز وجل بعضهم اولياء بعض جملة مقطوعة من النهي * وقوله تعالى ومن
يتولهم منهم فانه منهم انحاء على عبد الله بن ابي وعلى كل من اتصف بهذه
الصفة * وقوله سبحانه فترى الذين المعنى فتري يا محمد الذين في قلوبهم

مرض اشارة الى عبد الله بن ابي ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حاية بنى قينقاع * وقوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لفظ محفوظ عن عبد الله ابن ابي ومن تبعه من المنافقين ودائرة معناه نازلة من الزمان وانما كان ابن ابي يظهر انه يستبقيهم لنصرة النبي عليه السلام وانه الرأي وكان يبطن خلاف ذلك * وقوله سبحانه فعسى الله ان ياتي بالفتح وهو ظهور نبيه عليه السلام وعلو كلمته وتمكينه من بنى قينقاع وقريظة والنضير وفتح مكة او اثر من عنده يهلك به اعداء الشرع وهو ايضا فتح لا يقع فيه للبشر سبب وقرأ ابن الزبير فيصبح الفساق على ما اسروا في انفسهم ناديين * وقوله تعالى يقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقساموا بالله جهد ايمانهم قرأ نافع وغيره يقول بغيروا وقرأ حمزة وغيره ويقول وقرأ ابو عمرو وحده ويقول بالواو ونصب اللام فذهب كثير من المفسرين الى ان هذا القول من المؤمنين انما هو اذا جاء الفتح وحصلت ندامة المنافقين وفصحهم الله تعالى فحينئذ يقول المؤمنون اهؤلاء الذين اقساموا الآية وتحتمل الآية ان تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض نخشى ان تصيبنا دائرة اذ فهم منهم ان تمسكهم باليهود انما هو ارداد لله ولرسوله فمقتهم النبي عليه السلام والمؤمنون وترك لهم النبي عليه السلام بنى قينقاع رغبة في المصاحبة والالفة واما قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب فلا ينتج معها ان يكون قول المؤمنين لا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم * وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب جهد على المصدر المؤكد والمعنى اهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الايمان انهم لمعكم قد ظهر الآن منهم من موالة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب ايمانهم * وقوله حبطت اعمالهم يحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه ويحتمل ان يكون من قول المؤمنين ويحتمل ان يكون قوله

حبطت دعاء اي بطلت اعمالهم * وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا من
يرتدد منكم عن دينه الآية خطاب للمؤمنين الى يوم القيامة ومعنى الآية ان الله
عز وجل وعد هذه الامة ان من ارتد منها فانه يحبي . سبحانه يقوم ينصرون الدين
ويغنون عن المرتدين قال الفخر وقدم الله تعالى محبته لهم على محبتهم له اذ
لولا حبه لهم لما وفقهم ان صاروا محبين له انتهى وفي كتاب التقصد الى الله
سبحانه للمحاسبي قلت للشيخ فهل يلحق المحبين لله عز وجل خوف قال نعم
الخوف لازم لهم كما لزهم الايمان لا يزول الا بزواله وهذا هو خوف عذاب
التقصير في بدايتهم حتى اذا صاروا الى خوف الفوت صاروا الى الخوف
الذى يكون في اعلى حال فكان الخوف الاول يطرقهم خطرات وصار خوف
الفوت وطنات قلت فما الحالة التي تكشف عن قلوبهم شديد الخوف
والحزن قال الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم بسعة فضل الله عز وجل واملهم منه
ان يظفروا بمراهم اذا وردوا عليه ولولا حسن ظنهم بربهم لتقطعت انفسهم
حسرات وماتوا كمدا قلت اي شيء اكثر شغلهم وما الغالب على قلوبهم في
جميع احوالهم قال كثرة الذكر لمحبيهم على طريق الدوام والاستقامة لا يملون
ولا يفترون وقد اجمع الحكماء ان من احب شيئاً اكثر من ذكره ثم قال قال ذو
النون ما اولع احد بذكر الله الا افاد منه حب الله تعالى انتهى وفي الآية انحاء
على المنافقين وعلى من ارتد في مدة النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر وهذه
الآية اخبار بغيب وقد وقع الخبر على وفقه فيكون معجزاً وقد ارتدت العرب
وغيرهم ايام ابي بكر فنصر الله الدين واتى بخير منهم انتهى * وقوله سبحانه
اذلته على المؤمنين معناه متذللين من قبل انفسهم غير متكبرين وهذا كقوله عز
وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وكقوله عليه السلام المؤمن هين لين وفي قراءة

ابن مسعود اذلة على المؤمنين غطاء على الكافرين * وقوله تعالى ولا يخافون
لومة لائم اشارة الى الرد على المنافقين في انهم يعتذرون بمقالة الاحلاف
والمعارف من الكفار ويراعون امرهم قلت وخرج ابوبكر بن الخطيب بسنده
على ابي ذر قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بسبع اوصاني ان انظر الى من
هو دوني ولا انظر الى من هو فوقى (يعنى في شان الدنيا) واوصاني بحب
المساكين والدنو منهم واوصاني ان اقول الحق وان كان مرا واوصاني ان اصل
رحمى وان ادبرت واوصاني ان لا اخاف في الله لومة لائم واوصاني ان لا اسأل
الناس شيئاً واوصاني ان استكثر من لا حول ولا قوة الا بالله انتهى * وقوله
سبحانه ذلك فضل الله الاشارة بذلك الى كون القوم يحبون الله عز وجل ويحبهم
واسع معناه ذو سعة فيما يملك ويعطى وينعم به سبحانه * وقوله تعالى
انما وليكم الله ورسوله الآيتة انما في هذه الآيتة حاضرة وقرأ ابن مسعود انما
مولاكم الله والزكاة هنا لفظ عام للزكاة المفروضة والتطوع بالصدقة ولكل
افعال البر اذ هي منمية لحسنات مطهرة للمرء من دنس السيئات
ثم وصفهم سبحانه بتكثير الركوع وخص بالذكر لكونه من اعظم اركان الصلاة وهي
هيئة تواضع فعبر به عن جميع الصلاة كما قال سبحانه والركع السجود هذا هو الصحيح
وهو تاويل الجمهور ولكن اتفق مع ذلك ان علي بن ابي طالب رضي الله
عنه اعطى خاتمه وهو راع قال السدي وان اتفق ذلك لعلي فالآيتة عامة في
جميع المؤمنين ثم اخبر تعالى ان من يتولى الله ورسوله والمؤمنين فانه غالب كل
من ناواه وجاءت العبارة عامة في ان حزب الله هم الغالبون ثم نهى سبحانه
المؤمنين عن اتخاذ الذين اتخذوا ديننا هزوا ولعبا وقد ثبت استهزاء الكفار في
قوله سبحانه انا كفيناك المستهزين وثبت استهزاء اهل الكتاب في لفظ هذه

الآية وثبت استهزاء المنافقين في قولهم لشياطينهم انا معكم انما نحن مستهزون
ثم امر سبحانه بتقواه ونبه النفوس بقوله ان كنتم مومنين * وقوله سبحانه
واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا الآية انحاء على اليهود وتبيين لسوء
فعلهم * وقوله وان اكثرتم فاسقون معنى المحاورة هل تنقمون منا الا مجموع هذه
الحال من انا مومنون وانتم فاسقون كما تقول لمن تخاصمه هل تنقم مني لا ان
صدقت انا وكذبت انت وقال بعض المتأولين وان اكثرتم معطوف على ما كانه
قال لا ان آمنا بالله وبكتبه وبان اكثرتم فاسقون وهذا مستقيم المعنى وقال اكثرتم
من حيث ان فيهم من آمن كابن سلام وغيره * وقوله سبحانه قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة يعنى مرجعا عند الله يوم القيامة ومنه واذا جعلنا البيت
مثابة للناس ومشى المفسرون في هذه الآية على ان الذين امر عليه السلام ان يقول
لهم هل انبئكم هم اليهود والكفار المتخذون ديننا هزوا ولعبا قال ذلك الطبري
وتوبع عليه ولم يسند في ذلك الى متقدم شيئا والآية تحتل ان يكون القول
للمومنين اي قل يا محمد للمومنين هل انبئكم بشر من حال هؤلاء الفاسقين في
وقت المرجع الى الله اولئك اسلافهم الذين لعنهم الله و غضب عليهم * وقوله
سبحانه وجعل هي بمعنى صير وقد تقدم قصص مسخهم قردة في البقرة وعبد
الطاغوت تقديرة ومن عبد الطاغوت قرأ جزء وحده وعبد الطاغوت بفتح العين
وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت وذلك ان عبد لفظ مبالغة كقُدس قال الفخر
قيل الطاغوت هنا العجل وقيل الطاغوت احبارهم وكل من اطاع احدا في معصية
الله فقد عبده انتهى ومكانا يحتمل ان يريد في الآخرة فالكان على وجهه اي
المحل اذ محلهم جهنم ويحتمل ان يريد في الدنيا فهي استعارة للمكانة والحالة
* وقوله سبحانه واذا جاءوك يعنى اليهود وخاصة المنافقين منهم قاله ابن عباس

وغيره * وقوله والله اعلم بما كانوا يكتنون اي من الكفر والرؤية هنا تختمل ان تكون
قلبية وان تكون بصرية وفي الاثم اي موجبات الاثم واللام في لبس لام قسم *
وقوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار تحميم في ضمنه توبيخ لهم قال الفخر
والمعنى هلا ينهاهم انتهى قال الطبري كان العلماء يقولون ما في القرآن آية هي
اشد توبيخا للعلماء من هذه الآية ولا اخوف عليهم منها وقال الضحاك بن مزاحم
ما في القرآن آية اخوف عندي منها انا لا ننهى وقال نحو هذا ابن عباس
* وقوله سبحانه عن قولهم الاثم ظاهرة ان الاثم هنا يراد به الكفر ويحتمل ان يراد
سائر اقوالهم المنكرة في النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقرأ ابن عباس ببس
ما كانوا يصنعون بغير لام قسم * وقوله سبحانه وتعالى وقالت اليهود يد الله الى
قوله لا يحب المفسدين هذه الآية تعدد كسيرة في اقوالهم وكفرهم اي فمن يقول
هذه العظيمة فلا يستنكر نفاقه وسعيه في رد امر الله تعالى قال ابن عباس وجماعته
معنى قولهم التبخيل وذلك انهم لحقتهم سنة وجهد فقالوا هذه المقالة يعنون
بها ان الله بخل عليهم بالرزق والتوسعة تعالى الله عن قولهم وهذا المعنى يشبه ما
في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك فان المراد لا تبخل ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق الحديث وذكر الطبري والنقاش
ان هذه الآية نزلت في فتناس اليهودي وانه قالها * وقوله سبحانه غلت
ايديهم خبر يحتمل في الدنيا ويحتمل في الآخرة فان كان خبرا عن الدنيا فالمعنى
غلت ايديهم عن الخير والانفاق في وجوه البر ونحوه واذا كان خبرا عن الآخرة
فالمعنى غلت في النار قلت ويحتمل الامرين معا * وقوله تعالى بل يدها
مبسوطتان العقيدة في هذا المعنى نفى التشبيه عن الله سبحانه وانه ليس بجسم
ولا له جارية ولا يشبه ولا يُكَيَّف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث تعالى عما يقول

المبتلون علوا كبيرا قال ابن عباس في هذه الآية يداه نعمتاه ثم اختلفت عبارة الناس في تعيين النعمتين فقليل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة والظاهران قوله سبحانه بل يداه مبسوطتان عبارة عن انعامه على الجملة وعبر عنها باليدين جريا على طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكثرته يديه ومنه قول الاعشى

يدايك يدا مجد فكف مفيدة * وكف اذا ماض بالمال تنفق
ويؤيد ان اليمين هنا بمعنى الانعام قرينة لانفاق ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام وليزیدن كثيرا منهم يعنى اليهود ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ثم قال سبحانه والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو فهو يبغض وقد يبغض من ليس بعدو والبغضاء قد لا تتجاوز النفوس وقد القى الله سبحانه الامرين على بنى اسرائيل قال الفخر وقد اوقع الله بين فرقهم الخصومة الشديدة وانتهى امرهم الى ان يكفر بعضهم بعضا وفي قوله والقينا بينهم العداوة الآية قولان احدهما ان المراد ما بين اليهود والنصارى من العداوة لانه جرى ذكرهم في قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وهذا قول الحسن ومجاهد والثانى ما وقع من العداوة بين فرق اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم موحدة وبعضهم مشبهة وكذلك بين فرق النصارى كالملاكية والنسطورية واليعقوبية انتهى * وقوله سبحانه كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله استعارة بليغة قال مجاهد معنى الآية كلما اوقدوا نارا لحرب النبي صلى الله عليه وسلم اطفأها الله فالآية بشارة لنبينا محمد عليه السلام والمؤمنين وباقي الآية بين * وقوله تعالى ولوان اهل الكتاب امنوا الآية هذه الآية تحتل ان يراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم وتحتل ان يراد بها الاسلاف والمعاصرون

* وقوله سبحانه ولو انهم اقاموا التوراة اي اظهروا احكامها فهي كاقامة السوق
واقامة الصلاة * وقوله سبحانه والانجيل يقتضى دخول النصارى فى لفظ اهل
الكتاب فى هذه الآية قلت وقال مكى معنى اقاموا التوراة والانجيل اي عملوا بما
فيهما واقرؤا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبنبوءته انتهى من الهداية * وقوله
وما انزل اليهم من ربهم معناه من وحي وسنن على السنة الانبياء عليهم السلام
واختلف فى معنى من فوقهم ومن تحت ارجلهم فقال ابن عباس وغيره المعنى
لاعطتهم السماء مطرها والارض نباتها بفضل الله تعالى وقال الطبري وغيره ان الكلام
استعارة ومبالغة فى التوسعة كما يقال فلان قد عمه الخير من قرنه الى قدمه * وقوله
سبحانه منهم امة مقتصدة معناه معتدلة والقصد والاقتصاد الاعتدال والرفق
والتوسط الحسن فى الاقوال والافعال قال ابن زيد وهؤلاء هم اهل طاعة الله من
اهل الكتاب قال * ع * وهذا هو الراجح * وقوله سبحانه يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك الآية هذه الآية امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام
بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لانه قد كان بلغ صلى الله عليه وسلم وانما امرى
هذه الآية بان لا يتوقف عن شيء مخافة احد وذلك ان رسالته عليه السلام
تضمنت الطعن على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقي منهم صلى الله
عليه وسلم عننا وربما خافهم احيانا قبل نزول هذه الآية فقال الله تعالى له بلغ ما
انزل اليك من ربك اي كاملا والله يعصمك من الناس قالت عائشة ام
المومنين رضي الله عنها من زعم ان مجدا كتم شيئا من الوحي فقد اعظم القرية
والله تعالى يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية وقال عبد الله
ابن شقيق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقه اصحابه يحرسونه فلما نزلت
والله يعصمك من الناس خرج فقال يا ايها الناس الحقوا بلاحقكم فان الله

قد عصمى قلت وخرج الترمذي هذا الحديث ايضا من طريق عائشة وكما
وجب عليه التبليغ عليه السلام وجب على علماء امته وقد قال عليه السلام بلغوا عني
ولو آية وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول نصر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه قرب حامل فقه الى
من ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه رواه ابو داود واللفظ له
والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي هذا
حديث حسن ورواه من حديث ابن مسعود وقال حسن صحيح انتهى من
السلاح وقال محمد بن كعب القرظي نزلت هذه الآية بسبب لاعرابي الذي
اخطرت سيف النبي صلى الله عليه وسلم ليقترله به قال ابن العربي قوله تعالى
والله يعصمك من الناس معناه يجعل بينك وبينهم حجابا يمنع من وصول
مكروههم اليك كعصم القربة الذي يمنع سيلان الماء منها ولعلمائنا في الآية
تاويلات اصحها ان العصمة عامة في كل مكروه وان الآية نزلت بعد ان شج وجهه
وكسرت ربايته صلى الله عليه وسلم وقيل انه اراد من القتل خاصة والاول اصح
وقد كان صلى الله عليه وسلم اوتي بعض هذه العصمة بمكة في قوله تعالى انا
كفيناك المستهزين ثم كملت له العصمة بالمدينة فعصم من الناس كلهم انتهى
من كتابه في تفسير افعال الله الواقعة في القرآن ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان
يقول لاهل الكتاب الحاضرين معه لستم على شيء اي على شيء مستقيم حتى
تقيموا التوراة والانجيل وفي اقامتهما لايمان بنينا محمد عليه السلام قلت وهذه
الآية عندي من اخوف آية في القرآن كما اشار الى ذلك سفيان فتأملها حق
التأمل * وقوله سبحانه وما انزل اليكم من ربكم الآية يعنى به القرآن * وقوله
تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر

وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا لفظ عام لكل مومن من
ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن غيرها من الملل فكان الآية حصر بها
الناس كلهم وبينت الطوائف على اختلافها وهذا هو تاويل الجمهور وقد مضى
الكلام في سورة البقرة فراجع هناك وقرأ الجمهور والصابون وقرأ خارج السبعة
والصابين وهي بينة لأعراب وأما على قراءة الجمهور فاختلف في أعرابها
ومذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة أنه من المقدم الذي معناه التأخير كأنه
قال ان الذين ءامنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابون والنصارى كذلك قال * ص * ووجه
ثان ان خبر ان محذوف أي ان الذين ءامنوا لهم اجرهم وخبر الصابين من
آمن وما بعده قال ابن عصفور وهو حسن جدا اذ ليس فيه اكثر من حذف
خبر ان للفهم وهو جائز في فصيح الكلام انتهى قلت قال ابن مالك وهو سهل
من التقديم والتأخير وقيل ان الصابين في موضع نصب ولكنه جاء على لغة
بأحارث الذين يجمعون التثنية بالالف على كل حال والجمع بالواو على كل
حال قاله ابو البقاء وقيل غير هذا * وقوله سبحانه وحسبوا لا تكون فتنه المعنى
في هذه الآية وطن هؤلاء الكفرة بالله والعصاة من بنى اسرائيل ان لا يكون من الله
ابتلاء لهم واخذ في الدنيا فلجوا في شهواتهم وعموا فيها اذ لم يبصروا الحق وهذا
كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعنى ويصم * وقوله سبحانه ثم تاب
الله عليهم قالت جماعة من المفسرين هذه التوبة هي ردهم الى بيت المقدس
بعد الاخراج الاول ورد ملكهم وحالهم ثم عموا وصموا بعد ذلك حتى اخرجوا
الخروج الثانية ولم ينجبوا ابدًا ومعنى تاب الله عليهم أي رجع بهم الى الطاعة
والحق ومن فصاحة القروان استناد هذا الفعل الشريف الى الله تعالى واستناد

العمى والصمم للذين هما عبارة عن الضلال اليهم ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا بلام القسم عن كفر القائلين ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية من النصارى ثم اخبر تعالى عن قول المسيح لهم فقال وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم الآية فضلوا هم وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات * وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون من قول عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل ويحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه لنبيه محمد عليه السلام * وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد الآية اخبار مؤكدة كالذى قبله عن هذه الطائفة الناطقة بالتثليث وهم فرق منهم النسطورية وغيرهم ولا معنى لذكر اقوالهم فى كتب التفسير * وقوله سبحانه ثالث ثلاثة لا يجوز فيه الا الاضافة وخفض ثلاثة لان المعنى احد ثلاثة فان قلت زيد ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز لك ان تصيف كما تقدم وجاز ان لا تصيف وتنصب ثلاثة على معنى زيد يربع ثلاثة * وقوله سبحانه وما من اله الا اله واحد الآية خبر صادق بالحق وهو سبحانه الخالق المبدع المتصف بالصفات العلى سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم توعدهم ان لم ينتهوا عما يقولون ثم رفع جل وعلا بهم بتخصيصه اياهم على التوبة وطاب المغفرة ثم وصف نفسه سبحانه بالغفران والرحمة استجلابا للتائبين وتائسا لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم قال * ص * ليمس اللام فيه جواب قسم محذوف قبل اداة الشرط انتهى * وقوله تعالى وانه صديقة بناء مبالغة من الصدق ويحتمل من التصديق وبه سمي ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال انها نبيية * وقوله سبحانه كانا ياكلان الطعام تنبيه على نقص البشرية وعلى حال من الاحتياج الى الغذاء تنتفى معها الالهية ويوفكون معناه

يصرفون ومنه قوله عز وجل يوفك عنه من افك والارض المافوكه التي صرفت
عن ان ينالها المطر والمطر في الحقيقة هو المصروف ولكن قيل ارض مافوكه لما
كانت مافوكا عنها * وقوله تعالى قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم
ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم الآية الضرب يفتح الصاد المصدر وبضمها الاسم
وهو عدم الخير والسميع لا قوالهم والعليم بنيانهم والغلو تجاوز الحد من غلا السهم
اذا تجاوز الغرض المقصود وتلك المسافة هي غلوته وهذه المخاطبة هي للنصارى
الذين غلوا في عيسى والقوم الذين نهي النصارى عن اتباع اهوائهم هم بنو اسرائيل
ووصف تعالى اليهود بانهم ضلوا قديما واصلوا كثيرا من اتباعهم ثم أكد الامر
بتكرار قوله تعالى واصلوا عن سواء السبيل * وقوله تعالى لعن الذين كفروا
من بنى اسرائيل الآية قال ابن عباس رضي الله عنه لعنوا بكل لسان لعنوا في
التوراة وفي الزبور والانجيل والفرقان * وقوله سبحانه كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه الآية ذم الله سبحانه هذه الفرقة الملعونة بانهم كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه اي انهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وان نهى منهم ناه لم يمتنع عن
مواصلة العاصي ومواكلته وخطئته وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل من بنى اسرائيل كان اذا رأى اخاه على ذنب نهاه عنه
تعزيزا فاذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه ان يكون اكيله او خليطه فلما رأى
الله تعالى ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم
داود وعيسى قال ابن مسعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكأ فجلس
وقال لا والله حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرا والاجماع
على ان النهي عن المنكر واجب لمن اطاقه ونهى بمعروف اي برفق وقول
معروف وامن الضرر عليه وعلى المؤمنين فان تعذر على احد النهي لشيء من

هذه الوجوه ففرض عليه الانكار بقلبه وان لا يخالط ذا المنكر وقال حذاق اهل العلم ليس من شروط الناهي ان يكون سليما من المعصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا * وقوله سبحانه ليس ما كانوا يفعلون اللام لام قسم وروى ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق او قال كلمة عدل عند سلطان جائر او امير جائر انتهي * وقوله تعالى لنبيه محمد عليه السلام ترى كثيرا يخطر ان تكون رؤية عين فلا يريد الا معاصريه ويحتمل ان تكون رؤية قلب وعلى هذا فيحتمل ان يريد المعاصرين له ويحتمل ان يريد اسلافهم والذين كفروا عبدة الاوثان * وقوله سبحانه ليس ما قدمت لهم انفسهم الآيات اي قدمته للآخرة واجترحت ثم فسر ذلك قوله تعالى ان سخط الله عليهم فان سخط في موضع رفع بدل من ما ويحتمل ان يكون التقدير هو ان سخط الله عليهم * وقوله تعالى والنبي ان كان المراد الاسلاف فالنبي داود وعيسى وان كان المراد معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بالنبي هو صلى الله عليه وسلم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله سبحانه ترى كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر بنى اسرائيل وانه يعنى به المنافقين ونحوه لمجاهد * وقوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا الآية اللام في قوله لتجدن لام ابتداء وقال الزجاج هي لام قسم وهذا خبر مطلق منسحب على الزمان كله وهكذا هو الامر حتى الآن وذلك ان اليهود مرنوا على تكذيب الانبياء وقتلهم ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة فهم قد لجت عداوتهم وكثر حسدهم فهم اشد الناس عداوة للمؤمنين وكذلك المشركون عبدة الاوثان والنيران واما النصارى فانهم يعظمون من اهل الاسلام من استشعروا

منه صحة دين ويستهيئون من فهموا منه الفسق فهم ان حاربوا فانما حربهم انفت لا ان شرعهم ياخذهم بذلك واذا سالموا فسلهم صاف واليهود لعنهم الله ليسوا على شيء من هذه الخلل بل شانهم الخبث واللي باللسنة والمكر والغدر ولم يصف الله تعالى النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم اقرب من اليهود والمشركين وفي قوله سبحانه الذين قالوا انا نصارى اشارة الى معاصى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من النصارى بانهم ليسوا على حقيقة النصرانية وانما هو قول منهم وزعم * وقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا الآية معناه ذلك بان منهم اهل خشية وانقطاع الى الله تعالى وعبادة وان لم يكونوا على هدى فهم يميلون الى اهل العبادة والخشية وليس عند اليهود ولا كان قط اهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا بل هم معظمون لها منتظولون في البنيان وامور الدنيا حتى كانهم لا يؤمنون بالآخرة فلذلك لا يرى فيهم زاهد قال الفخر القس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين انتهى ووصف الله سبحانه النصارى بانهم لا يستكبرون وهذا موجود فيهم حتى الآن واليهودي متى وجد عزا طغى وتكبر ثم مدحهم سبحانه فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع الآية قال النووي ينبغي للقارئ ان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخصوع فهذا هو المقصود المطلوب وبه تشرح الصدور وتستنير القلوب ودلائله اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة او معظم ليلة يتدبرها وصعق جماعات منهم عند سماع القُرآن وقراءته ومات جماعات منهم ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة

العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله عز وجل ويخرون للأذقان يكون
ويزيدهم خشوعا وقد وردت آثار كثيرة في ذلك انتهى من الحلية للنووي
وذكر ابن عباس وابن جبير ومجاهد أن هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم
النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرؤه ويعرفوا حاله فقرأ النبي صلى
الله عليه وسلم عليهم القرآن فبكوا وامنوا ورجعوا إلى النجاشي فثامن ولم يزل مومنا
حتى مات فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وروى أن نعش النجاشي
كشف للنبي عليه السلام فكان يراه من موضعه بالمدينة وجاء الخبر بعد مدة
أن النجاشي دفن في اليوم الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال
ابو صالح كانوا سبعة وستين رجلا وقال ابن جبير كانوا سبعين عليهم ثياب
الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي وصدر الآية في قرب المودة
عام فيهم ولا يتوجه أن يكون صدر الآية خاصا فيمن آمن وانما وقع التخصيص
من قوله تعالى واذا سمعوا وجاء الضمير عاما إذ قد تحمد الجماعة بفعل واحد
منهم وفي هذا استدعاء للنصارى ولطف من الله بهم ليؤمنوا قال * ص *

ما عرفوا من الحق من الأولى لا ابتداء الغاية قال ابو البقاء ومعناها من أجل
الذي عرفوا ومن الثانية لبيان ما الموصولة انتهى قال العراقي تفيض أي تسيل
منها العبرة وفي الحديث اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا خرجه البزار
انتهى من الكوكب الدرري وفيه عن البزار أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من خرج من عينيه مثل جناح ذباب دموعا من خشية الله لم يدخل النار
حتى يعود اللبس في صرعه انتهى وقولهم مع الشاهدين يعني نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم وامته قاله ابن عباس وغيره وقال الطبري لو قال قائل معنى
ذلك مع الشاهدين بنوحيدك من جميع العالم لكان صوابا وهو كلام صحيح

وكان ابن عباس خصص امة محمد لقول الله سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وقولهم وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق توقيف لانفسهم او محاجة لمن عارضهم من الكفار والقوم الصالحون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله ابن زيد وغيره من المفسرين ثم ذكر تعالى ما اثابهم به من النعيم على ايمانهم واحسانهم ثم ذكر سبحانه حال الكافرين المكذبين وانهم قرءوا الجحيم * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية قال ابن عباس وغيره نزلت بسبب جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بلغت منهم المواعظ وخوف الله تعالى الى ان حرم بعضهم النساء وبعضهم النوم بالليل والطيب وهم بعضهم بالاختصاص فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انا فاقوم وانام واصوم وافطروا اتى النساء وانال الطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني قال الطبري كان فيما يتلى من رغب عن سنتك فليس من امتك وقد صل عن سواء السبيل والطيبات في هذه الآية المستلذات بدليل اضافتها الى ما احل الله وبقرينة ما ذكر من سبب الآية * وقوله سبحانه ولا تعتدوا قال عكرمة وغيره معناه في تحريم ما احل الله وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى ولا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله فالنهيان على هذا تضمنتا الطرفين كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما قلت وروى مالك في الموطأ عن ابي النضر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات عثمان بن مظعون ومربجنازته ذهبت ولم تلبس منها بشيء قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث في الموطأ مقطوع وقد روينا متصل مسندا من وجه صالح حسن ثم اسند ابو عمر عن عائشة قالت لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكى

بكاء طويلا فلما رُفع على السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها قال ابو عمر كان عثمان بن مظعون احد الفضلاء العباد الزاهدين في الدنيا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبتلين منهم وقد كان هو وعلي بن ابي طالب هما ان يترهبيا ويتركا النساء ويقبلا على العبادة ويحرما طيبات الطعام على انفسهما فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية ونقل هذا معمر وغيره عن قتادة انتهى * وقوله سبحانه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان معناه شددتم وعقد اليمين كعقد الحبل والعهد قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العنجا وشدوا فوقه الكربا
قال الفخر واما وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها فهو ما تقدم من ان قوما من الصحابة رضي الله عنهم حرموا على انفسهم المطاعم والملاذ وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله تعالى عن ذلك قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا فانزل الله تعالى هذه الآية انتهى * وقوله سبحانه فكفارتها اطعام عشرة مساكين اي اشباعهم مرة واحدة وحكم هؤلاء ان لا يتكرر واحد منهم في كفارة يمين واحدة واختلف في معنى قوله سبحانه من اوسط فرأى مالكا وجماعة معه هذا التوسط في القدر ورأى ذلك جماعة في الصنف والوجه ان يُعم بلفظ الوسط القدر والصنف فرأى مالكا ان يطعم المسكين بالمدينة مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك رطل وثلاث وهذا لصيق المعيشة بالمدينة ورأى في غيرها ان يتوسع ورأى من يقول ان التوسط انما هو في الصنف ان يكون الرجل المكفر يتجنب ادنى ما ياكل الناس في البلد وينحط عن الاعلى ويكفر بالتوسط من ذلك ومذهب المدونة ان يراعي المكفر عيش البلد وتاويل العلماء في الحانث

في اليمين بالله انه مخير في الاطعام او الكسوة او العتق والعلماء على ان العتق افضل ذلك ثم الكسوة ثم الاطعام وبدأ الله تعالى عباده باليسر فلايسر قال الفخر وبدأ سبحانه بالاطعام لانه اعم وجودا والمقصود منه التنبيه على انه سبحانه يراعى التخفيف والتسهيل في التكاليف وثانيها ان الاطعام افضل قلت وهذا هو مشهور مذهب مالك انتهى ويجزئ عند مالك من الكسوة في الكفارة ما يجزئ في الصلاة * وقوله سبحانه او تحرير رقبة اي مومنة قاله مالك وجماعة لان هذا المطلق راجع الى المقيد في عتق الرقبة في قتل الخطي * وقوله سبحانه فمن لم يجد معناه لم يجد في ملكه احد هذه الثلاث المذكورة واختلف العلماء في حد هذا العادم ومتى يصح له الصيام فقال الشافعي ومالك وجماعة من العلماء اذا كان المكفر لا يملك لا قوته وقوت عياله يومه وليلته فله ان يصوم فان كان عنده زائد على ذلك ما يطعم عشرة مساكين لزمه الاطعام قال الطبري وقال اخرون جائز لمن لم يكن له فضل على راس ماله الذي يتصرف به في معاشه ان يصوم وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود ثلاثة ايام متتابعات وقال بذلك جماعة وقال مالك وغيره ان تابع فحسن وان فرق اجزا وقوله اذا حلفتم معناه واردتم الحنث او وقعتم فيه * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الآية قال * ع * وفي معنى الازلام الزجر بالطير واخذ الفال في الكتب ونحوه مما يصنعه الناس واخبر سبحانه ان هذه الاشياء رجس قال ابن عباس في هذه الآية رجس سخط وقال ابن زيد الرجس الشر قال * ع * الرجس كل مكروه ذميم وقد يقال للعذاب والرجز العذاب لا غير والركس العذرة لا غير والرجس يقال للامرين * وقوله سبحانه فاجتنبوه امر باجتنابه فحرمت الخمر بظاهر القرآن

ونص الاحاديث واجماع الامة وامر الخمر انما كان بتدريج ونوازل كثيرة كقصّة حمزة حين جَبَّ لاسنمة وقوله وهل انتم لاعبيد ابي ثم اعلم سبحانه عباده ان الشيطان انما يريد ان تقع العداوة بسبب الخمر وما يعتري عليها بين المؤمنين وبسبب الميسر اذ كانوا يتقامرون على الاموال حتى ربما بقي المقمور فقيرا فتحدث من ذلك صفائن وعداوات فان لم يصل الامر الى حد العداوة كانت بغضاء ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وباجتماع النفوس والكلمة يحمى الدين ويجهّد العدو والبغضاء تنقص عرى الدين وتهدم عماد الحماية وكذلك ايضا يريد الشيطان ان يصد المؤمنين عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغلهم عنها باتباع الشهوات والخمر والميسر والقمار كله من اعظم الآفات في ذلك وفي قوله سبحانه فهل انتم منتهون وعيد زائد على معنى انتهوا * وقوله سبحانه ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية قال ابن عباس وغيره لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات منا وهو يشربها وياكل الميسر ونحو هذا من القول فنزلت هذه الآية وهذا نظير سؤالهم عن من مات على القبلة الاولى والجناح الاثم والحرَج والتكرار في قوله سبحانه اتقوا يقتضى في كل واحدة زيادة على التى قبلها وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم وليست الآية وقفا على من عمل الصالحات كلها واتقى كل التقوى بل هي لكل مومن وان كان عاميا احيانا اذا كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به ان يوصف بانه مومن عامل للصالحات متق في غالب امره محسن فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه وطعموا معناه ذاقوا فصاعدا في رتب الاكل والشرب وقد

يستعار للنوم وغيره وحقيقته في حاسة الذوق * وقوله سبحانه يا ايها الذين
ءامنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد اي ليختبرنكم ليرى طاعتكم من معصيتكم
وقوله بشيء يقتضى تبعيضا ومن يحتمل ان تكون للتبعيض ويحتمل ان تكون
لبيان الجنس كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان * وقوله تعالى ليعلم
الله من يخافه بالغيب معناه ليستمر عليه تعالى عليه وهو موجود اذ قد علم تعالى
ذلك في الازل وبالغيب قال الطبري معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه
فهو غائب عنه والظاهر ان المعنى بالغيب من الناس اي في الخلوة ممن خاف
الله انتهى قلت وقول الطبري اظهر ثم توعد تعالى من اعتدى بعد النهي بالعذاب
الاليم وهو عذاب الآخرة * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم الآية الصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فوقع على الحيوان المصيد
ولفظ الصيد هنا عام ومعناه الخصوص فيما عدا ما استثنى وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والجذأة والفارة
والعقرب والكلب العقور واجمع الناس على اباحة قتل الحية وبسط هذا في
كتب الفقه وحرم جمع حرام وهو الذي يدخل في الحرم او في الاحرام واختلف
في قوله متعمدا فقال مجاهد وغيره معناه متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فهذا يكفر
واما ان كان ذاكرا لاحرامه فهو اعظم من ان يكفر وقد حل ولا رخصة له وقال
جماعة من اهل العلم منهم ابن عباس ومالك والزهري وغيرهم المتعمد القاصد
للقتل اذا كان لاحرامه فهو يكفر وكذلك الناسى والقاتل خطأ يكفران وقرأ نافع
 وغيره فجزاء مثل باضافة الجزاء الى مثل وقرأ حزة وغيره فجزاء بالرفع مثل بالرفع
ايضا واختلف في هذه المماثلة كيف تكون فذهب الجمهور الى ان الحكمين
ينظران الى مثل الحيوان المقتول في الخلقة وعظم المراءى فيجعلان ذلك من

النعم جزاءه وذهب الشعبي وغيره الى ان المماثلة انما هي في القيمة يقوم الصيد
المقتول ثم يشتري بقيمته ند من النعم ورد الطبري وغيره هذا القول والنعم لفظ
يقع على الابل والبقر والغنم اذا اجتمعت هذه الاصناف فان انفرد كل صنف
لم يقل نعم لا للابل وحدها وقصر القراءن هذه النازلة على حكيمين عدلين عالين
بحكم النازلة وبالتقدير فيها وعلى هذا جمهور الناس قال ابن وهب في العتبية
من السنة ان يختير الحكمان من اصاب الصيد كما خيرة الله تعالى في ان يخرج
هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدى
حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما وبين ان يكون عدل ذلك
شاة لانها ادنى الهدى فما لم يبلغ شاة حكما فيه بالطعام ثم خير في ان يطعمه
او يصوم مكان كل مد يوما وكذلك قال مالك في المدونة اذا اراد المصيب ان
يطعم او يصوم فان كان لما اصاب نظير من النعم فانه يقوم صيده طعاما لا دراهم
قال وان قوماه دراهم واشتري بها طعام لرجوت ان يكون واسعا والاول اصبوب
فان شاء اطعمه والا صام مكان كل مد يوما وان زاد ذلك على شهرين او ثلاثة
وقال يحيى بن عمر من اصحابنا انما يقال كم من رجل يشبع من هذا الصيد
فيعرف العدد ثم يقال كم من الطعام يشبع هذا العدد فان شاء اخرج ذلك
الطعام وان شاء صام عدد امداده وهذا قول حسن احتاط فيه لانه قد تكون قيمة
الصيد من الطعام قليلة فبهذا النظر يكثر الاطعام * وقوله تعالى هديا بالغ
الكعبة ذكرت الكعبة لانها ام الحرم والحرم كله منجر لهذا الهدى ولا بد ان
يجمع في هذا الهدى بين الحل والحرم حتى يكون بالغ الكعبة فالهدى لا
ينحصر في الحرم واختلف في الطعام فقال جماعة لا طعام والصوم حيث شاء
المكفر من البلاد وقال عطاء بن ابي رباح وغيره الهدى والا طعام بكعة والصوم

حيث شئت * وقوله سبحانه ليدوق وبال امره الذوق هنا مستعار والوبال
سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذى يتأذى به بعد اكله وعبر بامره عن جميع
حاله من قتل وتكفير وحكم عليه ومُضَيّ ماله او تعبته بالصوم واختلف في
معنى قوله سبحانه عفا الله عما سلف الآية فقال عطاء بن ابي رباح وجاعة
معناه عفا الله عما سلف في جاهليتهم من قتلكم الصيد في الحرمة ومن عاد الآن
في الاسلام فان كان مستحلاً فينتقم الله منه في الآخرة ويكفر في ظاهر الحكم وان
كان عاصياً فالنقمة هي في الزام الكفارة فقط قالوا وكلما عاد المحرم فهو يكفر
قال * ع * ويخاف المتورعون ان تبقى النقمة مع التكفير وهذا هو قول
الفقهاء مالك ونظرانه واصحابه رجهم الله وقال ابن عباس وغيره اما المتعمد فانه
يكفر اول مرة وعفا الله عن ذنبه فان اجتراً وعاد ثانياً فلا يحكم عليه ويقال له
ينتقم الله منك كما قال الله تعالى * وقوله سبحانه والله عزيز ذو انتقام
تنبيه على صفتين تقتضيان خوف من له بصيرة ومن خاف ازدرج ومن هذا
المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل
قلت والصيد لله مكره وروى ابو داود في سننه عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن
اتى السلطان افتتن انتهى * وقوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً
لكم الآية البحر الماء الكثير مالحاً كان او عذباً وكل نهر كبير بحر وطعامه هو كل ما
قذى به وما طفا عليه قاله جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب
مالك ومتاعاً نصب على المصدر والمعنى متعمكم به متاعاً تنتفعون به وتأندمون
ولكم يريد حاضرى البحر ومدنه والسيارة المسافرين واختلف في مقتضى
قوله سبحانه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً فتلقاه بعضهم على العموم من

جميع جهاته فقالوا ان المحرم لا يحل له ان يصيد ولا ان يامر من يصيد ولا ان ياكل صيدا صيد من اجله ولا من غير اجله وان لحم الصيد باي وجه كان حرام على المحرم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يرى باسا للمحرم ان ياكل ما صاده حلال لنفسه او لحلال مثله وقال بمثل قول عمر عثمان بن عفان والزبير ابن العوام وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من الحمار الذي صاده ابو قتادة وهو حلال والنبي عليه السلام محرم ثم ذكر سبحانه بامر الحشر والقيامة مبالغة في التحذير ولما بان في هذه الآيات تعظيم الحرم والحرمه بالا حرام من اجل الكعبة وانها بيت الله تعالى وعنصر هذه الفضائل ذكر سبحانه في قوله جعل الله الكعبة البيت تنبيها سنه في الناس وهداهم اليه وحمل عليه الجاهلية الجهلاء من التزامهم ان الكعبة قوام والهدي قوام والقلائد قوام اي امر يقوم للناس بالتأمين ووضع الحرب او زارها وأعلم تعالى ان التزام الناس لذلك هو مما شرعه وارضاة وجعل في هذه الآية بمعنى صير والكعبة بيت مكة وسمي كعبة لتربيعة قال اهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة وذهب بعض المتأولين الى ان معنى قوله تعالى قياما للناس اي موضع وجوب قيام بالناسك والتعبدات وضبط النفوس في الشهر الحرام ومع الهدي والقلائد قال مكى معنى قياما للناس اي جعلها بمنزلة الرئيس الذي يقوم به امر اتباعه فهي تجزهم عن ظلم بعضهم بعضا وكذلك الهدي والقلائد جعل ذلك ايضا قياما للناس فكان الرجل اذا دخل الحرم امن من عدوه واذا ساق الهدي كذلك لم يعرض له وكان الرجل اذا اراد الحج تقلد بقلادة من شعر واذا رجع تقلد بقلادة من لحاء شجر الحرم فلا يعرض له ولا يؤذى حتى يصل الى اهله قال ابن زيد كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ولم يكن في العرب ملوك

تدفع عن بعضهم ظلم بعض فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض انتهى من الهداية والشهر هنا اسم جنس والمراد الاشهر الثلاثة باجماع من العرب وشهر مصر وهو رجب واما الهدي فكان امانا لمن يسوقه لانه يعلم انه في عبادة لم يات لحرب واما القلائد فكذلك كان الرجل اذا خرج يريد الحج تقلد من لحاء السمر او غيره شيئا فكان ذلك امانا له وكذلك اذا انصرفوا تقلدوا من شجر الحرم وقوله ذلك اشارة الى ان جعل الله هذه الامور قياما * وقوله سبحانه بكل شيء عليم عام عموما تاما في الجزئيات ودقائق الموجودات والقول بغير هذا الحاد في الدين وكفر * وقوله سبحانه ما على الرسول الا البلاغ الآية اخبار للمؤمنين مضمنه الوعيد ان انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ الرسول اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قلت قال الشيخ ابو مدين رضي الله عنه الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال فايما قلب رماه موثرا له حفظه من الطوارق والمحن ومضلات الفتن وقال رحمه الله ما عرف الحق من لم يؤثره وما اطاعه من لم يشكركه انتهى * وقوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب الآية لفظ عام في جميع الامور فيتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة والطيب وان قل نافع جميل العاقبة وينظر الى هذه الآية قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والخبيث هو الفساد الباطن في الاشياء حتى يظن بها الصلاح وهي بخلاف ذلك * وقوله سبحانه فاتقوا الله يا اولى الالباب تنبيه على لزوم الطيب في المعتقد والعمل وخص اولوا الالباب بالذكر لانهم المتقدمون في ميز هذه الامور والذين لا ينبغي لهم اهمالها مع البابهم وادراكهم * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن

اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية اختلف الرواة في سببها والظاهر من الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحت عليه الاعراب والجهال بانواع من السؤالات حسبما هو معلوم في الروايات فزجرهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية واشياء اسم لجمع شيء قال ابن عباس معنى الآية لا تسألوا عن اشياء في ضمن الانبياء عنها مساءة لكم اما بتكليف شرعي يلزمكم واما بخبر يسوءكم ولكن اذا نزل القرآن بشيء وابتدأكم ربكم بامر فحينئذ ان سألتم عن تفصيله وبيانه بُيِّنَ لكم وابدي ويحتمل قوله وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ان يكون في معنى الوعيد كانه قال لا تسألوا وان سألتم لقيتم غب ذلك وصعوبته قال النووي وعن ابي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها روايناه في سنن الدارقطني انتهى وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوني ما تركتكم انما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامرفاتوا منه ما استطعتم انتهى وعفا الله عنها معناه تركها ولم يُعَرَفَ بها قد سألتها قوم من قبلكم الآية قال الطبري كقوم صالح في سؤالهم الناقة وكبنى اسرائيل في سؤالهم المائدة اي وكطلب الامم قديما التعمق في الدين من انبيائها ثم لم تف بما كلفت * وقوله سبحانه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام الآية اي لم يجعل سبحانه شيئا من ذلك ولا سنه لعبادة المعنى ولكن الكفار فعلوا ذلك كعمرو بن لحي وغيره من رؤسائهم يفترون على الله الكذب بقولهم هذه قربة الى الله واكثرهم يعنى الاتباع لا يعقلون بل يتبعون هذه

الأمور تقليدا وجعل في هذه الآية لا يتجه ان تكون بمعنى خلق ولا بمعنى
صير وانما هي بمعنى ماسن ولا شرع قال * ص * ما جعل ذهب ابن
عطية والزمخشري الى انها بمعنى شرع قال ابن عطية ولا تكون بمعنى خلق
لان الله تعالى خلق هذه الاشياء كلها ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثاني قال ابو
حيان ولم يذكر النحويون لها هذا وقد جاء حذف احد مفعولي ظن واخواتها
قليلًا فتحمل هذه على حذف المفعول الثاني اي ما صير الله بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حاميا مشروعا وهو اول من اثبات معنى لم يسمع فيها وذكر ابو
البقاء انها هنا بمعنى سَمَى انتهى قلت وحاصل كلام ابى حيان انه شهادة على
نفي وعلى تقدير صحته فيحمل كلام ابن عطية على انه تفسير معنى لا تفسير
اعراب وبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة وَبَحَّرَ شَقَّ كانوا اذا نتجت الناقة عشرة
بطون شقوا اذنبا بنصفين طولاً فهي مبحورة وتركزت ترعى وترد الماء ولا ينتفع
بشيء منها ويحرم لحمها اذا ماتت على النساء ويحلل للرجال وذلك كله
ضلال والسائبة هي الناقة تسبب للآلهة والناقة ايضا اذا تابعت ثنتي عشرة
اناثا ليس فيهن ذكر سببت وكانت السوائب ايضا في العرب كالقربة عند
المرض يُبرأ منه والقُدوم من السفر واذا نزل باحدهم امر يشكر الله تعالى عليه
تقرب بان يسبب ناقة فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره يرون ذلك
كعتق بنى ادم ذكره السدي وغيره وكانت العرب تعتقد ان من عرض لهذه
النوق فاخذها او انتفع منها بشيء فانه تاحقه عقوبة من الله والوصيلة قال
اكثر الناس ان الوصيلة في الغنم قالوا اذا ولدت الشاة ثلاثة بطون او خمسة
فان كان اخرها جديا ذبحوه لبيت الآلهة وان كان عَنَافَا استحيوها وان كان
جدي وعناق استحيوها وقالوا هذه العناق وصلت اخاها فمنعته من ان يذبح

وعلى ان الوصيلة في الغنم جاءت الروايات عن اكثر الناس وروي عن ابن
المسيب ان الوصيلة من الابل واما الحامي فانه الفحل من الابل اذا ضرب في
الابل عشر سنين وقيل اذا ولد من صلبه عشر وقيل اذا ولد من ولد ولده قالوا
حمى ظهره فسيبوه لا يركب ولا يسخر في شيء . وعبرة الفخر وقيل الحامي
الفحل اذا ركب ولد ولده انتهى قلت والذي في البخاري والحام فحل الابل
يضرب الضراب المعداد واذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل
فلم يحمل شيء عليه وسموه الحامي انتهى * وقوله سبحانه واذا قيل لهم
يعنى لهؤلاء الكفار المستئين بهذه الاشياء تعالوا الى ما انزل الله يعنى القرآن
الذى فيه التحريم الصحيح قالوا حسبنا معناه كفانا * وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الآية قال ابو ثعلبة الخشني
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا واعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك بخويصة نفسك وذرعواهم فان وراكم اياما اجر العامل فيها كاجر
خمسین منكم وهذا هو التاويل الذى لا نظر لاحد معه لانه مستوف للصالح
صادر عن النبي عليه السلام وجملته ما عليه اهل العلم في هذا ان الامر بالمعروف
متعين متى رجي القبول او رجي رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الامر ضررا
يحقه في خاصته او فتنة يدخلها على المسلمين اما بشق عصا واما بضرر
ياحق طائفة من الناس فاذا خيف هذا فعليكم انفسكم محكم واجب ان يوقف
عنده * وقوله سبحانه الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون هذا
تذكير بالحق وما بعده وذلك مسئل عن امور الدنيا مكروها ومحبوها روي
عن بعض الصالحين انه قال ما من يوم الا ويحى الشيطان فيقول ما تاكل وما

تلبس واين تسكن فاقول له أكل الموت والبس الكفن واسكن القبر قال * ع *
فمن فكر في مرجعه الى الله سبحانه فهذا حاله قلت وخرج البغوي في
المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس انكم
تعملون اعمالا تعزب عنكم الى يوم القيامة وتوشك العوازب ان تثوب الى اهلها
فمسرور بها ومكظوم انتهى من الكوكب الدرري والله المستعان * وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان
الآية الى قوله يوم يجمع الله الرسل قال مكي هذه الآيات عند اهل المعاني
من اشكل ما في القرءان اعرابا ومعنى وحكما قال * ع * وهذا كلام من لم
يقع له الثلج في تفسيرها وذلك بين من كتابه وبالله نستعين لا نعلم خلافا
ان سبب هذه الآيات ان تيمما الداري وعدي بن بداء وكانا نصرانيين سافرا الى
المدينة يريدان الشام لتجارتهما وقدم المدينة ايضا ابن ابي مارية مولى
عمرو بن العاصي يريد الشام تاجرا قال الفخروكان مسلما فخرجوا رفاقة فمرض
ابن ابي مارية في الطريق واوصى الى تميم وعدي ان يؤديا رحله الى اوليائه
من بنى سهم وروى ابن عباس عن تميم الداري انه قال برئى الناس من هذه
الآية غيرى وغير عدي بن بداء وذكر القصة الا انه قال وكان معه جام فضة
يريد به الملك فاخذته انا وعدي فبعناه بالف وقسمنا ثمنه فلما اسلمت بعد
قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فاتيت اهلهم
فاخبرتهم الخبر واديت خمسمائة فوثبوا الى عدي فاتوا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحلف عمرو بن العاصي ورجل اخر معه ونزعت من عدي خمسمائة
قال * ع * واختلفت الفاظ هذه القصة وما ذكرته هو عمود الامر ولم تصح
لعدي صحبة فيما علمت ولا ثبت اسلامه وقد صنفه في الصحابة بعض

المتأخرين ولا وجه عندى لذكره فى الصحابة. واما معنى الآية من اولها الى اخرها فهو ان الله سبحانه اخبر المؤمنين ان حكمه فى الشهادة على الموصى اذا حضره الموت ان تكون شهادة عدلين فان كان فى سفر وهو الضرب فى الارض ولم يكن معه من المؤمنين احد فليشهد شاهدين ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة انهما ما كذبا ولا بدلا وان ما شهدنا به حق ما كتمنا فيه شهادة الله وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك على انهما كذبا او خانا او نحو هذا مما هو اثم حلف رجلان من اولياء الموصى فى السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما هذا معنى الآية على مذهب ابى موسى الاشعري وابن عباس وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وابن جبير وابى مجلز وابراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وغيرهم قالوا ومعنى قوله منكم اي من المؤمنين ومعنى من غيركم اي من الكافرين قال بعضهم وذلك ان الآية نزلت ولا مومن الا بالمدينة وكانوا يسافرون فى التجارة مع انواع الكفرة واختلفت هذه الجماعة المذكورة فمذهب ابى موسى لاشعري وغيره ان الآية محكمة ومذهب جماعة منهم انها منسوخة بقوله واشهدوا ذوى عدل منكم وبما عليه اجماع جمهور الناس ان شهادة الكفار لا تجوز قال * ع * ولنرجع الآن الى الاعراب ولنقص القول المفيد لان الناس خطوا فى تفسير هذه الآية تخليطا شديدا وذكر ذلك والرد عليه يطول وفي تبسيين الحق الذى تتلقاه الاذهان بالقبول مقلع والله المستعان فقوله تعالى شهادة بينكم هي الشهادة التى تحفظ لتؤدى ورفعها بالابتداء والخبر فى قوله اثنان وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت معناه اذا قارب الحضور والعامل فى اذا المصدر الذى هو شهادة وهذا على ان تجعل اذا بمنزلة حين لا تحتاج الى جواب ولك ان

تجعل اذا في هذه الآية المحتاجة الى الجواب لكن استغني عن جوابها بما
تقدم في قوله شهادة بينكم اذ المعنى اذا حضر احدكم الموت فينبغي ان
يشهد وقوله حين الوصية ظروف زمان والعامل فيه حضروا ان شئت جعلته
بدلاً من اذا وقوله ذوا عدل صفة لقوله اثنان ومنكم صفة ايضاً بعد صفة
وقوله من غيركم صفة لاخران وقوله تحبسونهما صفة لاخران ايضاً واعترض
ببين الموصوف والصفة بقوله ان انتم الى الموت وافاد الاعتراض ان
العدول الى اخرين من غير الملة انما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت
فيه واستغني عن جواب ان لما تقدم من قوله او آخران من غيركم وقال
جمهور من العلماء الصلاة هنا صلاة العصر وقال ابن عباس انما هي صلاة الذميين
واما العصر فلا حرمة لها عندهما والفاء في قوله فيقسمان عاطفة جملة على
جملة لان المعنى تم في قوله من بعد الصلاة وقوله ان ارتبتم شرط لا يتجه
تحليف الشاهدين الا به والضمير في قول الحالفين لا نشترى به عائد على
القسم او على اسم الله وقوله لا نشترى جواب يقتضيه قوله فيقسمان بالله
لان اقسام ونحوه يتلقى بما تتلقى به الايمان وقوله ثمننا اي ذا ثمن وخص
ذو القربى بالذكر لان العرب اميل الناس الى قراباتهم واستسهالهم في جنب
نفعهم ما لا يستسهل وقوله ولا نكتم شهادة الله اضاف الشهادة اليه تعالى
من حيث هو الامر باقامتها الناهي عن كتمانها وروي عن الشعبي وغيره شهادة
بالتنوين الله بقطع الالف دون مد وخفض الهاء وقال ايضاً يقف على الهاء
من شهادة بالسكون ثم يقطع الالف المكتوبة من غير مد كما تقدم وروي عنه
كان يقرأ آله بمد الف للاستفهام في الوجهين اعني بسكون الهاء من شهادة
وتحريكها منونة منصوبة ورويت هذه التي هي تنوين شهادة ومد الف

لاستفهام بعد عن علي بن ابي طالب قال ابو الفتح انما تسكن هاهنا شهادة في الوقف عليها * وقوله سبحانه فان عثر استعارة لما يقع على علمه بعد خفائه واستحقاقا انما معناه استوجباه من الله وكانا اهلا له لانهما ظلما وخانا * وقوله تعالى فاحران اي اذا عثر على خيانتهم فأوليان باليمين واقامة القضية . اخران من القوم الذين هم ولاة الميت واستحق عليهم حظهم او نصيبهم او مالهم او ما شئت من هذه التقديرات وقرأ نافع وغيره استحق مضمومة التاء والاوليان على تشنية الاولى وروي عن ابن كثير استحق بفتح التاء وكذلك روى حفص عن عاصم وفي قوله استحق استعارة لانه لا وجه لهذا الاستحقاق الا الغلبة على الحال بحكم انفراد هذا الميت وعدمه لقربائه او لاهل دينه فاستحق هنا كما تقول لظالم يظلمك هذا قد استحق علي مالي او منزلي بظلمه فتشبهه بالمستحق حقيقة اذ تصور صورة وتملك تملكه وهكذا هي استحق في الآية على كل حال وان اسندت الى النصيب ونحوه وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابي بكر استحق بضم التاء لاوليين على جمع اول ومعناها من القوم الذين استحق عليهم امرهم اذ غلبوا عليه ثم وصفهم بانهم اولون اي في الذكر في هذه الآية وذلك في قوله اثنان ذوا عدل منكم ثم بعد ذلك قال او آخران من غيركم وقوله فيقسمان يعنى الآخرين اللذين يقومان مقام شاهدي الزور وقولهما لشهادتنا اي لما اخبرنا نحن به وذكرناه من نص القصة احق مما ذكرناه او لا وحرفاء وما اعتدينا في قولنا هذا وقولهما انا اذا لمن الظالمين تبسّر في صيغة الاستعظام والاستقباح للظلم * وقوله تعالى ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمانهم بعد ايمانهم الآية للاشارة بذلك هي الى جميع ما حد قبل من حبس الشاهدين من بعد الصلاة لليمين

ثم ان عشر على جورهما ردت اليمين وغرما فذلك كله اقرب الى اعتدال هذا الصنف فيما عسى ان ينزل من النوازل لانهم يخافون الفضيحة ورد اليمين هذا قول ابن عباس وجمع الضمير في ياتوا او يخافوا اذ المراد صنف ونوع من الناس والمعنى ذلك الحكم كله اقرب الى ان ياتوا واقرب الى ان يخافوا وباقي الآية بين * وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ذهب قوم الى ان العامل في يوم ما تقدم من قوله تعالى لا يهدى وذلك ضعيف ورصف الآية وبراعتها انما هو ان يكون هذا الكلام مستانفا والعامل مقدر اما اذكر او تذكر او احذروا ونحو هذا مما حسن اختصاره لعلم السامع به والاشارة بهذا اليوم الى يوم القيامة وخص الرسل بالذكر لانهم قادة الخلق وهم المكلمون اولا وما ذا اجبتم معناه ما ذا اجابتمكم الامم وهذا السؤال للرسل انما هو لتقوم الحجية على الامم واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام لا علم لنا قال الطبري ذهلوا عن الجواب لهول المطلع وقاله الحسن وعن مجاهد انه قال يفزعون فيقولون لا علم لنا وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال ابن عباس معنى الآية لا علم لنا الا ما علمتنا انت اعلم به منا وقول ابن عباس حسن وهو اصبوب هذه المناصى لانه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الامر اليه اذ هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال فرأوا التسليم والخضوع لعلمه المحيط سبحانه قال مكي قال ابن عباس المعنى لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهو اختيار الطبري وقيل لما كان السؤال عاما يقتضى بعمومه سؤالهم عن سر الامم وعلايتها ردوا الامر اليه اذ ليس عندهم الا علم الظاهر قال مكي وهذا القول احب لاقوال الي قال ومعنى مسألة الله الرسل عما اجيبوا انما هو لمعنى التوبيخ لمن ارسلوا اليه كما قال تعالى واذا المودودة سنلت

انتهى من الهداية * وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك الآية قال هنا بمعنى يقول لان ظاهر هذا القول انه فى القيامة تقدمه لقوله سبحانه انت قلت للناس * وقوله سبحانه واذ تخرج الموتى اى من قبورهم وكف بنى اسرائيل عنه عليه السلام هو رفعه حين احاطوا به فى البيت مع الحواريين وكذلك منعه منهم قبل ذلك الى تلك النازلة الاخيرة فهناك ظهر عظم الكف * وقوله سبحانه واذ اوحيت الى الحواريين هو من جلة تعديد النعم على عيسى عليه السلام واوحيت فى هذا الموضع اما ان يكون وحي الهام او وحي امر وبالجملته فهو القاء معنى فى خفاء اوصله سبحانه الى نفوسهم كيف شاء والرسول فى هذه الآية عيسى وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون مخاطبة منهم لله سبحانه ويحتمل ان يكون لعيسى * وقوله سبحانه اذ قال الحواريون الآية اعتراض اثناء وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة مضمن للاعتراض اخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته بنازلة الحواريين فى المائدة اذ هي مثال نافع لكل امة مع نبيا تقتدى بحاسنه وتزدجر عما ينفر منه من طلب الآيات ونحوه وقرأ الجمهور هل يستطيع ربك بالياء ورفع الباء من ربك والمعنى هل يفعل ربك هذا وهل تقم منه اجابة اليه ولم يكن منهم هذا شك فى قدرة الله سبحانه اذ هم اعرف بالله من ان يشكوا فى قدرته وقرأ الكسائي هل يستطيع ربك بالياء ونصب الباء من ربك والمعنى هل يستطيع سؤال ربك وادغم اللام فى التاء اعنى الكسائي وقال قوم قال الحواريون هذه المقالة فى صدر الامر قبل علمهم بانه يبرئ الاكهم والابرص ويحي الموتى ويظهر من قوله عليه السلام اتقوا الله ان كنتم مومنين انكار لقولهم واقتراحهم الآيات والتعرض لسخط الله بها وقلته طمانينتهم الى ما قد ظهر ولما خاطبهم عليه السلام بهذه المخاطبة صرحوا

بمقاصدهم التى حلتهم على طلب المائدة فقالوا نريد ان ناكل منها فنشرف فى العالم وتطمئن قلوبنا اى تسكن فكرنا فى امرك بالمعاينة لامر نازل من السماء باعيننا ونعلم علم الضرورة والمشاهدة ان قد صدقتنا فلا تعرضنا الشبه التى تعرض فى علم الاستدلال وهذا يؤيد ان مقالتهم كانت فى مبدأ امرهم ثم استمروا على ايمانهم وصبروا وهلك من كفر وقولهم ونكون عليها من الشاهدين اى من الشاهدين بهذه النازلة الناقلين لها الى غيرنا الداعين الى هذا الشرع بسببها وروي ان الذى نحا بهم هذا المنحى من الاقتراح هو ان عيسى قال لهم مرة هل لكم فى صيام ثلاثين يوما لله سبحانه ثم ان سألتموه حاجة قضاها فلما صاموها قالوا يا معلم الخير ان حق من عمل عملا ان يطعم فهل يستطيع ربك فارادوا ان تكون المائدة عيد ذلك الصوم * وقوله سبحانه قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء الآيت اى اجابهم عيسى عليه السلام الى ما سألوا فيروى انه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلى ويبكى والعيد المجتمع وقوله لاولنا و اخرنا روي عن ابن عباس ان المعنى يكون مجتمعا لجميعنا اولنا و اخرنا قال فاكل من المائدة حين وضعت اول الناس كما اكل اخرهم واية منك اى علامة على صدقى فاجاب الله تعالى دعوة عيسى عليه السلام وقال انى منزلها عليكم ثم شرط عليهم سبحانه شرطه المتعارف فى الامم انه من كفر بعد اية الاقتراح عذب اشد عذاب والجمهور ان المائدة نزلت كما اخبر الله سبحانه واختلفوا فى كيفية ذلك فقال ابو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزا وسمكا وقال عطية المائدة سمكة فيها طعم كل طعام وقال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك ياكلون منه اين ما نزلوا اذا شاءوا وقال عمار بن ياسر سألوا عيسى مائدة يكون عليها طعام لا ينفد فقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تحبثوا او تخونوا فان فعلتم عذبتم قال

فما مضى يوم حتى خبثوا وخانوا يعنى بنى اسرائيل فمسحوا قردة وخنازير وقال
ميسرة كانت المائدة اذا وضعت لبنى اسرائيل اختلفت عليهم لايدى بكل طعام
الا اللحم واكثر الناس فى قصص المائدة مما رأيت اختصاره لعدم سنده * وقوله
سبحانه واذا قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذونى وامى
الهيمن من دون الله الآية اختلف المفسرون فى وقت وقوع هذا القول فقال
السدي وغيره لما رفع الله عيسى الى السماء قالت النصارى ما قالت وزعموا ان
عيسى امرهم بذلك فسأله تعالى عن قولهم فقال سبحانك الآية ويجيى على
هذا قوله وان تغفر لهم اي فى التوبة من الكفر لان هذا قاله وهم احياء فى
الدنيا وقال ابن عباس وجهور الناس هذا القول من الله انما هو يوم القيامة يقوله
الله له على رموس الخلائق فيرى الكفار تبريره منهم ويعلمون ان ما كانوا فيه
باطل فقال على هذا التاويل بمعنى يقول ونزل الماضى موضع المستقبل لدلالته
على كون الامر وثبوته وقوله اخرها وان تغفر لهم معناه ان عذبت العالم كله
فبحقك فهم عبادك تصنع بحق الملك ما شئت لا اعتراض عليك وان غفرت
وسبق ذلك فى عليك فلانك اهل لذلك لا معقب لحكمك ولا منازع
لك فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتعزى عنهم مع علمه بانهم كفره
قد حتم عليهم العذاب وهذا القول عندى ارجح ويتقوى بما ياتى بعد وهو
قوله سبحانه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله سبحانك اي تنزيها
لك عن ان يقال هذا وينطق به ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اي
ما يكون لبشر محدث ان يدعي الالهية ثم قال ان كنت قلته فقد علمته لانك
احطت بكل شيء علما واحصيت كل شيء عددا فوفق الله عيسى لهذه الحجة
البالغة وقوله تعلم ما فى نفسى خص النفس بالذكر لانها مظنة الكتم والانطواء

على المعلومات والمعنى ان الله سبحانه يعلم ما فى نفس عيسى ويعلم كل امره مما عسى ان لا يكون فى نفسه وقوله ولا اعلم ما فى نفسك معناه ولا اعلم ما عندك من المعلومات وما احطت به وذكر النفس هنا مقابلة لفظية فى اللسان العربى يقتضيها لا يجاز وهذا ينظر من طرف خفى الى قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم فتسمية العقوبة باسم الذنب انما قاد اليها طلب المقابلة اللفظية اذ هي من فصيح الكلام وبارع العبارة ثم اقر عيسى عليه السلام لله تعالى بانه سبحانه علام الغيوب اى ولا علم لى انا بغيب وقوله فلما توفيتنى اى قبضتنى بالرفع والتصيير فى السماء والرقيب الحافظ المراعى وقوله فانك انت العزيز اى فى قدرتك الحكيم فى افعالك والمعنى ان يكن لك فى الناس معذبون فهم عبادك وان يكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك تقتضى هذا كله قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت هذه العبارة كل مومن بالله سبحانه وكل ما كان اتقى فهو ادخل فى العبارة وجاءت هذه العبارة مشيرة الى عيسى عليه السلام فى حاله وصدقه فيحصل له بذلك فى الموقف شرف عظيم وان كان اللفظ يعمه وسواه ثم ذكر تعالى ما اعدة لهم برجته وطوله جعلنا الله منهم بمنه وسعة جوده لا رب غيره ولا مرجو فى الدارين سواه وباقى الآية بين جعل الله ما كتبناه من هذه الاحرف نورا يسعى بين ايدينا بمنه والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام قيل كلها مكية الا آيات يسيرة

قال ابن عباس نزلت سورة الانعام وحولها سبعون الف ملك لهم زجل يجأرون

بالتسبيح قالت وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح * قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور قال علي بن عبد الرحمن اليفرنى فى شرحه للبرهانية قال لامام الفخر لفظ الحمد معرّفا لا يقال الا فى حق الله عزوجل لانه يدل على التعظيم ولا يجوز ان يقال الحمد لزيد قاله سيبويه وذكر ابن العربي فى القانون عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء احب الى الله من الحمد وابلغ الحمد الحمد لله على كل حال قال ابن العربي وفى بعض الآثار ما من نعمة عظمت الا والحمد لله اعظم منها انتهى قال * ع * وجعل هاهنا بمعنى خلق ولا يجوز غير ذلك قال قتادة والسدي وجمهور من المفسرين الظلمات الليل والنور النهار وقالت فرقة الظلمات الكفر والنور الايمان قال * ع * وهذا على جهة التشبيه صحيح وعلى ما يفهمه عباد الاوثان غير جيد لانه اخراج لفظ بين فى اللغة عن ظاهرة الحقيقي الى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذى برئ القروان منه والنور ايضا هنا للجنس * وقوله تعالى ثم دالة على قبح فعل الذين كفروا لان المعنى ان خلقه السموات والارض وغيرها الموجبة لحمده وتوحيده قد تقرر وآياته قد سطعت وانعامه بذلك على العباد قد تبين فكان الواجب عليهم اخلاص التوحيد له ثم هم بعد هذا كله بربهم يعدلون اي يُسَوِّون ويمثلون وعدل الشيء قرينه ومثيله والذين كفروا فى هذا الموضع كل من عبد شيئا سوى الله الا ان السابق من حال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاشارة الى عبدة الاوثان من العرب لمجاورتهم له ولفظ الآية ايضا يشير الى المانوية العابدين للنور

القائلين ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام * وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين فالمعنى خلق ادم من طين * وقوله سبحانه ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده اختلف فى هذين الاجلين فقال الحسن بن ابى الحسن وغيره اجلا اجل الانسان من لدن ولادته الى موته والاجل المسمى عنده من وقت موته الى حشره ووصفه بمسمى عنده لانه استأثر سبحانه بعلم وقت القيامة وقال ابن عباس اجلا الدنيا واجل مسمى الآخرة وقيل غير هذا وتمتروا معناه تشكون * وقوله سبحانه وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم قاعدة الكلام فى هذه الآية ان حلول الله فى الاماكن مستحيل تعالى ان يحويه مكان كما تقدس ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان واذا تقرر هذا فقالت فرقة من العلماء تاويل ذلك على تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة فى المعنى كانه قال وهو الله المعبود فى السموات وفى الارض وعبر بعضهم بان قدر وهو الله المدبر للامر فى السموات والارض وقال الزجاج فى متعلقة بما تضمنه اسم الله من المعانى كما يقال امير المؤمنين الخليفة فى المشرق والمغرب قال * ع * وهذا عندى افضل لا قول واكثرها احرازاً لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضا حه انه اراد ان يدل على خلقه واثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه كلها فى قوله وهو الله اى الذى له هذه كلها فى السموات وفى الارض كانه قال وهو الله الخالق الرازق المحيى المحيط فى السموات وفى الارض كما تقول زيد السلطان فى المشرق والمغرب والشام والعراق فلو قصدت ذات زيد لقلت محالا واذا كان مقصد قولك الامر الناهى الناقص المبرم الذى يعزل ويولى فى المشرق والمغرب فاقمت السلطان مقام هذه كان فصيحاً صحيحاً فكذلك فى الآية اقام لفظة الله مقام تلك الصفات المذكورة وقالت

فرقة وهو الله ابتداء وخبرتم الكلام عنده ثم استأنف وتعلق قوله في السموات
بمفعول يعلم كأنه قال وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الأرض * وقوله
تعالى يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون خبر في ضمنه تحذير وزجر وتكسبون
لفظ عام لجميع الاعتقادات والأقوال والأفعال * وقوله سبحانه وما تأتيهم من
آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين تضمنت هذه الآية مذمة هؤلاء الذين
يعدلون بالله سواه بانهم يعرضون عن كل آية وكذبوا بالحق وهو محمد عليه السلام
وما جاء به قال * ص * من آية من آيات ربهم من الأولى زائدة
للاستغراق وما بعدها فاعل بقوله تأتيهم ومن الثانية للتبعية انتهى * وقوله
تعالى فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون هذا وعيد لهم شديد وهذه
العقوبات التي توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدر وغيرها وعقوبات الآخرة *
وقوله سبحانه ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن
لكم هذا حص على العبرة والرؤية هنا رؤية القلب والقرن لامة المقترنة في مدة
من الزمن واختلف في مدة القرن كم هي فالاكثر على انها مائة سنة وقيل
غير هذا وقيل القرن الزمن نفسه وهو على حذف مضاف تقديره من اهل قرن
قال عياض في الاكمال واختلف في لفظ القرن وذكر الحربي فيه الاختلاف من
عشر سنين الى مائة وعشرين ثم قال يعنى الحربي وليس منه شيء واضح
وأرى القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى والضمير في مكناهم عائد
على القرن والمخاطبة في لكم هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر
الناس والسماء هنا المطر ومدارها بناء تكثير ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة
* وقوله سبحانه وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين انشأنا اخترعنا وخلقنا ويظهر من
الآية ان القرن انما هو وفاة الاشياخ ثم ولادة الاطفال * وقوله تعالى ولونزلنا

عليك كتابا في قرطاس الآية لما اخبر عنهم سبحانه بانهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية اتبع ذلك باخبار فيه مبالغة والمعنى ولو نزلنا بمرأى منهم عليك كتابا اي كلاما مكتوبا في قرطاس اي في صحيفة فلمسوه بايديهم يريد انهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين * وقوله سبحانه وقالوا لولا انزل عليه ملك اي يصدق محمدا في نبوته ثم رد الله عليهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر قال ابن عباس وغيره في الكلام حذف تقديره ولو انزلنا ملكا فكذبوه لقضي الامر بعدا بهم ولم ينظروا حسبما سلف في كل امة اقترحت بآية وكذبت بعد ان اظهرت اليها وقالت فرقة لقضي الامر اي لما اتوا من هول رؤية الملك في صورته ويؤيد هذا التاويل ما بعده من قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فان اهل التاويل مجمعون ان ذلك لانهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته فاذا قد تتقعد انهم لا يطيقون رؤية الملك في صورته فالاولى في قوله لقضي الامر اي لما اتوا لهول رؤيته ثم لا ينظرون اي لا يؤخرون ومما يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين اللذين صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون في حرب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين فسمعا حس الملائكة وقائلا يقول في السحاب اقدم حيزوم فانكشف قناع قلب احدهما فمات لهول ذلك فكيف برؤية ملك في خلقته وللبنسنا اي لفعلنا لهم في ذلك فعلا ملبسا يطرق لهم الى ان يلبسوا به وذلك لا يحسن قلت وفي البخاري وللبنسنا عليهم ما يلبسون لشبهنا * وقوله سبحانه ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالاسوة في الرسل وتقوية لنفسه على محاجة المشركين واخبار يتضمن وعيد مكذبيه والمستهزئين به وحاق معناه نزل واحاط وهي مخصوصة في الشريقال

حاق يحقق حيفا * وقوله سبحانه قل سيروا في الارض حص على الاعتبار بشائر
من مضى من فعل مثل فعلهم * وقوله سبحانه قل لمن ما في السموات والارض
قل لله قال بعض اهل التاويل تقدير الكلام قل لمن ما في السموات والارض فاذا
تحيروا فلم يجيبوا قل لله والصحيح من التاويل ان الله عز وجل امر نبيه عليه
السلام ان يقطعهم بهذه الحجّة والبرهان القطعي الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا
عند احد ليتقعد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجه عليه
فكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم يا ايها الكافرون العادلون بربهم لمن ما
في السموات والارض ثم سبّهم فقال لله اي لا مدافعة في هذا عندكم ولا عند
احد تم ابتداء يخبر عن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة معناه قضاها وانفذها
وفي هذا المعنى احاديث صحيحة ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه
وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء فاسكت عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض
جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن
ولدها خشية ان تصيبه ولمسلم في طريق آخر كل رحمة منها طباق ما بين
السماء والارض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة وخرج مسلم والبخاري
وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده
فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وفي طريق سبقت غضبي الى غير
ذلك من الاحاديث انتهى قال * ع * فما اشقى من لم تسعه هذه
الرحمات تغمدنا الله بفضل منه ويتضمن هذا الاخبار عن الله سبحانه بانه
كتب الرحمة تانيس الكفار ونفي يأسهم من رحمة الله اذا انابوا واللام في قوله
ليجمعنكم لام قسم والكلام مستأنف وهذا اظهر الاقوال واصحها * وقوله سبحانه
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون الذين رفع بالابتداء وخبره فهم لا يؤمنون

* وقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار الآية وله عطف على قوله لله وسكن هي من السكنى ونحوه اي ما ثبت وتقرر قاله السدي وغيره وقالت فرقة هو من السكن وهو ضعيف * وقوله تعالى قل اغير الله وليا فاطر السموات والارض الآية قال الطبري وغيره امر عليه السلام ان يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه الى عبادة اوثانهم فتحيي الآية على هذا جوابا لكلامهم قال * ع * وهذا يحتاج الى سند والفصيح انه لما قرر معهم ان الله تعالى له ما في السموات والارض وله ما سكن في الليل والنهار امر ان يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف اغير الله الذي هذه افعاله اتخذ وليا بمعنى ان هذا خطأ بين ممن يفعلوه والولي لفظ عام لمعبود وغير ذلك ثم اخذ في صفات الله تعالى فقال فاطر بخفض الراء نعت لله عز وجل قال * ص * فاطر الجهور بالجرو وجهه ابن عطية وغيره على انه نعت لله وابو البقاء على انه بدل وكأنه رأى الفصل بين البدل والمبدل اسهل لان البدل في المشهور على نية تكرار العامل انتهى وفطر معناه ابتدع وخلق وانشأ وفطر ايضا في اللغة شق ومنه هل ترى من فطور اي من شقوق ويطعم ولا يطعم المقصود به يرزق ولا يرزق * وقوله قل اني امرت الى عظيم قال المفسرون المعنى اول من اسلم من هذه الامة وبهذه الشريعة ولفظة عصيت عامة في انواع المعاصي ولكنها هاهنا انما تشير الى الشرك المنهي عنه واليوم العظيم هو يوم القيامة وقرأ نافع وغيره من يصرف عنه مسندا الى المفعول وهو الضمير العائد على العذاب وقرأ حزة وغيره من يصرف باسناد الفعل الى الضمير العائد الى ربي ويعمل في ضمير العذاب المذكور لكنه محذوف وقوله وذلك اشارة الى صرف العذاب وحصول الرحمة والفوز النجاة * وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو يمسسك معناه يصبك وينلك

والضر بضم الصاد سوء الحال في الجسم وغيره وبفتحها ضد النفع ومعنى الآية
الاخبار ان الاشياء كلها بيد الله ان صرفلا كاشف لضره غيره وان اصاب بخير
فكذلك ايضا وعن ابن عباس قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما
فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامّة لو اجتمعت
على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليكم رفعت الاقلام
وجفت الصحف روينه في الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير
الترمذي زيادة احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في
الشدة واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك
وفي اخره واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قال
النووي هذا حديث عظيم الموقع انتهى من الحلية وقرأت فرقة واوحى الي
هذا القرآن على بناء الفعل للفاعل ونصب القرآن وفي اوحى ضمير يعود على الله
تعالى * وقوله لا نذكركم به ومن بلغ معناه على قول الجمهور بلاغ القرآن أي لا
نذكركم وانذر من بلغه ففي بلغ ضمير محذوف لانه في صلة من محذوف
لطول الكلام وقالت فرقة ومن بلغ الحلم وردي في معنى التاويل الاول احاديث
وطاهر الآية انها في عبدة الاصنام وذكر الطبري انه قد ورد من وجه لم تثبت
صحته انها في قوم من اليهود قالوا يا محمد ما تعلم مع الله الها غيره فقال لهم لا اله
الا الله وبذلك امرت فنزلت الآية والله اعلم وامر الله سبحانه نبيه عليه
السلام ان يعلن بالتبري من شهادة الكفرة والاعلان بالتوحيد لله عز وجل والتبري
من اشراكهم قال الغزالي في الاحياء وينبغي للتالي ان يقدر انه المقصود بكل خطاب

في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمأمور وكذا ان سمع وعدا او وعيدا وكذا ما يقف عليه من القصص فالمقصود به الاعتبار قال تعالى وكل نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال واوحى الي هذا القرآن لا نذكركم به ومن بلغ قال محمد ابن كعب القرظي من بلغه القرآن فكانما كلمه الله عز وجل انتهى * وقوله سبحانه الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال قتادة وغيره يعرفون محمدا عليه السلام وقوله الذين خسروا انفسهم آية روي ان كل عبد له منزل في الجنة ومنزل في النار فالمؤمنون ينزلون منازل اهل الكفر في الجنة والكافرون ينزلون منازل اهل الجنة في النار فهنا هي الخسارة البينة والربح للآخرين وباقي الآية بين * وقوله سبحانه ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون المعنى واذكر يوم نحشرهم * وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين الفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى حب الشيء ولاعجاب به وتقال بمعنى الاختبار ومن قال ان اصل الفتنة لاختبار من فتنن الذهب في النار ثم يستعار بعد ذلك في غير ذلك فقد اخطأ لان الاسم لا يحكم عليه بمعنى الاستعارة حتى يقطع عليه باستحالة حقيقته في الموضع الذي استعير له كقول ذي الرمة * ولَفَ الثريا في ملاءته الفجر * ونحوه والفتنة لا يستحيل ان تكون حقيقة في كل موضع قيلت عليه وباقي الآية مضي تفسيره عند قوله سبحانه ولا يكتنمون الله حديثا فانظروا هناك قال * ع * وعبر قتادة عن الفتنة هنا بان قال معذرتهم وقال الضحاک كلامهم وقيل غير هذا مما هو في ضمن ما ذكرناه * وقوله سبحانه انظر كيف كذبوا على انفسهم هذا خطاب للنبي صلى

الله عليه وسلم والنظر نظر القلب وقال كذبوا في امر لم يقع اذ هي حكاية عن يوم
القيامة فلا اشكال في استعمال الماضي فيها موضع المستقبل ويفيدنا استعمال
الماضي تحقيقا في الفعل واثباتا له. وهذا مهيع في اللغة وصل عنهم معناه ذهب
افتراؤهم في الدنيا وكذبهم على الله * وقوله سبحانه ومنهم من يستمع اليك
وجعلنا على قلوبهم اكنة الآية اكنة جمع كنان وهو الغطاء ان يفقهوه اي
يفهموه والوقر النقل * وقوله سبحانه وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها الروية
هنا روية العين يريد كانشقاق القمر وشبهه وقولهم ان هذا الا اساطير الاولين
اشارة الى القروان والاساطير جمع اسطار كاقوال واقاويل واسطار جمع سطر او سطر
وقيل اساطير جمع إسطورة وهي الترهات وقيل جمع أسطورة كعجوبة واضحوة
وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشمايط والمعنى اخبار الاولين
وقصصهم واحاديثهم التي تسطر وتحكى ولا تحقق كالتواريخ وانما شبهها الكفار
باحاديث النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية عن رستم ونحوه ومجادلة
الكفار كانت مرادتهم نور الله باقوالهم المبطله وهم ينهاون عنه قال قتادة وغيره
المعنى ينهاون عن القروان وقال ابن عباس وغيره ينهاون عن النبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى ينهاون غيرهم ويبعدون هم بانفسهم والنأي البعد قال
* ص * وان يهلكون ان نافية بمعنى ما وانفسهم مفعول بيهلكون انتهى
وما يشعرون معناه ما يعلمون علم حس ونفسي الشعور مذمة بالغة اذ البهائم
تشعر وتحس فاذا قلت فلان لا يشعر فقد نفيت عنه العلم النفي العام الذي
يقتضى انه لا يعلم ولا المحسوسات * وقوله جلت عظمته ولو ترى اذ وقفوا
على النار الآية المخاطبة فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف
تقديره في اخر الآية لرايت هولا عظيما ونحوه ووقفوا معناه حسوا ويحتمل

قوله وقفوا على النار بمعنى دخلوها قاله الطبري ويحتمل ان يكون اشرفوا عليها
وعاينوها وقولهم يا ليتنا نرد معناه الى الدنيا * وقوله سبحانه بل بدلهم ما
كانوا يخفون من قبل الآية يتضمن انهم كانوا يخفون امورا في الدنيا فظهرت
لهم يوم القيامة او ظهر وبأل ذلك وعاقبته فحذى المصاف واقيم المصاف اليه
مقامه وقيل ان الكفار كانوا اذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا واخفوا
ذلك الخوف ليلا يشعر بهم اتباعهم فظهر لهم ذلك يوم القيامة ويصح ان
يكون مقصد الآية الاخبار عن هول ما لقوه فعبّر عن ذلك بانهم ظهرت لهم
مستوراتهم في الدنيا من معاص وغيرها فكيف الظن بما كانوا يعلنونه من كفر ونحوه
وينظر الى هذا التاويل قوله تعالى في تعظيم شان يوم القيامة يوم تبلى السرائر
* وقوله سبحانه ولوردوا لعادوا اخبار عن امر لا يكون كيف كان يوجد وهذا
النوع مما استأثر الله تعالى بعلمه فان اعلم بشيء منه علم ولا لم يتكلم فيه قال
الفخر قال الواحدي هذه الآية من الأدلة الظاهرة على فساد قول المعتزلة لان الله
تعالى حكى عن هؤلاء انهم لوردوا لعادوا لما نهوا عنه وما ذاك الا للقضاء السابق
فيهم انتهى * وقوله تعالى وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
هذا على تاويل الجمهور ابتداء كلام واخبار عنهم بهذه المقالة وان نافية ومعنى
الآية عنهم التكذيب بالحشر والعودة الى الله * وقوله سبحانه اليس هذا بالحق
لاشارة بهذا الى البعث الذي كذبوا به في الدنيا وقولهم بلى وربنا ايمان ولكنه
حين لا ينفع * وقوله فذوقوا استعارة بليغة والمعنى باشرؤ مباشرة الذائق
وبغته معناه فجأة تقول بغتني الامر اي فجأني ومنه قول الشاعر

ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة * واقطع شيء حين يفجأك البغت

ونصبها على المصدر في موضع الحال وقولهم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها نداء

الحسرة على تعظيم الامر وتشنيعه وفرطنا معناه قصرنا والضمير في قوله فيها عائد على الساعة اي في التقدمة لها قاله الحسن ويحتمل ان يعود الضمير على الدنيا اذ المعنى يقتضيها وتجيء الظرفية امكن قلت قال عبد الحق في العاقبة لا يعرف مقدار الحياة الا الموتى لانهم قد ظهرت لهم الامور وانكشفت لهم الحقائق وتبدت لهم المنازل وعلوموا مقدار الاعمال الصالحة ولما استبان لهم ذلك وعلوموا مقدار ما ضيعوا وقيمة ما فيه فرطوا ندموا واسفوا وودوا انهم الى الدنيا رجعوا فالذى عمل صالحا ودا ان لو رجع الى الدنيا ليزداد من عمله الصالح ويكثر من تجرة الرباح والمقصود انه لو رد ليستدرك ما فيه فرط وقد قال عليه السلام ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون نزع خرجه الترمذي انتهى * وقوله تعالى وهم يحملون السوا والاحمال ولاوزار جمع وزر بكسر الواو وهو الثقل من الذنوب والوزر هنا تجوز وتشبيه بثقل الاحمال ومن قال انه من الوزر وهو الجبل الذى يلجأ اليه فهو قول غير بين وقال الطبري وغيره هذا على جهة الحقيقة ورووا في ذلك خبرا ان المؤمن يلقاه عمله في احسن صورة وافوحها فيسلم عليه ويقول طال ما ركبتك في الدنيا واجهدتك فاركنى اليوم قال فيحمله تمثال العمل وان الكافر يلقاه عمله في افسح صورة وانتها فيشتمه ويقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتنى في الدنيا بشهواتك فان اركبت اليوم قال فيحمله تمثال عمله الخبيث واوزاره على ظهره قلت ولاحاديث الصحيحة في معنى ما ذكره الطبري كثيرة كاحاديث مانعى الزكاة وغيرها قال مكي وروى المقبري عن ابي هريرة في حديث يرفعه قال اذا كان يوم القيامة بعث الله مع كل امرئ مؤمن عمله وبعث مع الكافر عمله فلا يرى المؤمن شيئا يروعه ولا

شيئا يفزعده ويخافه الا قال له عمله ابشر بالذى يسرك فانك لست بالذى يراد بهدا ولا يرى الكافر شيئا يفزعده ويروعده ويخافه الا قال له عمله ابشريا عدو الله بالذى يسوءك فوالله انك لانت الذى تراد بهذا انتهى * وقوله سبحانه وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو الآلية هذا ابتداء خبر عن حال الدنيا والمعنى انها اذا كانت فانية لا طائل لها اشبهت اللعب واللهو الذى لا طائل له اذا تنقضى وهذه الآلية تتضمن الرد على قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وهو المقصود بها قال عبد الحق فى العاقبة اعلم رجك الله ان حب الدنيا هو سبب طول الامل والاكباب عليها يمنع من الفكرة فى الخروج عنها والجهل بغوائلها يحمل على الارادة لها والازدياد منها لان من احب شيئا احب الكون معه والازدياد منه ومن كان مشغوبا بالدنيا محبا لها قد خدعته بزخرفها وامالته برونقها كيف يحب مفارقتها او يحب مزاييلتها هذا امر لم تجر العادة به ولا حدثننا عنه بل نجد من كان على هذه الصفة اعمى عن طريق الخير اصم عن داعى الرشد افسن الراي سىئ النظر ضعيف الايمان لم تترك له الدنيا ما يسمع به ولا ما يرى انما دينه وشغله وحديثه دنياه لها ينظر ولها يسمع قد ملأت عينه وقلبه ثم قال واعلم ان اهل القبور انما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يُقَدِّمون فما عليه اهل القبور يندمون اهل الدنيا عليه يقتتلون انتهى * وقوله سبحانه قد نعلم الآلية نعلم اذا كانت من الله تعالى تتضمن استمرار العلم وقدمه فهي تعم الماضي والحال والاستقبال قلت ونحو هذا لابي حيان قال وعبر هنا بالمضارع لان المراد الاتصاف بالعلم واستمراره ولم يلاحظ فيه الزمان كقولهم فلان يعطى ويمنع انتهى وقرأ نافع وحده ليحزنك من احزن وقرأ الباقر ليحزنك من حزن الرجل وقرأ ابن كثير وابوعمره وابن عامر وعاصم وحمزة لا يكذبونك بتشديد الذال وفتح الكاف

وقراها ابن عباس وردها على قارئى قرأ عليه يكذبونك بضم الياء وقال انهم كانوا يسمونه لامين وقرأ نافع والكسائي بسكون الكاف وتخفيف الذال وهما قراءتان مشهورتان صحيحتان وهما بمعنى واحد فمعنى لا يكذبونك اي لا يعتقدون كذبتك وانهم يعلمون صدقتك ولكنهم يجحدون عنادا وظلما وهذا تاويل فتادة والسدي وغيرهما وحكي عن طائفة من الكفار انها كانت تقول انا لنعلم ان محمدا صادق ولكن اذا امانا به فضلنا بنو هاشم بالنبوة فنحن لا نومن به ابدا رويت هذه المقالة عن ابي جهل ومن جرى مجراه واسند الطبري ان جبريل وجد النبي صلى الله عليه وسلم حزينا فسأله فقال كذبتى هؤلاء فقال انهم لا يكذبونك بل يعلمون انك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وجحد العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظواهر القران تعطيه ويجحدون حقيقته في كلام العرب لانكار بعد معرفة وهو ضد الاقرار * وقوله سبحانه ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية قال ابن جريج والضحاك عزى الله بهذه الآية نبيه عليه السلام ثم قوى سبحانه رجاء نبيه فيما وعده من النصر بقوله ولا مبدل لكلمات الله اي لا راد لامره وكلماته السابقة بما يكون فكأن المعنى فاصبر كما صبروا وانتظر ما ياتى وثق بهذا الاخبار فانه لا مبدل له * وقوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية فيها الزام الجحمة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم الاحوال عليه حتى يبين ان لا وجه لا الصبر والمعنى ان كنت تعظم تكذيبهم وكفرهم على نفسك وتلتزم الحزن فان كنت تقدر على دخول سرب في اعماق الارض او على ارتقاء سلم في السماء فافعل اي ولست بقادر على شيء من هذا ولا بُد لك من التزام الصبر واحتمال المشقة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين في ان تأسف وتحزن على امر ارادة الله وامضاه

وروى الدارقطني في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصاب احدكم هم او حزن فليقل سبع مرات الله الله ربى لا اشرك به شيئا انتهى من الكوكب الدري وتانيهم بشاية اي بعلامة وقال مكى والمهدوي الخطاب بقوله فلا تكونن من الجاهلين للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ قلت وما قاله * ع * فيه عندى نظر لان هذا شان التأويل اخراج اللفظ عن ظاهره لموجب على ان ابا محمد مكيا رحمه الله نقل هذا القول عن غيره نقلا ولفظه فلا تكونن من الجاهلين اي ممن لا يعلم ان الله لو شاء لجمع على الهدى جميع خلقه وقيل معنى الخطاب لامته النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فلا تكونوا من الجاهلين ومثله في القرآن كثير انتهى من الهداية * وقوله سبحانه انما يستجيب الذين يسمعون هذا من النمط المتقدم في التسليية اي لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لداعى الايمان الذين يفهمون الآيات وينلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون اذ هو طريق العلم وهذه لفظة تستعملها الصوفية رضي الله عنهم اذا بلغت الموعظة من احد مبلغا شافيا قالوا سمع ثم قال تعالى والموتى يريد الكفار اي هم بمثابة الموتى فعبر عنهم بضد ما عبر عن المؤمنين وبالصفة التى تشبه حالهم فى العمى عن نور الله والصمم عن وعي كلماته قاله مجاهد والحسن وقتادة ويبعثهم الله يحتمل معنيين قال الحسن معناه يبعثهم بان يؤمنوا حين يوفقهم وقراءة الحسن ثم اليه ترجعون بالتاء من فوق فتناسبت الآية وقال مجاهد وقتادة والموتى يريد الكفار يبعثهم الله اي يحشرهم يوم القيامة ثم اليه اي الى سطوته وعقابه يرجعون * وقوله سبحانه وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه لولا تخصيص بمعنى هلا ومعنى الآية هلا نزل على محمد بيان واضح كملكك يشهد له او كنز

او غير ذلك من تشططهم المحفوظ في هذا ثم امر عليه السلام بالرد عليهم بان الله عز وجل قادر على ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون انها لو نزلت ولم يومنها لعوجلوا بالعذاب ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون انه سبحانه انما جعل الانذار في آيات معرضة للنظر والتأمل ليهتدي قوم ويضل آخرون * وقوله سبحانه وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم المعنى في هذه الآية التنبيه على آيات الله الموجودة في انواع مخلوقاته المنصوبة لمن فكر واعتبر كالذباب والطير ويدخل في هذين جميع الحيوان وهي امم اي جماعات ماثلة للناس في الخلق والرزق والحياة والموت والحشر ويحتمل ان يريد بالماثلة في كونها امما لا غير لا ان الفائدة في هذه الآية بان تكون الماثلة في اوصاف غير كونها امما قال الطبري وغيره والماثلة في انها يهتبل باعمالها وتحاسب ويقتص لبعضها من بعض على ما روي في الاحاديث اي فاذا كان هذا يفعل بالبهائم فانتم احرى اذ انتم مكلفون عقلاء وروى ابو ذر انه انتطحت عنزان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتعلمون فيما انتطحتا قلنا لا قال فان الله يعلم وسيقتضى بينهما وقال مكى الماثلة في انها تعرف الله وتعبده وقوله بجناحيه تأكيد وبيان وازالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة اذ يقال طائر السعد والنحس وقال تعالى الزمناه طائره في عنقه ويقال طار لفلان طائر كذا اي سهمه في المقسمات فقوله تعالى بجناحيه اخراج للطائر عن هذا كله * وقوله سبحانه ما فرطنا في الكتاب من شيء التفريط التقصير في الشيء مع القدرة على تركه التقصير قال ابو حيان اصل فرطنا ان يتعدى بفي ثم يضمن معنى اغفلنا فيتعدى الى مفعول به وهو هنا كذلك فيكون من شيء في موضع المفعول به انتهى والكتاب القران وهو الذي يقتضيه نظام المعنى في هذه الآيات وقيل اللوح المحفوظ ومن شيء

على هذا القول عام في جميع الاشياء وعلى القول بأنه القراءان خاص وبحشرون
قالت فرقة من العلماء حشر البهائم بعثها واحتجوا بالاحاديث المضمنة ان الله
تعالى يقتص للجما من القراء ومن قال انما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة
فهو قول مردود ينحو الى القول بالرموز ونحوها * وقوله سبحانه والذين كذبوا
بآياتنا صم وبكم الآية كانه قال وما من دابة ولا طائر ولا شيء الا فيه آية منصوبة
دالة على وحدانية الله تعالى ولكن الذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يتلقون
ذلك ولا يقبلونه وظاهر الآية انها تعم كل مكذب وقال النقاش نزلت في بنى
عبد الدار قال * ع * ثم تنسحب على سواهم وقوله في الظلمات ينوب
عن عمي وفي الظلمات اهل عبارة وافصح ووقع في النفس قال ابو حيان في
الظلمات خبر مبتدأ محذوف اي هم في الظلمات او صفة لبيكم اي كائنون في
الظلمات او حال من الضمير المقدر في الخبر اي صالون في الظلمات انتهى
* وقوله سبحانه قل ارايتكم ابتداء احتجاج على الكفار الجاعلين لله شركاء والمعنى
ارايتم اذا خفتكم عذاب الله او خفتكم هلاكاً او خفتكم الساعة ادعون اصنامكم
وتأجسون اليها في كشف ذلك ان كنتم صادقين في قولكم انها الهة بل انما
تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه ان شاء وتنسون اصنامكم اي
تتركونهم فعبعن الترك باعظم وجوهه الذي هو مع الترك ذهول واغفال فكيف
يجعل لاهاً من هذه حاله في الشدائد والازمات * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم في الكلام حذف تقديره فكذبوا فاخذناهم اي
تابعناهم بالبأساء والآية والبأساء المصائب في الاموال والضراء في الابدان هذا قول
الاكثر وقيل قد يرضع كل واحد بدل الآخر والتضرع التذلل والاستكانة ومعنى
الآية توعد الكفار وضرب المثل لهم ولولا تخصيص وهي التي تلى الفعل بمعنى

هلا وهذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب واطهار سوء فعله مع تحسر ما عليه قلت
اي مع تحسر ما باعتبار حالة البشر * وقوله سبحانه فلما نسوا ما ذكروا به الآية
عبر عن الترتك بالنسيان وفتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من النعم الدنيوية بعد
الذى اصابهم من البأساء والضراء وفرحوا معناه بطروا واعجبوا وظنوا ان ذلك لا
يبيد وانه دال على رضى الله عنهم وهو استدراج من الله تعالى وقد روي عن بعض
العلماء رحم الله عبدا تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروى
عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما
يشاؤون على معاصيهم فذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية كلها واخذناهم
في هذا الموضع معناه استأصلناهم بغتة اي فجأة والبلس الحزين الباهت اليأس من
الخير الذى لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال * وقوله تعالى فقطع دابر
القوم الآية الدابر اخر القوم الذى ياتى من خلفهم وهذه كناية عن استيصال
شافتهم ومحو آثارهم كأنهم وردوا العذاب حتى ورد اخرهم الذى دبرهم وحسن
الحمد عقب هذه الآية لجمال الافعال المتقدمة فى ان ارسل سبحانه الرسل
ولطف فى الاخذ بالبأساء والضراء ليتضرع اليه فيرحم وينعم وقطع فى اخر الامر
دابر ظلمة وذلك حسن فى نفسه ونعمة على المؤمنين فحسن الحمد عقب
هذه الافعال وبحمده سبحانه ينبغي ان يُختتم كل فعل وكل مقال اذ هو الحمد
على كل حال لا رب غيره ولا خير الا حيره * وقوله تعالى قل ارايتكم ان اخذ
الله سمعكم وابصاركم الآية اخذ معناه اذهب والضمير فى به عائد على الماخوذ
ويصدفون معناه يعرضون وينفرون ومنه قول الشاعر

اذا ذكرن حديثا فلن احسنه * وهن عن كل سوء يُتقى صدق

* وقوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة الآية وعيد وتهديد قال

* ع * رأيتم عند سيبويه تننزل منزلة اخبروني ولذلك لا تحتاج الى مفعولين وقوله بغتة معناه لم يتقدم عندكم منه علم وجهرة معناه تبدوا لكم مخايله ومباده ثم يتوالى حتى ينزل قال الحسن بن ابى الحسن بغتة ليلا وجهرة نهارا وقال مجاهد بغتة فجأة امنين وجهرة وهم ينظرون قال ابو حيان هل يهلك هل حرف استفهام معناه هنا النفي اي ما يهلك ولذلك دخلت لا على ما بعدها انتهى * وقوله سبحانه وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي لا ليبشروا بانعامنا ورحمتنا من آمن ومنذرين بعذابنا وعقابنا من كذب وكفر قال ابو حيان مبشرين ومنذرين حال فيها معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير والانداز انتهى ثم وعد سبحانه من سلك طريق البشارة فآمن واصلح في امثال الطاعة واوعد الآخرين * وقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك الآيت هذا من الرد على القائلين لولا نزل عليه آية والطالبين ان ينزل ملك او تكون له جنة او كنز ونحو هذا والمعنى انما انا بشر وانما اتبع ما يوحى الي وهو القرآن وسائر ما ياتيه من الله سبحانه اي وفي ذلك عبرة آيات لمن تأمل * وقوله سبحانه قل هل يستوى الاعمى والبصير اي هل يستوى المؤمن المفكر في الآيات مع الكافر المعرض عن النظر افلا تتفكرون وجاء الامر بالفكرة في عبارة العرض والتحضيض * وقوله تعالى وانذر به اي وانذر بالقرآن الذين هم مظنة لايمان واهل للانتفاع والصمير في به عائد على ما يوحى * وقوله سبحانه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اخبار من الله سبحانه عن صفة الحال يوم الحشر قال الفخر قوله لعلمهم يتقنون قال ابن عباس معناه وانذرهم لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي انتهى * وقوله سبحانه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي المراد

بالذين ضعفت المومنين في ذلك الوقت في امور الدنيا كبلال وصهيب وعمار
وخباب وصبيح وذى الشمالين والمقداد ونحوهم وسبب الآية ان بعض اشراف
الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن لشرفنا واقدارنا لا يمكننا ان نختلط
بهؤلاء فلو طردتهم لا تبغناك ورد في ذلك حديث عن ابن مسعود وظاهر الامر
انهم ارادوا بذلك الخديعة فنزلت الآية ويدعون ربهم بالغداة والعشي
قال الحسن بن ابى الحسن المراد به صلاة مكة التى كانت مرتين في اليوم
بكرة وعشيا وقيل قوله بالغداة والعشي عبارة عن استمرار الفعل وان الزمان
معمر به والمراد على هذا التأويل قيل الصلوات الخمس قاله ابن عباس وغيره
وقيل الدعاء وذكر الله واللفظة على وجهها وقيل القرآن وتعلمه قاله ابو جعفر
وقيل العبادة قاله الضحاك * وقوله تعالى يريدون وجهه قلت قال
الغزالي في الجواهر النية والعمل بهما تمام العبادة فالنية احد جزئي العبادة
لكنها خير الجزئين ومعنى النية ارادة وجه الله سبحانه بالعمل قال الله تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى اخلاصها
تصفية الباعث عن الشوائب ثم قال الغزالي واذا عرفت فضل النية وانها تحل
حدقة المقصود فاجتهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتى تنوي
بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت رغبتك لهديت لطريق رشدك انتهى
* وقوله سبحانه ما عليك من حسابهم من شيء قال الحسن والجمهور اي
من حساب عملهم والمعنى انك لم تكلف شيئا غير دعائهم وقوله فتطردم
هو جواب النفي في قوله ما عليك وقوله فتكون جواب النهي في قوله ولا
تطرد * وفتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا وليقولوا معناه ليصير بحكم القدر امرهم الى
ان يقولوا على جهة الاستخفاف والهز اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاللام

في ليقولوا لام الصيرورة * وقوله سبحانه اليس الله باعلم بالشاكرين اي
يا ايها المستخفون ليس الامر امر استخفاف فالله اعلم بمن يشكر نعمه * وقوله
سبحانه واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية قال جمهور
المفسرين هؤلاء هم الذين نهى الله عن طردهم وشفع ذلك بان امر سبحانه
ان يسلم النبي عليه السلام عليهم ويؤنسهم قال خباب بن الارت لما نزلت واذا
جاءك الذين يؤمنون بآياتنا الآية فكنا ناتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول
لنا سلام عليكم ونقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية فكان يقعد معنا فاذا بلغ الوقت الذي
يقوم فيه قمنا وتركناه حتى يقوم وسلام عليكم ابتداء والتقدير سلام ثابت او واجب
عليكم والمعنى امنت لكم من عذاب الله في الدنيا والآخرة ولفظه لفظ الخبر وهو
في معنى الدعاء قال الفخر قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة النفس
ها هنا بمعنى الذات والحقيقة لا بمعنى الجسم والله تعالى مقدس عنه انتهى
قلت قال ابن العربي في كتاب تفسير الافعال الواقعة في القرآن قوله
تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة قال علماؤنا كتب معناه اوجب وعندي انه
كتب حقيقة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق القلم فقال له اكتب
فكتب ما يكون الى يوم القيامة انتهى وقرأ عاصم وابن عامر انه بفتح الهمزة في
الاول والثانية فانه الاول بدل من الرحمة وانه الثانية خبر ابتداء مضمرة تقديره
فامرته انه غفور رحيم هذا مذهب سيبويه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة
والكسائي انه بكسر الهمزة في الاول والثانية وقرأ نافع بفتح الاول وكسر الثانية
والجهالة في هذا الموضع تعم التي تضاد العلم والتي تشبه بها وذلك ان المتعمد
لفعل الشيء الذي قد نهى عنه تسمى معصيته تلك جهالة قال مجاهد من

الجهالة ان لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته ان يركب الامر قلت اي
يتعمده ومن الجهالة التي لا تضاد العلم قوله صلى الله عليه وسلم في استعاذته
او اجعل او يجهل علي ومنها قول الشاعر

لا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال الفخر قال الحسن كل من عمل معصية فهو جاهل فقليل المعنى انه جاهل
بمقدار ما فاتته من الثواب وما استحقه من العقاب قلت وايضا فهو جاهل بقدر
من عصاه انتهى والاشارة بقوله تعالى وكذلك نفصل الآيات الى ما تقدم من
النهي عن طرد المؤمنين وبيان فساد منزع العارضين لذلك وتفصيل الآيات
تبيينها وشرحها واطهارها قلت ومما يناسب هذا المحل ذكر شيء مما ورد في
فصل المصافحة وقد اسند ابو عمر في التمهيد عن عبد الرحمن بن الاسود عن
ابيهِ وعلقمة انهما قالا من تمام التحية المصافحة وروى مالك في الموطأ عن
عطاء الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغل .
وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث يتصل
من وجوه شتى حسان كلها ثم اسند ابو عمر من طريق ابي داود وغيره عن البراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان لا غفر
لهما قبل ان يتفرقا ثم اسند ابو عمر عن البراء بن عازب قال لقيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان كنت لاحسب ان
المصافحة للعجم فقال نحن احق بالمصافحة منهم ما من مسلمين يلتقيان
فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة لا القيت دنوبهما بينهما
واسند ابو عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
التقى المسلمان فتصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذي بدأ

بالمصافحة وعشرة للذى صوفح وكان احبهما الى الله احسنهما بشراً بصاحبه انتهى
وقد ذكرنا طرفاً من آداب المصافحة فى غير هذا الموضع فقف عليه واعمل به
ترشد فان العلم انما يراد للعمل وبالله التوفيق وخص سبيل المجرمين بالذكر
لانهم الذين آثروا ما تقدم من الاقوال وهو اهم فى هذا الموضع لانها آيات رد
عليهم وايضا فتبيين سبيلهم يتضمن بيان سبيل المؤمنين وتأول ابن زيد ان
قوله المجرمين معنى به الآمرون بطرد الضعفة * وقوله سبحانه قل انى
نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهلواكم الآية امر الله
سبحانه نبيه عليه السلام ان يجاهرهم بالتبرى مما هم فيه وتدعون معناه
تعبدون ويحتمل ان يريد تدعون فى اموركم وذلك من معنى العبادة واعتقادهم
الاصنام الهة * وقوله تعالى قل انى على بينة من ربي المعنى قل انى
على امر بين وكذبتم به الضمير فى به عائد على بين او على الرب وقيل على
القرآن وهو جلي وقال بعض المفسرين الضمير فى به الثانى عائد على ما والمراد
بها الآيات المقترحة على ما قال بعض المفسرين وقيل المراد به العذاب وهو
يترجح من وجهين احدهما من جهة المعنى وذلك ان قوله وكذبتم به يتضمن
انكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب الا انه ليس عندى والآخر من جهة لفظ
الاستعجال الذى لم يات فى القرآن الا للعذاب واما اقتراحهم للآيات فلم
يكن باستعجال * وقوله ان الحكم الا لله اى القضاء والانفاذ ويقص الحق اى
يخبر به والمعنى يقص القصص الحق وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما يقضى الحق
اى ينفذه * وقوله سبحانه قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر
بينى وبينكم المعنى لو كان عندى الآيات المقترحة او العذاب على التأويل
الآخر لقضى الامر اى لوقع الانفصال وتم النزاع لظهور الآية المقترحة او لنزول

العذاب بحسب التأويلين وقيل المعنى لقامت القيامة وقوله والله اعلم
بالظالمين يتضمن الوعيد والتهديد * وقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا
يعلمها الا هو مفاتيح جمع مفتاح وهذه استعارة عبارة عن التوصل الى الغيوب كما
يتوصل في الشاهد بالمفتاح الى المغيب ولو كان جمع مفتاح لقال مفاتيح ويظهر
ايضا ان مفاتيح جمع مفتاح يفتح الميم اي مواضع تفتح عن المغيبات ويؤيد
هذا قول السدي وغيره مفاتيح الغيب خزائن الغيب فاما مفتاح بالكسر فهو بمعنى
مفتاح قال الزهراوي ومفتاح اوضح وقال ابن عباس وغيره الاشارة بمفاتيح الغيب
هي الى الخمسة في ما اخر لقمان ان الله عنده علم الساعة الآيت قلت وفي صحيح
البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ما اذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي
ارض تموت ان الله عليم خبير انتهى * وقوله سبحانه من ورقته اي من
ورق النبات ولا حبة في ظلمات الارض يريد في اشد حال التغيب وحكى
بعض الناس عن جعفر بن محمد قولا ان الورقة يراد بها السقط من اولاد بنى
آدم والحبة يراد بها الذى ليس بسقط والرطب يراد به الحي واليابس يراد
به الميت وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي
ان يلتفت اليه * وقوله تعالى الا في كتاب مبين قيل يعنى كتابا على الحقيقة
وجه الفائدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة وذلك انه روي ان الحفظة يرفعون
ما كتبوه ويعارضونه بهذا الكتاب المشار اليه ليتحققوا صحة ما كتبوه وقيل المراد
بقوله الا في كتاب علم الله عز وجل المحيط بكل شيء قال الفخر وهذا هو الاصول
ويجوز ان يقال ذكر تعالى ما ذكر من الورقة والحبة تنبيهها للمكلفين على امر

الحساب انتهى قال مكي قال عبد الله بن الحارث ما في الارض شجرة ولا مغرز
ابرة الا عليها ملك موكل ياتى الله بعلمها ببسها اذا يبست ورطوبتها اذا
رطبت وقيل المعنى في كتبها انه لتعظيم الامر ومعناه اعلوا ان هذا الذى ليس
فيه ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف ما فيه ثواب او عقاب انتهى من الهداية
* وقوله سبحانه وهو الذى يتوفاكم بالليل يعنى به النوم ويعلم ما جرحتم اي
ما كسبتم بالنهار ويحتمل ان يكون جرحتم هنا من الجرح كأن الذنب جرح في
الدين والعرب تقول جرح اللسان كجرح اليد ويعبشكم يريد به الايقاظ والضمير
في فيه عائد على النهار قاله مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود الضمير على التوفى
اي يوقظكم في التوفى اي في خلاله وتضاعفه قاله عبد الله بن كثير وليقضى
اجل مسمى المراد به اجل بنى ادم ثم اليه مرجعكم يريد بالبعث والنشور ثم
ينبئكم اي يعلمكم اعلام توقيف ومحاسبة ففى هذه الآية ايضاح الآيات
المنصوبة للنظر وفيها ضرب مثال للبعث من القبور لان هذا ايضا اماتة وبعث
على نحو ما * وقوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده القاهر ان اخذ صفة فعل
اي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب فيصير ان تجعل فوق ظرفية للجهة
لان هذه الاشياء انما تعاهدها العباد من فوقهم وان اخذ القاهر صفة ذات بمعنى
القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز ان تكون للجهة وانما هي لعلو القدر والشان على
حد ما تقول الياقوت فوق الحديد والاحرار فوق العبيد ويرسل عليكم معناه يبثهم
فيكم وحفظة جمع حافظ والمراد بذلك الملائكة الموكلون بكتب الاعمال وروي
انهم الملائكة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار وقاله السدي وقتادة وقال بعض المفسرين حفظة
يحفظون لانسان من كل شيء حتى ياتي اجله والاول اظهر وقرأ حمزة وحده توفاه

* وقوله تعالى رسلنا يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع اهل التاويل ملائكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له ثم ردوا اي العباد الى الله مولاهم وقوله الحق نعت لمولاهم ومعناه الذى ليس بباطل ولا مجاز لا له الحكم كلام مضمنه التنبيه وهز النفوس وهو اسرع الحاسبين قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد فى يوم واحد قال كما يرزقهم فى الدنيا فى يوم واحد * وقوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية الآية هذا تماد فى توبيخ العادلين بالله الاوثان وتركهم عبادة الرحمن الذى ينجي من الهلكات ويلجأ اليه فى الشدائد ودفع الملمات وظلمات البر والبحر يريد بها شدائدهما فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدائد بظلمة حقيقة وما كان بغير ظلمة والعرب تقول عام اسود ويوم مظلم ويوم ذوكواكب يريدون به الشدة قال قتادة وغيره المعنى من كرب البر والبحر وتدعونه فى موضع الحال والتضرع صفة بادية على الانسان وخفية معناه الاختفاء وقرأ عاصم فى رواية ابي بكر وخفية بكسر الخاء وقرأ لاعمش وخيفة من الخوف * وقوله سبحانه قل الله ينجيكم منها الآية سبق فى المجادلة الى الجواب اذ لا محيد عنه ومن كل كرب لفظ عام ايضا ليتضح العموم الذى فى الظلمات ثم انتم اي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم له انتم تشركون * وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم الآية هذا اخبار يتضمن الوعيد والاطهر من نسق آيات ان هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال ابي بن كعب وجماعة هو للمؤمنين وهم المراد وهذا الاختلاف انما هو بحسب ما يظهر من ان الآية تغناول معانيها المشركين والمؤمنين وفى البخاري وغيره من حديث جابر وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قل

هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت او يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذه اهون او ايسر فاحتج بهذا الحديث من قال انها نزلت في المؤمنين قال الطبري وغيره ممنع ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لامته من هذه الاشياء التي توعدها الكفار وهتّن الثالثة لانها بالمعنى هي التي دعا فيها فمنع حسب حديث الموطأ وغيره ومن فوقكم او من تحت ارجلكم لفظ عام للمنطبقين على الانسان وقال السدي عن ابي مالك من فوقكم الرجم او من تحت ارجلكم الخسف وقاله سعيد بن جبير ومجاهد * وقوله سبحانه او يلبسكم شيئا معناه يخلطكم فرقا والبأس القتل وما اشبهه من المكاره وفي قوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات استرجاع لهم وان كان لفظها لفظ تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم فمضمونها ان هذه الآيات والدلائل انما هي لاستصراغهم عن طريق غيهم والفقّه الفهم * وقوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق الضمير في به عائد على القرآن الذي فيه جاء تصريح الآيات قاله السدي وهذا هو الظاهر ويحتمل ان يعود الضمير على الوعيد الذي تضمنته الآية ونحا اليه الطبري وقوله قل لست عليكم بوكيل معناه لست بمدفوع الى اخذك بالايمان والهدى وهذا كان قبل نزول آيات الجهاد والامر بالقتال ثم نسخ * وقوله سبحانه لكل نبي مستقر اي غاية يعرف عندها صدقه من كذبه وسوف تعلمون تهديد محض ووعيد * وقوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون في الخطاب معه هذا هو الصحيح لان علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تشملهم واياه فامر النبي صلى الله عليه وسلم هو

والمؤمنون ان ينادوا الكفار بالقيام عنهم اذا استهزوا وخاصوا ليتأدبوا بذلك
ويدعوا الخوض والاستهزاء قلت وبدل على دخول المؤمنين مع النبي صلى الله
عليه وسلم في الخطاب قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
انتهى والخوض اصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الاشياء التي هي مجاهل
تشبيها بغمرات الماء * واما ينسينك اما شرط وتلزمها النون الثقيلة في الاغلب
وقرأ ابن عامر وحده ينسينك بتشديد السين وفتح النون والمعنى واحد لا ان
التشديد اكثر مبالغة والذكرى والذكر واحد في المعنى ووصفهم بالظالمين متمكن
لانهم وضعوا الشيء في غير موضعه واعرض في هذه الآية بمعنى المفارقة على حقيقة
الاعراض واكمل وجوهه وبدل على ذلك فلا تقعد * وقوله سبحانه وما على الذين
يتقون من حسابهم من شيء روي انه لما نزلت فلا تقعدوا معهم قال المؤمنون
اذا كنا لا نقرب المشركين ولا نسمع اقوالهم فلا يمكننا طواف ولا قضاء عبادة في
الحرم فنزلت لذلك وما على الذين يتقون الآية قال * ع * فلا باحة في
هذا هي في القدر الذي يحتاج اليه من التصرف بين المشركين في عبادة ونحوها
وقيل ان هذه الآية الاخيرة ليست اباحة بوجه وانما معناها لا تقعدوا معهم ولا
تقربوهم حتى تسمعوا استهزاءهم وخوضهم وليس نهيككم عن القعود لان عليكم شيئا
من حسابهم وانما هو ذكرى لكم ويحتمل المعنى ولكن ذكرى لعلهم اذا جانبتموهم
يتقون بالامساك عن الاستهزاء ويحتمل المعنى ولكن ذكرى لعلهم اذا جانبتموهم
للمؤمن ان يمثل حكم هذه الآية مع الملحدين واهل الجدل والخوض فيه وحكى
الطبري عن ابي جعفر انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين يخوضون
في آيات الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انا زعيم بببيت في ربص

الجنة لمن ترك المراء وان كان محققا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت في اعلى الجنة لمن حسن خلقه خرجه ابو داود انتهى من الكوكب الدرري وقد ذكرنا هذا الحديث من غير طريق ابى داود بلفظ اوضح من هذا * وقوله سبحانه وذو الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هذا امر بالمشاركة وكان ذلك بحسب قلة المسلمين يومئذ قال قتادة ثم نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال وقال مجاهد الآية انما هي للتهديد والوعيد فهي كقوله تعالى ذنبي ومن خلقت وحيدا وليس فيها نسخ لانها متضمنة خبرا وهو التهديد وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم من الغرور وهو الاطماع بما لا يتحصل فاغترروا بنعم الله وامهاله وطمعهم ذلك فيما لم يتحصل من رحمته واعلم ان اعقل العقلاء مومن مقبل على اخرته قد جعل الموت نصب عينيه ولم يغتر بزخارف الدنيا كما اغتربها الحمقى بل جعل همه واحدا هم المعاد وما هو صائر اليه وقد روى البزار في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم الدنيا ومن تشعبت به الهموم هموم الدنيا لم يبال الله تعالى في اي اوديتها هلك انتهى من الكوكب الدرري * وقوله سبحانه وذكر به اي بالقرآن وقيل الضمير في به عائد على الدين وان تبسل في موضع المفعول له اي ليلا تبسل ومعناه تسلم قاله الحسن وعكرمة وقال قتادة تحبس وترهن وقال ابن عباس تفصح وقال ابن زيد تجزى وهذه كلها متقاربة المعنى ومنه قول الشنفرى

هنالك لا ارجو حياة تسرنى * سمير الليالى مبسلا بالجرائر
وباقى الآية بين وان تعدل كل عدل اي وان تعط كل فدية وان عظمت فتجعلها
عدلا لها لا يقبل منها وقال ابو عبيدة وان تعدل هو من العدل المضاد للجور وردة

الطبري بالاجماع على ان توبة الكافر مقبولة قال * ع * ولا يلزم هذا الرد لان الامر انما هو يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل قلت واجلى من هذا ان يحمل كلام ابى عبيدة على معنى انه لا يقبل منها عدلها لاختلال شرطه وهو الايمان وابسلوا معناه أسلموا بما اجترحوه من الكثر والحميم الماء الحار ومنه الحمام والحمّة * وقوله سبحانه قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا المعنى قل فى احتياجك انطيع رأيكم فى ان ندعو من دون الله والدعاء يعم العبادة وغيرها لان من جعل شيئا موضع دعائه فايها يعبد وعليه يتوكل وما لا ينفعنا ولا يضرنا يعنى الاصنام ونرد على اعقابنا تشبيه بمشي القهقرى وهي المشية الدنية فاستعمل المثل بها فيمن رجع من خير الى شر * وقوله سبحانه كالذى استهوته الشياطين فى الكلام حذف تقديره رد اكرد الذى واستهوته بمعنى استدعت هواه وامالته وهدانا بمعنى ارشدنا فسياق هذا المثل كانه قال ا يصلح ان تكون بعد الهدى نعبد الاصنام فيكون ذلك منا ارتدادا على العقب فنكون كرجل على طريق واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه الى دعوتهم فبقي حائرا وقوله له اصحاب يريد له اصحاب على الطريق الذى خرج منه فيشبهه بالاصحاب على هذا المومنون الذين يدعون من ارتد الى الرجوع الى الهدى وهذا تاويل مجاهد وابن عباس وايتنا من الاتيان بمعنى المجيء وقول من قال ان المراد بالذى فى هذه الآية عبد الرحمن بن ابى بكر وبالصحاب ابواه قول ضعيف يرده قول عائشة فى الصحيح ما نزل فينا من القروان شيء الا براءتى قلت تريد وقصة الغار اذ يقول لصاحبه وقوله ولا ياتل اولوا الفصل منكم اذ نزلت فى شان ابى بكر وشان مسطح قال * ع * حدثنى ابى رضى الله عنه قال سمعت الفقيه الامام ابا عبد الله المعروف بالنحوي المجاور بمكة يقول من نازع احدا من الملاحدين فانما ينبغى

ان يرد عليه بالقروان والحديث فيكون كمن يدعو الى الهدى بقوله ايتنا ومن
ينازعهم بالجدل ويخلق عليهم به فكانه بعد من الطريق الواضح اكثر ليرد هذا
الزائغ فهو يخاف عليه ان يضل قال * ع * وهذا انتزاع حسن جدا
وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وهو الذى خلق السموات والارض بالحق
اي لم يخلقها باطلا لغير معنى بل لمعان مفيدة وحقائق بينة * وقوله سبحانه
ويوم يقول يوم نصب على الطرف وتقدير الكلام واذكر الخلق والاعادة يوم وتحتل
الآية مع هذا ان يكون معناها واذكر لاعادة يوم يقول الله للجساد كونى معادة
* وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور الجمهور ان الصور هو القرن الذى قال
فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث وباقي الآية
بين * وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ازر انتخذ اصناما آلهة اني
اراك وقومك في ضلال مبين قال الطبري نبه الله نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم على الافتداء بابراهيم في محاجته قومه اذ كانوا اهل اصنام وكان قوم النبي
صلى الله عليه وسلم اهل اصنام وقوله اصناما آلهة مفعولان وذكر ان
مازر ابا ابراهيم عليه السلام كان نجارا محسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق
بالمهندسة والنجوم فحظي عنده ما زر لذلك وكان على خطة عمل لاصنام
تعمل بامر وتديبيرة ويطبع هو في الصنم بختم معلوم عنده وحينئذ يعبد ذلك
الصنم فلما نشأ ابراهيم ابنه على الصفة التى تاتي بعد كان ابوه يكلفه ببيعها
فكان ابراهيم ينادى عليها من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويستخف بها ويجعلها
في الماء منكوسة ويقول لها اشربى فلما اشتهر امره بذلك واخذ في الدعاء الى الله
عز وجل قال لابيه هذه المقالة واراك في هذا الموضع يشترك فيها القلب
والبصر ومبين بمعنى ظاهر واضح * وقوله سبحانه وكذلك نرى ابراهيم

ملكوت السموات والارض الآيت المتقدمة تقضى بهداية ابراهيم عليه السلام
والاشارة هنا بذلك هي الى تلك الهداية اي وكما هديناه الى الدعاء الى الله
وانكار الكفر اريانه ملكوت ونرى لفظها الاستقبال ومعناها المضي وهذه الرؤية
قيل هي رؤية البصروروي في ذلك ان الله عزوجل فرج لابراهيم عليه السلام
السموات والارض حتى رأى ببصره الملكوت الاعلى والملكوت الاسفل وهذا هو
قول مجاهد قال تفرجت له السموات والارضون فرأى مكانه في الجنة وبه
قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت وقع
له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لاحد من اهل زمنه الذين بعث
اليهم قاله ابن عباس وغيره وقيل هي رؤية قلب رأى بها ملكوت السموات
والارض بفكرته ونظرة وملكوت بناء مبالغة وهو بمعنى الملك والعرب تقول لفلان
ملكوت اليمن اي ملكه واللام في ليكون متعلقة بفعل مؤخر تقديره وليكون
من الموقنين اريانه والموقن العالم بالشيء علما لا يمكن ان يطرأ له فيه شك
وروي عن ابن عباس في تفسيره وليكون من الموقنين قال جلي له الامور سرها
وعلايتها فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب
الذنوب قال الله له انك لا تستطيع هذا فردة لا يرى اعمالهم * وقوله
سبحانه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الآيت جن الليل ستروعطى
بظلامه ذهب ابن عباس وناس كثيرون الى ان هذه القصة وقعت في حال صباه
وقبل البلوغ والتكليف ويحتمل ان تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه مكلفا وحكي
الطبري هذا عن فرقة وقالت انه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ
اي هذا ربي وحكي ان النمرود جبار ذلك الزمان رأى له منجموه ان مولودا
يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه فجعل يتتبع الحبالى

ويوكل بهن حراسا فمن وضعت انثى تركت ومن وضعت ذكرا حمل الى الملك فذبحه وان ام ابراهيم حلت وكانت شابة قوية فسترت جملها فلها قربت ولادتها بعثت ابا ابراهيم الى سفر وتحييت لمصيه اليه ثم خرجت هي الى غار فولدت فيه ابراهيم وتركته في الغار وكانت تتفقده فوجدته يتغذى بان يمص اصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذيه ملك وحكي بل كانت امه تاتي به بالبان النساء التي ذبح ابناؤه والله اعلم اي ذلك كان فشب ابراهيم اصعافى ما يشب غيره والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار عشرة اعوام وقيل خمس عشرة سنة وانه نظر اول ما عقل من الغار فرأى الكواكب وجرت قصة الآيـة والله اعلم فان قلنا بانه وقعت له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب اليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ فذلك ينقسم على وجهين اما ان يجعل قوله هذا ربي تصميما واعتقادا وهذا باطل لان التصميم على الكفر لم يقع من الانبياء صلوات الله عليهم واما ان نجعله تعريضا للنظر والاستدلال كانه قال اهذا المنير البهي ربي ان عضدت ذلك الدلائل وان قلنا ان القصة وقعت له في حال كبره وهو مكلف فلا يجوز ان يقول هذا مصمما ولا معرضا للنظر لانها رتبة جهل او شك وهو عليه السلام منزّه معصوم من ذلك كله فلم يبق الا ان يقولها على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم واقامة الحجّة عليهم في عبادة الاصنام كانه قال اهذا المنير ربي وهو يريد على زعمكم كما قال تعالى اين شركاى اي على زعمكم ثم عرض ابراهيم عليهم من حركة الكوكب وافوله امانة الحدوث وانه لا يصلح ان يكون ربا ثم في اخر اعظم منه واحرى كذلك ثم في الشمس كذلك فكانه يقول فاذا بان في هذه المنيرات الرفيعة انها لا تصلح للربوبية فاصنامكم

التى هي خشب وحجارة اخرى ان يبين ذلك فيها ويعصده عندى هذا
التاويل قوله انى برىء مما تشركون قلت والى ترجيح هذا اشار عياض فى الشفا
قال وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى ان ابراهيم انها قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم قال * ع * ومثل لهم بهذه الامور لانهم كانوا
اصحاب علم نجوم ونظر فى الافلاك وهذا الامر كله انما وقع فى ليلة واحدة رأى
الكوكب وهو الزهرة فى قول قتادة وقال السدي هو المشتري جانحا الى الغروب
فلما افل بزغ القمر وهو اول طلوعه فسرى الليل اجع فلما بزغت الشمس زال ضوء
القمر قبلها لا نتشار الصباح وخفي نوره ودنا ايضا من مغربه فسمى ذلك
افولا لقربه من الافول التام على تجوز فى التسمية وهذا الترتيب يستقيم فى الليلة
الخامسة عشر من الشهر الى ليلة عشرين وليس يترتب فى ليلة واجدة كما اجمع
اهل التفسير لا فى هذه الليالى وبذلك يصح التجوز فى افول القمر وافل فى
كلام العرب معناه غاب وقيل معناه ذهب وهذا خلاف فى العبارة فقط والبزوغ
فى هذه الانوار اول الطلوع وما فى كون هذا الترتيب فى ليلة من التجوز فى افول
القمر لان افوله لو قدرناه مغيبه لكان ذلك بعد بزوغ الشمس وجميع ما قلناه
يعطيه الاعتبار ويهدنى يرشدنى وهذا اللفظ يؤيد قول من قال ان القصة فى
حال الصغر والقوم الضالون هنا عبدة المخلوقات كالاصنام وغيرها ولما افلت الشمس
لم يبق شيء يمثل لهم به فظهرت حجة وقوي بذلك على منابذتهم والتبرى
من اشراكهم وقوله انى برىء مما تشركون يؤيد قول من قال ان القصة فى
حال الكبر والتكليف ووجهت وجهي اى اقبلت بقصدى وعبادتى وتوحيدي
وايمانى للذى فطر السموات والارض اى اخترعها وحيفا اى مستقيما والحنف
الميل فكانه مال عن كل جهة الى القوام * وقوله تعالى وحاجه قومه قال

انحاجوني في الله اي اتراجعوني في الحجّة في توحيد الله وقد هذان اي قد
ارشدني الى معرفته وتوحيده ولا اخاف ما تشركون به الصمير في به يعود على
الله والمعنى ولا اخاف الاصنام التي تشكونها بالله في الربوبية ويحتمل ان
يعود على ما والتقدير ما تشركون بسببه وقوله الا ان يشاء ربى شيئا استثناء
ليس من الاول وشيئا منصوب بيشاء ولما كانت قوة الكلام انه لا يخاف ضررا
استثنى مشيئة ربه تعالى في ان يريده بضر وعلمنا نصب على التمييز وهو مصدر
بمعنى الفاعل كما تقول العرب تصيب زيد عرفا المعنى تصيب عرق زيد
فكذلك المعنى هنا وسع علم ربى كل شيء افلا تتذكرون توقيف وتنبيه
واظهار لموضع التقصير منهم وقوله وكيف اخاف ما اشركتم الآية الى تعلمون
هي كلها من قول ابراهيم عليه السلام لقومه وهي حجته القاطعة لهم والمعنى وكيف
اخاف اصناما لا خطب لها اذ نبذتها ولا تخافون انتم الله عز وجل وقد اشركتم
به في الربوبية ما لم ينزل به عليكم سلطانا والسلطان الحجّة ثم استفهم على جهة
التقرير فاي الفريقين منى ومنكم احق بالا من قال ابو حيان وكيف استفهام
معناه التعجب والانكار انتهى * وقوله سبحانه الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم الآية قال ابن اسحاق وابن زيد وغيرهما هذا قول من الله عز وجل
ابتداء حكم فصل عام لوقت محاجة ابراهيم وغيره ولكل مومن تقدم او تأخر قال
ع * هذا هو البين الفصيح الذى يرتبط به معنى الآية ويحسن رصفها
وهو خبر من الله عز وجل ويلبسوا معناه يخالطوا والظلم في هذا الموضع الشرك
تظاهرت بذلك الاحاديث الصحيحة وفي قراءة مجاهد ولم يلبسوا ايمانهم
بشرك وهم مهتدون اي راشدون * وقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه تلك اشارة الى هذه الحجّة المتقدمة * وقوله سبحانه نرفع درجات

من نشاء الدرجات اصلها في الاجسام ثم تستعمل في المراتب والمنازل المعنوية * وقوله سبحانه وهبنا له اسحاق ويعقوب الآية وهبنا عطف على اثينا واسحاق ابنه من سارة ويعقوب هو ابن اسحاق وقوله ومن ذريته المعنى وهدينا من ذريته والضمير في ذريته قال الزجاج جائز ان يعود على ابراهيم ويعترض هذا بذكر لوط عليه السلام اذ ليس هو من ذرية ابراهيم بل هو ابن اخيه وقيل ابن اخته ويتخرج ذلك عند من يرى الخال ابا وقيل يعود الضمير على نوح وهذا هو الجيد ونصب داود يحتمل ان يكون بوهبنا ويحتمل ان يكون بهدينا وكذلك نجزي المحسنين وعد من الله عز وجل لمن احسن في عبادته وترغيب في الاحسان وفي هذه الآية ان عيسى عليه السلام من ذرية نوح او ابراهيم بحسب الاختلاف في عود الضمير من ذريته وهو ابن ابنة وبهذا يستدل في الاحباس على ان ولد البنت من الذرية ويونس هو ابن متى وكلا فضلنا على العالمين معناه عالمي زمانهم * وقوله سبحانه ومن آباءهم وذرياتهم المعنى وهدينا من آباءهم وذرياتهم واخوانهم جاءت فمن للتبعية والمراد من آمن منهم نبيا كان او غير نبي واجتبتيناهم اي تخيرناهم وهديناهم اي ارشدناهم الى الايمان والفوز برضى الله عز وجل والذرية الابناء ويطلق على جميع البشر ذرية لانهم ابناء * وقوله تعالى ذلك هدى الله الآية ذلك اشارة الى النعمة في قوله واجتبتيناهم واولئك اشارة الى من تقدم ذكره والكتاب يراد به الصحف والتوراة والانجيل والزبور * وقوله سبحانه فان يكفر بها هؤلاء اشارة الى كفار قريش والى كل كافر في ذلك العصر قاله ابن عباس وغيره وقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم مومناهل المدينة قاله ابن عباس وغيره والآية على هذا التاويل وان كان القصد بنزولها هذين الصنفين فهي تعم الكفرة والمومنين

الى يوم القيامة وقال الحسن وغيره المراد بالقوم من تقدم ذكره من الانبياء
والمومنين وقال ابورجاء المراد الملائكة قلت ويحتمل ان يكون المراد الجميع
* وقوله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الظاهر في الاشارة باولئك
الى المذكورين قبل من الانبياء ومن معهم من المومنين المهديين ومعنى الاقتداء
اتباع الاثر في القول والفعل والسيره وانما يصح اقتداؤه صلى الله عليه وسلم بجميعهم
في العقود والايمان والتوحيد الذى ليس بينهم فيه اختلاف واما اعمال الشرائع
فمختلفة وقد قال عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واعلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم هو وغيره مخاطب بشرع من قبله في العقود والايمان والتوحيد لانا نجد
شرعا ينبئ ان الكفار الذين كانوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم كابويه وغيرهما
في النار ولا يدخل الله تعالى احدا النار الا بترك ما كلف وذلك في قوله
سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وغير ذلك وقاعدة المتكلمين ان
العقل لا يوجب ولا يكلف وانما يوجب الشرع فالوجه في هذا ان يقال ان ادم
عليه السلام فمن بعده دعا الى توحيد الله عز وجل دعاء عاما واستمر ذلك على
العالم فواجب على الآدمي ان يبحث عن الشرع الامر بتوحيد الله تعالى وينظر
في الادلة المنصوبة على ذلك بحسب ايجاب الشرع النظر فيها ويومن ولا
يعبد غير الله فمن فرضناه لم يجد سبيلا الى العلم بشرع امر بتوحيد الله وهو مع
ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فاولئك اهل الفترات الذين اطلق
عليهم اهل العلم انهم في الجنة وهم بمنزلة الاطفال والمجانين ومن قصر في
النظر والبحث فعبد صنما او غيره وكفر فهو تارك للواجب عليه مستوجب للعقاب
بالنار فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ومن كان معه من الناس وقبله
مخاطبون على السنة لانبياء قبل بالتوحيد وغير مخاطبين بفروع شرائعهم اذ

هي مختلفة واذا لم يدعهم اليها نبي . قال الفخر واحتج العلماء بهذه الآية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم السلام وتقديره انا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجمع من خصال الطاعة والعبودية والاخلاق الحميدة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم باجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال انه قصر في تحصيلها فثبت انه حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان فيهم مفرقا باسرها ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال انه افضلهم بكليتهم والله اعلم انتهى وقراً حمزة والكسائي فبهدهم اقتد بحذو الهاء في الوصل واثباتها في الوقف وهذا هو القياس شبيهة بالف الوصل في انها تقطع في الابتداء وتسقط في الوصل * وقوله سبحانه قل لا اسألكم عليه اجرا اي قل لهؤلاء الكفرة المعاندين لا اسألكم على دعائى اياكم بالقروان الى عبادة الله تعالى اجرة ان هو لا موعظة وذكرى ودعاء لجميع العالمين * وقوله سبحانه وما قدروا الله حق قدره الآية قال ابن عباس هذه الآية نزلت في بنى اسرائيل قال النقاش وهي اية مدنية وقيل المراد رجل مخصوص منهم يقال له مالك بن الضيف قاله ابن جبير وقيل فنخاص قاله السدي وقدرُوا هو من توفية القدر والمنزلة وتعليقه بقولهم ما انزل الله يقتضى بانهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته اذ احوالوا عليه بعثة الرسل قال الفخر قال ابن عباس ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق تعظيمه وقال لا خفش ما عرفوه حق معرفته وقال ابو العاليت ما وصفوه حق قدرته وعظمته وهذه المعانى كلها صحيحة انتهى وروي ان مالك بن الضيف كان سمينا فجاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه فقال له رسول الله صلى الله عليه

وسلم انشدك الله الست تقرأ فيما انزل على موسى ان الله يبغض الجبر
السمين فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء قال الفخر وهذه الآية
تدل على ان النكرة في سياق النفي تعم ولو لم تفد العموم لما كان قوله تعالى
قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا ابطلا لقولهم ونقضا عليهم انتهى
* وقوله تعالى قل من انزل الكتاب يعنى التوراة وقراطيس جمع قرطاس اي
بطائق وأوراقا وتوبخهم بالابداء والاختفاء هو على اخفائهم امر محمد صلى الله عليه
وسلم وجميع ما عليهم فيه حجة * وقوله سبحانه وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا
آباؤكم يحتمل وجهين احدهما ان يقصد به الامتنان عليهم وعلى آباتهم
والوجه الثانى ان يكون المقصود ذمهم اي وعلمتم انتم وآباؤكم ما لم تعلموه
فما انتفعتم به لا عراضكم وضلائكم ثم امره سبحانه بالمبادرة الى موضع الحجّة
اي قل الله هو الذى انزل الكتاب على موسى ثم امره سبحانه بترك من كفر
واعرض وهذه آية منسوخة بآية القتال ان تؤولت موادعة ويحتمل ان لا
يدخلها نسخ اذا جعلت تتضمن تهديدا ووعيدا مجزئا من موادعة * وقوله
سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك هذا اشارة الى القران وقوله مصدق الذى
بين يديه يعنى التوراة والانجيل لان ما تقدم فهو بين يدي ما تأخر
وام القرى مكة ثم ابتداء تبارك وتعالى بمدح قوم وصفهم واخبر عنهم انهم يؤمنون
بالآخرة والبعث والنشور ويؤمنون بالقرآن ويصدقون بحقيقته ثم قوى عز
وجل مدحهم بانهم يحافظون على صلاتهم التى هي قاعدة العبادات وام الطاعات
واذا انضافت الصلاة الى ضمير لم تكتب الا بالالف ولا تكتب فى المصحف
بواو الا اذا لم تضاف الى ضمير وقد جاءت اثار صحيحة فى ثواب من حافظ
على صلاته وفى فضل المشي اليها ففى سنن أبى داود عن بريدة عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم
القيامة وروى ابوداود ايضا بسنده عن سعيد بن المسيب قال حضر رجلا من
الانصار الموت فقال انى محدثكم حديثا ما احدثكموه الا احتسابا سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توضأ احدكم فاحسن الوضوء ثم خرج الى الصلاة
لم يرفع قدمه اليمنى لا كتب الله له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى الا حط
الله عنه سيئة فليقرب او ليبعد فان اتى المسجد فصلى في جماعة غفر له فان
اتى المسجد وقد صلوا بعضا وبقي بعض صلى ما ادرك واتم ما بقي كان كذلك
فان اتى المسجد وقد صلوا فاتم الصلاة كان كذلك واخرج ابوداود عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن وضوءه ثم راح
فوجد الناس قد صلوا اعطاه الله عز وجل مثل اجر من صلاها او حضرها لا ينقص
ذلك من اجورهم انتهى * وقوله سبحانه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
او قال اوحى الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله هذه الفاظ
عامة فكل من واقع شيئا مما يدخل تحت هذه الالفاظ فهو داخل في الظلم
الذى قد عظمه الله تعالى وقال قتادة وغيره المراد بهذه الآيات مسيلمة والاسود
الغنسي وقال عكرمة اولها في مسيلمة والآخر في عبد الله بن ابي سرح وقيل
نزلت في النضر بن الحارث وبالجمل فالآية تتناول من تعرض شيئا من
معانيها الى يوم القيامة كطليحة الاسدي والمختار بن ابي عبيد وسواهما *
وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والآية جواب لو محذوف
تقديره لرأيت عجباً او هولاً ونحو هذا وحذف هذا الجواب ابلغ في نفس
السامع والظالمون لفظ عام في انواع الظلم الذى هو كفر والغمرات جمع غمرة وهي
المصيبة المذهلة وهي مشبهة بغمرة الماء والملائكة يريد ملائكة قبض الروح

وباسطوا ايديهم كناية عن مدها بالمكره وهذا المكروه هو لا محالة اوائل العذاب
واماراته قال ابن عباس يضربون وجوههم وادبارهم وقوله اخرجوا انفسكم
حكاية لما تقوله الملائكة والتقدير يقولون لهم اخرجوا انفسكم وذلك على
جهة الاهانة وادخال الرعب عليهم ويحتمل اخرجوا انفسكم من هذه المصائب
والمحن ان كان ما زعمتموه حقا في الدنيا وفي ذلك توبيخ وتوقيف على سالف
فعلهم القبيح قلت والتاويل الاول هو الصحيح وقد اسند ابو عمر في التمهيد عن
ابن وضاح قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثم ذكر سنده عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل
الصالح قالت اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي
حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا تزال يقال لها ذلك
حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان
فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشرى
بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى
السماء يعني السابعة واذا كان الرجل السوء وحضرته الملائكة عند موته قالت
اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة
وابشرى بحميم وغساق وواخر من شكله ازواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج
وذكر الحديث انتهى والهون الهوان * وقوله تعالى بما كنتم تقولون على الله
غير الحق الآية لفظ عام لانواع الكفر ولكنه يظهر منه الانحاء على من قرب ذكره
* وقوله سبحانه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الآية هذه حكاية عما
يقال لهم بعد قبض ارواحهم واعلم ايها الاخ ان هذه الآية الكريمة ونحوها من
الآي وان كان مساقها في الكفار فللمومن الموقن فيها معتبر ومزدجر وقد قيل ان

القبر بحر الندامات وقد روى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت لا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان سيئا ندم ان لا يكون نزع انتهى وكما خلقناكم اول مرة تشبيها بالانفراد الاول في وقت الخلقة وخولناكم معناه اعطيناكم ووراء ظهوركم اشارة الى الدنيا لانهم يتركون ذلك موجودا * وقوله سبحانه وما نرى معكم شفعاءكم توقيف على الخطي في عبادة الاصنام واعتقادهم انها تشفع وتقرب الى الله زلفى قال ابو حيان وما نرى لفظه لفظ المستقبل وهو حكاية حال انتهى وقرأ نافع والكسائي بينكم بالنصب على انه ظرف والتقدير لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم ونحو هذا وهذا وجه واضح وعليه فسر الناس مجاهد وغيره وقرأ باقي السبعة بينكم بالرفع وقرأ ابن مسعود وغيره لقد تقطع ما بينكم وصل معناه تلف وذهب وما كنتم تزعمون يريد دعواهم انها تشفع وانها تشارك الله في الالهية تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه ان الله فالق الحب والنوى هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر ويتصل المعنى بما قبله لان المقصد ان الله فالق الحب والنوى لا هذه الاصنام قال قتادة وغيره هذه اشارة الى فعل الله سبحانه في ان يشق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه ويشق النوى عن جميع الاشجار الكائنة منه * وقوله يخرج الحي من الميت الآية قال ابن عباس وغيره لاشارة الى اخراج الانسان الحي من النطفة الميتة واخراج النطفة الميتة من الانسان الحي وكذلك سائر الحيوان من الطير وغيره وهذا القول ارجح ما قيل هنا * وقوله سبحانه ذلكم الله ابتداء وخبر متضمن التنبيه فاني توفكون اي تصرفون وتصدون وفالق لاصباح اي شاقه ومظهرة والفاق الصبر

وحسبنا جمع حساب اي يجريان بحساب هذا قول ابن عباس وغيره وقال
مجاهد في صحيح البخاري المراد بحسبان كحسبان الرحي وهو الدولاب والعود
الذى عليه دورانه * وقوله سبحانه وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها
فى ظلمات البر والبحر الآية هذه المخاطبة تعم المؤمنين والكافرين والجمعة بها
على الكافرين قائمة والعبرة بها للمؤمنين متمكنة * وقوله سبحانه وهو الذى
انشأكم من نفس واحدة يريد ادم عليه السلام فمستقر ومستودع اختلف
المتأولون فى معنى هذا الاستقرار والاستيداع فقال الجمهور مستقر فى الرحم
ومستودع فى ظهور الآباء حتى يقضى الله بخروجهم قال ابن عون مشيت الى
منزل ابراهيم النخعي وهو مريض فقالوا قد توفي فاخبرنى بعضهم ان عبد الرحمن
ابن الاسود سأل عن مستقر ومستودع فقال مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب
وقال ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند الرحمن وقال ابن جبير المستودع
فى الصلب والمستقر فى الآخرة قال الفخر والمنقول عن ابن عباس فى اكثر
الروايات ان المستقر هو الارحام والمستودع لالصلاب ثم قرأ ونقر فى الارحام
ما نشاء وما يدل على قوة هذا القول ان النطفة لا تبقى فى صلب الاب زمانا
طويلا والجنين فى رحم الام يبقى زمانا طويلا ولما كان المكث فى الرحم اكثر مما
فى صلب الاب كان حمل الاستقرار على المكث فى الرحم اولى انتهى قال
* ع * والذى يقتضيه النظر ان ابن ادم هو مستودع فى طهر ابيه وليس
بمستقر فيه استقرارا مطلقا لانه ينتقل لا محالة ثم ينتقل الى الرحم ثم
ينتقل الى الدنيا ثم ينتقل الى القبر ثم ينتقل الى المحشر ثم ينتقل الى
الجنة او النار فيستقر فى احدهما استقرارا مطلقا وليس فيها مستودع لانه لا
نقله له بعد وهو فى كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين مستقر بالاضافة الى

التي قبلها ومستودع بالاضافة الى التي بعدها لان لفظ الوديعة يقتضى فيها نقلة ولا بد * وقوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء السماء فى هذا الموضع السحاب وكل ما اظلك فهو سماء وقوله نبات كل شيء قيل معناه مما ينبت وقال الطبري المراد بكل شيء كل ما ينمو من جميع الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك لان ذلك كله يتغذى وينمو بنزول الماء من السماء والضمير فى منه يعود على النبات وفى الثانى يعود على الخضر وخضرا بمعنى اخضر ومنه قوله عليه السلام الدنيا خضرة حلوة بمعنى خضراء وكأن خضرا انما ياتى ابدا لمعنى النضارة وليس اللون فيه مدخل واخضر انما تمكنه فى اللون وهو فى النضارة تجوز وجبا متراكبا يعم جميع السنابل وما شاكلها كالصنوبر والرمان وغير ذلك * وقوله ومن النخل تقديره ونخرج من النخل والطلع اول ما يخرج من النخل فى اكمامه وقنوان جمع قنوه وهو العذق بكسر العين وهي الكباسة والعرجون عوده الذى فيه ينتظم الثمر ودانية معناه قريبة من التناول قاله ابن عباس وغيره وقرأ الجمهور وجنات بالنصب عطفا على قوله نبات وروي عن عاصم وجنات بالرفع على تقدير ولكم جنات او نحو هذا والزيتون والرمان بالنصب اجاءا عطفا على قوله حبا ومتشابهها وغير متشابه قال قتادة معناه يتشابه فى الورق ويتباين فى الثمر وقال الطبري جائزان يتشابه فى الثمر ويتباين فى الطعم ويحتمل ان يريد يتشابه فى الطعم ويتباين فى المنظر وهذه الاحوال موجودة بالاعتبار فى انواع الثمرات * وقوله سبحانه انظروا هونظر بصر تتركب عليه فكرة قلب والثمر فى اللغة جنى الشجر وما يطلع وان سمي الشجر ثمارا فبتحجوز وقرأ جمهور الناس وينعه بفتح الياء وهو مصدر ينعم ينعم اذا نفعه وبالنصب فسر ابن عباس وقد يستعمل ينعم بمعنى استقل واخضر ناصرا

قال الفخر وقدم سبحانه الزرع لانه غذاء والثمار فواكه وانما قدم النخل على
الفواكه لان التمر يجرى مجرى الغذاء بالنسبة الى العرب انتهى * وقوله
سبحانه وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجن مفعول وشركاء مفعول
ثان قال * ص * وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا والجمهور على
نصب الجن فقال ابن عطية وغيره هو مفعول اول لجعلوا وشركاء الثانى وجوزوا
فيه ان يكون بدلا من شركاء والله فى موضع المفعول الثانى وشركاء الاول ورده ابو
حيان بان البدل حينئذ لا يصح ان يحل محل المبدل منه اذ لو قلت وجعلوا لله
الجن لم يصح وشرط البدل ان يكون على نية تكرار العامل على الاشهر او معمولا
للعامل فى المبدل منه على قول وهذا لا يصح كما ذكرنا قلت وفيه نظر وانتهى
قلت وما قاله الشيخ ابو حيان عندى ظاهر وفى نظر الصفاقي نظر وهذه الآيت
مشيرة الى العادلين بالله تعالى والقائلين ان الجن تعلم الغيب العابدين للجن
وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجن الوادى فى اسفارها
ونحو هذا واما الذين خرقوا البنين فاليهود فى ذكر عزيز والنصارى فى ذكر المسيح
واما ذاكر البنات فالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم
فكان الضمير فى جعلوا وخرقوا لجميع الكفار اذ فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا ونحو
هذا فسر السدي وابن زيد وقرأ الجمهور وخلقهم بفتح اللام على معنى وهو خلقهم
وفى مصحف ابن مسعود وهو خلقهم والضمير فى خلقهم يحتمل العودة على الجاعلين
ويحتملها على المجعولين وقرأ السبعة سوى نافع وخرقوا بتخفيف الراء بمعنى
اختلفوا واقتروا وقرأ نافع وخرقوا بتشديد الراء على المبالغة وقوله بغير علم نص على
قبح تقحم المجهولة واقتراء الباطل على عمى وسبحانه معناه تنزه عن وصفهم
الفاقد المستحيل عليه تبارك وتعالى وبديع بمعنى مبدع وأتى بمعنى كيف

واين فهي استفهام في معنى التوقيف والتقريب وهذه الآية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد * وقوله سبحانه وخلق كل شيء لفظ عام لكل ما يجوز ان يدخل تحته ولا يجوز ان تدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه فليس هو عموما مخصصا على ما ذهب اليه قوم لان العموم المخصص هو ان يتناول العموم شيئا ثم يخرج التخصيص وهذا لم يتناول قط هذه التي ذكرناها وانما هذا بمنزلة قول الانسان قتل كل فارس وافحمت كل خصم فلم يدخل القاتل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه واما قوله وهو بكل شيء عليم فهو عموم على الاطلاق لانه سبحانه يعلم كل شيء لارب غيره وباقي الآية بين * وقوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار اجمع اهل السنة على ان الله عز وجل يرى يوم القيامة يراه المؤمنون والوجه ان يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند الى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز واختصار تبیین ذلك ان يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز ان نعلمه لا في مكان ولا متحيزا ولا مقابلا ولم يتعلق علمنا باكثر من الوجود جاز ان نراه غير مقابل ولا مجاذي ولا مكيفا ولا محددا وكان الامام ابو عبد الله الخوي يقول مسألة العلم خلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتعدي النظر بالى انما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهب اليه المعتزلة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الاحاديث الصحيحة على اختلاف الفاظها واستعمل المعتزلة الرؤية بآراء مجردة وتمسكوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار وانفصال اهل السنة عن تمسكهم بان الآية مخصوصة في الدنيا ورؤية الآخرة ثابتة باخبارها وايضا فانا نفرق بين معنى الادراك ومعنى الرؤية ونقول انه عز

وجل تراه لا بصار ولا تدركه وذلك ان الادراك يتضمن لاحاطة بالشيء والوصول الى اعماقه وحوزه من جميع جهاته وذلك كله محال في اوصاف الله عز وجل والرؤية لا تفتقر الى ان يحيط الرأى بالمرئي ويبلغ غايته وعلى هذا التاويل يترتب العكس في قوله وهو يدرك لا بصار ويحسن معناه ونحو هذا روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي انهم فرقوا بين الرؤية والادراك واللطف المتلطف في خلقه واختراعه والبصائر جمع بصيرة فكانه قال قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق ابصار الحق والبصيرة للقلب مستعارة من ابصار العين والبصيرة ايضا هي المعتقد * وقوله سبحانه فمن ابصر ومن عمي عبارة مستعارة فيمن اهتدى ومن ضل وقوله وما انا عليكم بحفيظ كان في اول الامر وقبل ظهور الاسلام ثم بعد ذلك كان صلى الله عليه وسلم حفيظا على العالم اخذاهم بالاسلام او السيف * وقوله سبحانه وكذلك نصرف الآيات اي نردها ونوضحها وقرأ الجمهور وليقولوا درست بكسر اللام على انها لام كي وهي على هذا لام الصيرورة اي لما صار امرهم الى ذلك وقرأ نافع وغيره درست اي يا محمد درست في الكتب القديمة ما تجيئنا به وقرأ ابن كثير وغيره درست اي درست غيرك وناظرته وقرأ ابن عامر درست باسناد الفعل الى الآيات كانهم اشاروا الى انها ترددت على اسماعهم حتى بليت في نفوسهم وامسحت واللام في قوله ليقولوا وفي قوله ولنبينه متعلقان بفعل متأخر تقديره صرفناها وذهب بعض الكوفيين الى ان لا مضمرة بعد ان المقدرة في قوله وليقولوا فتقدير الكلام عندهم ولان لا يقولوا درست كما اضمرها في قوله يبين الله لكم ان تضلوا قال * ع * وهذا قلق ولا يجيز البصريون اضمار لا في موضع من المواضع قلت ولكنه حسن جدا من جهة المعنى اذ لا يعلمون انه درس او دارس احدا صلى الله عليه وسلم فتأمله * وقوله سبحانه

اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو الآية هذه الآية فيها موادة وهي
منسوخة * وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الآية مخاطبة
للمؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس سبها ان كفار قريش قالوا
لابى طالب اما ان ينتهي محمد واصحابه عن سب ما هتنا والغص منها واما ان
نسب الله ونهجه فنزلت الآية وحكمها على كل حال باق فى الامة فلا يحل
لمسلم ان يتعرض الى ما يؤدى الى سب الاسلام او النبي صلى الله عليه وسلم او
الله عز وجل وعبر عن الاصنام بالذين وهي لا تعقل وذلك على معتقد الكفرة فيها
وفى هذه الآية ضرب من الموادة وعدوا مصدر من الاعتداء وبغير علم ببيان لمعنى
الاعتداء * وقوله تعالى كذلك زيننا لكل امة عملهم اشارة الى ما زين لهؤلاء من
التمسك باصنامهم وتزيين الله عمل الامم هو ما يخلقه سبحانه فى النفوس من
المحبة للخير والشر وتزيين الشيطان هو ما يقذفه فى النفوس من الوسوسة
وخطرات السوء وقوله ثم الى ربهم مرجعهم الآية تنصصن وعدا جيلا للمحسنين
وعيدا ثقيلا للمسيئين * وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم
آية ليؤمنن بها اللام فى قوله لئن لام توطئة للقسم واما المتلقية للقسم فهي قوله
ليؤمنن بها وآية يريد علامة وحكي ان الكفار لما نزلت ان نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اقساموا حينئذ انها ان نزلت امنوا
فنزلت هذه الآية وحكي انهم اقترحوا ان يعود الصفا ذهابا واقسموا على ذلك
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فى ذلك فجاءه جبريل فقال له ان
شئت اصبح ذهابا فان لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالامم
المقترحة وان شئت اخروا حتى يتوب تائبهم فقال عليه الصلاة والسلام بل
حتى يتوب تائبهم ونزلت الآية قال ابن العربي قوله جهد ايمانهم يعنى غاية

ايمانهم التي بلغها علمهم وانتهت اليها قدرتهم انتهى من الاحكام ثم قال تعالى
قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطئة انما الآيات عند الله وليست عندي
فتتصرح علي ثم قال وما يشعركم قال مجاهد وابن زيد المخاطب بهذا الكفار
وقال الفراء وغيره المخاطب بهذا المومنون وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما يدريكم
وقرأ ابن كثير وغيره انها بكسر الالف على القطع واستيناف الاخبار فمن قرأ
تومنون بالتاء وهي قراءة ابن عامر وحمزة استقامت له المخاطبة اولاً وآخرها
للكفار ومن قرأ بالياء وهي قراءة نافع وغيره فيحتمل ان يخاطب اولاً وآخرها
المومنين ويحتمل ان يخاطب بقوله وما يشعركم الكفار ثم يستأنف الاخبار
عنهم للمومنين وقرأ نافع وغيره انها بفتح الالف ف قيل ان لا زائدة في قوله لا
يومنون كما زيدت في قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
ودعا الى التزام هذا حفظ المعنى لانها لو لم تكن زائدة لعاد الكلام عذراً للكفار
وفسد المراد بالآية وضعف الزجاج وغيره زيادة لا ومنهم من جعل انها بمعنى
لعلها وحكاة سبويه عن التحليل وهذا التاويل لا يحتاج معه الى تقدير زيادة
لا وحكى الكسائي انه كذلك في مصحف ابي وما ادراكم لعلها اذا جاءت
ورجح ابو علي ان تكون لا زائدة وبسط شواهد في ذلك * وقوله سبحانه
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
فالمعنى على ما قالت فرقة ونقلب افئدتهم وابصارهم في النار وفي لهبها في
الآخرة لما لم يؤمنوا في الدنيا ثم استأنف على هذا ونذرهم في الدنيا في طغيانهم
يعمهم وقالت فرقة انما المراد بالتقليب التحويل عن الحق والهدى والترك
في الضلالة والكفر ومعنى الآية ان هؤلاء الذين اقسوا انهم يومنون ان جاءت
آية نحن نقلب افئدتهم وابصارهم ان لو جاءت فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا

اول مرة بما دعوا اليه من عبادة الله تعالى فاخبر الله عز وجل على هذا التأويل بصورة فعله بهم وقالت فرقة قوله كما في هذه الآية انما هي بمعنى المجازاة اي لما لم يؤمنوا اول مرة نجازيهم بان نقلب افئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم فكانه قال ونحن نقلب افئدتهم وابصارهم جزاء لما لم يؤمنوا اول مرة بما دعوا اليه من الشرع والضمير في به يحتمل ان يعود على الله عز وجل او على القرءان او على النبي صلى الله عليه وسلم ونذرهم معناه نتركهم والطغيان التخبط في الشر ولا فراط فيما يتناوله المرء ويعمهمون معناه يترددون في حيرتهم * وقوله سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية اخبر سبحانه انه لو اتى بجميع ما اقترحوه من انزال ملائكة واحياء سلفهم حسبما اقترحه بعضهم ان يحشر قصي وغيره فيخبر بصدق محمد عليه السلام او يحشر عليهم كل شيء قبلا ماء امنوا لا بالمشيئة والطف الذي يخلقه ويخترعه سبحانه في نفس من يشاء لا رب غيره وقرأ نافع وغيره قبلا ومعناه مواجهة ومعينة قاله ابن عباس وغيره ونصبه على الحال وقال المبرد معناه ناحية كما تقول لي قبل فلان دين قال * ع * فنصبه على هذا هو على الظرف وقرأ حمزة وغيره قبلا بضم القاف والباء واختلف في معناه فقال بعضهم هو بمعنى قبل بكسر القاف اي مواجهة كما تقول قبل ودبر وقال الزجاج والفراء هو جمع قبيل وهو الكفيل اي وحشنا عليهم كل شيء كفلاء بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد وغيره هو جمع قبيل اي صنفا صنفا ونوعا نوعا والنصب في هذا كله على الحال ولكن اكثرهم يجهلون اي يجهلون في اعتقادهم ان الآية تقتضي ايمانهم ولا بد فيقتضي اللفظ ان لاقل لا يجهل فكان فيهم من يعتقد ان الآية لو جاءت لم يؤمن لا من شاء الله منه ذلك قلت وقال مكِّي ولكن اكثرهم يجهلون اي في

مخالفتك وهم يعلمون انك نبي. صادق فيما جئتهم به وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يداعب ابا سفيان بعد الفتح بمخصرة في يده ويطعن بها ابا سفيان فاذا احرقته قال نح عنى مخصرتك فوالله لو اسلمت اليك هذا الامر ما اختلف عليك فيه اثنان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسألك بالذى اسلمت له قتالك اياي عن اي شيء كان فقال له ابو سفيان تظن اني كنت اقاتلك تكذيبا منى لك والله ما شككت في صدقك قط وما كنت اقاتلك لاحسد منى لك فالحمد لله الذى نزع ذلك من قلبى فكان النبي صلى الله عليه وسلم يشتهى ذلك منه ويتبسم انتهى من الهداية * وقوله سبحانه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الآية تتضمن تسليته النبي صلى الله عليه وسلم وعرض القدوة عليه اي هذا الذى امتحنت به يا محمد من الاعداء قد امتحن به غيرك من الانبياء ليبتلي الله اولى العزم منهم وشياطين الانس والجن يريد المتبردين من النوعين ويوحى معناه يلقى في اختفاء فهو كاللناجاة والسرار وزخرف القول محسنه ومزينه بالباطيل قاله عكرمة ومجاهد والزخرفة اكثر ما تستعمل في الشر والباطل وغرورا مصدر ومعناه يغرون به المضللين والضمير في فعلوه عائد على اعتقادهم العداوة ويحتمل على الوحي الذى تضمنه يوحى * وقوله سبحانه فذرهم وما يفترون لفظ يتضمن الامر بالموادعة وهو منسوخ قال قتادة كل ذر في كتاب الله منسوخ بالقتال * وقوله سبحانه ولتصغى معناه لتميل قال الفخر والضمير في قوله ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يعود على زخرف القول وكذلك في قوله وليرضوه والافتراء معناه لاكتساب وقال الزجاج وليقتروا اي يختلقوا ويكذبوا والاول افسح انتهى والقراء على كسر اللام في الثلاثة لافعال على انها

لام كي معطوفة على غرورا وحكما ابلغ من حاكم اذ هي صيغة للعدل من الاحكام
والحاكم جار على الفعل فقد يقال للجائر ومفصلا معناه مزال الاشكال والكتاب
اولا هو القرآن وثانيا اسم جنس للتوراة والانجيل والزبور والصحف * وقوله
تعالى فلا تكونن من الممترين تثبيت ومبالغة وطعن على الممترين قلت وقد
تقدم التنبيه على انه صلى الله عليه وسلم معصوم وان الخطاب له والمراد غيره
ممن يمكن منه الشك * وقوله سبحانه وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا الآية
تمت في هذا الموضع بمعنى استمرت وصحت في الازل صدقا وعدلا وليس
بتمام من نقص ومثله ما وقع في كتب السيرة من قولهم وتم حمزة على اسلامه
في الحديث مع ابي جهل والكلمات ما انزل على عباده ولا مبدل لكلماته معناه في
معانيها * وقوله سبحانه وان تطع اكثر من في الارض الآية المعنى فامض يا
محمد لما امرت به وبلغ ما ارسلت به فانك ان تطع اكثر من في الارض
يصلوك قال ابن عباس الارض هنا الدنيا وحكي ان سبب هذه الآية ان المشركين
جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الذبائح وقالوا انا ناكل ما تقتل وتترك
ما قتل الله فنزلت الآية ثم وصفهم تعالى بانهم انما يقتدون بطغوتهم ويتبعون
تخرفهم والحرص الحزر والظن وهذه الآية خبر في ضمنه وعيد للضالين ووعد
للمهتدين وقوله سبحانه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بشايانه مومنين الآية
القصد بهذه الآية النهي عما ذبح للنصب وغيرها وعن الميتة وانواعها ولا قصد في الآية
الى ما نسي المومن فيه التسمية او تعميدها بالترك * وقوله سبحانه وما لكم الا
تاكلوا الآية ما استفهام يتضمن التقرير وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي فصل
الحرام من الحلال وانتزعه بالبيان وما في قوله الا ما اضطررتم اليه يريد بها من
جميع ما حرم كالميتة وغيرها وهي في موضع نصب بالاستثناء والاستثناء منقطع

* وقوله سبحانه وان كثيرا يريد الكفرة المحادين المجادلين ثم توعدهم سبحانه بقوله ان ربك هو اعلم بالمعتدين وقوله جلت عظمتهم وذروا ظاهر الاثم وباطنه نهى عام والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاصي وقال قوم الظاهر الاعمال والباطن المعتقد وهذا ايضا حسن لانه عام وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن ابي امامة قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم ما لاثم قال ما حكت في صدرك فدعه وروى ابن المبارك ايضا بسنده ان رجلا قال يا رسول الله ما يحل لي مما يحرم علي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه ثلاث مرات في كل ذلك يسكت رسول الله ثم قال اين السائل فقال انا ذا يا رسول الله قال ما انكر قلبك فدعه انتهى وقد ذكرنا معناه من طرق في غير هذا الموضع فاغنى عن اعادته ثم توعد تعالى كسبة الاثم بالمجازاة على ما اكتسبوه من ذلك ولاقتراى لاكتساب * وقوله سبحانه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية مقصد الآية النهي عن الميتة اذ هي جواب لقول المشركين تتركون ما قتل الله ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبائح الاسلام وبهذا العموم تعلق ابن عمر وابن سيرين والشعبي وغيرهم فقالوا ما تركت التسمية عليه لم يוכל عمدا كان او نسيانا وجمهور العلماء على انه يוכל ان كان تركها نسيانا بخلاف العمد وقيل يוכל سواء تركت عمدا او نسيانا الا ان يكون مستحفا * وقوله تعالى وان الشياطين الآية قال عكرمة هم مردة الانس من مجوس فارس وذلك انهم كانوا يوالون قريشا على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ليوحون الى اوليائهم من قريش ليجادلوك بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله فذلك من مخاطبتهم هو الوحي والاولياء هم قريش وقال ابن زيد وعبد الله بن كثير بل الشياطين الجن واللفظة على وجهها واولياؤهم

كفرة قريش ووحبهم بالوسوسة وعلى السنة الكهان ثم نهى سبحانه عن طاعتهم بلفظ يتضمن الوعد وعرض اصعب مثال في ان يشبه المومن بالمشرك قال ابن العربي قوله تعالى وان الشياطين لىوحون الى اوليائهم سمى الله تعالى ما يقع فى القلوب من الالهام وحيا وهذا مما يطلقه شيوخ المتصوفة وينكره جهال المتوسمين بالعلم ولم يعلموا ان الوحي على ثمانية اقسام وان اطلاقه فى جميعها جائز فى دين الله انتهى من احكام القرآن * وقوله سبحانه او من كان ميتا فاحييناه لما تقدم ذكر المومنين وذكر الكافرين مثل سبحانه فى الطائفتين بان شبه الذين ءامنوا بعد كفرهم باموات احيوا هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم فى ظلمات يترددون فيها ولا يمكنهم الخروج منها ليبين عز وجل الفرق بين الطائفتين والبون بين المنزلتين ونورا امكن ما يعنى به الايمان قيل ويحتمل ان يراد به النور الذى يؤتاه المومن يوم القيامة وجعلنا فى هذه الآية بمعنى صيرنا فهي تتعدى الى مفعولين الاول مجرميها والثانى اكبروفى الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرميها اكبر وقدم لاهم اذ لعلته كبرهم اجرموا ويصح ان يكون المفعول الاول اكبر ومجرميها مضاف والمفعول الثانى فى قوله فى كل قرية وليمكروا نصب بلام الصيرورة والاكبر جمع اكبر كما لافاضل جمع افضل قال الفخر وانما جعل المجرمين اكبر لانهم لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وركوب الباطل من غيرهم ولان كثرة المال والجاه يحملان الانسان على المبالغة فى حفظهما وذلك الحفظ لا يتم الا بجميع الاخلاق الذميمة كالغدر والمكر والكذب والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة ولو لم يكن للمال والجاه سوى ان الله تعالى حكم بانه انما وصف بهذه الاوصاف الذميمة من كان له مال وجاه لكفى ذلك دليلا على

خساسة المال والجاه انتهى وما ذكره في المال والجاه هو الاغلب وما يشعرون اي ما يعلمون * وقوله سبحانه واذا جاءتهم اية ابي علامة ودليل على صحة الشرع تشططوا وقالوا لن نؤمن حتى يفلق لنا البحر ويحيي لنا الموتى ونحو ذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته فيمن اصطفاه وانتخبه لا فيمن كفر وجعل يتشطط على الله سبحانه قال الفخر قال المفسرون قال الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقاً لكنت اولى بها قال الضحاك اراد كل واحد من هؤلاء الكفرة ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر عنهم سبحانه بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفاً منشورة انتهى ثم تواعد سبحانه بان هؤلاء المجرمين لا كابر في الدنيا سيصيبهم عند الله صغار وذلة * وقوله سبحانه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الآية من شرط ويشرح جواب الشرط والآية نص في ان الله تعالى يريد هدى المومن وضلال الكافر وهذا عند جميع اهل السنة بالارادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى والهدى هنا هو خلق الايمان في القلب وشرح الصدر هو تسهيل الايمان وتحيينه واعداد القلب لقبوله وتحصيله والصدر عبارة عن القلب وفي يشرح ضمير يعود على اسم الله عز وجل يعضده اللفظ والمعنى ولا يحتمل غيره والقول بانه عائد على المهدي قول يتركب عليه مذهب القدرية في خلق الاعمال ويجب ان يعتقد ضعفه والحذر منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفس قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت والقول في قوله ومن يرد ان يصله كالقول في قوله فمن يرد الله ان يهديه وقرأ حزة وغيره حرجاً بفتح الراء وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأها

يوما بفتح الراء فقرأها له بعض الصحابة بكسر الراء فقال ابغوني رجلا من كنانة
وليكن راعيا وليكن من بنى مدله فلما جاء قال له يافتى ما الحرجة عندكم قال
الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعيته ولا وحشيتها قال عمر كذلك
قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير * وقوله سبحانه كانما يصعد في
السماء اي كان هذا الضيق الصدر متى حاول الايمان او فكر فيه يجد صعوبته
عليه والعياذ بالله كصعوبة الصعود في السماء قاله ابن جريج وغيره وفي السماء يريد
من سفل الى علو وتحتمل الآية ان يكون التشبيه بالصاعد في عقبة كئود كانه
يصعد بها في الهواء ويصعد معناه يعلو ويصعد معناه يتكلف من ذلك ما يشق
عليه * وقوله كذلك يجعل الله الرجس اي وكما كان الهدى كله من الله والضلal
بارادته تعالى ومشيئته كذلك يجعل الله الرجس قال اهل اللغة الرجس ياتي
بمعنى العذاب وياتي بمعنى النجس * وقوله تعالى وهذا صراط ربك
مستقيما الآية هذا اشارة الى القرآن والشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم قاله ابن عباس وفصلنا معناه بينا واوضحنا * وقوله سبحانه لقوم
يذكرون اي للمومنين والضمير في قوله لهم دار السلام عائد عليهم والسلام يتجه ان
يكون اسما من اسماء الله عز وجل ويتجه ان يكون مصدرا بمعنى السلامة * وقوله
تعالى عند ربهم يريد في الآخرة بعد الحشر ووليهم اي ولي الانعام عليهم وبما كانوا
يعملون اي بسبب ما كانوا يقدمون من الخير ويفعلون من الطاعة والبر * وقوله
سبحانه ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس المعنى واذكر
يوم وفي الكلام حذف تقديره نقول يا معشر الجن وقوله قد استكثرتم معناه افرطتم
ومن الانس يريد في اصلالهم واغوائهم قاله ابن عباس وغيره وقال الكفار من الانس
وهم اولياء الجن الموبخين على جهة الاعتذار عن الجن ربنا استمتع بعضهم ببعض

اي انتفع وذلك لاستعاذتهم بالجن اذ كان العربي اذا نزل واديا ينادى يا رب الوادى انى استجير بك فى هذه الليلة ثم يرى سلامته انما هي بحفظ جنى ذلك الوادى ونحو ذلك وبلوغ الاجل المؤجل هو الموت وقيل هو الحشر * وقوله تعالى قال النار مثواكم الآية اخبار من الله تعالى عما يقول لهم يوم القيامة اثر كلامهم المتقدم ومثواكم اي موضع ثوابكم كمقامكم الذى هو موضع لاقامة قاله الزجاج والاستثناء فى قوله لا ما شاء الله قالت فرقة ما بمعنى من فالمراد لا من شاء الله ممن آمن فى الدنيا بعد ان كان من هؤلاء الكفرة وقال الطبري ان المستثنى هي المدة التى بين حشرهم الى دخولهم النار وقال الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول فى هذا الاستثناء انه مبلغ حال هؤلاء فى علم الله ثم اسند اليه انه قال ان هذه الآية اية لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله فى خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً قال * ع * والاجماع على التخليد الابدي فى الكفار ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنه قال * ص * لا ما شاء الله قيل استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من العذاب الزائد على النار وقيل متصل واختلفوا فى تقديره فقيل هو استثناء من الاشخاص وهم من آمن فى الدنيا ورد بانه يختلف زمان المستثنى والمستثنى منه فيكون منقطعاً لا متصلاً لان من شرط المتصل اتحاد زمانى المخرج والمخرج منه انتهى وقيل غير هذا وقوله سبحانه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً قال قتادة معناه نجعل بعضهم ولي بعض فى الكفر والظلم وقال ايضا المعنى نجعل بعضهم لى بعضاً فى دخول النار وقال ابن زيد معناه نسلط بعض الظالمين على بعض ونجعلهم اولياء النعمة منهم قال * ع * وقد حفظ هذا فى استعمال الصحابة والتابعين كقول ابن الزبير لا ان فم الذبان قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون * وقوله تعالى

يا معشر الجن والانس الم ياتكم آية هذا الكلام داخل في القول يوم الحشر قال
الفخر قال اهل اللغة المعشر كل جماعة امرهم واحد وتحصل بينهم معاشرة ومخالطة
فالمعشر المعاشر انتهى ومنكم يعنى من الانس قاله ابن جريج وغيره وقال ابن
عباس من الطائفتين ولكن رسل الجن هم رسل الانس وهم النذر ويقصون
من القصص وقولهم شهدنا اقرار منهم بالكفر * وقوله سبحانه وغرتهم الحياة
الدنيا التفاتة فصيحة تضمنت ان كفرهم كان باذم الوجوه لهم وهو لاغترار الذى
لا يواقعه عاقل ويحتمل غرتهم ان يكون بمعنى اشبعهم واطغتهم بحلوانها كما يقال
غر الطائر فرخه * وقوله سبحانه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
الجمع بين هذه الآية وبين الآيى التى تقتضى انكار المشركين لا شركاء هو
اما بانها طوائف واما بانها طائفة واحدة في موطن شتى * وقوله ذلك ان
لم يكن اى ذلك لاهل القرى والمدن والمراد اهل القرى وبظلم يحتمل معنيين
احدهما انه لم يكن سبحانه ليهلكهم دون نذارة فيكون ظلما لهم والله تعالى ليس
بظلام للعبيد والآخر ان الله عز وجل لم يهلكهم بظلم واقع منهم دون ان ينذرهم
وهذا هو البين القوي وذكر الطبري رحمه الله التاويلين * وقوله سبحانه ولكل
درجات مما عملوا الآية اخبار من الله سبحانه ان المؤمنين في الآخرة على
درجات من التفاضل بحسب اعمالهم وتفضل المولى سبحانه عليهم ولكن كل
راض بما اعطي غاية الرضى والمشركون ايضا على درجات من العذاب قلت
وظاهر الآية ان الجن يثابون وينالون الدرجات والدرجات وقد ترجم البخاري
على ذلك فقال ذكر الجن وثوابهم وعقابهم لقوله تعالى يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم الآية الى قوله وما ربك بغافل عما يعملون قال
الداودي قال الضحاک من الجن من يدخل الجنة وياكل ويشرب انتهى

* وقوله سبحانه وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء الآية متضمنة وعيدا وتحذيرا من بطش الله عز وجل في التعجيل بذلك واما مع المهلة ومرور الجديدين فذلك عادته سبحانه في الخلق باذهاب خلق واستخلاف اخرين * وقوله سبحانه انما توعدون ملات هو من الوعيد بقربنته وما انتم بمعجزين اي وما انتم بناجيين هربا فتعجزون طالبيكم ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يتوعدهم بقوله اعملوا اي فسترون عاقبة عملكم الفاسد وصيغه افعل هنا هي بمعنى الوعيد والتهديد وعلى مكانتكم معناه على حالكم وطريقتكم وعاقبة الدار اي مآل الآخرة ويحتمل مآل الدنيا بالنصر والظهور ففي الآية اعلام بغيب * وقوله وجعلوا لله ما ذرأ يعني مشركى العرب الذين تقدم الرد عليهم من اول السورة وذرأ معناه خلق وانشأ وبث وسبب نزول هذه الآية ان العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وثمارها وانعامها جزأ تسميه لله وجزأ تسميه لاصنامها وكانت عاداتها التحفى والاهتبال بنصيب الاصنام اكثر منها بنصيب الله اذ كانوا يعتقدون ان الاصنام بها فقر وليس ذلك بالله سبحانه فكانوا اذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذى لله الى الذى لشركاتهم اقروه واذا حلت من الذى لشركاتهم الى الذى لله رده واذا لم يصيبوا في نصيب شركائهم شيأ قالوا لا بد للآلهة من نفقة فيجعلون نصيب الله تعالى في ذلك قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم انهم كانوا يفعلون هذا ونحوه من الفعل وكذلك في الانعام كانوا اذا اصابتهم السنة اكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم * وقوله سبحانه وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم الكثير هنا يراد به من كان يئد من مشركى العرب والشركاء هاهنا الشياطين الآمرون بذلك المزبنون له والحاملون عليه ايضا من بنى مادم ومقصد

الآية الذم للوَاد والا نَحْناء على فعلته وليردوهم معناه ليهلكوهم من الردى وليلبسوا معناه ليخلطوا * وقوله سبحانه ولو شاء الله ما فعلوه يقتضى ان لا شيء الا بمشيئة الله عز وجل وفيها رد على من قال بان المرء يخلق افعاله وقوله فذرهم وعيد محض * وقوله سبحانه وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها الآية تتضمن ما شرعوا لا نفسهم والتزموه على جهة القرينة كذبا منهم على الله سبحانه وجبر معناه التججير وهو المنع والتحریم وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال جماعة من المفسرين انهم كانت لهم ستة في انعام ما ان لا يحجج عليها فكانت تركب في كل وجه الا في الحج وقالت فرقة بل ذلك في الذبائح جعلوا آلهتهم نصيبا منها لا يذكرون الله على ذبحها * وقوله سبحانه وقالوا ما في بطون هذه لانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا الآية كان من مذاهبهم الفاسدة في بعض الانعام ان يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصصونه لذكورهم فازواجنا يراد به جماعة النساء التى هي معدة ان تكون ازواجا قاله مجاهد وقوله وان يكن ميثة يعنى انه كان من سنتهم ان ما خرج من لاجنة ميتا من تلك الانعام الموقوفة فهو حلال للرجال والنساء جميعا وكذلك ما مات من الانعام الموقوفة نفسها ثم اعقب تعالى بوعيدهم على ما وصفوا انه من القربات * وقوله سبحانه قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الآية تتضمن التشنيع بسوء فعلهم والتعجيب من سوء حالهم فيما ذكر قال عكرمة وكان الوَاد في ربيعة وفي مضر قال * ع * وكان جمهور العرب لا يفعل ثم ان فاعليه كان منهم من يفعل خوف العيلة والافتقار وكان منهم من يفعل غيرة مخافة السباء وقد ضلوا اخبار عنهم بالحيرة وما كانوا يريد في هذه الفعلة ويحتمل ان يريد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة مهتدين ولكنهم زادوا

بهذه الفعلة ضللا * وقوله سبحانه وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية تنبيه على مواضع الاعتبار وانشأ معناه خلق واخترع ومعروشات قال ابن عباس ذلك فى ثمر العنب منها ما عرش وسمك ومنها ما لم يعرش ومتشابهها يريد فى المنظر وغير متشابه فى الطعم قاله ابن جريج وغيره وقوله كلوا من ثمره نص فى الاباحة وقوله سبحانه وءاتوا حقه يوم حصاده قال ابن عباس وجماعة هي فى الزكاة المفروضة قال * ع * وهذا القول معترض بان السورة مكية وبانه لا زكاة فيما ذكر من الرمان وما فى معناه وحكى الزجاج ان هذه الآية قيل فيها انها نزلت بالمدينة وقال مجاهد وغيره بل قوله وءاتوا حقه يوم حصاده ندب الى اعطاء حقوق من المال غير الزكاة والسنة ان يعطي الرجل من زرعه عند الحصاد وعند الذرو وعند تكديسه فى البيدر فاذا صفى وكال اخرج من ذلك الزكاة وقالت طائفة هذا حكم صدقات المسلمين حتى نزلت الزكاة المفروضة فنسختها قال * ع * والنسخ غير مترتب فى هذه الآية ولا تعارض بينها وبين اية الزكاة بل تنبنى هذه على الندب وتلك على الفرض * وقوله سبحانه ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين النهي عن الاسراف اما للناس عن التمتع عن ادائها لان ذلك اسراف من الفعل واما للولاة عن التشطط على الناس والاذايت لهم وكل قد قيل به فى تاويل الآية * وقوله سبحانه ومن الانعام حمولة وفرشا حمولة عطف على جنات معروشات التقدير وانشأنا من الانعام حمولة والحمولة ما تحمل الاثقال من الابل والبقر عند من عادته ان يحمل عليها والفرش ما لا يحمل ثقلا كالغنم وصغار البقر والابل وهذا هو المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وغيرهم ولا مدخل فى الآية لغير الانعام وقوله كلوا مما رزقكم الله نص اباحة وازالة ما سبه الكفرة من البحيرة والسائبة

وغير ذلك ثم تابع النهي عن تلك السنن الآفكة بقوله سبحانه ولا تتبعوا خطوات الشيطان وهي جمع خطوة اي لا تمشوا في طريقه قلت ولفظ البخاري خطوات من الخطو والمعنى .اثارة انتهى * وقوله سبحانه ثمانية ازواج اختلف في نصبها ف قيل على البذل من ما في قوله كلوا مما رزقكم الله وقيل على الحال وقيل على البذل من قوله حمولة وفرشا وهذا اصوب لاقوال واجراها مع معنى الآية والزوج الذكر والزوج الانثى فكل واحد منهما زوج صاحبه وهي اربعة انواع فتجي ثمانية ازواج والصان جمع صائنة وصائن * وقوله سبحانه قل الذكـرين حرم ام الانثـيين هذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الله اي لا بد ان يكون حرم الذكـرين فيلزمكم تحريم جميع الذكور او الانثـيين فيلزمكم تحريم جميع الاناث اما اشتملت عليه ارحام الانثـيين فيلزمكم تحريم الجميع وانتم لم تلتزموا شيأ يوجب هذا التقسيم وفي هذه السؤالات تقريع وتوبيخ ثم اتبع تقريعهم بقوله نبثوني اي اخبروني بعلم اي من جهة نبوة او كتاب من كتب الله ان كنتم صادقين وان شرط وجوابه في نبثوني * وقوله سبحانه ومن لا بل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكـرين حرم الآية القول في هذه الآية في المعنى وترتيب التقسيم كما تقدم فكانه قال انتم الذين تدعون ان الله حرم خصائص من هذه الانعام لا يخلو تحريمه من ان يكون في الذكـرين او في الانثـيين او فيما اشتملت عليه ارحام الانثـيين لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا ولا هذا فلم يبق الا انه لم يقع تحريم قال الفخر والصحيح عندي ان هذه الآية لم ترد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هي استفهام على سبيل الانكار وحاصل الكلام انكم لا تعترفون بنبوة احد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام المختلفة انتهى * وقوله سبحانه ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله

بهذا استفهام على سبيل التوبيخ وشهداء جمع شهيد وباقي الآية بين *
وقوله تعالى قل لا اجد في ما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة الآية هذه الآية نزلت بمكة ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء
محرم غير هذه الاشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد في المحرمات
كالخمر وكاكل كل ذي ناب من السباع مما وردت به السنة قال * ع *
ولفظه التحريم اذا وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحة
ان تنتهي بالشئ المذكور غاية المنع والحظر وصالحة بحسب اللغة ان تقف
دون الغاية في حيز الكراهية ونحوها فما اقترنت به قرينة التسليم من الصحابة
التأويلين واجمع عليه الكل منهم ولم تضرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الناس
وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ولحق
بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ
الحديث واختلف الامة فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام كل ذي
ناب من السباع حرام وقد روي عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل
كل ذي ناب من السباع ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم في تحريم ذلك فجاز
لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذي هو على الكراهية
ونحوها وما اقترنت به قرينة التأويل كتحريمه عليه السلام لحوم الحمير الانسية
فتأول بعض الصحابة الحاضرين ذلك لانها لم تخمس وتأول بعضهم ان ذلك
ليلا تفنى حمولة الناس وتأول بعضهم التحريم المحض وثبت في الامة الاختلاف
في لحمها فجاز لمن ينظر من العلماء ان يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده
وقياسه على كراهية او نحوها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية هذا خبر من الله سبحانه يتضمن تكذيب اليهود

في قولهم ان الله لم يحرم علينا شيئاً وانما حرّمنا على انفسنا ما حرمه اسراييل على نفسه وكل ذى ظفر يراد به الابل والنعام والاوز ونحوه من الحيوان الذى هو غير منفرج الاصابع وله ظفر واخبرنا سبحانه في هذه الآية بتحريم الشجوم عليهم وهي الشروب وشحم الكلى وما كان شحماً خالصاً خارجاً عن الاستثناء الذى فى الآية واختلف فى تحريم ذلك على المسلمين من ذبائحهم فعن مالك كراهية شحومهم من غير تحريم * وقوله تعالى الا ما حملت ظهورهما يريد ما اختلط باللحم فى الظهر والاجناب ونحوه قال السدي وابوصالح الاليات مما جلت ظهورهما والحوايا ما تحوى فى البطن واستدار وهي المصارين والحشوة ونحوها وقال ابن عباس وغيره هي المباعر وقوله او ما اختلط بعظم يريد فى سائر الشخص * وقوله سبحانه ذلك جزيناهم بغيهم يقتضى ان هذا التحريم انما كان عقوبة لهم على بغيهم واستعصائهم على انبيائهم * وقوله سبحانه وانا لصادقون اخبار يتضمن التعريض بكذبهم فى قولهم ما حرم الله علينا شيئاً * وقوله سبحانه فان كذبتكم اي فيما اخبرت به ان الله حرمه عليهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي فى امهاله اذ لم يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جرمكم ولكن لا تغتروا بسعة رحمته فان له بأساً لا يرد عن القوم المجرمين اما فى الدنيا واما فى الآخرة وهذه الآية وما جانسها من آيات مكة مرتفع حكمها بشاية القتال ثم اخبر سبحانه نبيه عليه السلام بان المشركين سيحتجبون لتصويب ما هم عليه من شركهم وتدينهم بتحريم تلك الاشياء بامهال الله تعالى لهم وتقريره حالهم وانه لو شاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحال ولا حجة لهم فيما ذكره لانه سبحانه شاء اشرائهم واقدروهم على الاكتساب ويلزمهم على احتجاجهم ان تكون كل طريقة وكل نحلة ضواها اذ كلها لو شاء الله لم تكن وفى الكلام حذف يدل عليه تناسق الكلام كانه قال سيقول

المشركون كذا وكذا وليس في ذلك حجة لهم ولا شيء يقتضى تكذيبك ولكن كذلك كذب الذين من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه بحالهم وفي قوله تعالى حتى ذاقوا بأسنا وعيد بين * وقوله سبحانه قل هل عندكم من علم اي من قبل الله قل فله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد في الامر الذى يحتج له ثم أعلم سبحانه انه لو شاء لهدى العالم بأسره وهلم معناها هات وهي حينئذ متعددة وقد تكون بمعنى اقبل فلا تتعدى وبعض العرب يجعلها اسم فعل كرو يدك وبعضهم يجعلها فعلا ومعنى الآية قل هاتوا شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعمتم تحريمه فان شهدوا اي فان افترى لهم احد اوزور شهادة او خبرا عن نبوة ونحو ذلك فجنب انت ذلك ولا تشهد معهم قلت وهذه الآية والتي بعدها من نوع ما تقدم من ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يمكن ذلك منه وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له اندادا يسوونهم به تعالى الله عن قولهم * وقوله سبحانه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لا تشركوا به شيئا هذا امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يدع جميع الخلق الى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث به الى الاسود والاحمر وما نصبت بقوله اتل وهي بمعنى الذى وان في قوله ان لا تشركوا في موضع رفع التقدير الامران او ذاك ان وقال كعب الاحبار هذه الآية هي مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم الى اخر الآيات وقال ابن عباس هذه الآيات هي المحكمات المذكورة في مال عمران اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملّة وقد قيل انها العشر الكلمات المنزلة على موسى والاملاق الفقير وعدم المال قاله ابن عباس وغيره قال القشيري خوف الفقر قرينة الكفر وحسن الثقة بالرب سبحانه نتيجة

الايمان انتهى من التحبير * وقوله سبحانه ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي احسن قال مجاهد التى هي احسن التجارة فيه والاشد هنا الحزم والنظر فى الامور وحسن التصرف فيها وليس هذا بالاشد المقرون بالاربعين بل هذا يكون مع صغر السن فى ناس كثير * وقوله سبحانه واوفوا الكيل والميزان امر بالاعتدال * وقوله سبحانه لا نكلف نفسا الا وسعها يقتضى ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرز * وقوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين الناس وغير ذلك اي ولو كان ميل الحق على قراباتكم * وقوله سبحانه وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه لاشارة بهذا هي الى الشرع الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الطبري لاشارة هي الى هذه الوسايا التى تقدمت من قوله قل تعالوا وقال ابن مسعود ان الله سبحانه جعل طريقه صراطا مستقيما طريقه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتشعب منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وقال ايضا خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية قال * ع * وهذه الآية تعم اهل الاهواء والبدع والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من اهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد ولعلكم ترجح بحسبنا ومن حيث كانت المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم تعقلون والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى * وقوله سبحانه ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن

ثم في هذه الآية انما مهلتها في ترتيب القول الذي امر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ثم مما قضينا انا واثينا موسى الكتاب ويدعو الى ذلك ان موسى عليه السلام متقدم بالزمان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وثلاثه ما حرم الله والكتاب التوراة تماما مصدر وقوله على الذي احسن مختلف في معناه فقالت فرقة الذي بمعنى الذين واحسن فعل ماض صلة الذين وكأن الكلام واثينا موسى الكتاب تفضلا على المحسنين من اهل ملته واتماما للنعمة عليهم وهذا تاويل مجاهد ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقالت فرقة المعنى تماما على ما احسن هو من عبادة ربه يعنى موسى عليه السلام وهذا تاويل الربيع وقتادة وقالت فرقة المعنى تماما على الذي احسن الله فيه الى عبادة من النبوات وسائر النعم وبلقاء ربهم اي بالبعث * وقوله سبحانه وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحون هذا اشارة الى القرآن ومبارك وصف بما فيه من التوسعات وانواع الخيرات ومعناه منى خيرة مكثر والبركة الزيادة والنمو فاتبعوه دعاء الى الدين واتقوا امر بالتقوى العامة في جميع الاشياء بقريظة قوله لعلكم ترحون وان في قوله ان تقولوا في موضع نصب والعامل فيه انزلناه والتقدير وهذا كتاب انزلناه كراهية ان تقولوا والطائفتان اليهود والنصارى باجاء المتأولين والدراسة القراءة والتعلم بها ومعنى الآية ازالة الحجمة من ايدي قريش وسائر العرب ولما تقرر ان البينة قد جاءتهم والحجة قد قامت عليهم حسن بعد ذلك ان يقع التقرير بقوله سبحانه فمن اظلم ممن كذب بشايات الله وصدف عنها اي حاد عنها وزاغ واعرض وسنجزى الذين وعيد * وقوله سبحانه هل ينظرون اي ينتظرون يعنى العرب المتقدم الآن ذكرهم والملائكة هنا هم ملائكة الموت الذين يصحبون عزرايل المخصوص بقبض

الأرواح قاله مجاهد وقتادة وابن جريج * وقوله تعالى او ياتي ربك قال الطبري لموقف الحساب يوم القيامة واسند ذلك الى قتادة وجماعة من المتأولين وقال الزجاج ان المراد او ياتي عذاب ربك قال * ع * وعلى كل تاويل فانما هو بحذف مضاف تقديره امر ربك او بطش ربك او حساب ربك والا فلا تبيان المفهوم من اللغة مستحيل على الله تعالى لا ترى ان الله عز وجل يقول فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فهذا اتيان قد وقع وهو على المجاز وحذف المضاف قال الفخر والجواب المعتمد عليه هنا ان هذا حكاية مذهب الكفار واعتقادهم فلا يفتقر الى تاويله واجمعوا على ان المراد بهذه الآيات علامات القيامة انتهى قلت وما ذكره الفخر من ان هذا حكاية مذهب الكفار هي دعوى تفتقر الى دليل * وقوله سبحانه او ياتي بعض آيات ربك قال مجاهد وغيره هي اشارة الى طلوع الشمس من مغربها بدليل التي بعدها قال * ع * ويصح ان يريد سبحانه بقوله او ياتي بعض آيات ربك جميع ما يقطع بوقوعه من اشراف الساعة ثم خصص سبحانه بعد ذلك بقوله يوم ياتي بعض آيات ربك الآية التي ترتفع التوبة معها وقد بينت الاحاديث الصحاح في البخاري ومسلم انها طلوع الشمس من مغربها ومقصد الآية تهديد الكفار باحوال لا يخلون منها وقوله او كسبت في ايمانها خيرا يريد جميع اعمال البر وهذا الفصل هو للعصاة من المؤمنين كما ان قوله لم تكن آمنت من قبل هو للكافرين فالآية المشار اليها تقطع توبة الصنفين قال الداودي قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا يريد ان النفس المومنة التي ارتكبت الكبائر لا تقبل منها التوبة يومئذ وتكون في مشيئة الله تعالى كأن لم تنب وعن عائشة رضي الله عنها اذا خرجت اول الآيات طرحت الاقلام وحسبت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال انتهى * وقوله سبحانه

فل انتظروا انا منتظرون لفظ يتضمن الوعيد * وقوله سبحانه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي . قال ابن عباس وغيره المراد بالذين اليهود والنصارى اي فرقوا دين ابراهيم ووصفهم بالشيعة اذ كل طائفة منهم لها فرق واختلافات ففى الآية حص للمؤمنين على الاختلاف وترك الاختلاف وقال ابو الاحوص وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الآية فى اهل البدع والاهواء والفتن ومن جرى مجراهم من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي فرقوا دين الاسلام وقرأ حمزة والكسائي فارقوا ومعناه تركوا * وقوله تعالى لست منهم في شي . اي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق وهذا على الاطلاق فى الكفار وعلى جهة المبالغة فى العصاة * وقوله سبحانه انما امرهم الى الله الآية وعيد محض وقال السدي هذه آية لم يور فيها بقتال فهي منسوخة بالقتال قال * ع * الآية خبر لا يدخله نسخ ولكنها تضمنت بالمعنى امرا بموادعة فيشبه ان يقال ان النسخ وقع فى ذلك المعنى الذى قد تقرر نسخه فى آيات اخرى * وقوله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الآية قال ابن مسعود وغيره الحسنة هنا لا اله الا الله والسيئة الكفر قال * ع * وهذه هي الغاية من الطرفين وقالت فرقة ذلك لفظ عام فى جميع الحسنات والسيئات وهذا هو الظاهر وتقدير الآية من جاء بالحسنة فله ثواب عشر امثالها وقرأ يعقوب وغيره فله عشر بالتنوين امثالها بالرفع * وقوله تعالى قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم الآية فى غاية الوضوح والبيان وقيما نعت للدين ومعناه مستقيما وملة بدل من الدين * وقوله سبحانه قل ان صلاتى ونسكى الآية امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يعلن بان مقصده فى صلاته وطاعته من ذبيحة وغيرها وتصرفه مدة حياته وحاله من اخلاص وإيمان عند ميثانه انما هو لله عز وجل وارادة

وجهه وطلب رضاه وفي اعلان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم
المؤمنين التأسي به حتى يلتزموا في جميع اعمالهم قصد وجه الله عز وجل ويحتمل
ان يريد بهذه المقالة ان صلاته ونسكه وحياته ومماته بيد الله عز وجل والله يصرفه
في جميع ذلك كيف شاء سبحانه ويكون قوله وبذلك امرت على هذا التاويل
راجعا الى قوله لا شريك له فقط او راجعا الى القول وعلى التاويل الاول يرجع الى
جميع ما ذكر من صلاة وغيرها وقالت فرقة النسك في هذه الآية الذبائح قال
* ع * ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر في هذه الآية انها نازلة قد تقدم
ذكرها والجدل فيها في السورة وقالت فرقة النسك في هذه الآية جميع اعمال
الطاعات من قولك نسك فلان فهو ناسك اذا تعبد وقرأ السبعة سوى نافع
ومحيي بفتح الياء وقرأ نافع وحده ومحيي بسكون الياء قال ابو حيان وفيه جمع
بين ساكنين وشوغ ذلك ما في الالف من المد القائم مقام الحركة انتهى
وقوله وانا اول المسلمين اي من هذه الامة * وقوله سبحانه قل اغير الله ابغى
ربا وهورب كل شيء الآية حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن
نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وَاخْرَجْتَكَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَهِيَ
استفهام يقتضى التوبيخ لهم وابغى معناه اطلب فكانه قال افحسن عندكم ان
اطلب الها غير الله الذى هورب كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم باطل ليس
لامر كما تظنون فلا تكسب كل نفس من الشر والاثم الا عليها وحدها ولا تزر اي
تحمل وازرة اي حاملة حمل اخرى وثقلها والوزر اصله الثقل ثم استعمل في الاثم
تجوزا واستعارة ثم الى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد وقوله فينبئكم بما كنتم فيه

تختلفون اي في امرى في قول بعضكم هو ساحر وبعضكم هو شاعر الى غير ذلك
قاله بعض المتأولين وهذا التاويل يحسن في هذا الموضع وان كان اللفظ يعم جميع
انواع الاختلافات بين الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك وخلائف جمع
خليفة اي يخلف بعضكم بعضا لان من اتى خليفة لمن مضى وهذا يتصور في جميع
الامم وسائر اصناف الناس ولكنه يحسن في امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان
يسمى اهلها بجملة خلائف للامم وليس لهم من يخلفهم اذ هم اخر الامم وعليهم
تقوم الساعة وروى الحسن بن ابى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل ويروى انتم اخرها واكرمها
على الله * وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات لفظ عام في المال والقوة والجاه
وجودة النفوس والاذهان وغير ذلك وكل ذلك انما هو ليختبر الله سبحانه
الخلق فيرى المحسن من المسيء ولما اخبر الله عز وجل بهذا ففسح للناس
ميدان العمل وحضهم سبحانه على الاستباق الى الخيرات وتوعد وتوعد تخويفا منه
وترجية فقال ان ربك سريع العقاب اما باخذاته في الدنيا واما بعقاب الآخرة
وحسن ان يوصف عقاب الآخرة بسريع لما كان متحققا مضمون الاثيان والوقوع
وكل مات قريب وانه لغفور رحيم ترجية لمن اذنب واراد التوبة وهذا في كتاب
الله كثير وهو اقتران الوعيد بالوعد لطفًا من الله سبحانه بعباده اللهم اجعلنا
من شملته رحمتك وغفرانك بجودك واحسانك ومن كلام الشيخ الولي
العارف ابى الحسن الشاذلي رحمه الله قال من اراد ان لا يضره ذنب فليقل
رب اعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك واعوذ بك من عاجل العذاب
ومن سوء الحساب فانك لسريع الحساب وانك لغفور رحيم رب انى ظلمت

نفسى ظلما كثيرا فاغفر لى وتب على لا اله الا انت سبحانك انى كنت من
الظالمين انتهى نسأل الله ان ينفع به ناظره وان يجعله لنا ذخرا ونورا يسعى بين
ايدينا يوم لقائه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

* * *

انتهى هذا الجزء الاول مصححا بالمقابلة على خط مؤلفه

شكر الله سعيه وقدره



فهرس الجزء الاول من الجواهر الحسان

٦	باب في فضل القرءان
١٠	باب في فضل تفسير القرءان واعماليه
١١	فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرءان والجرأة عليه ومراتب المفسرين
١٦	فصل في ذكر الالفاظ التي في القرءان مما للغات العجم بها تعلق
١٧	باب تفسير اسماء القرءان وذكر السورة والآية
١٩	باب في الاستعاذة
٢٠	باب في تفسير البسملة
٢١	تفسير فاتحة الكتاب
٢٦	القول في آمين
٢٨	تفسير سورة البقرة
٢٤٠	— — — — — مال عمران
٢٤٥	— — — — — النساء
٤٣٦	— — — — — المائدة
٥٠٢	— — — — — الانعام
